طبقات الشافعية الكبرى

لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي

٧٢٧ - ٧٧١ هـ

تحقيق

الدكتور محمود محمد الطناحي الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء التاسع

طبعة مصححة منقحة

مجتمعة الفهارس

الطبعة الأولى
في دار إحياء الكتب العربية
١٣٨٣ - ١٣٩٦ هـ = ١٩٦٤ - ١٩٧٦ م

الطبعة الثانية
في هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

بيـــان

رجعنا فى تحقيق هذه الطبقة إلى جزء من طبقات الشافعية الكبرى ، محفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، برقم ١١٢٦ تاريخ ، مصور من مكتبة الحرم المكى الشريف ، ورقمه فى المكتبة ٦٤ تراجم .

وهذا الجزء هو الثالث من نسخة بقلم معتاد جيد ، كتبه عمر بن محمد بن محمود المنظراوى ، وفرغ منه سنة ٨٦٦ ، وعلى الجزء خط العلامة ابن قاضى عجلون ، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، أبى الفضل الشافعى المتوفى بمدينة بلبيس ، من بلاد مصر ، سنة ٨٧٦ ، ويبدأ هذا الجزء بذكر الطبقة السادسة ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

والجزء فى ٢٥٠ ورقة تقريبا ، ومسطرته ٢٩ سطرا ، ومقاسه ١٨ × ٢٩ سم ، وقد رمزنا له بالحرف : « ك » إشارة إلى الحرم المكى ، زاده الله تشريفا وتكريما ومهابة .

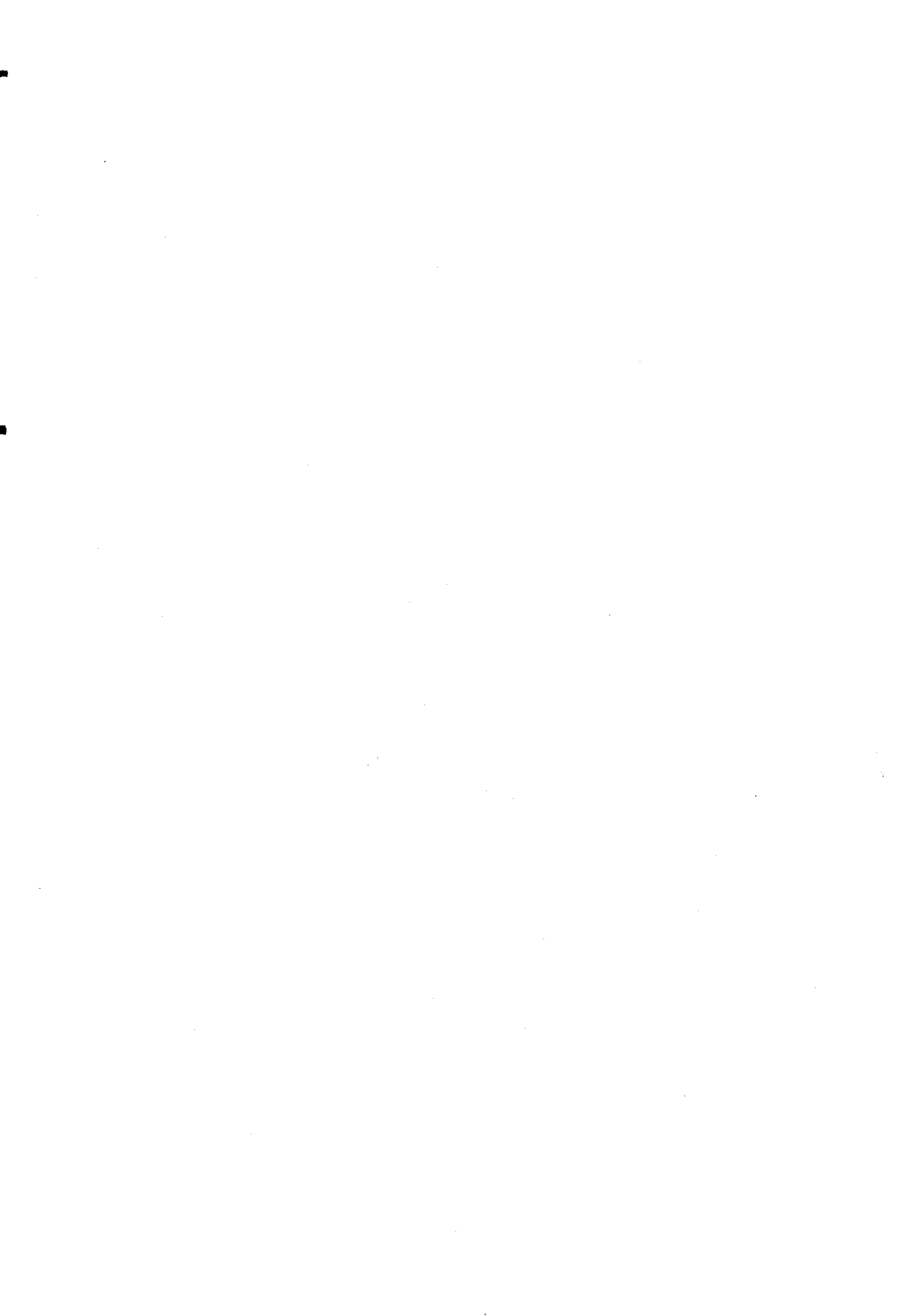
نسأل الله ـــ وهو الذى بيده الخير كله ـــ أن يعيننا على إنجاز هذا العمل ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا .



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة السّابعَة

فيمن تُوُفِّيَ بعد السبعمائة



١٢٩١

أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شَرَف ، القاضى جمال الدين الدِّيباجِىُّ المَلَّوِىّ ، المعروف بالمَنْفَلُوطِىّ *

وهو أبو صاحبنا الشيخ وَلِىّ الدين محمد ، نفع اللهُ به .

رجلٌ مباركٌ صالح ، عالم فاضل ، تفقَّه بالديار المصرية ، ثم لما وَلِىَ الشيخُ علاءُ الدين القُونَوِىُّ قضاءَ الشام قَدِم معه ، فوَلَّاه قضاءَ بَعْلَبَكّ ، ثم ناب فى الحُكْم بدمشق ، وأعاد فى المدرسة الشامِيَّة البَرَّانِيَّة .

تُوُفِّىَ سنة ثلاثين وسبعمائة .

١٢٩٢

أحمد بن الحسن بن على بن خليفة الحُسَيْنِىُّ الأَنْجِىُّ **

صاحبُنا السيد الإمام المُحقِّق النَّظَّار ، السيِّدُ مُجير الدين أبو العباس .

وُلد سنة تسع وثمانين وستمائة[1] ، وقرأ فى بلاد العَجَم المَعقُولات فأحْكَمَها عند

---

* له ترجمة فى : الدارس ١/٢٩٧ ، الدرر الكامنة ١/١٠٣ .

والديباجى ؛ بكسر الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء وبعد الألف جيم : نسبة إلى صنعة الديباج وبيعه وشرائه . اللباب ١ / ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

والملوى ؛ نسبة إلى ملوى ، بفتح الميم واللام المشددة والواو المفتوحة ، وهى اليوم إحدى مدن محافظة المنيا . وفى القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، الجزء الرابع ، صفحة ٦٨ أنها كانت قديما إحدى قرى ولاية الأشمونين ، ثم نقل إليها ديوان الولاية ، ثم سميت بمركز ملوى سنة ١٨٩٠ م .

والمنفلوطى ؛ بفتح الميم وسكون النون ثم فاء مفتوحة ولام مضمومة وآخره طاء مهملة : نسبة إلى منفلوط ، بلدة بالصعيد الأعلى فى غربى النيل ، بينها وبين شاطئ النيل بعد . معجم البلدان ٤ / ٦٦٩ .

** له ترجمة فى : الدرر الكامنة ١/١٢٩ ، ١٣٠ . وانظر تعليق (١) فى الصفحة التالية .

وفى المطبوعة : « اللانجى » مكان « الأنجى » ، والتصويب من : ج ، ز . ولم ترد هذه النسبة فى الدرر . والأنجى ؛ بالضم والسكون وجيم : نسبة إلى ناحية من أعمال زوزان بين الموصل وأرمينية . معجم البلدان ١ / ٣٧١ .

(١) فى الدرر أن مولده كان سنة إحدى وتسعين .

الشيخ بدر الدين الشُّشْتُرِىِّ[1] وابن المُطَهَّر ، وغيرِهما ، وبرَع فى المنطق والكلام والأصول ، مع مُشارَكةٍ فى الفقه ، وناظَر فى بلاده ، وشُغِل بالعلم .

ثم قَدِم الشامَ سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، واسْتَوْطَنها ، وجَرتْ له فيها مباحثُ جليلةٌ مع الوالد رحمه الله ، ومع غيرِه .

وكان ذا مال جزيل[2] ومع ذلك لا يَفتُر عن طلَب العلم ، ويَشْغَلُ الطلبةَ صَبيحةَ كلِّ يومٍ ، ولم يبْرَحْ جارَنا الأدْنَى فى المَسْكن[3] ، وصاحبَنا الأكِيدَ إلى أن تُوُفِّىَ فى شهر رمضان ، سنة خمس وستين وسبعمائة ، عن ست وسبعين سنة .

١٢٩٣
أحمد بن الحسن الجَارَبَرْدِىّ *

الشيخ الإمامُ فخر الدين ، نزيلُ تِبْرِيز .

كان فاضلا دَيِّنا[4] مُتَفَنِّنا ، مُواظِبا على الشُّغْل بالعِلم وإفادة الطلبة .

شرَح « مِنهاج البَيْضَاوِىِّ » فى أصول الفقه ، و « تصريف ابن الحاجب » ، وقطعةً من « الحاوى »[5] ، وله على « الكشَّاف » حَوَاشٍ مشهورة ، وقد أقْرأه[6] مَرَّاتٍ عديدةً ، بلَغنا أنه اجتمع بالقاضى ناصر الدين البَيْضَاوِىِّ وأخذ عنه .

---

(١) ششتر : قرية من عمل وادى آش بالأندلس. انظر نفح الطيب ٢/٣٨٤ . قوله : «الششترى» هو هكذا فى الأصول .
والذى فى ترجمته من طبقات الإسنوى ١ / ٣٢٠ ، شذرات الذهب ٦ / ١٠٢ ، مفتاح السعادة ٢ / ١٨٧ : « التُّسْتَرِى » . وراجع حواشى طبقات الإسنوى .

(٢) فى المطبوعة : « جليل » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « السكن » ، والمثبت من : ج ، ز .

* له ترجمة فى : البدر الطالع ١ / ٤٧ ، بغية الوعاة ١ / ٣٠٣ ، الدرر الكامنة ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ ، وتمام اسمه فيها : « أحمد بن الحسن بن يوسف » ، شذرات الذهب ٦ / ١٤٨ ، طبقات الإسنوى ١ / ٣٩٤ ، مرآة الجنان ٤ / ٣٠٧ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ١٤٥ .
والجاربردى ؛ بفتح الراء والموحدة وسكون الراء ومهملة : نسبة إلى جاربرد ، قرية من قرى فارس . انظر لب اللباب ٥٨ .

(٤) زاد فى الطبقات الوسطى بعد هذا : « خيرا وقورا » .

(٥) ذكر المصنف فى الطبقات الوسطى أن له شرحا على « الحاوى الصغير » لم يكمل .

(٦) فى المطبوعة : « قرأه » ، والتصويب من : ج ، ز .

تُوُفِّيَ بِتِبْرِيزَ فى شهر رمضان ، سنة ست وأربعين وسبعمائة[1] .

أَنْشدونا عنه :

عَجَبًا لقومٍ ظالمين تَستَّرُوا بالعَدْلِ مافيهمْ لَعَمْرِى مَعْرِفَهْ
قد جاءهم من حيثُ لايَدْرُونَهُ تَعْطِيلُ ذاتِ اللهِ مَعْ نَفْيِ الصِّـفَهْ

وهذان البيتان عارَض بهما الزَّمَخْشَرِىَّ فى قوله :

لَجَماعةٌ سَمَّوا هَواهُم سُنَّةً وجماعةٌ حُمُرٌ لَعَمْرِى مُوكَفَهْ
قد شَبَّهوهُ بخَلْقِهِ وتخَوَّفُوا شُنَعَ الورَى فتستَّرُوا بالبَلْكَفَهْ[2]

وقد عاب أهلُ السُّنّةِ بَيْتَىِ الزَّمَخْشَرِىِّ ، وأكثروا القول فى مُعارضتهما ، ومن أحْسنِ ماسمعتُه[3] فى معارضتهما ماأنْشَدَناه شيخُنا أبو حَيَّانَ النَّحْوِىُّ فى كتابه[4] ، عن العلَّامة أبى جعفر[5] بن الزُّبَيْرِ بِغَرْنَاطَةَ إجازةً[6] لم يكن سماعًا ، أنشدنا القاضى الأديب أبو الخطَّاب محمد بن أحمد بن خليل السَّكُونِىُّ[7] بقراءتى عليه ، عن أخيه أبى بكر ، من نَظْمِه ، ثم رأيتُها[8] فى كتاب أبى علىٍّ عمر بن محمد بن خليل[9] المُسَمَّى بـ «التمييز لِمَا أَوْدَعَهُ الزَّمَخْشَرِىُّ فى كتابه من الِاعْتزال فى الكتاب العزيز» ، وقال: أجابَهُ عمٌّ

---

(١) تفرد الشوكانى فى البدر الطالع فذكر أن وفاته كانت سنة اثنتين وأربعين .

(٢) البلكفة : كلمة ركبت من قول أهل السنة فى رؤية الله سبحانه : إنه يرى بلا كيف . أى بلا كيفية للرؤيا ، فرؤية المؤمنين لربهم لاتستلزم جهة ولامكانًا . وهذه التسمية من صنع المعتزلة . وهذان البيتان فى الكشاف ٢ / ١١٦ ، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب أرنى أنظر إليك ﴾ آية ١٤٣ من سورة الأعراف . ونسبهما الزمخشرىُّ لبعض العَدْليّة . والعَدْلية : هم المعتزلة .

(٣) فى المطبوعة : « سمعت » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٤) البحر المحيط ٤ / ٣٨٦ .

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، كما جاء فى البحر .

(٦) كذا فى الأصول . والمعتاد فى هذا التعبير : « إن لم يكن » .

(٧) بفتح السين المهملة وضم الكاف وسكون الواو وفى آخرها نون ؛ نسبة إلى السكون وهو بطن من كندة . اللباب ١ / ٥٥٠ .

(٨) القائل هو تاج الدين السبكى المصنف .

(٩) أى السكونى أيضا ، وتمام اسمه : عمر بن محمد بن حمد بن خليل . انظر الأعلام ٥ / ٢٢٤ .

والدى ، وهو يحيى بن أحمد المُلَقَّب بخليل ، بهذه القصيدة ، ولوالدى فيها تكميلٌ ، ولى فيها تَتْمِيمٌ وتذييلٌ :

شَبَّهْتَ جهلًا صَدْرَ أُمَّةِ أحمدٍ ... وذَوِى البَصائرِ بالحميرِ المُؤْكَفَهْ
وزعمتَ أن قد شَبَّهُوا معبودَهم ... وتَخَوَّفُوا فتَسَتَّرُوا بالبَلْكَفَهْ
ورَمَيْتَهم عن نَبْعَةٍ سَوَّيْتَها ... رَمْىَ الوَليدِ غدا يُمَزِّقُ مُصْحَفَهْ[1]
نطَق الكتابُ وأنتَ تنطقُ بالهوَى ... فهوى الهوَى بك فى المَهاوِى المُتْلِفَهْ[2]
وجَب الخَسارُ عليكَ فانْظرْ مُنْصِفًا ... فى آيةِ الْأَعْرافِ فهْىَ المُنْصِفَهْ[3]
أتَرَى الكَلِيمَ أتى بجَهْلٍ ماأتَى ... وأتى شيوخُك ماأتَوْا عن مَعْرِفَهْ
خلَق الحجابَ فمِن وراءِ حجابه ... سَمِعَ الكليمُ كلامَه إذْ شَرَّفَهْ[4]
خلَق الحجابَ بخَلْقِه سُبْحانَهُ ... فتَشَوَّفَتْهُ الأنْفُسُ المُستَشْرِفَهْ[5]
مَن لايُرَى قل كيف يحجُب خَلْقَه ... نَهْنِهْ نُهَى أشياخِكَ المُتَكلِّفَهْ
المَنْعُ مِن إدْراكِه مَعْنًى بِه ... حجَب النَّواظِرَ ياأُصَيْبِعَ زِعْنِفَهْ[6]
والمنعُ مُخْتَصٌّ بدارٍ بعدَها ... لكَ لاأبا لكَ مَوْعِدٌ لن تُخْلَفَهْ[7]
مَلِكٌ يُهَدِّدُ بالحجابِ عبادَه ... أترى مُحالًا أن يُرَى بالزَّخْرَفَهْ

---

(١) النبع : شجر للقسى وللسهام . وانظر خبر تمزيق الوليد بن يزيد مصحفه بالسهام ، فى أمالى المرتضى ١٣٠/١ .

(٢) لم يرد هذا البيت فى كتاب أبى حيان .

(٣) يعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ ... ﴾ الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٤) لم يرد هذا البيت ولا الأبيات الخمسة التالية له ــ عدا الرابع ــ فى كتاب أبى حيان .

(٥) فى المطبوعة : « خلق الحجاب لخلقه » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٦) فى ج ، ز : « ياأصيبغ زعنفه » ، والمثبت فى المطبوعة . والزعنفة : القصير والرذل .

(٧) جاء هذا البيت فى البحر المحيط آخر الأبيات ، وفيه : « موعدا لن تخلفه » .

وبآيـةِ الأعـرافِ وَيْكَ خُذِلْتُـمُ ... فوقَعْتُـمُ دونَ المَراقِى المُزْلِفَـهْ[1]
لو كان كالمعلومِ عندَك لايُرَى ... ذهَب التَّمَدُّحُ فى هَناتِ السَّفْسَفَهْ[2]
عطَّلْتَ أو أيَّسْتَ يامغـرورُ إذْ ... ضاهَيْتَ فى الإلحادِ أهلَ الفَلْسَفَهْ
إنَّ الوجُـوهَ إليـه ناظـرةٌ بـذا ... جاء الكتابُ فقلتمُ هـذا سَفَـهْ[3]
لو صَحَّ فى الإسلام عَقْدُك لم تقُلْ ... بالمذهبِ المَهْجورِ فى نَفْىِ الصِّفَهْ
ولَمـا نَسَبْتَ إلىَ النُّبُـوَّةِ زَلَّـةً ... فى صٓ والتَّحْرِيم فاسْمَعْ مَصْرِفَهْ
أَوَ ماعلمتَ بأنَّ مَن آلَى فقـد ... ترك المُباحَ وكَفَّ عنه مَصْرَفَهْ
لأنَّـه جعَـلَ الحلالَ مُحَرَّمًـا ... شَرْعًا فعِصْمَتُه أبَتْ أن يَقْرِفَـهْ
فجَهِلْتَ هذا وانصرفتَ لظُلْمـةٍ ... أعْمَتْ عليك من الطريقِ تَعَرُّفَهْ[4]
لم تعرفِ الفقهَ الجَلِيَّ فكيف بالتَّـ ... ـوحيـدِ فى تَدْقِيقِـهِ أن تعرِفَـهْ

قلتُ : أظنُّ من قوله : « ولما نسبت إلى النبوة زلة » إلى آخرِها تَتْمِيمُ أبى علىٍّ عمرَ بن خليل .

وقد أكثرَ الناسُ فى معارضةِ الزَّمَخْشَرِىِّ ، وهذه الأبياتُ من أجْمع ماقيل .
وقال بعضُهم :

اللهُ يعلـم والعلـومُ كـثيرةٌ ... أىَّ الفَرِيقَيْـن اهْتَـدَى بالمعرفَـهْ
ولَسوفَ يعلمُ كلُّ عبدٍ ماجَنَى ... يومَ الحسابِ إذا وَقَفْنا مَوْقِفَـهْ
فاذْكُرْ بخيـرٍ أُمَّـةً لم تعتقـدْ ... إلَّا الثَّناءَ عليه ذاتًـا أو صِفَـهْ
ودَعِ المِراءَ ولاتُطِعْ فيه الهوَى ... فالحقُّ فى أيْدِى الرجالِ المُنْصِفَهْ

---

(١) فى ج ، ز : « وبآية الأنعام وبل خذلتم » ، وفى المطبوعة : « وبآية الأنعام ويل » ، والتصويب من البحر المحيط .وهى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .وفى البحر « فوقفتم » مكان « فوقعتم » .

(٢) رسمت « هنات » فى ج : « هدار » ، وفى ز : « هدل » ، والمثبت فى المطبوعة ، ولم يرد هذا البيت والتالى له فى البحر المحيط .

(٣) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى البحر المحيط .

(٤) فى المطبوعة : « من الطريق المعرفة » ، والتصويب من : ج ، ز .

وقال آخر[1] :

وجماعةٍ كفروا برُؤْيَةِ ربِّهم ... هذا ووَعْدُ الله ما لن يُخْلِفَهْ[2]
وتلَقَّبُوا عَدْلِيَّةً قُلْنا أجَلْ ... عَدَلُوا بربِّهِم فحَسْبُهُمُ سَفَهْ
وتلَقَّبُوا النَّاجِين كَلَّا إنَّهم ... إن لم يكونوا فى لَظًى فعلَى شَفَهْ

وقال آخر :

لَجماعةٌ كفروا برُؤْيَةِ ربِّهم ... ولِقَائِهِ حُمُرٌ لَعَمْرُكَ مُوكَفَهْ
فكفاهُمُ عَلِمُوا بلا كيفٍ فنحْـ ... ـنُ نَرَى فلم نَنْعَتْهُمُ بالبَلْكَفَهْ
هم عَطَّلوهُ عن الصِّفاتِ وعَطَّلُوا ... منه الفِعالَ فيالَها مِن مَنْكَفَهْ[3]
هم نازَعُوه الخَلْقَ حتى أشْرَكُوا ... بالله زُمْرَةَ حَاكَةٍ وأساكِفَهْ
هم غَلَّقُوا أبوابَ رحمتهِ التى ... هى لاتزالُ علَى المعاصِى مُوكَفَهْ
ولهم قواعدُ فى العقائدِ رَذْلَةٌ ... ومذاهبٌ مجهولةٌ مُسْتَنْكَفَهْ
يَبْكِى كتابُ اللهِ من تأْوِيلِهم ... بدموعِه المُنْهَلَّةِ المُسْتَوْكِفَهْ

وقلتُ أنا[4] واقتصرتُ على بيتين :

لَجماعةٌ جارُوا وقالوا إنهم ... للعَدْلِ أهلٌ مالهم من مَعْرِفَهْ
لم يعرِفُوا الرحمٰنَ بل جَهِلُوا ومِن ... ذا أعْرَضُوا للجهلِ عن لَمْحِ الصِّفَهْ

وقال آخر :

لَجماعةٌ رأَوُا الجماعةَ سُبَّةً ... عَمْياءَ تاهُوا فى المَعامِى المُتْلِفَهْ[5]

---

(١) هو ناصر الدين ابن المنير ، صاحب « الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال » . والأبيات فى حواشى الكشاف ، الموضع السابق .

(٢) فى الإنصاف المنشور بحاشية الكشاف : « حقا ووعد الله ... » .

(٣) نكف عنه : أنف منه وامتنع .

(٤) فى المطبوعة : « أنا لجماعة واقتصرت ... » والمثبت من : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « الجماعة سنة .. فى المعانى » ، والتصويب من : ج ، ز .

والسُّنَّةُ الغَرَّاءُ أضْحَتْ عندَهم ... مَرْدُودةً مهجورةً مُسْتَنْكَفه
عَمِيَتْ بَصائرُهم كما أبصارُهم ... عن رُؤْيةٍ فاسْتَهْزَءُوا بالبَلْكَفه
نَفَوُا الصِّفاتِ عن الإلٰهِ وأثْبَتُوا ... ذاتًا مُعطَّلَةً تَعَرَّتْ عن صِفَه
فتَعَيَّنَتْ ذاتُ الإلٰهِ لَدَيْهمُ ... أن لاتكونَ أوَ آنْ تكونَ مُكَيَّفَهْ
هم فِرْقةٌ زعمُوا الجماعةَ فُرْقَةً ... هذا لَعَمْرِى بِدْعَةٌ مُسْتَأْنَفَه
قد حاوَلُوا نُكْرًا لجهلٍ فيهِمُ ... عن غيرِ عِلْمٍ منهُمُ والمعرفَه
أنَّى لهم عِلْمٌ بهذا إنَّهم ... حُمُرٌ لَدَى أهلِ الحقائقِ مُؤْكَفَهْ
بُرْهانُه لاشَكَّ لولا أنهم ... حُمُرٌ لَكان لهم عقولٌ مُنْصِفَهْ
شَهَواتُهم غلَبتْ عقولَهُمُ لِذا ... أبدًا تَرَى أقْوالَهم مُسْتَضْعَفَهْ
فتجمَّعتْ آراؤُهم فى غَيِّهم ... وتَفرَّقتْ عن رُشْدِهم مُتَحَرِّفَهْ
هم أُمَّةٌ تركوا الهِدايةَ وامْتَطَوْا ... طُرُقَ الضَّلالةِ والهوى مُتَعَسِّفَهْ
ركِبوا بحارَ عَمايةٍ وغَوايةٍ ... غرِقتْ مَراكبُهم بريحٍ مُعْصِفَهْ
هم زُمْرَةٌ هامتْ بهم أهواؤهم ... كالهيم فى الأرضِ الفَلاةِ مُخَلَّفَهْ
عِزَةٌ أَذَلَّهُم الإلٰهُ بعِزَّةٍ ... ثُبَةٌ ذَوُوا جَبُّورَةٍ مُتَغَطْرِفَهْ(١)
لَعِصابةٌ لعِبتْ بهم أهواؤُهم ... عُمْىٌ تَناهَتْ فى العَمَى مُتَلَهِّفَهْ
فِئَةٌ لقد جحَدوا برُؤْيةِ رَبِّهم ... وأتَوْا بأقْوالٍ تُرَدُّ مُزَيَّفَهْ
هم عُصْبةٌ قد حكَّموا آراءَهم ... فى الدِّين تَلْقاها غَدَتْ مُتَصرِّفَهْ
هم حَرَّفُوا كَلِمَ الكتابِ وبَدَّلُوا الْـ ... معنَى فجاء حُرُوفُهنَّ مُحَرَّفَهْ
هم صَحَّفُوا القرآنَ فى تأْوِيلِه ... فلِذا مَصاحفُهم تكونُ مُصَحَّفَهْ

---

(١) العزة : العصبة من الناس . والثبة أيضا : الجماعة . وفى المطبوعة : « تبة » ، والتصويب من : ج ، ز . وفى النسخ : « حبورة » ، والصواب ماأثبتناه ، والجبورة : المتكبر الذى لايرى لأحد عليه حقا .

نَبَذُوا كتابَ اللهِ خَلْفَ ظُهورِهم | جعَلوا أحاديثَ النَّبِىِّ مُضعَّفَهْ
مَلأُوا صَحائِفَهم بكلِّ قبيحةٍ | مِن بِدْعَةٍ شَنْعاءَ غيرِ مُؤَلَّفَهْ
أقوالُهم ألفاظُ زُورٍ مالَها | معنىً وصوتٌ كالطُّبولِ مُجَوَّفَهْ
اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ وحدَه | سبحانَه وبِهِ العبادُ مُكَلَّفَهْ
خيرٌ وشَرٌّ ليس يخلُق غيرُه | إيَّاهما هَذِى طريقٌ مُزْلَفَهْ
لقد اعْتزَلْتُم أُمَّةً سُنِّيَّةً | فخَفِيتُم ياأُمَّةً مُتخَوِّفَهْ
ولقد زعمتُم أنكم شُرَكاؤُه | والْخالِقِيّةُ لاتزالُ مُنصَّفَهْ(١)
فكفَرْتُمُ باللهِ ثم نَبِيِّه | فقلوبُكم عن دِينِه مُتَخَلِّفَهْ
فلذا افْتضَحْتُم فى الأَنامِ فأصبحتْ | عَوْرَاتُكم بينَ الورَى مُتَكَشِّفَهْ
وأبيْتُمُ إلَّا مُتابعةَ الهوَى | وأتَيْتُمُ بدلائلِ المُتَفَلْسِفَهْ
ولكم عقائدُ بالهوى مَعْقُودَةٌ | والكفرِ من أَهلِ الهوى مُتَلَقَّفَهْ
وبَنَيْتُمُ دارًا على مُسْتَنْقَعٍ | وجَعلْتُمُوها بالْقَذاةِ مُسَقَّفَهْ
ما عندكم إلَّا البَلادةُ والقَما | ءةُ والسَّفاهةُ والْخَنَا والعَجْرَفَهْ
جَهَّلْتُمُ موسى كما كذَّبتمُ | خبرَ الرسولِ أتَتْ به المُسْتَخْلَفَهْ
أَنْكرتُمُ لِلأَوْلياءِ كَرامةً | عَمَّتْهُمُ خُصَّتْ بها المُتَصَوِّفَهْ
للهِ أحْبابٌ تكونُ مَصُونَةً | عَمَّا سِوَاهُ بالجَمالِ مُكَنَّفَهْ(٢)
وهُمُ ضَنائِنُ رَبِّهم وعليهِمُ | بجَلالِه أرْخَى سُتورًا مُسْجَفَهْ
أَخْفاهُم بالنُّورِ ثم خَفاهُمُ | ووُجوهُهم بحُلَى السَّنَا مُتَلَفِّفَهْ
هم جُفَّةٌ حُفَّتْ بكلِّ جميلةٍ | من رَبِّهم وبما يُقَرِّبُ مُتْحَفَهْ(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « والحال فيه لاتزال منصفة » ، والتصويب من : ج ، ز .
(٢) فى المطبوعة : « عما سواهم » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٣) فى المطبوعة ، ز : « هم جنة » ، والمثبت من : ج . والجفة : جماعة الناس أو العدد الكثير .

مَلَأٌ لقد مَلَأَ الإلـٰهُ صُدورَهم ... نُورًا فكانتْ بالضِّياءِ مُزَخْرَفَهْ

نصَحتْ جُيوبُهمُ كما أذيالُهم ... أضْحَتْ بأَمْواهِ الصَّفاءِ مُنَظَّفَهْ

لهمُ عقائدُ فى القلوبِ صحيحةٌ ... ونفوسُهم مَلَكِيَّةٌ مُتَعَفِّفَهْ

ولهمْ خلائقُ بالنَّدَى مَجْبُولَةٌ ... وعلَى الخَلائقِ بالهدى مُتَعَطِّفَهْ

ولهم قلوبٌ بالرِّضا مَعْمورةٌ ... ولهم مَكارمُ بالْحَوائِجِ مُسْعِفَهْ[1]

أجْسامُهم عمَّا يَشِينُ نَقِيَّةٌ ... ونُفوسُهم عمَّا يَذِيمُ مُكَفْكَفَهْ[2]

مااسْتَعْبَدَتْهم شهوةٌ تدعُو إلى الصَّـ ... ـفراءِ والبيضاءِ لا والزَّخْرَفَهْ

كَفُّوا الأكُفَّ عن السُّؤالِ ولن تُرى ... سَأَلَةً مَمْدودةً مُتَكَفِّفَهْ[3]

ماشأنُهم شُرْبُ المُدامَةِ لا ولا ... أكلُ الحرامِ ولاغَرامُ مُهَفْهَفَهْ

مَنَعُوا النفوسَ عن الحُظوظِ فطاوَعتْ ... وتحرَّجتْ عن نَيْلِها مُتَوَقِّفَهْ

كَلِفَتْ نفوسُهمُ بما أُمِرتْ به ... أَلِفَتْهُ حُبًّا فيه لامُتَكَلِّفَهْ

مُتطَلِّبٌ رُتَبَ الكمالِ ذَواتُهم ... وصِفاتُهم تَعْنُو لها مُتَلَطِّفَهْ[4]

ولهم وَظائفُ من عبادةِ ربِّهم ... أضْنَوا بها أبْدانَهم كالأوْظِفَهْ[5]

سَهِرتْ عيونُهمُ إذا نام الوَرَى ... فى فَرْشِهم طُولَ الليالِي المُسْدِفَهْ[6]

أقدامُهم تحتَ الدُّجا مُصْطَفَّةٌ ... وقُدودُهم كأهِلَّةٍ مُحْقَوْقِفَهْ

هجَروا الوسائدَ والموائدَ والْهَنا ... قَوْمٌ بأنواعِ النعيمِ مُسَرْعَفَهْ[7]

---

(١) فى المطبوعة : « للجوارح مسعفه » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٢) الذيم : العيب .

(٣) فى المطبوعة : « شيأ له ممدودة » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٤) فى المطبوعة : « وصفاتهم بعداتها » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٥) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها .والجمع : الأوظفة.

(٦) فى ج ، ز : « إذا ناموا الورى » ، والمثبت من المطبوعة . والمسدفة : الشديدة الظلمة .

(٧) سرعف الصبى : إذا أحسن غذاءه .

تركوا الفُضولَ وقد رَضُوا بكَفافِهم ... أَنْعِمْ بهم من حَوْزةٍ مُتَقَشِّفَهْ
صَقَلُوا مَراياهم بِمِصْقَلةِ التُّقَى ... فصَفَتْ وصارتْ للولايةِ مَأْلَفَهْ[1]
أتَتِ الوِلايةُ وهْى خاطبةٌ لهم ... مُرْتاحةً مَشْغوفةً مُسْتَعْطِفَهْ
فلَهُم من اللهِ الكريمِ كَرامةٌ ... وقلوبُهم لِقَبُولِها مُسْتَهْدِفَهْ
أَبْدانُهم طافتْ بكعبةِ ربِّهم ... ونُفوسُهم بِجَنابِه مُتَطَوِّفَهْ
أَرْواحُهم بسعادةٍ مَقْرونةٌ ... بدَوامِها مَسْرورةٌ مُتَآلِّفَهْ
أنتم عَبِيدُ بُطونِكم وفُروجِكم ... ونفوسُكم فى كلِّ شَرٍّ مُسْرِفَهْ
ماتعرفون سوى القُدورِ وهَمُّكم ... أن تَغْرِفُوا منها الطعامَ بِمِغْرَفَهْ
فمتى نَهَضْتُم للولايةِ يابَنِى اللَّـ ... حْمِ السَّمِينِ ويأسارَى الأَرْغِفَهْ
أَرْواحُكم مسحورةٌ وعقولُكم ... مَسْلُوبةٌ أبصارُكم مُتَخَطَّفَهْ
وركبتُمُ مَتْنَ الغَوايةِ ثم قد ... قَفَّيْتُموها بالضَّلالةِ مُرْدَفَهْ
جُرْتُمْ وقلتُم إنَّكم عَدْلِيَّةٌ ... لا والذى جعَلَ القلوبَ مُصَرَّفَهْ
زَلَّتْ بكم أقدامُكم بمَزَلَّةٍ ... تَهْوِى إلى دَرْكِ الشَّفَا مُتَزَحْلِفَهْ
صَدِئَتْ مَرايَاكم فأنَّى تُجْتَلَى ... فيها عَرائسُ بالجَمالِ مُشَرَّفَهْ
ومتى تكونُ لكم وِلايةُ ربِّكم ... وقلوبُكم عن طُرْقِها مُحْرَوْرَفَهْ
ولنا بحَمْدِ اللهِ ثم بفَضْلِه ... كُتُبٌ علَى الحقِّ الصَّريحِ مُصَنَّفَهْ
قد كانتِ الحُسْنَى لنا وزِيادَةٌ ... وتَقَرُّ أَعْيُنُنا بها المُتَشَوِّفَهْ[2]
أنَّا نَرَى يومَ القيامةِ رَبَّنا ... مُسْتَشْرِفين علَى قُصورٍ مُشْرِفَهْ
سَنَراهُ جَهْرًا لاحِجابَ وراءنا ... فى جَنَّةٍ للمؤمنين مُعَرَّفَهْ

---

(١) فى المطبوعة : « بمصقلة النهى » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٢) فى المطبوعة ، ز : « المتشرفة » ، والمثبت من : ج .وتشوف إلى الشىء : تطلع .

أَسْماعُنــا لكلامــهِ أبصارُنــا ... لجَمالــهِ مُشْتاقَــةٌ مُتَشَوِّفَــهْ
إنَّا نَرَى لافى جِهَاتٍ وَجْهَهُ ... إنَّا لَنَسْمَعُ قولَه لامِن شَفَــهْ
رَغْمًا لأَنْفِكـمُ نَـراهُ ظاهِـرًا ... كالشمس حَقًّا بالعيونِ المُتْرَفَهْ
آذانُنــا بكلامِــه كعُيونِنــا ... تَرْنُو إليه فى الجِنانِ مُشَنَّفَهْ[(١)]
جاء الكتابُ بها وجاءتْ سُنَّةٌ ... مِن ربِّنا ومن النَّبِىِّ مُعَرِّفَــهْ
ثَقُلَتْ مَوازِينٌ لنا إذْ أصْبَحَتْ ... أعمالُكم يومَ الحسابِ مُخَفَّفَهْ
مَن لايُرِيدُ لقاءَه فهُوَ الـذى ... فى النارِ يخلُد مثلَ أهلِ الفلسفَهْ
ويُذادُ عن حَوْضٍ يُرَوِّينا إذا ... وَرَدُوا القيامةَ والشِّفاهُ مُجَفَّفَهْ
وتُعَلُّ من عَيْنِ الحياةِ نفوسُنا ... وشِفاهُنـا تَغْـدُو لنـا مُتَرَشِّفَـهْ
تَلْقَـى أئِمَّتَهم وأُمَّتَهـم غـدًا ... تَلْقَى طوائفَ فى الجحيمِ مُكَتَّفَهْ
فتراهُـم يـومَ اللِّقـا وقلوبُهـم ... مَحْجوبَةٌ عـن ربِّهـا مُتَأَسِّفَـهْ
قد جادَلُونا باللِّسانِ فجُدِّلُـوا ... بالبِيضِ والسُّمْرِ الْقَناةِ مُثَقَّفَهْ[(٢)]
حتى تَقصَّفتِ الصِّفاحُ وأصبحتْ ... أرْماحُنا من طَعْنِهم مُتَقَصِّفَـهْ
فعَلَى عُيونِهـمُ سِهـامٌ فُـوِّقَتْ ... وعلى رِقابِهمُ سيوفٌ مُرْهَفَـهْ
صلَّى الإلٰهُ على محمدٍ الذى ... أبدَى لنا طُرُقَ الهدى والمَخْرَفَهْ[(٣)]

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

---

(١) فى المطبوعة : « آذاننا لكلامه » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢) فى المطبوعة : « فجردوا بالبيض » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « أسدى لنا طرق الهدى والمعرفة » ، والمثبت من : ج ، ز . والمخرفة : الطريق اللاحب ، أى : وأبدى لنا المخرفة .

١٢٩٤

أحمد بن عبد الله بن الشيخ شهاب الدين البَعْلَبَكِّىّ*

مُدَرِّس العادِليَّةِ الصغيرة(١) ، والمدرسة القَلِيجيَّة(٢) بدمشق ، وشيخُ الإقْراء بتُرْبَةِ أُمِّ الصَّالح ، والتُّرْبَةِ الأَشْرَفيَّةِ .

قيل : إنه وُلد سنةَ أربع وتسعين وستمائة ، وسمع الحديثَ من أسماءَ بنتِ صَصْرَى ، وغيرِها .

وكان فقيهًا ، عارفًا بالنحو معرفةً جيدة ، إمامًا فى القراءات ومعرفةِ وُجوهها ، مُشاركا فى كثيرٍ من العلوم ، صحيحَ الفكر والذِّهْن .

ناب فى الحُكْم بدمشق مُدَّةً عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن المجدِ عبدِ الله ، ودخل القاهرة ، وقرأ النحو على شيخنا أبى حَيَّانَ ، وقرأ بعضَ العَقْليَّات على شمس الدين الأَصْبَهانِىِّ ، وكان حسنَ الاسْتحضار والضَّبْطِ الكثير(٣) من شواهِد العربيَّة ، حسنَ الخَطِّ .

تُوُفِّى يومَ الاثْنين السابع والعشرين من شهر رمضان ، سنة أربع وستين وسبعمائة ، بالمدرسة القَلِيجِيَّة بدمشق .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ٣٠٣/١٤ ، الدارس ٣٢٣/١ ، ٣٢٤ – وانظر فهارسه – الدرر الكامنة ١٢٣/١ ، ١٢٤ ، ٢٠٢ ، شذرات الذهب ٢٠٠/٦ ، طبقات القراء ٤١/١ ، ٧٣ .

وذكر ابن كثير اسمه كما ورد هنا « أحمد بن عبد الله » ، أما ابن العماد فذكره باسم « أحمد بن عبد الرحمن » ، وترجمه ابن حجر فى « أحمد بن بلبان » ، وقال : « وقال ابن سند : كان اسم أبيه بلبان فغيره عبد الرحمن . قلت : وسمى جده عبد الرحيم ؛ على معنى أن الناس كلهم عبيد رب العالمين ، وأعاد ذكره فى « أحمد بن عبد الله » وأحال على ترجمته فى « أحمد بن بلبان » .

(١) تقع المدرسة العادلية الصغيرة الآن فى سوق العصرونية بدمشق فى جانبه الشمالى . منادمة الأطلال ١٢٧ .

(٢) فى المطبوعة هنا وفيما يأتى : « الفليحية » ، والتصويب من : ج ، ز . وهى من مدارس دمشق المجهولة الآن ، وكانت داخل باب شرقى وباب توما ، شرقى المسمارية ، وغربى المحراب والتربة . انظر منادمة الأطلال ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) كذا فى الأصول : ولعل الصواب : « لِكَثيرٍ » .

١٢٩٥

أحمد بن عمر بن أحمد بن أحمد بن النَّشائىّ ، الشيخ كمال الدين*

هو وَلَدُ الشيخ الفقيه الزاهدِ عزِّ الدين ، من أهلِ نَشَا ، بالنون والشين المعجمة ، من الديار المصرية .

سمع الحديثَ من الحافظ شرف الدين الدِّمْياطِىِّ ، ووُلد سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وأعاد بالمدرسة الكَهَّارِيَّةِ[1] عند الوالد رحمه الله ، وبرَع فى الفقه .

وكان كثيرَ الاسْتحضار ، حسنَ الاختصار ، صنَّف : « جامع المختصرات » ، و « مختصر الجوامع »[2] وهو مختصرٌ حافل جدًّا فى الفقه ، « وشَرْحَه » ، وله أيضا كتاب « النُّكَت على التنبيه » ، وكتاب « الإبْريز فى الجَمْع بين الحاوى والوجيز » ، وكتاب « كشف غطاء الحاوى الصغير » ، وكتاب « المنتقَى » فى الفقه ، جمعَ فيه فأوْعَى ، واختصر كتاب « سلاح المؤمن فى الأدعية المأثورة » ، وكُلُّ كُتُبِه وجيزةُ العبارةِ جِدًّا ، تُشْبِهُ الألْغازَ ، كثيرةُ الجَمْع .

تُوُفِّىَ فى حادى عشر صفر ، سنة ثمان[3] وخمسين وسبعمائة ، بالقاهرة .

---

*له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١/ ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، الدرر الكامنة ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ذيول العبر ٣١١ ، شذرات الذهب ٦/ ١٨٢ ، طبقات الإسنوى ٢/ ٥١٠ ، العقد الثمين ٦/ ٢٨٥ ، فى أثناء ترجمة أبيه ، النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

وفى المطبوعة : « أحمد بن عمر بن أحمد بن النشا » ، والتصويب من : ج ، ز .

وفى حاشية النجوم الزاهرة أن بلدة نشا هى اليوم إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية بمصر .

(١) فى المطبوعة : « الكمالية » ، والتصويب من : ج ، ز . وتقدم التعريف بالمدرسة الكهارية فى ٨ / ١٨ .

(٢) فى المطبوعة : « الجامع » ، والمثبت من : ج ، ز . ولم يذكره حاجى خليفة ، وإنما ذكر فى كشف الظنون ١ / ٥٧٣ أن له شرحا على « جامع المختصرات » .

(٣) كذا ذكر المصنف وفاته فى سنة ثمان ، والذى فى مراجع الترجمة سنة سبع ، وقد علق ابن حجر على هذا بقوله : « وأرخه السبكى فى الطبقات الصغرى سنة ثمان فوهم ، وكذلك من تبعه فى ذلك » .

١٢٩٦

أحمد بن محمد بن سالم بن أبى المواهب بن صَصْرَى*

قاضى القضاة ، نجم الدين أبو العباس الرَّبَعِىُّ التَّغْلِبىُّ[١] .

حضَر على الرَّشِيدِ[٢] العَطَّار ، والنَّجِيب عبد اللطيف ، وسمع من ابن عبد الدَّائم وغيره ، وتفقَّه على الشيخ تاج الدينِ ابن الفِركاح .

وكان ذا رياسةٍ وسُؤْدَدٍ ، حكَم بدمشق نَيِّفًا وعشرين سنة ، يَصْفَحُ ويُغْضى[٣] ، ويَمْنَحُ الجَزِيلَ ويَقْضى .

وقد ذكره الشيخُ جمال الدين بنُ نُباتَةَ فى « سَجْع المُطَوَّق[٤] » ، فأحْسَنَ فى وصفِه وأطال ، ومن كلماتِه فيه : ماالغَيْثُ وإن ثَجَّتْ[٥] سُحُبُه ، وأَسَفَّ فُوَيْقَ الأرْضِ هَيْدَبُه[٦] ، ورَمَى المَحْلَ بسِهامِه ، وتَبسَّم ثَغْرُ بَرَدِه مِن لَعَسِ غَمامِه ، بأسْمَحَ من الغَيْثِ الذى يُخْرِجُه لنا من رُدْنِه[٧] وهو يَدُه المُقَبَّلة ، والسُّحُبِ التى يُجْرِيها (٨بأَرْزاقِ عُفاتِه٨) وهِى أَقْلامُه المُؤَمَّلَة ، كَلَّا ولا البحرُ وإن (٩جاشَتْ غَوارِبُه٩) ، وهاجتْ عجائبُه ، واسْتَمَدَّت من قَطَراتِ لُجِّهِ الدَّائمِ الغِزار ، وعَلَتْ كلُّ مَوْجَةٍ

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية١٤ / ١٠٦ ، البدر الطالع ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ ، الدرر الكامنة ١ / ٢٨٠ — ٢٨٢ ، دول الإسلام ٢ / ١٧٥ ، ذيول العبر ١٢٨ ، شذرات الذهب ٦ / ٥٨ ، ٥٩ ، فوات الوفيات ١ / ١١٣ — ١١٥ ، قضاة دمشق ٨٤ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٧٠ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٥٨ .

(١) فى المطبوعة : « الثعلبى » ، والتصويب من ؛ ج ، ز . وبنو تغلب ربعيون .

(٢) فى المطبوعة : « رشيد » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « ويغض » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٤) فى المطبوعة : « سجعه المطرف » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٥) فى ج : « الحث » ، وفى ز : « الحب » ، والمثبت من المطبوعة .

(٦) الهيدب : السحاب المتدلى . وانظر هذا الكلام فى شعر عبيد بن الأبرص ، أو أوس بن حجر ، فى اللسان (هـ د ب) .

(٧) فى المطبوعة : « ردته » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٨) فى المطبوعة : « بأوراق غمامه » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٩) فى المطبوعة : « جاست عواربه » ، والتصويب من : ج ، ز .

إلى مَنالِ الشمسِ فكأنَّها على الحقيقةِ عَلَمٌ فى رأسِه نار ، بأَمَدَّ مِن مَواهِبه وما سَقَتْ وأعْجَبَ من علومِه وماوَسَقَتْ .

ومنها : ماشَهِدَتِ الدروسُ أسْرعَ من نَقْلِه ، ولا واللهِ النفوسُ أبْرَعَ من عقلهِ ، وما ظَفِرَ بمثلِه زمانٌ وإن حلَف ليَأْتِيَنَّ بِمثْلِه .

ومنها نظمًا[1] :

أنْـدَى البَرِيَّـةِ والأنْـواءُ ماحِلَــةٌ ... وأسْبَقُ الناسِ والسَّاداتُ تَزْدَحِمُ[2]

حَبْرٌ تَجاوَز قَدْرَ المَدْح مِن شَرَفٍ ... كالصُّبْحِ لاغُرَّةٌ يَحْكِى ولارَثَمُ[3]

لكنَّهـا نَفَحـاتٌ مِـن مَنائِحـه ... تَكادُ تَحْيَا بها فى رَمْسِها الرِّمَمُ[4]

مُجَرَّدُ العَزْم للعَلْيَاء إذْ عجزتْ ... عنها السَّرَاةُ وقالوا إنَّها قِسَـمُ[5]

تَصَنَّعُوا لِيُحاكُوا صُنْـعَ سُؤْدَدِهِ ... ياشَيْبُ كم جُهْدِ ماقد يكْتُم الكَتَمُ[6]

رام الأَقاصِىَ حتى جازَها ومَضَى ... تبارَكَ اللهُ مـاذا يبْلُغ الهِمَـمُ[7]

لايطْرُد المَحْلَ إلَّا صَوْبُ نائِله ... ولا يحُولُ على أفْعالِه النَّـدَمُ[8]

فى كلِّ يومٍ يُنادِى جُودُ راحتِه ... هذا فَتِىُّ النَّدَى لامادَّعَى هَرِمُ[9]

يَمِّمْ حِماهُ ودَافِعْ كلَّ مُعْضِلَةٍ ... مَهِيبَةِ الجُرْمِ تَعْلَمْ أنه حَـرَمُ[10]

---

(١) الأبيات من قصيدة له فى ديوانه ٤٣٩ ــ ٤٤١ .

(٢) فى الديوان : « والأنواء باخلة * وأسبق الخلق .... » .

(٣) فى الديوان : « حد المدح » . والرثم : بياض فى طرف أنف الفرس .

(٤) فى الديوان : « نفحات من مدائحه » .

(٥) فى المطبوعة : « للعليا إذا » ، والمثبت من : ج ، ز ، والديوان .

(٦) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

(٧) فى الديوان : « حتى حازها » . وفى الأصول : « يبلغ الغمم » ، والمثبت من الديوان .

(٨) فى الديوان : « ولايجول على أفكاره الندم » .

(٩) فى الديوان : « فتى الندى » . والشاعر يعنى هرم بن سنان المرى ، ممدوح زهير بن أبى سلمى .

(١٠) فى المطبوعة : « مهينه الحرم » ، وكذلك فى ز دون نقط الكلمة الأولى ، وفى ج : « مهسه الجرم » ، وفى الديوان : « مهيبة الحرم » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .

واحْسِنْ وَلاءَ مَعاليه فما سَفِلَتْ عَزيمةٌ بولاءِ النَّجْمِ تَلْتَزِمُ[1]
لو أنَّ للدَّهْرِ جُزْءًا من مَحاسِنهِ لم يَبْقَ فى الدَّهْرِ لاظُلْمٌ ولا ظُلَمُ
قالتْ أَيادِيهِ للحُسَّادِ عن كَثَبٍ ماأقْرَبَ الْعِزَّ إلَّا أنَّها هِمَمُ[2]
لمّا أبانَ به للنَّجْمِ أنَّ له عَزْمًا يرى فُرَص الإحْسانِ تُغْتَنَمُ[3]
والمجدُ لاتَنْثَنِى يَوْمًا مَعالِمُه إلَّا بنَقْصٍ من الأَمْوالِ تَنْهَدِمُ[4]
وللسِّيادةِ مَعْنًى ليس يُدْرِكُه من طالب الذِّكْرِ إلَّا باحِثٌ فَهِمُ
تَسْتَشْرِفُ الأرْضُ ماحَلَّتْ مَواطِئُه كأنَّما الوَهْدُ فى آثارِه أَكَمُ[5]

وهى قصيدةٌ غَرَّاءُ ، اقْتَصَرْنا منها من المَدْحِ على ماأَوْرَدْناه .

ولقاضى القضاة نجمِ الدين نَظْمٌ حسن ، وقد وَلِىَ القضاءَ ، وقَبْلَه التَّوقِيعَ ، وعَمِلَ فى ديوان الإنْشاء مُدَّةً .

تُوُفِّىَ فى شهر ربيع الأول ، سنةَ ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ورَثاهُ جماعةٌ ؛ منهم الأديب شهابُ الدين محمود بأبياتٍ طويلةٍ ، منها هذا :

قاضى القُضاةِ ومَن حَوَى رُتَبًا سَمَتْ عن أن تُسامَ سَنًا وبَزَّتْ مَن سَعَا
شيخُ الشيوخِ العارفين ومَن رَقَى رُتَبَ السُّلُوكِ تَعَبُّدًا وتَوَرُّعَا
حاوِى العلومِ بما تفرَّق فى الوَرَى إلَّا الذى منها إليه تَجَمَّعَا

---

(١) فى المطبوعة : « سفلت غريمه » ، والتصويب من : ج ، ز ، والديوان . وفى الأصول : « بولاء النجم ملتزم » ، والتصويب من الديوان . وفيه : « ولاء أياديه » .

(٢) فى الديوان : « للقصاد عن كثب * ماأقرب المجد » .

(٣) فى الديوان : « مما أناف به للمجد ... عرفا يرى ... » .

(٤) عجز البيت فى الديوان : « إلا إذا راح مبنى المال ينهدم » .

(٥) فى الديوان : « ماحلت مواطنه » . وفى الأصول : « كأنما الدهر » ، والتصويب من الديوان .

١٢٩٧

أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
الشيخ تاج الدين أبو الفضل*

من أهل الإِسْكَنْدَرِيَّة ، أُراه كان شافعيَّ المذهب ، وقيل : كان مالِكيًّا .

كان أُستاذَ الشيخ الإمام الوالد فى التصوُّف ، وكان إمامًا عارفًا ، صاحبَ إشارات وكرامات وقَدَمٍ راسخٍ فى التصوُّف . صحِب الشيخ أبا العباس المُرْسِىَّ تلميذَ الشيخ أبى الحسن الشَّاذِلىِّ ، وأخذ عنه .

واسْتَوْطَنَ الشيخُ تاج الدين القاهرةيَعِظُ الناس ويُرْشِدهم ، وله الكلماتُ البديعة ، دَوَّنَها أصحابُه فى كتبٍ جمَعوها من كلامه ، ومن مُصنَّفات الشيخ تاج الدين كتاب « التَّنْوير فى إسْقاط التَّدبير » .

ومن كلامِه : إرادتُك التَّجْريدَ مع إقامةِ الله لك فى الأَسْباب من الشهوة الخَفِيَّةِ ، وإرادتُك الأَسْبابَ مع إقامةِ الله إيَّاك فى التَّجْريد انْحِطاطٌ عن الذِّرْوةِ العَلِيَّة .

ماأرادت هِمَّةُ سالكٍ أن تقف عندما كُشِف لها إلَّا ونادَتْه هَواتِفُ الحقائق : الذى تطلُب أمامَك ، ولاتبرَّجَتْ ظواهرُ الكرامات إلَّا نادتْ حقائقُها : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[1] .

وقال : كيف يُتَصوَّر أنْ يحجُبَه شىءٌ وهو الذى أظْهَر كلَّ شىء ! كيف يُتَصَوَّرُ أن يحجُبَه شىءٌ وهو الذى ظَهر بكلٍّ[2] شىء ! كيف يُتَصَوَّرُ أن يحجُبَه شىءٌ وهو الذى

---

* له ترجمة فى : البدر الطالع ١ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، جامع كرامات الأولياء ٩٧ ــ ٩٩ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٤ ، الدرر الكامنة ١ / ٢٩١ ــ ٢٩٣ ، الديباج المذهب ٧٠ ، ٧١ ، ذيول العبر ٤٨ ، شذرات الذهب ٦ / ١٩ ، ٢٠ ، طبقات الشعرانى ٢ / ٢٠ ، النجوم الزاهرة ٨ / ٢٨٠ .

(١) سورة البقرة ١٠٢ .

(٢) فى المطبوعة : « فى كل » ، والمثبت من : ج ، ز .

(1ظَهَر فى كلِّ شىء ! كيف يُتصوَّر أن يحجُبَه شىء وهو الذى1) ظَهَر(2)لكلِّ شىء ! كيف يُتَصوَّرُ أن يحجُبَه شىءٌ وهو الظاهرُ قبلَ وُجودِ كلِّ شىء ! (3كيف يُتَصوَّر أن يحجبَه شىءٌ3) وهو أظْهَرُ من كلِّ شىء!

ومن شعره :

أعِنْدَكَ عن ليلى حديثٌ مُحَرَّرُ ... لإيرادِه يَحْيَا الرَّمِيمُ ويُنْشَرُ
فَعهْدِى بها العَهْدُ القديمُ وإنَّنى ... على كلِّ حالٍ فى هَواها مُقصِّرٌ
وقد كان عنها الطَّيْفُ قِدْمًا يزورُنى ... ولَمَّا يَزُرْ مابالُه يَتَعذَّرُ(4)

تُوُفِّى بالقاهرة ، فى جُمادَى الآخِرة ، سنةَ تسع وسبعمائة(5) .

١٢٩٨

أحمد بن محمد بن علىّ بن مُرْتَفِع بن صارِم بن الرِّفْعَةِ*

الشيخ الإمام شيخُ الإسلام نجمُ الدين أبو العباس .

شافعىُّ الزمان ، ومَن ألْقَتْ إليه الأئمَّةُ مَقاليدَ السَّلْمِ والأمان ، ماهو إن عُدَّت الشافعيةُ إلَّا أبو العباس ، ولا أَخْمَصُ قدمِه إن(6) تواضع إلَّا فوق هاماتِ الناس ، ابنُ الرِّفْعَة إلَّا أنّ جنسَها انْحصَر بأنواعِه فى شخصِه ، وذو السُّمعة التى وَلَجت الآذان

---

(1) زيادة من : ز ، على مافى : المطبوعة ، ج .

(2) فى المطبوعة : « يظهر » ، والمثبت من : ج ، ز .

(3) ساقط من المطبوعة ، وهو فى : ج ، ز .

(4) فى ج ، ز : « مانا له متعذر » ، والكلمة الأخيرة غير منقوطة فى : ج ، والمثبت من المطبوعة .

(5) خالف الشعرانى فذكر أن وفاته كانت سنة سبع وسبعمائة .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٦٠ ، البدر الطالع ١ / ١١٥ ـ ١١٧ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٢٠ ، الدرر الكامنة ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٦ ، ذيول العبر ٥٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٢ ، ٢٣ ، طبقات الإسنوى ١ / ٦٠١ ، ٦٠٢ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٤٩ ، مفتاح السعادة ٢ / ٣٥٧ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢١٣ .

وفى ج ، ز ، وبعض مصادر الترجمة : « بن مرتفع بن حازم » ، والمثبت من : المطبوعة ، ص ، والطبقات الوسطى .

(6) فى المطبوعة : « إذا » ، والمثبت من : ج ، ز ، ص ، والطبقات الوسطى .

وتعدَّد مُناديها فلم يحصُرْه العادُّ[1] ولم يُحْصِه ، ماأخرجتْ مصرُ بعد ابنِ الحَدَّاد نَظِيرَه ، ولا سكَن رَبْعَها وهو خُلاصةُ الرُّبْع العامر أرْوَجُ منه وإن لم يحصُر[2] الحاسبُ لُجَيْنَ[3] ذلك الرُّبْعِ ونَضِيرَه ، ولقد كان عصرُه مُحْتَوَشًا[4] بالأَئِمة إلَّا أنها سلَّمت وأذْعنتْ ، وتطَأْطأ البدرُ وتضاءَل السُّها إذ عَنَتْ ، قَدَرٌ قَدَّرَهُ اللهُ له من قبل أن يكون مُضْغَة ، وفِقْهٌ لو رآه ابنُ الصبَّاغ لقال : هذا الذى صُبِغ من النَّشْأة عالِمًا ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَة ﴾[5] ، سار اسمُه فى مَشارق الأرض ومَغاربها ، وطار ذِكْرُه فكان مِلْءَ حَواضرها وبَواديها[6] وقِفارها وسَباسِبها ، ذو ذِهْن لايُدْرَك فى سُرْعة[7] الإدراك ، ومِقْدار تقولُ له الزُّهَرَةُ : ماأزْهرك ، والسِّماكُ : ماأسْماك ؟ لايُقاوَم فى مجلس مناظرة ولايُقاوَى ، ولايُساوَم إذا ابْتاع الجواهر الثمينة ولايُساوَى ، أُقْسِم بالله يمينًا بَرَّةً لو رآه الشافعىُّ لَتبجَّح بمكانِه ، وترجَّح عنده على أقْرانه ، وتَرشَّح لأن يكون فى طبقةٍ من عاصرَه وكان فى زمانِه ، ولو شاهدَه المُزَنِىُّ لَشَهِد له بما هو أهلُه ، ولَقال : إن [8]البدرَ من دون مَحَلّه محلُّه ، وإن[8] النِّيلَ ماأُنيل مِثْلَه ، ولا سكَن إلى جانبه مِثْلُه ، ولو اجْتمع به البُوَيْطِىُّ لقال : ما أخرجتْ بعدَنا مثلَه الصَّعيد ، ولا وَفَى[9] النِّيلُ قَطُّ بمثلِ هذا الوفاء السعيد ، ولأَتَى بأصابعَ لكنْ بأيادٍ فى أيام عِيد ، ولو عايَنَهُ الرَّبيعُ لَقال : هذا فوق قَدْرِ الزُّهْر

---

(١) فى المطبوعة ، ز : « العباد » ، والتصويب من : ج ، ص ، والطبقات الوسطى .

(٢) فى المطبوعة ، ز : « يحضر » ، والتصويب من : ج ، ص ، والطبقات الوسطى .

(٣) فى المطبوعة : « يحيى » ، والتصويب من : ج ، ز ، ص ، والطبقات الوسطى .

(٤) فى المطبوعة : « محشوا » ، وفى ج ، ز : « مشحونا » ، والمثبت من : ص ، والطبقات الوسطى . واحتوش القوم الصيد : أنفره بعضهم على بعض . كأنه جعل العصر صيدا لهم .

(٥) سورة البقرة ١٣٨ .

(٦) فى المطبوعة : « ونواديها » ، والمثبت من : ج ، ز ، ص ، والطبقات الوسطى .

(٧) فى ج ، والطبقات الوسطى : « ساعة » ، والمثبت من : المطبوعة ، ز ، ص .

(٨) ساقط من : ج ، وهو من : المطبوعة ، ز ، ص ، والطبقات الوسطى .

(٩) فى المطبوعة : « واف » ، والمثبت من : ج ، ز ، ص ، والطبقات الوسطى .

فما قدرُ الزَّهَر ، وأحسنُ من الرَّوضِ باكَرهُ[1] النَّدى أوقاتَ البُكَر ، وألْطفُ من شَمائِلِ النَّشْوان لعبتْ به الشَّمُولُ ، أو أَعْطافُ الأَغصان حَرَّكها نسيمُ السَّحَر .

تفقَّه على السَّديد ، والظَّهير التَّزْمَنْتِيَّيْن[2] ، والشريف العبَّاسِيِّ ، ولُقِّب بالفقيهِ ، لغَلَبةِ الفِقْهِ عليه .

وسمِع الحديثَ من محيى الدين الدَّمِيرِيِّ[3] ، أخذ عنه الفقهَ الوالدُ رحمه الله ، وسمعتُه يقول : إنه عنده أَفْقَهُ من الرُّويانِيِّ صاحب « البحر » .

وقد باشَر حِسْبَةَ مصرَ ، ودرَّس بالمدرسة المُعِزِّيَّة بها ، ولم يَلِ شيئا من مَناصب القاهرة .

ومن تَصانيفِه : « المطلب فى شرح الوسيط » ، و « الكفاية فى شرح التَّنبيه »[4] ، و « كتاب مختصر فى هَدْم الكنائس » .

تُوُفِّىَ بمصرَ ، سنة عشر وسبعمائة .

ولا مَطْمَعَ فى استْيعاب مَباحثه وغَرائبِه ؛ لِأَنَّ ذلك بحرٌ زاخِر ، ومَهْيَع[5] لا يُعرَف له أوَّل من آخِر ، ولكنَّا نَتبرَّك بذكرِ القليل ، ونَتَبَرْتَكُ[6] من عطائِه الجزيل .

● جزَم الرافعيُّ فى استْيفاء قِصاص المُوضِحَة بأنه يفعلُ ما هو الأسهلُ ؛ من الشَّقِّ دُفْعةً واحدة ، أو تَدْريجًا .

قال ابنُ الرِّفْعَةِ : والأَشْبَهُ الإتْيانُ[7] بمثِل جنايته[8] إن أَوْضَحَ دُفْعَةً فدُفْعَة أو تَدْرِيجًا فتدريجًا .

---

(١) فى المطبوعة : « باكر » ، والمثبت من : ج ، ز ، ص ، والطبقات الوسطى .

(٢) فى المطبوعة ، ز ، ج : « التزمنتى » والتصويب من : ص ، والطبقات الوسطى . وتقدمت ترجمتهما فى الجزء الثامن صفحات ١٣٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) فى الطبقات الوسطى : « بن الدميرى » ، وفيها بعده زيادة : « إلا أنه لم تقع لى روايته » .

(٤) فى الطبقات الوسطى بعد هذا زيادة « الكتابان المشهوران » .

(٥) طريق مهيع : بين واضح .

(٦) فى الأصول : « نتبرمك » ولا معنى له . ويقال : برتك الشيء : إذا قطعه مثل الذر . والمعنى هنا على القلة .

(٧) فى ج ، ز : « الإثبات » ، والمثبت من المطبوعة ، ومثله فى ص بدون نقط .

(٨) فى المطبوعة « جناية » ، والتصويب من : ج ، ز ، ص .

● ولو قال : أنتِ طالقٍ طَلْقَةً أو طلقتيْن ، فهو مُلْحَق بصُوَرِ الشَّكِّ فى أصلِ العَدَدِ ، فلا تُطلَّق إلَّا طَلْقةً . قالَه فى « التتمة » .

قال ابنُ الرِّفْعَةِ : لكنْ لا نقول فى هذه الحالة : يُسْتَحَبُّ أن يُطَلِّقها الثانيةَ ، كالشَّاكِّ هل طَلَّق واحدةً أو اثنتين ؛ لأنَّه هناك يَحْتَمِلُ وُقوعَها فى نفس الأَمر ، ولا كذلك هنا ، لأنَّه لا يقَعُ فى نفس الأمرِ إلَّا واحدةٌ . قال[1] : وهذا ما وقع لى تَفَقُّها .

● سمعتُ الشيخَ الإمامَ رحمه الله يقول : لمَّا زُيِّنت القاهرةُ سنةَ اثنتين وسبعمائة أفتى شيخُنا ابنُ الرِّفْعَةِ بتحرْيمِ النَّظَرِ إليها ، قال : لأنَّه إنَّما يُقْصَدُ بها النَّظَرُ .

● ومن مُفْرَدات ابن الرِّفْعَةِ قولُه فى « المطلب » : إن المُرْتَدَّ إذا مات له قريبٌ مسلم ، ثم عاد إلى الإسلام وَرِثَه .

ورَدَّ عليه الشيخُ الإمامُ الوالدُ ، ونَسَبه إلى خَرْقِ الإجْماع فى المسألة .

● قال ابنُ الرِّفْعَةِ فى « المطلب » ، فى باب حَدِّ الزِّنا : ظاهرُ كلام « المختصر » أن العقلَ لا يُشْتَرَط فى الوَطْءِ الذى يصير به مُحْصَنًا ، ولو قيل بعَدَمِ اعْتبارِهِ ، واعتبارِ البلوغِ لم يَبْعُدْ ، لأَنَّ للمجنونِ وَطَرًا وشهوةً نالَها بوَطْئِه حالَ جُنونِه ، ولا كذلك للصَّبِىِّ[2] . قال : ولم أَرَ من تعرَّض له .

قلتُ : بل الكلُّ مُصَرِّحون باشْتراطِ العقلِ .

---

(١) فى المطبوعة : « قاله » ، والتصويب من : ج ، ز ، ص .

(٢) فى المطبوعة : « الصبى » ، والمثبت من : ج ، ز .

١٢٩٩

أحمد بن محمد بن قيس*

أبو العباس ، ابن الظَّهير ، الشيخُ الإمام شهابُ الدين ابنُ الأنْصارِيِّ .

شيخ الشافعيَّة بالدِّيار المصرية .

مولدُه فى حدود السِّتِّين وستمائة[١] ، وتفقَّه على الظَّهِيرِ ، وسمع من ابن خطيب الْمِزَّةِ « جزءَ[٢] الغِطْرِيف » ، وحدَّث بالقاهرة والإسكندريَّة[٣] .

ومات عن تَدْرِيس المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ بالقاهرة ، فى يوم عيد الأضْحَى ، سنة تسع وأربعين وسبعمائة شهيدًا بالطَّاعون .

ومن الفوائد عنه

● قال : قد يُسْتَشْكَلُ[٤] تَصَوُّرُ قضاءِ القاضى بالعِلم ، فإنه مثلا إذا رأًى رجلا يَزْنِى بامرأةٍ يَحْتَمِل أن يكونَ وَطِىءَ[٥] بشُبْهَةٍ ، فلا يسُوغ الحكمُ بالعلِم هنا ، إذ لا عِلمَ حينئذٍ . وصوَّره صاحبُ « الشامل » فقال : إذا رآه يغترفُ من البحر حكَم بأنَّ هذا مِلْكُه ، وهذا مُعْتَرَضٌ ؛ فإنَّه يَحْتَمِلُ أنَّ شخصا اغْتَرَفه وألْقاه . وكان ظَهِيرُ الدين التِّزْمَنْتِيُّ يُصَوِّرُه بما إذا أخَذ إنسانٌ من ماءِ المطر ، فإنَّه يُحْكَم بِملْكِه [له][٦] . واعْتَرَضه

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ٤٢٧/١ ، الدارس ٣٧٧/١ ، الدرر الكامنة ٣١٦/١ ، شذرات الذهب ١٥٩/٦ ، طبقات الإسنوى ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(١) فى المطبوعة : « والستمائة » ، والمثبت من : ج ، ز ، والطبقات الوسطى .

(٢) سقطت كلمة « جزء » من الطبقات الوسطى . والغطريف هو أبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين ، ابن الغطريف الجرجانى ، المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وله « المسند الصحيح » على كتاب البخارى ، وهو الذى يقال له « جزء الغطريف » . انظر العبر ٥/٣ ، ٦ ، واللباب ١٧٥/٢ .

(٣) بعد هذا فى الطبقات الوسطى زيادة : « وبرع فى المذهب ، وشاع اسمه ، وبعد صيته » .

(٤) فى المطبوعة : « استشكل » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « وطأ » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٦) زيادة من المطبوعة على ما فى : ج ، ز .

بعضُ الطَّلَبة بأنَّه ينْبَنى على أنَّ الجنَّ والملائكةَ هل يَمْلِكون أم لا ؛ فعلَى الأوَّل يَحْتَمِلُ أنْ يكون [(1)مَلَكًا أو جِنِّيًّا(1)] ، اغْتَرف غُرْفَةً وأرْسَلَها . انتهى .

[قُلتُ](2) : وهو عَجَبٌ(3) ؛ أمَّا أوَّلًا فلأنَّ مسألَة قضاء القاضى بالعِلم ليس شرطُها العلمَ اليَقِينىَّ القَطْعِىَّ ، بل غَلَبةُ الظَّنِّ تقُوم مَقامَ العِلم ، والفقهاءُ يُطْلِقون العِلم علَى ذلك ، كما قاله الرَّافِعىُّ وغيرُه ، وأمَّا ثانيا فتَصْويرُ صاحب « الشامل » صحيحٌ ، والاِعْتراضُ بأنَّ شخصًا اغْتَرفَها وألْقاها فاسدٌ ؛ فإنَّه إذا ألْقاها اخْتلَطَتْ بما تُسْتَهْلَك فيه ، وتخرُج عن كونِها مالًا ، وليس كما إذا أطْلَق الصَّيْدَ ، فإنَّ الصيدَ وإن اشْتَبَه لايخرُج عن مِلْكِه ؛ لأنه يَتميَّز(4) بنفسِه ، لايخْتلِط ولايُسْتَهْلَك ، وإنما يَشْتَبِه ويُجْهَلُ عَيْنُه ، وكذلك تصويرُ الشيخ الظَّهير صحيحٌ ، والاعْتراضُ بالمَلَكِ والجِنِّىِّ(5) عجيبٌ ؛ فإنَّ هذا الاِحْتمالَ لايَمْنَعُ العِلْمَ ، وحكايةُ الخلافِ فى أنَّ الجِنَّ والمَلَكَ هل يَمْلِكون غريبةٌ ، ومَن حكَى ذلك ؟!!

---

(1) فى المطبوعة : « ملك أو جنى » ، والمثبت من : ج ، ز . وعليه فتقدير اسم يكون : « المغترف » .

(2) ساقط من المطبوعة . وهو من : ج ، ز .

(3) فى المطبوعة : « عجيب » ، والمثبت من : ج ، ز .

(4) فى المطبوعة : « متميز » ، والمثبت من : ج ، ز .

(5) فى المطبوعة : « والجن » ، والمثبت من : ج ، ز .

١٣٠٠

أحمد بن محمد بن أبى الحَزْمِ مكِّىِّ بن ياسين ، أبو العبَّاس الشيخُ نجمُ الدين القَمُولِىُّ*

صاحب « البحر المحيط فى شرح الوسيط » ، وكتاب « جواهر البحر » جمَع فيه فأوْعَى .

كان من الفقهاءِ المشهورين ، والصُّلَحاء المُتورِّعين ، يُحْكَى أنَّ لسانَه كان لايفتُر عن قولِ : « لا إله إلَّا الله » .

وَلِىَ حِسْبَةَ مصرَ ، و [قد وَلِىَ][1] تدريسَ الفائِزِيَّة بها ، والفَخْرِيَّة بالقاهرة ، وتَوَلَّى قديما قضاءَ قَمُولا ، وهى مِن مُعاملة[2] قُوصَ ، نيابةً عن قاضى قُوصَ ، ثم وَلِىَ الوَجْهَ القبْلىَّ من مُعاملة[2] قُوصَ ، ثم وَلِىَ إخْميمَ[3] مرَّتين ، ووَلِىَ أَسْيُوطَ والْمُنْيَا والشَّرْقِيَّة التى قاعدتُها بِلْبِيس ، والغَرْبيَّة التى قاعدتُها المَحَلَّة ، ثم ناب فى الحُكْم بالقاهرة ومصرَ ، وتُوُفِّىَ عن نيابةِ القضاء بمصرَ والجِيزَةِ ، والحِسْبَةِ .

ولم يَبْرَحْ يُفْتِى ويُدرِّس ويُصنِّف ويكتُب ، ورُوِىَ أنه قال : لى أربعون سنةً أحكُم فيها ماوقَع لى حُكمٌ خَطَأً ، ولاأثْبَتُّ مكتوبًا ظهَر فيه خَلَلٌ .

وكان الشيخُ صدرُ الدين بن المُرَحِّل يقول ، فيما نُقِل لنا عنه : ليس بمصرَ أفْقَهُ من القَمُولِىِّ .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٣١ ، بغية الوعاة ١ / ٣٨٣ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٤ ، الدرر الكامنة ١ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، السلوك ٢ / ٢٩٠ ، شذرات الذهب ٦ / ٧٥ ، ٧٦ ، الطالع السعيد ١٢٥ ـــ ١٢٧ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، النجوم الزاهرة ، ٨ / ٢٧٩ .

وجاء فى الطبقات الوسطى : « بن أبى الحرم » مع ضبط الراء بالفتح ضبط قلم ، كما جاء فيها ضبط « القمولى » بضم القاف ضبط قلم ، وسيرد فى آخر الترجمة ضبط المصنف لها بالعبارة . وانظر ١٠/١٢٩ .

(١) زيادة من المطبوعة على ما فى : ج ، ز ، والطبقات الوسطى .

(٢) فى المطبوعة : « عمالة » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) إخميم : بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد . معجم البلدان ١ / ١٦٥ .

وكان مع جَلالتِه فى الفقهِ عارفًا بالنحو ، وله « شرح مقدمة ابن الحاجب » .
وكان عارفا بالتفسير ، وله « تكملة » على « تفسير الإمام فخر الدين »[1] ، وصنف أيضًا « شرح أسماء الله الحسنى » فى مُجلَّدة .

تُوُفِّىَ بمصرَ ، فى رجب ، سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، عن ثمانين سنة .
وقَمُولَا ، بفتح القاف وضَمِّ الميم وإسكان الواو : بلدة فى البَرِّ الغَرْبِىِّ ، من عَمَلِ قُوصَ[2] .

١٣٠١

أحمد بن المُظَفَّر بن أبى محمد بن المُظَفَّر بن بدر ابن الحسن بن مُفَرِّج بن بَكَّار النَّابُلُسِىُّ*

شيخُنا الحافظ الثِّقَةُ [الفقيهُ][3] الثَّبْتُ ، شهابُ الدين أبو العباس ، الأَشْعَرِىُّ عَقِيدَةً .

وُلِد فى رمضانَ ، سنةَ خمس وسبعين وستمائة ، وسمِع زينبَ بنت مَكِّىٍّ ، والشيخَ تقىَّ الدين الواسِطِىَّ ، وعمر ابنَ القَوَّاسِ ، والشَّرَفَ ابنَ عَساكِرَ ، وخَلْقًا كثيرا ، وعُنِىَ بهذا الشأنِ ، وكان ثَبْتًا فيما ينقلُه ، مُحَرِّرا لما يسمعه ، مُتْقِنًا لما يعرفه ، حسنَ المُذاكرة ، أعرفَ من ر أيتُ بتراجم الأَشاعرةِ والذَّبِّ عنهم ، قائمًا فى نُصْرةِ السُّنَّة وأهلِها .

---

(١) فى حاشية ج أمام ذكر مصنفات القمولى دون إحالة على موضع فى الأصل : « وله تكملة المطلب » .

(٢) جاء فى حاشية النجوم الزاهرة ٨ / ٢٧٩ : « القمولى : نسبة إلى قمولة وتسمى غرب قمولة : اسم كان يطلق قديما على عدة قرى وكفور واقعة على الشاطئ الغربى للنيل بمديرية قنا بمصر ، وفى سنة ١٢٥٩هـ قسمت ناحية غرب قمولا إلى ثلاث نواح ؛ وهى البحرى قمولا والأوسط قمولا والقبلى قمولا ، والناحيتان الأوليان تابعتان لمركز قوص ، والناحية الثالثة تابعة لمركز الأقصر » .

* له ترجمة فى : الدرر الكامنة ١ / ٣٣٨ ، ذيول طبقات الحفاظ ٣٥٤ ، ذيول العبر ٣١٥ ، شذرات الذهب ٦ / ١٨٥ .

(٣) ساقط من المطبوعة ، وهو فى : ج ، ز .

تُوُفِّيَ بدِمَشْقَ ، فى شهر ربيع الأوَّل ، سنةَ ثمان وخمسين وسبعمائة .

أخبرنا الحافظُ أبو العباس بنُ المُظَفَّر ، بقراءتى عليه ، أخبرتنا زينب بنت مَكِّىٍّ سَماعًا ، قالت : أخبرنا حَنْبَلُ بن عبد الله المُكَبِّر[١] ، أخبرنا هِبَة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحُصَيْن ، أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر[٢] أحمد بن جعفر بن حَمْدان القَطِيعِىُّ ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدَّثنا أبى ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دِينار ، قال : سمعتُ ابنَ عمر يقولُ : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ كَلْبَ قَنْصٍ نَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قيرَاطَانِ »[٣] .

أخبرنا [الحافظُ][٤] أبو العباس الأَشْعَرِىُّ سَماعًا ، أخبرنا أحمدُ بن هبة الله بن عَساكِرَ ، أخبرنا أبو رَوْح إجازةً ، أخبرنا زاهِرٌ الشَّحَّامِىُّ ، حدثنا الأُستاذ أبو بكر محمد بن الحسين بن علىٍّ المُقْرِى إمْلاءً ، أخبرنا أبو طاهِر محمد بن الفضل بن محمد ابن إسحاق بن خُزَيْمَةَ ، أخبرنا أحمد بن حَمْدُون بن رُسْتُم الأَعْمَشُ ، حدَّثنا أبو سَهْلٍ عَبْدَةُ بن عبد الله الخُزَاعِىُّ ، حدَّثنا يونُس[٥] بن عُبيد الله[٦] العُمَرِىُّ ، أخبرنا المُبارَك بن فَضالةَ ، حدَّثنا محمد بن المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » .

أخبرنا أحمدُ بن المُظَفَّر الحافظُ بقراءتى ، أخبرنا عمر ابنُ القَوَّاسِ ، أخبرنا عبد الصمد ابن الحَرَسْتانِىِّ إذْنًا ، أخبرنا نصرُ الله المِصِّيصِىُّ ، أخبرنا نصرٌ المَقْدِسِىُّ ، أخبرنا أبو بكر

---

(١) بضم الميم وفتح الكاف وكسر الباء الموحدة المشددة وفى آخرها راء : يقال هذا لمن يكبر فى المساجد ويبلغ تكبير الإمام إلى الناس إذا كانوا بعيدا من الإمام . اللباب ٣ / ١٧٣ .

(٢) بعد هذا فى المطبوعة زيادة « بن » ، وهو خطأ ، صوابه فى : ج ، ز ، وانظر ترجمته فى : العبر ٢ / ٣٤٦ ، واللباب ٢ / ٢٧٣ ، وتقدم ذكره فى الطبقات : انظر مثلا فهارس الجزء الرابع .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٧ .

(٤) ساقط من المطبوعة ، وهو فى : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « يوسف » ، والتصويب من : ج ، ز ، وتهذيب التهذيب ١١ / ٤٤٢ .

(٦) فى المطبوعة ، ز : « عبد الله » ، والتصويب من : ج ، وتهذيب التهذيب .

الخطيبُ ،[١] أخبرنا علىُّ بن أَيُّوبَ الْقُمِّىُّ[٢] ، أخبرنا محمد بن عِمْرانَ بن موسى ، أخبرنى إبراهيم بن خَفِيفٍ[٣] المَرْثَدِىّ[١] ، أخبرنى محمد بن بهنام[٤] الأَصْبهانِىُّ ، أخبرنا يحيى بن مُدْرِكٍ الطَّائِىُّ ، أخبرنا هشامُ بن محمد الكَلْبِىُّ ، قال : لمَّا حَجَّ سليمانُ بن عبد الملك قَدِمَ المدينةَ ، فأرسل إلى أبى حازمٍ[٥] فأتاه ، فقال له سليمانُ : ياأبا حازمٍ ، ماهذا الجفاءُ؟ قال : وأَىُّ جفاءٍ رأيتَ مِنِّى ! قال : أتانى أهلُ المدينة ولم تأْتِنى . قال : ياأميرَ المؤمنين ، وكيف يكونُ إتْيانٌ بلا معرفةٍ مُتقدِّمة ، والله ماعَرَفْتَنِى قبلَ هذا اليوم ، ولا أنا رأيتُك ، فاعْذِر . قال : فالْتَفَت سليمانُ إلى الزُّهْرِىّ فقال : أصاب الشيخُ وصدَق . قال سليمان : ياأبا حازمٍ ، مالَنا نَكْرَهُ الموتَ؟ قال : لِأنَّكم أَخْرَبْتُم آخِرَتَكم ، وعَمَرْتُم دُنْياكم ، فكرِهْتُم أن تُنْقَلُوا مِن العُمْران إلى الخَرَابِ . قال سليمانُ : صدقتَ ياأبا حازمٍ ، كيف القُدُومُ علَى الله؟ قال : أمَّا المُحْسِنُ فكالغائبِ يَقْدَم على أهلِه مسرورًا ، وأمَّا المُسىءُ فكالآبِق يقْدَم على مَوْلاه مَحْزونًا .

أخبرنا الشيخ شهابُ الدين النَّابُلُسِىُّ بقراءتى عليه ، أخبرنا أحمَدُ بن هبة الله بن عَساكِرَ سماعًا ، عن إسماعيلَ بن عثمان القَارِى ، أخبرنا أبو الأَسْعَد هِبَةُ الرحمن[٦] ابنُ الإمام أبى سعيدٍ[٧] عبد الواحد بن الأُستاذ أبى القاسم القُشَيْرِىِّ ، أخبرنا القاضى أبو الفضل محمدُ بن أحمد بن أبى جعفر الطَّبَسِىّ[٨] ، أخبرنا القاضى أبو بكر الحِيرِىُّ ، أخبرنا حاجِبٌ الطُّوسِىُّ ، حدَّثنا محمد بن حَمَّادٍ ، حدَّثنا محمدُ بن الفضل ، عن الحسن ومسلم

---

(١) ساقط من : ز ، وهو من : المطبوعة ، ج . وفيها : « المرشدى » . والصواب فى تاريخ بغداد ٦ / ٦٩ . وذكر الخطيب البغدادى أن « إبراهيم بن خفيف » هذا ، مولى عبد الله بن بشر المرثدى الكاتب ، و « عبد الله » هذا ، نسب إلى جده « مرثد » . راجع اللباب ٣/١٢٣ ، المشتبه ٥٨١ عند ذكر أخيه « أحمد بن بشر » .

(٢) فى المطبوعة : « العمى » ، والتصويب من : ج ، وميزان الاعتدال ٣ / ١١٥ .

(٣) فى المطبوعة : « المريدى » ، وأثبتنا مافى : ج .

(٤) فى النسخ : « تهتام » ، والصواب من تاريخ بغداد ٦ / ٦٩ . وأورد الخطيب القصة بتمامها .

(٥) أبو حازم : هو سلمة بن دينار . راجع حلية الأولياء ٣/٢٣٤ ، وفيها القصة .

(٦) فى ج ، ز : « هبة الله » ، والصواب من المطبوعة . وانظر ترجمته فى ٧ / ٣٢٩ وحواشيها .

(٧) فى الأصول : « سعد » ، والتصويب من ترجمته فى ٥ / ٢٢٥ .

(٨) فى المطبوعة : « الطيبى » ، وهو خطأ صوابه من : ج ، ز . وانظر ترجمته فى اللباب ٢ / ٨١ .

ابن أبى عِمْران ، قالا : قال سَلْمانُ[1] : أضْحَكَنِى ثلاثٌ ، وأبْكانِى ثلاثٌ . قالوا : وماهى ياسَلْمان؟ قال : أبْكانِى فِراقُ الأَحِبَّةِ محمدٍ وحِزْبه ، وهَوْلُ المُطَّلَع عندَ سَكْرَةِ الموتِ ، ومَوْقِفِى بين يَدَىِ الرحمن لاأَدْرِى أساخِطٌ علىَّ هو أم رَاضٍ . قالوا : ومَاأَضْحَكَكَ ياسَلْمانُ ؟ قال : مُؤَمِّلُ الدنيا والموتُ يطلُبه ، وغافلٌ وليس بمَغْفُولٍ عنه ، وضاحِكٌ مِلءَ فيه لايدرى مايفْعَلُ اللهُ به .

١٣٠٢

أحمد بن يحيى بن إسماعيل*

الشيخ شهاب الدين ابنُ جَهْبَلٍ[2] الكِلابُى الحَلَبىُّ الأَصْلِ

سمع من أبى الفَرج عبد الرحمن بن الزَّيْن المَقْدِسِىِّ ، وأبى الحسن بن البُخارِىِّ ، وعمر بن عبد المنعم بن القَوَّاسِ ، وأحمد بن هبة الله بن عَساكِرَ ، وغيرِهم .

ودرَّس وأفْتَى ، وشُغِل بالعِلم مُدَّةً بالقُدْسِ ودمشق ، ووَلِىَ تدريس البَادَرائِيَّةِ[3] بدمشق ، وحدَّث ، وسَمِع منه الحافظُ[4] عَلَمُ الدِّين[5] القاسمُ بن محمد[6] البِرْزَالِىُّ .

مات سنةَ ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

---

(١) فى الأصول هنا وفيما يأتى : « سليمان » ، وهو خطأ . وهذا القول لسلمان الفارسى رضى الله عنه ، وهو فى ترجمته من حلية الأولياء ١/٢٠٧ .

* له ترجمة فى : البداية و النهاية ١٤ / ١٦٣ ، الدارس ١ / ١٣٣ ، الدرر الكامنة ١ / ٣٥٠ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١٠٧ ، ذيول العبر ١٧٨ ، شذرات الذهب ٦ / ١٠٤ ، طبقات الإسنوى ١ / ٣٩٠ ، ٣٩١ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٨٨ .

(٢) فى المطبوعة : « جبريل » ، والكلمة هكذا دون نقط فى : ج ، ز ، والتصويب من الطبقات الوسطى ، ومصادر الترجمة . والجهبل : العظيم الرأس أو المسن . وبنو جهبل : فقهاء الشام . انظر ما سبق فى ٧/١٨٨ ، ٨ / ٤١١ .

(٣) فى المطبوعة ، ز : « البادرانية » ، والنون غير منقوطة فى : ج ، وفى الطبقات الوسطى : « الباذرائية » ، وقد مر ذكر هذه المدرسة فى ٨ / ١٤٩ ، كما مر ترجمة بانيها فى ٨ / ١٥٩ .

(٤) فى الطبقات الوسطى بعد هذا زيادة : « المفيد » .

(٥) فى الطبقات الوسطى بعد هذا زيادة : « أبو محمد » .

(٦) فى المطبوعة بعد هذا زيادة على مافى : ج ، ز ، والطبقات الوسطى : « بن » .

ووقفتُ له على « تصنيف » [١]صَنَّفَه فى نَفْىِ[١] الجهة ، رَدًّا على ابن تَيْمِيَّة [٢]لابأسَ به[٢] وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدُ لله العظيمِ شأنُه ، القويِّ سلطانُه ، القاهرِ مَلكوتُه ، الباهرِ جَبَروتُه ، الغنيِّ عن كل شيءٍ وكلُّ شيءٍ مُفْتَقِرٌ إليه ، فلا مُعَوَّلَ لشيءٍ من الكائناتِ إلّا عليه .

أرْسَل محمدًا صلى الله عليه وسلم بالمَحَجَّةِ البيضاء ، والمِلَّة الزَّهْراء ، فأتَى بأوْضَح البَراهين ، ونَوَّرَ مَحَجَّةَ السالكين ، ووَصَف ربَّه تعالى بصفاتِ الجلال ، ونَفى عنه مالايليقُ بالكبرياءِ والكمال ، فتعالى الله الكبيرُ المُتَعال ، عمَّا يقولُه أهلُ الغَيِّ والضَّلال ، لايحْمِلُه العَرْشُ بل العرشُ وحَمَلَتُه محمولون بِلَطيف قُدرتِه ، مَقْهورون فى قَبْضَتِه ، أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْمًا ، وأحْصَى كلَّ شيءٍ عَدَدًا ، مُطَّلِعٌ على هَواجِس الضمائر ، وحَرَكات الخَواطِر ، فسبحانه ماأعْظَم شأنَه ، وأعَزَّ سُلْطانَه ، ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٣] لِافْتقارهم إليه ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[٣] لِاقْتداره عليه .

والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمد خاتَمِ أنبيائه ، ومُبَلِّغ أنْبائِه ، وعلى آلِه وصَحْبه وسَلَّم .

أمَّا بعد ، فالذى دعا إلى تسْطير هذه النُّبْذة ، ما وقَع فى هذه المُدَّة ، ممَّا علَّقه بعضُهم فى إثْبات الجِهَةِ ، واغْتَرَّ بها مَن لم يرْسخ [له][٤] فى التعليم قَدَمٌ[٥] ، ولم يتعلَّق بأذْيالِ المعرفةِ ولا كَبحَه لِجامُ الفَهْم ، ولا اسْتَبْصَر بنُور الحكمة ، فأحْبَبْتُ أن أذكرَ عقيدةَ أهلِ السُّنَّة والجماعة ، ثم أُبَيِّنَ فسادَ ماذكَره ، مع أنه لم يَدَّعِ دعوى إلَّا نقَضها ، ولا أطَّدَ[٦] قاعدةً

---

(١) مكان هذا فى المطبوعة : « فى خبر » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .

(٣) الآية ٢٩ من سورة الرحمن ، وفصل بينها بقوله : « لافتقارهم إليه » .

(٤) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « قدمه » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٦) فى المطبوعة : « اطرد » ، والتصويب من : ج ، ز .

إلَّا هدَمها ، ثم أَسْتَدِلَّ على عقيدةِأهل السُّنَّة ومايتعلَّق بذلك ، وها أنا أذكُر قبلَ ذلك مقدمةً يُسْتضاءُ بها فى هذا المكان ، فأقول ، وبالله المُسْتعان :

مذهب الحَشْوِيَّة فى إثبات الجِهَة مذهبٌ وَاهٍ ساقطٌ ، يظهر فسادُه من مُجرَّد تَصوُّرِه ، حتى قالت الأئمَّةُ : لولا اغْتِرارُ العامَّةِ بهم لَما صُرِف إليهم عِنانُ الفِكر ، ولا قطَر[1] القلمُ فى الرَّدِّ عليهم ، وهم فريقان : فريقٌ لايَتحاشَى فى إظْهارِ الحَشْوِ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَىْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[2] وفريقٌ يتستَّر بمذهب السَّلَف لسُحْتٍ يأكُله ، أو حُطامٍ يأخُذه ، أو هوًى يجْمع عليه الطَّغامَ الجَهَلة ، والرَّعاعَ السِّفْلة ، لعِلْمِه أنَّ إبليس ليس له دَأْبٌ إلَّا خِذْلانُ أُمَّةِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلم ، ولذلك لايجمعُ قلوبَ العامَّةِ إلَّا على بِدْعةٍ وضَلالةٍ ، يَهْدِم بها الدِّين ، ويُفْسِد بها اليَقِين ، فلم يُسْمَعْ فى التَّواريخ أنه خَزاه اللهُ جمَع غيرَ خَوارِجَ أو رَافِضَةٍ أو مَلاحِدَةٍ أو قَرامِطَةٍ ، وأمَّا السُّنَّةُ والجماعةُ فلا تجْتمِع إلَّا على كتابِ الله المُبِين ، وحَبْلِه المتين ، وفى هذا الفريق من يكذِب على السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، ويزعُم أنهم يقولون بمقَالتِه ، ولو أنْفق مِلْءَ الأرض ذهبًا ما اسْتطاع أن يُرَوِّج عليهم كلمةً تُصدِّق دَعْواه ، وتستَّر هذا الفريقُ بالسَّلَف حِفْظًا لرياسته ، والحُطامِ الذى يجْتَلِبُه ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾[3] وهؤلاء يتحَلَّون بالرِّياء والتَّقَشُّف ، فيجعلون الرَّوْث مُفَضَّضا ، والكَنيف مُبَيَّضا ، ويُزهِّدون فى الذَّرَّةِ ليُحَصِّلوا الدُّرَّة .

أظْهَـــرُوا للنـــاس نُسْكًـــا وعلى المَنْقُـــــــوشِ دارُوا[4]

ومذهب السَّلَف إنَّما هو التوحيدُ والتَّنزيهُ دون التَّجْسيم والتَّشْبيه ، والمُبْتدِعَة تزعُم أنها على مذهب السَّلَف .

---

(١) فى المطبوعة : « خط » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢) سورة المجادلة ١٨ .

(٣) سورة النساء ٩١ .

(٤) البيت لمحمود الوراق ، وتقدم فى ٨ / ٢٢٢ .

وكلٌّ يدَّعُون وِصالَ ليلى   وليلى لاتُقِرُّ لهم بذاكَا[1]

وكيف يُعْتَقَد فى السَّلَف أنهم يعْتقدون التَّشْبيهَ ، أو يسكنُون[2] عند ظهورِ أهل البِدَع ، وقد قال اللهُ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[4] ، وقال الله تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[5]

ولقد كانت الصحابةُ ، رضى الله عنهم ، لايخُوضون فى شيءٍ من هذه الأَشياء ، لعِلْمِهم أنَّ حِفْظَ الدَّهْماءِ أهَمُّ الأُمور ، مع أنَّ سُيوفَ حُجَجِهم مُرْهَفةٌ ، [6]ورماحُها مَشْحوذة[6] ، ولذلك لمَّا نَبَغَت الخوارجُ واتَّبهم[7] حَبْرُ الأُمَّة وعالمُها وابنا عَمِّ رسولِها ؛ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبى طالب وعبدُ الله بنُ عباس ، فاهتدَى البعضُ بالمناظرة ، وأصَرَّ الباقون عِنادًا فتسلَّط عليهم السيفُ .

ولكنَّ حُكْمَ السيف فيكم مُسَلَّطٌ   فنَرضَى إذا ماأصْبَحَ السَّيْفُ راضِيَا

وكذلك لمَّا[8] نبَغ[9] القَدَرُ ونجَم به مَعْبَدٌ الجُهَنِى[10] قيَّضَ الله تعالى له زاهدَ الأُمَّةِ

---

(١) تقدم هذا البيت أيضا فى ٨ / ٢٢٢ .

(٢) فى المطبوعة : « يسكتون » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) سورة البقرة ٤٢ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٧ . وجاء فى المطبوعة خطأ : « وإذ أخذنا » ، وفى ج ، ز : « ليبيننه للناس ولا يكتمونه » . وهى قراءة . انظر ، غرائب القرآن » ٤/١٣١ ، ١٣٢ .

(٥) سورة النحل ٤٤ .

(٦) فى المطبوعة : « ورماحهم مشحونة » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٧) فى المطبوعة : « راجعهم » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٨) فى المطبوعة : « مما » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٩) فى المطبوعة : « نبع » ، والمثبت من : ج ، ز .

(١٠) فى المطبوعة : « الجهمى » ، والتصويب من : ج ، ز . وهو معبد بن عبد الله بن عويم الجهنى . انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٥ ، العبر ١ / ٩٢ ، ميزان الاعتدال ٤ / ١٤١ .

وابنَ فاروقها عبدَ الله بن عمر بن الخَطّاب رضى الله عنهما ، ولو لم تَنْبُغ[1] هاتان[2] البدْعَتان لَمَا تكلَّمت الصحابةُ رضىَ الله عنهم فى رَدِّ هذا ولاإبْطالِ هذا ، ولم يكن دَأْبُهم إلّا الحَثَّ على التَّقْوَى والغَزْو وأفعالِ الخير ، ولذلك لم يُنْقل عن سيِّد البشر ﷺ ولا عن أحدٍ من أَصْحابه رضىَ الله عنهم ، أنه جمَع الناسَ فى مَجْمَعٍ عامٍّ ، ثم أمرهم أن يعتقدوا فى الله تعالى كذا وكذا ، وقد صدَّر ذلك فى أحكامٍ شَتَّى ، وإنما تكلَّم[3] فيها بما يفْهمه الخاصُّ ولايُنْكِره العامُّ ، وبالله أُقْسِم يَمِينًا بَرَّةً ، ماهى مَرَّة بل ألفُ ألفِ مَرَّة ، أنَّ سيدَ الرُّسُلِ ﷺ لم يقُلْ : أَيُّها الناس ، اعْتقدُوا أنَّ الله تعالى فى جِهَة العُلُوِّ ، ولا قال ذلك الخلفاءُ الراشدون ، ولا أحَدٌ من الصحابة ، بل ترَكوا الناسَ وأمْرَ التَّعَبُّداتِ والأحْكام ، ولكنْ لمَّا ظهرت البِدَعُ قَمَعَها السَّلَفُ ، أمَّا التَّحرِيك للعقائدِ ، والتَّشْمِيرُ لإظْهارها وإقامة ثائرِها ، فما فعَلوا ذلك ، بل حَسَمُوا البدَعَ عندَ ظُهورِها .

ثم الحَشْوِيَّةُ إذا بحثُوا فى مسائلِ أُصول الدين مع المخالفِين تكلَّموا بالمَعْقول[4] ، وتصرَّفوا فى المَنْقول ، فإذا وصلوا إلى الحَشْوِ تبلَّدُوا وتأسَّوا[5] ، فتَراهم لايفهمون بالعربيَّة ولابالعَجَمِيَّة ، كلّا والله ، [والله][6] لو فهموا لَهامُوا ، ولكن اعترضوا بحرَ الهوى فشَقُّوه وعامُوا ، وأسْمَعوا كلَّ ذى عقلٍ ضعيف ، وذِهْنٍ سَخِيف ، وخالَفُوا السَّلَف فى الكَفِّ عن ذلك مع العَوامِّ ، ولقد كان الحسنُ البَصْرِيُّ رضِىَ الله عنه إذا تكلَّم فى علم التوحيد ، أخرج غيرَ أهله ، وكانوا رحمهم الله تعالى لايتكلمون فيه إلَّا مع أهل السُّنَّةِ منهم ، إذْ هى قاعدةُ أهلِ التحقيق ، وكانوا يَضِنُّون به على الأَحْداث ، وقالوا : الأَحْداثُ

---

(١) فى المطبوعة : « تنبع » والكلمة فى ج ، ز دون نقط ، وأثبتناها موافقة لما سبق .

(٢) فى المطبوعة : « هذان » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « نتكلم » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٤) فى المطبوعة ، ز : « بالعقول » ، والتصويب من : ج .

(٥) كذا فى المطبوعة ، ومثله فى ج دون نقط ، وفى ز : « وارباسوا » .

(٦) زيادة من المطبوعة على مافى : ج ، ز .

هم المُسْتقبلون[1] الأُمور ، المُبْتَدِئون في الطَّريق ، فلم يُجَرِّبوا الأُمورَ[2] ، ولم يَرْسَخ لهم فيها قَدَمٌ ، وإن كانوا أبناءَ سبعين سنة . وقال سَهْلٌ رضى الله عنه : لاتُطْلِعوا الأَحْداثَ على الأَسرارِ قبل تَمكُّنِهم من اعْتقاد أنَّ الإِلٰهَ واحدٌ وأنَّ المُوَحَّدَ[3] فَرْدٌ صَمَدٌ مُنَزَّهٌ عن الكَيْفِيَّةِ والأَيْنيَّةِ ، لاتُحِيط به الأَفكارُ ، ولاتُكَيِّفُه الأَلْباب ، وهذا الفريقُ لايكتفِي من إيمانِ الناس إلَّا باعْتقادِ الجِهَةِ ، وكأنَّه لم يسمع الحديثَ الصَّحِيحَ عن النبيِّ ﷺ : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ » الحديث . أفلا يَكْتفِي بما اكْتفَى به نبيُّهم ﷺ ، حتى إنَّه يأمُر [الزَّمْنَى][4] بالخَوْضِ في بحرٍ لاساحلَ له ، ويأمُرهم بالتَّفْتيشِ عمَّا لم يأْمُرْهم رسولُ الله ﷺ بالتَّفتِيشِ عنه ، ولاأحدٌ من أصحابه رضىَ الله عنهم ، ولاتنازلَ[5] واكْتفَى بما نُقِل عن إمامِه الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ رضىَ الله عنه ، حيث قال : « لايُوصَفُ اللهُ تعالى إلَّا بما وصَف به نفسَه أو وَصَفَه به رسولُ الله ﷺ ، لانَتَجاوَزُ القرآنَ والحديثَ ، ونَعْلَم أنَّ ماوُصِفَ اللهُ به من ذلك فهو حَقٌّ ، ليس فيه لَغْوٌ[6] ولاأَحاجٍ ، بل معناه يُعْرَف من حيث يُعْرَفُ مَقْصودُ المُتَكلِّم بكلامه ، وهو مع ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[7] في نفسِه المُقدَّسةِ المذكورةِ بأسمائِه وصِفاتِه ، ولا في أفعالِه ، فكان يَنْبَغِي أنَّ اللهَ سبحانه له ذاتٌ حقيقيةٌ ، وأفعالٌ حقيقيةٌ ، وكذلك له صِفاتٌ حقيقيةٌ ، وهو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ لافي ذاتِه ولا في صِفاتِه ، ولا في أفعالِه ، وكلُّ ما أَوْجَبَ نَقْصًا أو حُدُوثًا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ مُنَزَّهٌ عنه حَقِيقَةً ، فإنه سبحانه مُسْتَحِقٌّ للكمالِ الذى لا غايةَ فوقَه ، ومُمْتَنِعٌ عليه الحدوثُ

---

(١) في المطبوعة : « المستقلون » ، وفي ج ، ز خطأ : « المستقبلين » .
(٢) في ج ، ز : « للأمور » ، والمثبت من المطبوعة .
(٣) في المطبوعة : « الموجد » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٤) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز . والزمنى : جمع الزمن ، وهو من كانت به عاهة .
(٥) في المطبوعة : « يشارك » ، وفي ز : « تشارك » ، والمثبت من : ج .
(٦) في المطبوعة : « لغز » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٧) سورة الشورى ١١ .

لِامْتِناع العَدَمِ عليه ، واسْتِلْزامِ الحدوث [1]سابقةَ العدمِ [1] ، وافْتقار المُحْدَثِ إلى [2]مُحْدِث ووُجوب [2] وجوده بنفسه سبحانه وتعالى » هذا نَصُّ إمامِه ، فهَلّا اكْتفَى به .

ولقد أتَى إمامه فى هذا المكان[3] بجوامع الكَلِم ، وساق أَدِلَّةَ المُتكلِّمين على مايَدَّعيه هذا المارِقُ بأحسن ردٍّ وأَوْضَح مَعانٍ ، مع أنه لم يأمُرْ بما أَمَرَ به هذا الفريقُ .

وقد قال الشافعيُّ رضى الله عنه : سألتُ مالكا عن التوحيد ، فقال : مُحالٌ أن نَظُنَّ بالنبيِّ ﷺ أنه عَلَّم أُمَّتَهُ الاسْتِنْجاءَ ولم يُعَلِّمْهم التوحيدَ ، وقد قال ﷺ : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ » الحديث ، فبَيَّن مالِكٌ رضى الله عنه أنَّ المطلوب من الناسِ فى التوحيد هو مااشْتَمَلَ عليه هذا الحديثُ ، ولم يَقُلْ : مِن التوحيد اعتقادُ أنَّ اللهَ تعالى فى جِهَةِ العُلُوِّ .

وسُئِلَ الشافعيُّ رضِيَ الله تعالى عنه عن صِفاتِ اللهِ فقال : حَرامٌ على العقولِ أن تُمَثِّلَ الله تعالى ، وعلى الأَوْهام أن [4]تَحُدَّ ، وعلى [4] الظُّنونِ أن تَقْطَع ، وعلى النفوس أن تُفكِّرَ ، وعلى الضَّمائر أن تُعَمِّقَ ، وعلى الخَواطِر أن تُحِيط إلَّا ماوصَفَ به نفسَه علَى لسانِ نبيِّه ﷺ .

ومن تَقَصَّى وفَتَّشَ وبحَث وَجَدَ أن الصحابةَ رضى الله عنهم ، والتابعينَ والصَّدْرَ الأَوَّل لم يكنْ دَأْبهم غيرَ الإمْساكِ عن الخَوْضِ فى هذه الأُمور ، وتَرْكِ ذِكرها فى المَشاهد ، ولم يكونُوا يَدُسُّونها إلى العَوامِّ ، ولا يتكلَّمون بها على المنابر ، ولايُوقِعون فى قلوبِ الناس منها هَواجِسَ كالحريقِ المُشْعَل ، وهذا معلومٌ بالضَّرورة من سِيَرِهم ، وعلى ذلك بَنَيْنا عقيدتَنا وأسَّسْنا[5] نِحْلَتَنا ، وسَيَظْهَر لك إن شاء الله تعالى مُوافَقتُنا للسَّلَفِ ، ومُخالَفَةُ المُخالِف طريقَتَهم وإن ادَّعَى الاتِّباعَ ، فما سالكٌ غيرَ الابْتِداع .

---

(١) فى المطبوعة : « سابقا لعدم » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٢) فى المطبوعة : « المحدث وجوب » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٣) فى المطبوعة : « الكلام » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٤) فى المطبوعة : « تحدوا وعلى » ، والتصويب من : ج ، ز .
(٥) فى المطبوعة : « أثبتنا » ، والمثبت من : ج ، ز .

وقَوْلُ المُدَّعِي إنَّهم أظْهَرُوا هذا ، ويقولُ : عَلَّم النبيُّ ﷺ كلَّ شيءٍ حتى الخَرْأَةَ ، وما عَلَّم هذا المُهِمَّ ، هذا بَهْرَجٌ[1] لايمشِى على الصَّيْرَفِيِّ النَّقَّادِ ، أوَ مَا عِلِم أنَّ الخَرْأَةَ يحْتاج إليها كلُّ واحد ، وربما تكرَّرت الحاجةُ إليها فى اليومِ مرَّات ، وأيُّ حاجةٍ بالعَوامِّ إلى الخَوْضِ فى الصِّفات؟ نعم الذى يحتاجون إليه من التوحيد قد تبيَّن فى حديث : « أُمِرتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ » ، ثم هذا الكلامُ من المُدَّعِي يهْدِم بُنْيانَهُ ، ويَهُدُّ أرْكانَه ، فإن النبىَّ ﷺ علَّم الخَرْأَةَ تَصْرِيحًا ، وماعلَّم الناسَ أنَّ اللهَ تعالى فى جِهَةِ العُلُوِّ ، وماورَد من العَرْشِ والسماء فى الِاسْتواء ، قد بَنَى المُدَّعِي مَبْناه ، وأوْثَقَ عُرَى دَعْواه ، على أنَّ المُرادَ بهما شيءٌ واحد ، وهو جِهَةُ العُلُوِّ ، فما قالَه هذا المُدَّعى لم يُعَلِّمْه النبيُّ ﷺ أُمَّتَهُ ، وعلَّمهم الخَرْأَةَ ، فعندَ المُدَّعِي يجب تعليمُ العَوامِّ حديثَ الجِهَةِ ، وماعلَّمها رسولُ الله ﷺ ، وأما نحن فالذى نقولُه أنه لايُخاضُ فى مثلِ هذا ، ويُسْكَتُ[2] عنه كما سكَت رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ، ويَسَعُنا ماوَسِعَهم ، ولذلك لم يُوجَدْ منَّا أحدٌ يأمُر العَوامَّ بشيءٍ من الخَوْضِ فى الصِّفاتِ ، والقومُ قد جعلوا دَأْبهم الدُّخولَ فيها والأَمْرَ بها ، فليت شِعْرِى مَن الأَشْبَهُ بالسَّلَفِ؟

وها نحن نذكُر عقيدةَ أهلِ السُّنَّة ، فنقول :

عقيدتُنا أنَّ الله قديمٌ أزَلِيٌّ ، لايُشْبِهُ شيئا ولايُشْبِهُه شيءٌ ليس له جِهَةٌ ولامكانٌ ، ولايَجْرِى[3] عليه وَقْتٌ ولازمانٌ ، ولايُقال له أين ولاحيث ، يُرَى لاعن مُقابَلَةٍ ولا على مُقابَلَةٍ ، كان ولامَكانَ ، كَوَّن المكان ، ودَبَّر الزمان ، وهو الآن على ما عليه كان .

هذا مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ ، وعقيدةُ مشايخ الطريقِ رضى الله عنهم .

---

(١) فى المطبوعة : « النبهرج » ، والمثبت من : ج ، ز . وهما بمعنى الزيف والردىء .

(٢) فى المطبوعة : « ولنسكت » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « يحتوى » ، والمثبت من : ج ، ز .

قال الجُنَيْدُ رضى الله عنه : متى يَتَّصِلُ مَن لاشَبِيهَ [له][1] ولانَظِيرَ له بمَن له شَبِيهٌ ونَظِيرٌ؟

وكما قيل ليحيىٰ بنِ مُعاذٍ الرَّازِىِّ : أَخْبِرْنا عن اللهِ عزَّ وجلَّ؟ فقال : إِلٰهٌ واحدٌ .فقيل له : كيف هو؟ فقال : مالِكٌ[2] قادِر . فقيل [له][3] : أين هو؟ فقال : بالمِرْصادِ . فقال السائلُ : لم أسأَلْكَ عن هذا ، فقال : ماكان غيرَ هذا كان صِفَةَ المخلوقِ ، فأمَّا صِفَتُه فما أَخْبَرْتُ عنه .

وكما سأَل ابنُ شاهِين الجُنَيْدَ رضىَ الله عنهما عن مَعْنَى « مع » فقال : « مع » على معنيَيْن ؛ مع الأَنْبياء بالنُّصْرة والكَلاءةِ ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[4] ، ومع العالَم بالعِلم والإحاطة ، قال الله تعالى : ﴿ مَايَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[5] فقال ابنُ شاهين : مِثْلُك يصلُح دَالًّا للأُمَّةِ على اللهِ .

وسُئِل ذو النُّونِ المِصْرِىُّ رضَى الله عنه ، عن قولِه تعالى : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَى ﴾[6] ، فقال : أَثْبَتَ ذاتَه وَنَفَى مكانَـه ، فهـو موجـودٌ بذاتِـه ، والأَشْيـاءُ بحِكْمتِه كما شاء .

وسُئِل عنه الشِّبْلِىُّ رضَى الله عنه فقال : الرحمنُ لم يزَلْ ، والعَرْشُ مُحْدَثٌ ، والعرشُ بالرحمن اسْتَوَى .

وسُئِل عنها جعفرُ بن نُصَير ، فقال : اسْتَوَى علمُه بكلِّ شيءٍ ، وليس شيءٌ أقربَ إليه من شيءٍ .

وقال جعفرٌ الصادقُ رضىَ الله عنه : مَن زعَم أنَّ الله فى شيءٍ أو من شيءٍ أو علَى شيءٍ

---

(١) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .

(٢) فى المطبوعة : « ملك » ، والمثبت من : ج ، وهو ساقط من : ز .

(٣) زيادة من المطبوعة على مافى : ج ، ز .

(٤) سورة طه ٤٦ .

(٥) سورة المجادلة ٧ . وموضع الاستشهاد فى تمام الآية الكريمة : « إلا هو معهم أين ماكانوا » .

(٦) سورة طه ٥ .

فقد أشْرك ؛ إذْ لو كان فى شيءٍ لَكان محصورًا ، ولو كان على شيءٍ لَكان محمولًا ، ولو كان من شيءٍ لَكان مُحْدَثًا .

وقال محمد بن محبوب خادمُ أبى عثمان المَغْرِبىِّ ، قال لى أبو عثمان المغربىُّ يومًا : يامحمد ، لو قال لك قائلٌ : أين معبودُك أَيْش تقولُ؟ قلت : أقول : حيث لم يزَلْ . قال : فإن قال : فأين كان فى الأَزَلِ أَيْش تقولُ؟ قلت : حيث هو الآن . يعنى أنه كانَ ولا مَكان ، فهو الآن كما كان ، قال : فارْتضَى ذلك مِنِّى، ونزَع قميصَه وأعْطانِيه .

وقال أبو عثمان المَغْرِبىُّ : كنتُ أعتقدُ شيئًا من حديثِ الجِهَةِ ، فلمَّا قدِمتُ بغدادَ زال ذلك عن قلبى ، فكتبتُ إلى أصحابى بمكةَ أنِّى أسلمتُ جديدًا . قال : فرجَع كلُّ من كان تَابَعَهُ على ذلك .

فهذه كلماتُ أعْلامِ أهلِ التوحيد ، وأَئِمَّةِ جُمْهور الأُمَّة ، سوى هذه الشِّرْذِمَةِ الزائِغة ، وكتُبهم طافِحةٌ بذلك ، ورَدُّهم على هذه النَّازِغة لايكاد يُحْصَر ، وليس غَرَضُنا بذلك[1] تقْليدَهم ، لِمَنْع ذلك فى أُصولِ الدِّيانات ، بل إنما ذكرتُ ذلك ليُعْلَم أنَّ مذهبَ أهل السُّنَّة ماقدَّمْناه .

ثم إنَّ[2] قولنا إنَّ آياتِ الصِّفاتِ وأخبارها ، على مَن يسْمَعُها وظائفُ التَّقْديسِ ، والإيمانُ بما جاء عن اللهِ تعالى وعن رسولِه ﷺ على مُرادِ الله تعالى ، ومُرادِ رسولِه[3] ﷺ ، والتَّصديقُ والاعْتِرافُ بالعجزِ ، والسُّكوتُ والإمْساكُ عن التَّصرُّفِ فى الألْفاظ الواردةِ ، وكَفُّ الباطِن عن التَّفَكُّر فى ذلك ، واعتقادُ أنَّ ماخَفِيَ عليه منها لم يَخْفَ عن[4] اللهِ ولا عن[4] رسولِه ﷺ ، وسيأْتِى شَرْحُ هذه الوظائف إن شاء الله تعالى ، فليت شِعْرِى فى أىِّ شيءٍ نُخالِفُ السَّلَف ، هل هو فى قولِنا : كان ولا مكان؟ أو فى قولِنا : إنه تعالى كَوَّن المكانَ ، أو فى قولِنا : وهو الآنَ على ماعليه كان؟

---

(١) فى المطبوعة : « من ذلك » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢)فى المطبوعة بعد هذا زيادة على مافى ج ، ز : « فى » .

(٣) فى المطبوعة : « رسول الله » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٤) كذا فى الأصول . والمعروف أن هذا الفعل يتعدى بـ « على » فيقال : خفى عليه .

أو فى قولِنا : تقدَّس الحقُّ عن الجِسْمِيَّةِ ومُشابَهَتِها؟ أو فى قولِنا : يجب تصديقُ ماقالَه اللهُ تعالى ورسولُه بالمعنى الذى أراد؟ أو فى قولِنا : يجبُ الِاعْترافُ بالعَجْزِ؟ أو فى قولِنا : نسكتُ عن السُّؤال والخَوْض فيما لاطاقةَ لنا به؟ أو فى قولِنا : يجبُ إمْساكُ اللِّسانِ عن تَغْييرِ الظواهِر بالزِّيادةِ والنُّقْصان؟

وليت شِعْرِى فى ماذا وافَقوا هم السَّلَفَ ، هل فى دُعائِهم إلى الخَوْض فى هذا والحَثِّ على البحث مع الأحْداث الغِرِّين ، والعَوامِّ الطَّغام الذين يعجِزون عن غَسْلِ مَحَلِّ النَّجْوِ[1] وإقامةِ دعائِمِ[2] الصلاة؟ أو وافَقُوا السَّلَفَ فى تَنْزِيهِ البارِى سبحانه وتعالى عن الجهَةِ؟ وهل سَمِعوا فى كتابِ الله أو أَثارةٍ من عِلْمٍ عن السَّلَفِ أنهم وَصَفوا الله تعالى بجِهَةِ العُلُوِّ ، وأن كُلَّ مالا يَصِفُه به فهو ضَالٌّ مُضِلٌّ مِن فِراخِ الفلاسفة والهُنودِ[3] واليُونان؟ ﴿ آنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾[4] .

ونحن الآن نبتدئُ بإفْسادِ ماذكَره ، ثم بعدَ ذلك نُقِيم الحُجَّةَ على نَفْىِ الجِهَةِ والتَّشْبيه ، وعلى جميعِ مايدَّعِيه ، وبالله المُسْتعان ، فأقول :

ادَّعى أوَّلا أنه يقولُ بما قالَه الله ورسولُه ﷺ والسَّابقون الأوَّلون من المهاجِرين والأنْصار رضى الله عنهم ، ثم إنه قال مالم يقُلْه اللهُ ولارسولُه ولا السابقون الأوَّلون من المُهاجِرين والأنصار ، ولاشيئا منه ، فأمَّا الكتابُ والسُّنَّة فسَنُبَيِّن مُخالفتَه لهما ، وأما السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار فذِكْرُه لهم فى هذا الموضع اسْتعارَةُ للتَّهْويل ، وإلَّا فهو لم يُورِدْ من أقوالِهم كلمةً واحدة ، لانَفْيًا ولا إثْباتا ، وإذا تصفَّحتَ كلامَه عرفتَ ذلك ، اللَّهُمَّ إلَّا أن يكونَ مُرادُه بالسَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار مشايخَ عقيدتِه ،دون الصحابةِ .

---

(١) النجو : مايخرج من البطن من ريح أو غائط .
(٢) فى المطبوعة : « دعاء » ، والتصويب من : ج ، ز .
(٣) فى المطبوعة هنا وفيما يأتى : « اليهود » ، والتصويب من : ج ، ز .
(٤) سورة النساء ٥٠ .

وأخذ بعد هذه الدَّعْوَى فى مدحِه ﷺ وفى مدحِ دينه ، وأنَّ أصحابَه أعلمُ الناس بذلك ، والأَمرُ كما قالَه وفوقَ ماقالَه ، وكيف المدائحُ تستوفى مناقبَه ؟ ولكنَّ كلامَه كما قال أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبى طالب رضىَ الله عنه : كلمةُ حَقٍّ أُرِيدَ بها باطلٌ .

ثم أخذ بعد ذلك فى ذَمِّ الأَئِمَّةِ وأعلامِ الأُمَّة ، حيث اعْترفوا بالعَجْزِ عن إِدْراكِه سبحانَه وتعالى ، مع أن سيِّدَ الرُّسل ﷺ قال : « لَا أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » ، وقال الصِّدِّيقُ رضىَ الله عنه : العجزُ عن دَرْكِ الإِدْراكِ إِدْراكٌ . وتجاسَر المُدَّعِى على دعوَى المعرفة ، وأن ابن الحَيْضِ[1] قد عرَف القديمَ على ماهو عليه ، ولاغُرورَ ولاجهلَ أعظمُ ممَّن يدَّعِى ذلك ، فنعوذ بالله من الخِذْلان .

ثم أخذ بعد ذلك فى نِسْبَةِ مذهبِ جُمهور أمةِ محمدٍ ﷺ إلى أنه مذهبُ فَراخِ الفلاسفةِ ، وأتْباعِ اليُونان والهُنودِ ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ ﴾[2] .

ثم قال : كتابُ الله تعالى من أوَّله إلى آخِره ، وسنةُ رسولِه ﷺ من أولِها إلى آخِرها ، ثم عامَّة كلامِ الصحابة والتابعين ، ثم كلامُ سائر الأَئِمّةِ مملوءٌ بما هو : إمَّا نَصٌّ وإما ظاهِر فى الله تعالى أنه فوقَ كلِّ شيءٍ ، وعلى كلِّ شيءٍ ، وأنه فوقَ العَرْشِ ، وأنه فوق السماءِ . وقال فى أثناء كلامه ، وأواخر مازعمَه : إنه فوق العَرْشِ حقيقةً . وقالَه فى موضِعٍ آخَر عن السَّلفِ ، فليت شِعْرِى أين هذا فى كتاب الله تعالى على هذه الصُّورة ، التى نَقلها عن كتاب ربِّه وسُنَّةِ نَبِيِّه ﷺ؟! وهل فى كتابِ الله تعالى كلمةٌ ممَّا قالَه حتى يقول : إنه فيه نَصٌّ؟! والنَّصُّ هو الذى لايَحْتَمِل التأويلَ أَلْبَتَّةَ ، وهذا مُرادُه ؛ فإنَّه جعَله غيرَ الظاهرِ ، لعَطْفِه له عليه ، وأىُّ آيةٍ فى كتابِ الله تعالى نَصٌّ بهذا الاعْتبار! فأوّلُ مااسْتدَلَّ به قولُه تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[3] ، فليت

---

(١) فى ج ، ز وردت الكلمة بدون نقط الضاد ، والمثبت من المطبوعة . ويعنى بابن الحيض الإنسان .

(٢) سورة الزخرف ١٩ .

(٣) سورة فاطر ١٠ .

شِعْرِى أىُّ نَصٍّ فى الآية أو ظاهرٍ على أن الله تعالى فى السماء أو على العَرْشِ؟ ثم نهايةُ مايتمسَّك به أنه يدُلُّ على عُلُوٍّ يُفْهَمُ من الصُّعودِ ، وهيهاتَ ، زَلَّ حمارُ العِلم فى الطِّين ، فإنَّ الصُّعودَ فى الكلام كيف يكونُ حقيقةً مع أن المفهومَ فى الحقائق أنَّ الصُّعودَ من صِفاتِ الأَجْسامِ ؟فليس المرادُ إلّا القبولَ ، ومع هذا لاحَدَّ ولامكانَ .

وأَتْبَعَها بقوله تعالى : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[1] ومأأدرى مِن أين اسْتَنْبطَ من هذا الخبرِ أنَّ الله تعالى فوقَ العَرْشِ من هذه الآية ؟هل ذلك بدَلالةِ المُطابَقة أو التَّضَمُّن أو الِالْتزام ، أو هو شيءٌ أَخَذه بطريقِ الكَشْفِ والنَّفْثِ فى الرُّوع؟ ولعله اعتقدَ أن الرَّفْعَ إنَّما يكونُ فى العُلُوِّ فى الجِهَةِ ، فإن كان كما خطَر له فذاك أيضًا لايُعْقَلُ إلّا فى الجِسْمِيَّة والْحَدِّيَّةِ ، وإن[2] لم يقُلْ بهما ، فلا حقيقة فيما اسْتَدَلَّ به ، وإن قال بهما فلا حاجةَ إلى المُغالَطةِ ، ولعله لم يَسْمع الرَّفْعَ فى المَرْتَبةِ والتَّقْريبَ[3] فى المكانة ، من[4] اسْتعمالِ العرب والعُرْفِ ، ولا « فلانٌ رفع الله شأنَه » .

وأَتْبَعَ ذلك بقوله : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[5] وخَصَّ هذا المُسْتَدِلُّ « مَن » بالله تعالى ، ولعله لم يُجَوِّز أنَّ المُرادَ به ملائكةُ الله تعالى ، ولعله يقولُ : إن الملائكةَ لاتفعلُ ذلك ، ولا أن جبريلَ عليه السلام خسَف بأهلِ سَدُومَ[6] ، فلذلك اسْتَدَلَّ بهذه الآية ، ولعلها هى النَّصُّ الذى أشار إليه .

وأَتْبَعَهُ بقولِه تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[7] والعُروج والصُّعود شيءٌ واحدٌ ، ولادَلالة فى الآية على أنَّ العُروجَ إلى سماءٍ ولاعَرْشٍ ولا شيءٍ من الأَشْياء التى

---

(١) سورة آل عمران ٥٥ .

(٢) فى المطبوعة : « وإنه » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « والتقرب » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٤) فى المطبوعة : « مع » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٥) سورة الملك ١٦ .

(٦) سدوم : مدينة من مدائن قوم لوط ، وقال الميدانى : سدوم هى سرمين ، بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة . معجم البلدان ٣ / ٥٩ .

(٧) سورة المعارج ٤ .

ادَّعاها بوَجْهٍ من الوُجُوهِ ؛ لأنَّ حقيقته المُسْتعمَلة فى لُغَةِ العرب فى الِانْتقالِ فى حَقِّ الأَجسام ، إذ لاتعرفُ العربُ إِلَّا ذلك ، [1]فليت لو[1] أظْهره واسْتراح من كِتْمانه . وأرْدَفَه بقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾[2] وتلك أيضا لادَلالةَ [له][3]فيها على سَماءٍ ولاعَرْشٍ ، ولا أنه فى شيءٍ من ذلك حقيقةً .

ثم الفَوْقِيَّةُ تَرِدُ لمعنَيَيْن :

أحدهما ، نِسْبةُ جسمٍ إلى جسم ، بأن يكونَ أحدُهما أعلى والآخرُ أسْفلَ ، بمعنى أن أسْفَلَ الأعلَى من جانبِ رأسِ الأَسْفَلِ ، وهذا لايقول به مَن لايُجَسِّم ، وبتقْديرِ أن يكونَ هو المرادَ ، وأنه تعالى ليس بجسمٍ فلِمَ لايجوز أن يكون ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ صِلَةً لـ ﴿ يَخَافُونَ ﴾ ويكونُ تقديرُ الكلام : يخافون مِن فوقِهم ربَّهم . أى أنَّ الخوفَ من جِهَةِ العُلُوِّ ، وأن العذابَ يأتى من تلك الجِهَةِ .

وثانيهما ، بمعنى المَرْتَبَةِ ، كما يُقال : الخليفةُ فوقَ السُّلطان ، والسلطان فوق الأمير . وكما يقال : جلس فلانٌ فوق فلانٍ ، والعِلْمُ فوق العَمَلِ ، والصِّباغةُ فوقَ الدِّباغة . وقد وقَع ذلك فى قوله تعالى ، حيث قال : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾[4] ولم يطلعْ أحدُهم على أكْتافِ الآخَر ، ومن ذلك قولُه تعالى : ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾[5] وما ركبتِ القِبْطُ أكتافَ بنى إسرائيل ، ولاظُهورَهم .

وأرْدَف ذلك بقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[6] ووَرد هذا فى كتاب الله فى سِتَّةِ مواضعَ من كتابِه[7] ، وهى عُمْدَةُ المُشَبِّهةِ وأقْوَى مُعْتَمَدِهم ، حتى إنهم كتبوها على بابِ جامع هَمَذانَ ، فلْنَصْرِف العِنايَة إلى إيضاحِها ، فنقول :

---

(١) فى المطبوعة : « فليته » والمثبت من : ج ، ز .

(٢) سورة النحل ٥٠ .

(٣) زيادة من المطبوعة على مافى : ج ، ز .

(٤) سورة الزخرف ٣٢ .

(٥) سورة الأعراف ١٢٧ .

(٦) سورة طه ٥ .

(٧) أى الاستواء على العرش فى غير الموضع السابق ، وهى : سورة الأعراف ٥٤ ، سورة يونس ٣ ، سورة الرعد ٥٢ ، سورة الفرقان ٥٩ ، سورة السجدة ٥٤ ، سورة الحديد ٤ .

إِمَّا أنهم يعزِلون العقلَ بكلِّ وَجْهٍ وسببٍ ، ولايلتفتون إلى ماسُمِّىَ[١] فهمًا وإِدْراكا ، فمرحبًا بفِعْلِهم ، وبقَوْلِ[٢] ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، وإن تَعَدَّوا هذا إلى[٣] أنه مُسْتَوٍ على العَرْشِ فلا حُبًّا ولاكَرامَة ، فإنَّ الله تعالى ماقالَه ، مع أن علماءَ البَيانِ كالمُتَّفِقِين على أنَّ فى اسْمِ الفاعلِ من الثُّبوتِ مالا يُفْهَم من الفعلِ . وإن قالوا : هذا يدُلُّ على أنه فوقَه ، فقد تركوا ماالْتَزَمُوه ، وبالَغُوا فى التَّناقُضِ والتَّشَهِّى والجُرْأَةِ .

وإن قالوا : بل نُبْقِى[٤] العَقْلَ ، ونَفْهم ماهو المرادُ ، فنقول لهم : ماهو الاستواءُ فى كلام العرب؟ فإن قالوا : الجلوسُ والِاسْتقرارُ . قلنا : هذا ماتعرفُه العربُ إلّا فى الجسم ، فقولوا : يسْتَوِى جسمٌ علَى العرشِ . وإن قالوا : جلوسٌ واسْتِقْرارٌ نِسْبَتُه إلى ذاتِ الله تعالى كَنِسْبَةِ الجُلوسِ إلى الجسمِ . فالعربُ لاتعرفُ هذا حتى يكونَ هو الحقيقةَ ، ثم العربُ تفهم اسْتِواءَ القِدْحِ الذى هو ضِدُّ الِاعْوِجاجِ ، فوَصَفُوه بذلك وتبرَّءوا معه من التَّجْسِيمِ ، وسَدُّوا بابَ الحَمْلِ على غيرِ الجُلوس ، ولايسُدُّونه فى قولِه تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[٥] وقولِه تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٦] ، ولا تقولُوا : معهم بالعِلم[٧] . وإن قلتُم ذلك فلِمَ تُحِلُّونه عامًّا وتُحرِّمُونه عامًا؟ ومن أينَ لكم أنْ ليس الِاسْتِواءُ فِعْلًا من أفعالِه تعالى فى العَرْشِ؟ فإن قالوا : ليس هذا كلامَ العرب . قلنا : ولاكلامُ[٨] العرب « اسْتَوَى » بالمعنى الذى تقولونه بلا جِسْمٍ .

ولقد رام المُدَّعِى التَّفَلُّتَ من شَرَكِ التَّجْسيمِ ، بما زَعمه من أنَّ الله تعالى فى جِهَة ،

---

(١) فى المطبوعة : « يسمى » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢) فى المطبوعة : « وتقول » ، وفى ج : « ونقول » ، وفى ز : « ويقول » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .

(٣) مكان هذه الكلمة فى المطبوعة : « وقالوا هذا يدل » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٤) فى الأصول : « ننفى » ، وماأثبتناه هو المناسب لمقابلة الاحتمال الأول .

(٥) سورة الحديد ٤ .

(٦) سورة ق ١٦ .

(٧) فى المطبوعة : « فى العلم » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٨) فى المطبوعة : « تعرف » ، والمثبت من : ج ، ز .

وأنه اسْتَوَى على العرشِ اسْتِواءً يَلِيقُ بجَلالِه . فنقولُ له : قد صِرْتَ الآنَ إلى قولنا فى الِاسْتِواء ، وأمَّا الجِهَةُ فلا تَلِيقُ بالجَلالِ .

وأخذ على المُتكلِّمين قولَهم : إنَّ الله تعالى لو كان فى جِهَةٍ ، فإمَّا أن يكونَ أكبرَ أو أصغرَ أو مُساوِيًا ، وكلُّ ذلك مُحالٌ . قال : فلم يفهمُوا من قولِ الله تعالى : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ إلّا مايُثْبِتون لِأىِّ جسمٍ كان على أى جسمٍ كان . قال : وهذا اللازمُ تابعٌ لهذا المفهوم ، وأمَّا اسْتِواءٌ يَلِيقُ بجَلالِ الله فلا يلزمُه شيءٌ مِن اللَّوازِم . فنقول له : أتَمِيمِيًّا مَرَّةً وقَيْسِيًّا أُخرى[1]! إذا قلتَ : استوى اسْتواءً يَلِيقُ بجلالِ الله ، فهو مذهبُ المُتكلِّمين ، وإذا قلتَ : استواءٌ[2] هو اسْتِقرارٌ واخْتِصاصٌ بجهَةٍ دون أخرى لم يُجْدِ ذلك تخلُّصًا من التَّرْدِيد المذكور ، والاسْتواء بمعنى الِاسْتيلاء .

وأشهدُ له[3] فى هذه الآية أنها لم تَرِدْ قَطُّ إلَّا فى إظْهار العَظَمةِ والقُدْرةِ والسُّلْطانِ والمُلْكِ ، والعربُ تَكْنِى بذلك عن المُلْكِ فيقولون : فلانٌ اسْتَوى على كُرْسِيِّ المَمْلكةِ ، وإن لم يكنْ جلس عليه مَرَّةً واحدةً ، ويريدون بذلك المُلْكَ .

وأمَّا قولُهم : فإن حملتُم الاسْتواءَ على الاسْتيلاءِ لم يَبْقَ لذِكْرِ العَرْشِ فائدةٌ ، فإنَّ ذلك فى حَقِّ كلِّ المخلوقاتِ ، فلا يَخْتَصُّ بالعَرْشِ . فالجوابُ عنه : أن كلَّ الموجوداتِ لمَّا حَواها العرشُ كان الاسْتيلاءُ عليه اسْتيلاءً على جميعِها ، ولا كذلك غيرُه ، وأيضا فكِنايَةُ العربِ السابقةِ تُرَجِّحُه ، وقد تقدَّم الكلامُ عن السَّلَفِ فى معنى الاسْتواءِ ، كجعفر الصَّادقِ ، ومَن تقدَّم .

وقولُهم : اسْتَوَى بمعنى اسْتَوْلَى ، إنما يكون فيما يُدافَع عليه . قلنا : واسْتَوَى بمعنى جلَس أيضا إنما يكونُ فى جسمٍ ، وأنتم قد قلتُم إنكم لاتقولون به ، ولو وصَفُوه تعالى

---

(١) هذا من الشواهد النحوية . راجع كتاب سيبويه ١ / ٣٤٣ .

(٢) فى المطبوعة : « استوى » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « لله » ، والمثبت من : ج ، ز .

بالاسْتواءِ على العرش لَما أنْكَرْنا عليهم ذلك ، بل نعدهم[1] إلى مايُشْبِهُ التَّشْبِيهَ ، أو هو التَّشْبِيهُ المَحْذُورُ[2] ، واللهُ المُوفِّق .

واسْتدلَّ بقوله تعالى حكايةً عن فِرْعونَ : ﴿ يَاهَامَانُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّى أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ ٱلسَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى ﴾[3] فليت شِعْرِى كيف فَهِم من كلامِ فِرْعَوْنَ أنَّ اللهَ تعالى فوقَ السَّمٰوات ، وفوقَ العرش يُطَّلعُ إلى إلٰهِ موسى ؟ أمَّا أنَّ إلٰهَ موسى فى السَّمٰوات فما ذكَرَه ، وعلى تقْديرِ فَهْمِ ذلك من كلامِ فِرْعَوْنَ فكيف يَسْتَدِلُّ بظَنِّ فِرْعَوْنَ وفَهْمِه ، مع إخْبارِ الله تعالى عنه أنه زُيِّنَ له سُوءُ عملِه ، وأنه حادَ عن سبيلِ الله عزَّ وجلَّ ، وأن كَيْدَه فى ضَلالٍ ؟ مع أنَّه لمَّا سأَل موسى عليه السلامُ وقال : وَمَا رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ[4]؟ لم يَتعرَّضْ موسى عليه السلام للجِهَةِ ، بل لم يذْكُر إلَّا أخصَّ الصِّفاتِ ، وهى القُدْرةُ على الاخْتراعِ ، ولو كانت الجِهَةُ ثابتةً لَكان التَّعْريفُ بها أَوْلَى ؛ فإنَّ[5] الإشارةَ الحِسِّيَّةَ من أقْوَى المُعرِّفاتِ حِسًّا وعُرْفًا ، وفِرْعَوْنُ سأل بلفظةِ « ما » فكان الجوابُ بالتَّحَيُّزِ أَوْلَى مِن الصِّفَةِ ، وغايةُ مافَهِمَهُ من هذه الآية واسْتَدلَّ به فَهْمُ فِرْعَوْنَ ، فيكون عُمْدَةُ هذه العقيدةِ كونَ فِرْعَوْنَ ظَنَّها ، فيكون هو مُسْتَنَدَها[6] ، فليت شِعْرِى لِمَ لا ذكَر النِّسْبَةَ إليه[7] ؟ كما ذكَر أن عقيدةَ ساداتِ أُمَّةِ محمدٍ ﷺ ، الذين خالَفُوا اعْتقادَه فى مَسْأَلةِ التَّحَيُّزِ والجِهَةِ الذين أَلْحَقهم بالجَهْمِيَّة ، مُتَلَقَّاةٌ من لَبِيدِ بن الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ الذى سحَر النبيَّ ﷺ .

---

(١) كذا فى المطبوعة ، والكلمة فى ج ، ز بدون نقط .

(٢) فى المطبوعة : « المحظور » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) كذا ورد فى الأصول . والسؤال المعنى جاء فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ وجاء جوابه بعد ذلك : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ سورة الشعراء ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) فى المطبوعة : « لأن » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٦) فى المطبوعة : « مشيدها » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٧) فى ج ، ز : « إليها » ، والمثبت من المطبوعة .

وختَم الآياتِ الكريمةَ بالاسْتدلالِ بقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] ﴿ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾[2] وما فى الآيتَيْن لاعَرْشٌ ولا كُرْسِىٌّ ولا سماءٌ ولا أَرْضٌ ، بل [3]مافيهما إلَّا[3] مُجَرَّدُ التَّنزيل ، وما أدْرى من أىِّ الدَّلالاتِ اسْتَنْبَطَها المُدَّعِى ! فإن السَّماء لا تُفهَم من التَّنزيل ، فإن التَّنزيلَ قد يكونُ من السماءِ وقد يكونُ من غيرِها ، ولا تَنْزِيلُ القرآن كيف يُفهَم منه النُّزول ، الذى هو انْتقالٌ من فوقَ إلى أسفل ! فإنَّ العربَ لا تفهم ذلك فى كلامٍ ، سواءٌ كان من عَرَضٍ[4] أو غير عَرَضٍ[4] وكما تُطْلِقُ العربُ النُّزولَ على الانتقالِ تُطْلِقهُ على غيرِه ، كما جاء فى كتابه العزيز : ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْأَنعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾[6] ولم يَرَ أحدٌ قطعةَ حديدٍ نازلةً من السماء فى الهواء ، ولا جَمَلًا يُحلِّق[7] من السماءِ إلى الأرض ، فكما[8] جوَّزَ[9] هنا أنَّ النُّزولَ غيرُ الِانْتقال مِن العُلُوِّ إلى السُّفل ، فَلْيُجَوِّزْهُ[10] هناك .

هذا [آخِرُ][11] ما اسْتدَلَّ به من الكتاب العزيز ، وقد ادَّعَى أوَّلا أنه يقول ما قالَه اللهُ ، وأنَّ ما ذكَره من الآياتِ دليلٌ على قولِه؛ إمَّا نصًّا وإمَّا ظاهِرًا، وأنت إذا رأيتَ ما ادَّعاهُ،

---

(١) سورة فصلت ٤٢ .

(٢) سورة الأنعام ١١٤ .

(٣) فى المطبوعة مكان هذا : « فيهما » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٤) فى المطبوعة : « غرض » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٥) سورة الحديد ٢٥ .

(٦) سورة الزمر ٦ .

(٧) فى المطبوعة : « ينزل » ، والمثبت من : ج ، ز ، والكلمة فيهما بدون نقط .

(٨) فى ز : « وكما » ، والمثبت من : المطبوعة ، ج .

(٩) فى المطبوعة : « جوزنا » ، والمثبت من : ج ، ز .

(١٠) فى المطبوعة : « فلنجوزه » ، والكلمة فى ج ، ز بغير نقط على النون أو الياء ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، ويؤيده ماسبق .

(١١) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .

وأمْعَنْتَ النَّظَرَ فيما قُلْناه ، واستَقْرَيْتَ هذه الآياتِ ، لم تجدْ فيها كلمةً على وَفْقِ ماقالَه أوَّلا ؛ لانصًّا ولاظاهرًا ألْبَتّةَ ، وكلُّ أمْرٍ بعدَ كتابِ الله تعالى والدَّعْوَى عليه خَلَلٌ .

ثم اسْتَدَلَّ مِن السُّنَّةِ بحديثِ المِعْراج ، ولم يَرِد فى حديث المعراج أنَّ الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقةً ، ولا كلمةٌ واحدة من ذلك ، وهو لم يسْرُد حديثَ المعراج ، ولايبَيِّن الدَّلالةَ منه ، حتى نُجِيب عنه ؛ فإن بَيَّن وَجْهَ الاسْتدلال[1] عَرَّفْناه كيف الجوابُ .

واسْتَدَلَّ بنزُول الملائكة من عند الله تعالى ، والجوابُ عن ذلك أنَّ نزولَ الملائكة من السماء إنما كان لِأنَّ السماءَ مَقَرُّهم ، والعِنْدِيَّةُ لاتدلُّ على أنَّ الله فى السماء ؛ لأنَّه يُقال فى الرُّسُل الآدَمِيِّين : إنهم من عند الله ، وإن لم يكونوا نزلوا من السماء ، على أنَّ العِنْدِيَّة قد يُراد بها الشرفُ والرُّتْبة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[2] ، وتُستعمل فى غير ذلك ، كما قال رسول الله ﷺ ، حِكايةً عن ربِّه عَزَّ وجَلَّ : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى » .

وذكَر عُروجَ الملائكة ، وقد سَبق ، وربما شَدَّ فِقارَ ظَهْرِه ، وقَوَّى [مُنَّةَ][3] مُنَّتِه بلفظةِ ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ ﴾[4] وأنّ ﴿ إِلَى ﴾ لِانْتهاء الغايةِ ، وأنَّها فى قَطْعِ المسافة ، وإذا سكت عن هذا لم يتكلَّمْ بكلامِ العرب ، فإنَّ المسافة لا تَفْهَمُ العربُ منها إلّا ما تَنْتَقِل فيه الأجسامُ ، وهو يقول إنهم لايقولون بذلك ، وقد قال الخليلُ ﷺ : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى ﴾[5] وليس المرادُ بذلك الانْتهاءَ الذى عَنَاهُ المُدَّعِى بالاتِّفاق ، فَلِمَ يجْتَرِئُ على ذلك فى كتابِ الله تعالى ، ولايُجاب به فى خبرِ الواحد؟

وذكَر قولَه ﷺ : « أَلَا تَأْمَنُونِى وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فى السَّماءِ ، يَأْتِينِى خَبَرُ مَنْ فِى السَّماء صَباحًا ومَساءً » ، وليس المرادُ بمَن هو اللهُ تعالى ، ولاذكَر النبىُّ ﷺ ذلك ، ولاخَصَّهُ به ، ومن أين للمُدَّعِى أنَّه ليس المرادُ بمَن

---

(١) فى المطبوعة : « الدلالة » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢) سورة ص ٢٥ .

(٣) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز . و« منته » جاءت فى ج بتشديد النون ، وبعدها تاء . ولعل صوابها « متنه » بالتاء الساكنة ، بعدها نون ، والمتن : الظهر .

(٤) راجع سورة الأنعام ٣٨ ، ٥١ ، ١٠٨ .

(٥) سورة الصافات ٩٩ .

الملائكة ، فإنهم أكبرُ المخلوقات عِلْمًا بالله تعالى ، وأشدُّهم اطِّلاعًا على القُرْبِ ، وهم يعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ أمينٌ ، وهو عندهم فى هذه الرُّتْبة ، فليعْلَم المُدَّعِى أنَّه ليس فى الحديث مايَنْفِى هذا ، ولا [ما][1] يُثْبِت مادَّعاه .

ثم ذكَر حديثَ الرُّقْيَة : « رَبُّنا اللهُ الذى فى السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُك ، أمْرُكَ فى السَّماءِ والْأَرْضِ ، كما رِزْقُك فى السَّماءِ » الحديث . وهذا الحديثُ بتَقْدِير ثُبوتِه ، فالذى ذكَره النبىُّ ﷺ فيه : « رَبُّنا الذى فى السَّماءِ تَقَدَّس اسْمُكَ » ماسكت النبىُّ ﷺ على « فى السماء » فلِأَىِّ معنًى نقفُ نحن عليه ، ونجعل « تَقدَّس اسْمُك » كلاما مُسْتَأْنَفًا؟ هل فعَله رسولُ الله ﷺ هكذا ، أو أمَر به؟ وعند ذلك لايجد المُدَّعِى مَخْلَصًا إلّا أن يقول : اللهُ تقدَّس اسمُه فى السماء والأرض ، فلم خُصِّصَتِ السَّماءُ بالذِّكْر؟ فنقول له : مامعنى « تقدَّس »؟ إن كان المرادُ به التَّنْزِيهَ من حيث هو تَنْزِيهٌ فذلك ليس فى سَماءٍ ولاأرضٍ ، إذ التَّنْزِيهُ نَفْىُ النَّقائصِ ، وذلك لاتَعلُّقَ له بجَرْباءَ ولَا غَبْراءَ ، فإنَّ المرادَ أنَّ المخلوقاتِ [2]تُقَدِّسُ وتعترفُ[2] بالتَّنْزِيهِ ، فلا شَكَّ أنَّ أهلَ السماء مُطْبِقون على تَنْزِيهه تعالى ، كما أنه لاشَكَّ أنَّ فى أهلِ الأرض من لم يُنَزِّه ، وجعَل له نِدًّا ، ووصَفه بما لايليقُ بجلالِه ، فيكون تخصِيصُ السماءِ بذِكْرِ التَّقْدِيس فيها لِانْفِراد أهلِها بالإِطْباق على التَّنزِيهِ ، كما أنَّه سبحانه لمَّا انْفرد فى المُلْكِ فى يومِ الدِّين عمَّن يُتَوَهَّم مُلْكُه خَصَّصه بقولِه تعالى : ﴿ مَالِكِ[3] يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وكما قال سبحانه وتعالى بعدَ دَمارِ[4] من ادَّعَى المُلْكَ والمِلْك : ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[5] .

وأعاد هذا المُدَّعِى الحديثَ من أوَّله ، ووصَل إلى أن قال : فليَقُلْ ربُّنا الذى فى السماء .

---

(١) تكملة من : ج ، ز ، على مافى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « تقدسه وتعرفه » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « ملك » ، والمثبت من : ج ، ز ، وكلاهما صحيح متواتر فى السبع . انظر تفسير ابن كثير ٤٠/١ والسبعة لابن مجاهد ١٠٤ . وهى الآية الرابعة من فاتحة الكتاب .

(٤) فى المطبوعة : « زمان » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٥) سورة غافر ١٦ .

قال : وذكَره ووقَف على قولِه « فى السَّماءِ » فليت شِعْرِى هل جَوَّزَ أحدٌ من العلماء أن يُفْعَل مثلُ هذا؟ وهل هذا إلّا مُجَرَّدُ إيهام أنَّ سيدَ المرسلين ﷺ وعليهم قال : « رَبُّنَا اللهُ الذى فى السَّماءِ »؟

وأمّا حديثُ الأَوْعَالِ[1] ، ومافيه من قولِه : « وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذٰلِكَ كُلِّهِ ، وَاللهُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ » فهذا الحديثُ قد كثُر منهم إيهامُ العَوَامِّ أنَّهم يقولون به ، ويُرَوِّجون به زَخارِفَهم ، ولايتركون دَعْوَى مِن دَعاويهم[2] عاطلةً من التَّحَلِّى بهذا الحديث ، ونحن نُبَيِّن أنَّهم لم يقولوا بحَرْفٍ واحدٍ منه ، ولا اسْتَقَرَّ لهم قَدَمٌ بأنَّ اللهَ تعالى فوقَ العَرْشِ حقيقةً ، بل نقَضُوا ذلك ، وإيضاحُ ذلك بتَقْديم ماأخَّر هذا المُدَّعِى ؛ قال فى آخِرِ كلامِه : ولا يَظُنَّ الظَّانُّ أنَّ هذا يُخالف ظاهرَ قولِه تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾[3] وقولِ النبىِّ ﷺ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ » . ونحو ذلك ، قال : فإنَّ هذا غَلَطٌ ظاهرٌ ، وذلك أنَّ اللهَ تعالى معَنا حقيقةً ، فوقَ العَرْشِ حقيقةً ، قال : كما جمَع اللهُ بينهما فى قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَايَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَايَخْرُجُ مِنْهَا وَمَايَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَايَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3] قال هذا المُدَّعِى بِمِلْءِ مَاضِغَتَيْهِ[4] مِن غيرِ تَكَتُّمٍ ولاتَلَعْثُمٍ : فقد أخْبر اللهُ تعالى أنَّه فوقَ العَرْشِ ، ويعلم كلَّ شىءٍ وهو معَنا أينما كُنّا ، كما قال[5] ﷺ فى حديثِ الأَوْعَالِ : « واللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وهُوَ يَعْلَمُ مَاأَنْتُمْ عَلَيْهِ » فقد فهِمتَ أنَّ هذا المُدَّعِى ادَّعَى أنَّ اللهَ فوقَ العَرْشِ حقيقةً ، واسْتَدَلَّ بقولِه تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ، وجعَل أنَّ ذلك مِن اللهِ تعالى : خَبَرٌ أنَّه فوقَ العَرْشِ ، وقد علم

---

(١) فى المطبوعة هنا وفيما يأتى : « الأوغال » ، والتصويب من : ج ، ز . وهم الملائكة الذين يحملون العرش ، أى أنهم على صورة الأوعال. النهاية ٥/٢٠٧. والوعل: التيس الجبلى. والحديث فى مسند أحمد ١/٢٠٦، وسنن ابن ماجه (المقدمة)٦٩ .

(٢) فى المطبوعة : « دعواتهم » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) سورة الحديد ٤ .

(٤) فى المطبوعة : « ماضغيه » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « كما قال قال » وأسقطنا الثانية ، كما فى : ج ، ز .

كلُّ ذى ذِهْنٍ قويمٍ وفكرٍ مستقيمٍ ، أن لفظ ﴿ آسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ليس[1] مُرادِفا للَفْظِ « فوقَ العَرْشِ » حقيقةً ، وقد سَبق مِنَّا الكلامُ عليه ، ولا فى الآية مايدُلُّ على الجَمْعِ الذى ادَّعاهُ ، ولابيَّنَ التَّقْرِيب فى الِاسْتِدْلال ، بل سَرَدَ آيةً مِن كتاب الله تعالى لايُدْرَى هل حَفِظَها أو نَقَلها من المُصْحَف ، ثم شَبَّهَ الآيةَ فى الدَّلالةِ على الجَمْعِ بحديثِ الأَوْعَالِ ، [قال][2] كما قال ﷺ فيه : « واللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ » ، وقد علمت أنَّه ليس فى الحديث مايدُلُّ على الْمَعِيَّةِ ، بل لامَدْخَلَ لمَعَ فى الحديث ، قال : وذلك أنَّ « مع » إذا أُطْلِقتْ فليس ظاهرُها فى اللُّغة إلَّا للْمقارَنةِ[3] المُطْلَقةِ من غيرِ وُجوبِ مُماسَّةٍ ولا مُحاذاةٍ عن يَمِينٍ أو شِمالٍ ، فإذا قُيِّدَتْ بمعنًى من المعانى دلَّتْ على المُقارنةِ فى ذلك المعنى ، فإنَّه يُقال : مازلنا نسيرُ والقمرُ مَعنا والنَّجْمُ[4] معنا . ويُقال : هذا المتاعُ معَنا وهو لمُجامعتِه لك[5] وإن كان فوقَ رَأْسِك ، فإنَّما الله[6] مع خَلْقِه حقيقةً ، [7]وهو فوق العرشِ حَقيقةً[7] ثم هذه الْمَعِيَّةُ تختلفُ أحكامُها بحسَب المَوارِد ، فلمَّا قال : ﴿ يَعْلَمُ مَايَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَايَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ دَلَّ ظاهرُ الخطابِ على أنَّ حكمَ هذه المَعِيَّةِ ومُقتضاها أنَّه مُطَّلِعٌ عليكم عالمٌ بكم . قال : وهذا معنى قولِ السَّلَفِ : إنه معهم بعلمِه . قال : وهذا ظاهرُ الخطاب وحقيقتُه .

قال : وكذلك فى قوله تعالى : ﴿ مَايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾[8] الآية ، وفى قوله

---

(١) بعد هذا فى المطبوعة زيادة : « إلا » ، والصواب من : ج ، ز .
(٢) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .
(٣) فى المطبوعة : « المقارنة » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٤) فى ج : « أو النجم » ، والمثبت من المطبوعة ، ز .
(٥) فى المطبوعة : « معك » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٦) فى المطبوعة : « فإن الله » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٧) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .
(٨) سورة المجادلة ٧ .

تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[3] .

قال : ويقول أبو الصَّبِىِّ [4]له مِن[4] فوقِ السَّقْفِ : لاتخفْ ، أنا معك . تَنْبِيهًا على الْمَعِيَّةِ الْمُوجِبةِ لِحُكمِ الحال . فلْيَفْهم الناظرُ أدبَ هذا المُدَّعِى فى هذا المَثَلِ ، وحُسْنَ ألفاظِه فى اسْتِثْمارِ مَقاصدِه .

ثم قال : فَفَرْقٌ بين المَعِيَّةِ وبين مُقْتضاها المفهومِ من مَعناها ، الذى يختلف باخْتلاف المواضع . فَلْيَفْهم النَّاظرُ هذه العبارةَ التى ليست بالعربيّة ولابالعَجَمِيّة ، فسبحان المُسَبَّحِ باللُّغاتِ المختلِفة .

قال : فلفظُ المَعِيّةِ قد اسْتُعْمِل فى الكتابِ والسُّنَّةِ فى مواضعَ ، يقتضى فى كلِّ موضعٍ أُمورًا لايقْتضيها فى الموضع الآخَر . هذه عبارتُه بحروفها .

ثم قال : فإمَّا أن تختلفَ دَلالتُها بحسَب المواضعِ ، أو تَدُلَّ علَى قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ بين جميعِ مَواردِها ، وإن امْتازَ كلُّ موضعٍ بخاصِّيَّةٍ فلْيُفْهَمْ تقسيمُ هذا المُدَّعِى ، وحسنُ تصرُّفه .

قال : فعلى التَّقْديرين ليس مُقتضاها أن تكون ذاتُ الرَّبِّ مُخْتلِطةً بالخَلْق ، حتى يُقال : صُرِفت عن ظاهرِها .

ثم قال فى موضعٍ آخَر : مَن عَلِمَ أن المَعِيّةَ تُضافُ إلى كل نوع من أنْواعِ المخلوقاتِ ، كإضافة الرُّبُوبيّةِ مَثَلًا ، وأنَّ الِاسْتِواءَ على العرشِ ليس إلَّا العرشَ ، وأنَّ الله تعالى يُوصَف بالعُلُوِّ والفَوْقِيّةِ الحقيقيّةِ ، ولا يُوصَف بالسُّفولِ ولا بالتَّحْتِيّة قَطُّ ، لا حقيقةً ولا مَجازًا، عَلِمَ أنَّ القرآنَ على ماهو عليه من غيرِ تحريفٍ . فلْيَفْهم الناظرُ هذه المُقدِّماتِ

---

(١) سورة التوبة ٤٠ .

(٢) سورة النحل ١٢٨ .

(٣) سورة طه ٤٦ .

(٤) فى المطبوعة : « الذى » ، والمثبت من : ج ، ز .

القَطْعِيَّةَ ، وهذه العباراتِ الرَّائقةَ الجَليّةَ ، وحَصْرُ الِاسْتواء على الشيءِ فى العَرْشِ ممَّا لايقولُه عاقلٌ ، فَضْلًا عن جاهل .

ثم قال : مَن تَوَهَّم أنَّ كَوْنَ اللهِ فى السماء ، بمعنى أنَّ السماءَ تُحِيطُ به وتَحْوِيه ، فهو كاذبٌ إن نَقَلَه عن غيره ، وضَالٌّ إن اعْتقده فى رَبِّه ، وماسمِعنا أحدًا يفهمُه من اللَّفظ ، ولا رأَينا أحدًا نَقَلَهُ عن أَحدٍ . فلْيَسْتَفِدِ الناظرُ أن الفهمَ يُسْمَعُ !

قال : ولو سُئِل سائرُالمسلمين : هل يفهمون من قولِ الله تعالى ورسولِه ﷺ أنّ اللهَ تعالى فى السماء تَحْوِيه[1] ، لَبادَر كلُّ أحدٍ منهم إلى أن يقولَ : هذا شيءٌ لعلَّه لم يخطُر ببالِنا ، وإذا كان الأمرُ هكذا فمن التكلُّفِ أن يُجْعَلَ ظاهرُ اللفظِ شيئًا مُحالًا ، لايفهمُه الناسُ منه ، ثم يُرِيد أن يتأوَّلَه .

قال : بل عند المسلمين أنَّ الله فى السماءِ ، وهو على العرشِ واحدٌ ، إذ السماءُ إنما يُراد بها العُلُوُّ ، فالمعنى : الله فى العُلُوِّ لا فى السُّفْلِ . هكذا قال هذا المُدَّعِى فَلْيَثْنِ[2] الناظرُ على هذه بالخَناصر ، ولْيَعَضَّ عليها بالنَّواجِذ ، ولْيعلمْ أنَّ القومَ ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

قال : وقد علم المسلمون أنَّ كُرْسِيَّه تعالى وَسِعَ السَّمٰوَاتِ والأرضَ ، وأنَّ الكُرْسِىَّ فى العرشِ كحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ بأرضٍ فَلاةٍ ، وأنَّ العرشَ خَلْقٌ من مخلوقاتِ الله تعالى ، لانِسْبةَ له إلَّا قدرةُ اللهِ وَعَظَمتُه ، وكيف يَتوهَّم مُتَوَهِّمٌ بعدَ هذا أنَّ خَلْقًا يحصُره ويَحْوِيه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[5] بمعنى «على»، ونحو ذلك ، وهو[6] كلامٌ عَرَبِىٌّ، حقيقةٌ لا مجازٌ،

---

(١) فى المطبوعة : « أنها تحويه » وأسقطنا هذه الزيادة كما فى : ج ، ز ، وسيأتى نظيره فى صفحة ٦٠ .

(٢) فى المطبوعة : « فليشد » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) سورة الحشر ٢ .

(٤) سورة طه ٧١ .

(٥) سورة آل عمران ١٣٧ ، وسورة النحل ٣٦ .

(٦) فى المطبوعة : « وهذا » ، والمثبت من : ج ، ز .

وهذا يعلمُه مَن عرَف حقائقَ معنى الحروف ، وأنها مُتواطِئةٌ فى الغالبِ . هذا آخرُ ماتمسَّك به .

فنقول : أولًا ، مامعنى قولِك : إن « مع » فى اللغة للمُقارَنةِ المُطْلَقةِ من غيرِ مُماسَّة ولا مُحاذاةٍ ، وماهى المُقارنةُ؟ فإن لم يفهم مِن المُقارنة غيرَ صفةٍ لازمةٍ للجِسْمِيَّة ، حصَل المقصودُ ، وإن فهِم غيرَه فَلْيُتَنَبَّهْ حتى نَنْظُر[1] هل تفهمُ العربُ من المقارنةِ ذلك أو لا .

ثم قوله : فإذا قُيِّدَتْ[2] بمعنًى من المعانى دَلَّتْ على المُقارنة فى ذلك المعنى . فنقول له : ومَن نَحا ذلك فى ذلك؟

قولُه : إنَّها فى هذه المواضعِ كلِّها بمعنى العِلْم . قُلْنا : من أينَ لك هذا؟ فإن قال : من جِهَةِ قوله تعالى : ﴿ مَايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[3] الآيةِ ، دلَّ ذلك على المَعِيّةِ بالعلمِ ، وأنَّه على سبيلِ الحقيقة . فنقولُ له : قد كِلْتَ بالصَّاعِ الوافى فكِلْ لنا بمثلِه ، واعلمْ أنّ « فوقَ » كما يُسْتَعْمَلُ فى العُلُوِّ فى الجهةِ كذلك يُستعمَل فى العُلُوِّ فى المَرْتَبَةِ والسَّلْطَنَةِ والمُلْكِ ، وكذلك الِاستواءُ ، فيكونان مُتَواطِئَيْن ، كما ذكرتَه حَرْفًا بحرفٍ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[5] ، وقال الله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[6] وقال تعالى حِكايةً عن قومِ فِرْعَوْن : ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾[8] ، ومعلومٌ أنه ليس المُرادُ جِهَةَ العُلُوِّ ، فأَعِدِ البحثَ وقُلْ : فوقَ العرشِ

---

(١) فى المطبوعة : « ينظر » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٢) فى المطبوعة : « قيد » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٣) سورة المجادلة ٧ .
(٤) سورة الأنعام ١٨ .
(٥) سورة يوسف ٧٦ .
(٦) سورة الفتح ١٠ .
(٧) سورة الأعراف ١٢٧ .
(٨) سورة الزخرف ٣٢ .

بالِاسْتيلاء . وكذا فى حديثِ الأَوْعَال ، ومافعلتَه فى « مع » فافْعَلْهُ فى « فوق » ، وخَرِّج هذا كما خرَّجتَ ذلك ، وإلّا اتْرُك الجميعَ .

ثم قوله : ومَن عَلِم أنّ المَعِيّةَ تُضافُ إلى كلِّ نوعٍ مِن أنواعِ المخلوقات ، وأنّ الاسْتواء على الشيءِ ليس إلّا العرشَ . قُلْنَا : حتى نُبْصِرَ لك رجلاً اسْتعملها يعلمُ ماتقولُه من غيرِ دليلٍ ، فإنّك إن لم تُقِم دَلالةً على ذلك وإلّا أَبْرَزْتَ لفظةً تدلُّ على تحتُّم « فوق » لِلاسْتِواء فى جِهَةِ العُلُوِّ ، فليت شِعْرِى مِن أين تعلمُ أن المَعِيّةَ بالعلم حقيقة ، وأنّ آيةَ الِاسْتواء على العرشِ وحديثَ الأَوْعَال دالّان على صفةِ الرُّبوبيّةِ بالفَوقيّةِ الحقيقيّةِ! اللهم غَفْرًا ، هذا لايكونُ إلّا بالكَشْفِ ، وإلّا فالأدِلَّة التى نصَبها اللهُ تعالى لتُعْرَفَ بها ذاتُه وصفاتُه وشرائعُه لم يُورِدْ هذا المدَّعِى منها حرفًا واحدا على وَفْقِ دعوَى ، ولاثبَت له قَدمٌ إلّا فى مَهْوَى .

ثم قوله : لايُوصَفُ اللهُ تعالى بالسُّفُولِ والتَّحْتِيّة ، لاحقيقةً ولامَجازًا ، ليت شِعْرِى! مَن ادَّعَى له هذه الدعوَى حتى يُكَلَّفَ الكلامَ فيها؟

ثم إنَّ قولَه بعد ذلك : من تَوَهَّم كونَ اللهِ تعالى فى السماءِ ، بمعنى أنَّ السماءَ تُحيط به وتحوِيه ، فهو كاذبٌ إن نَقلَهُ عن غيرِه ، وضالٌّ إن اعْتقَده فى رَبِّه . أيُّها المُدَّعِى ، قُلْ ماتفهم ، وافْهَمْ ماتقول ، وكلِّم الناسَ كلامَ عاقلٍ لِعاقلٍ ، تُفِيدُ وتَسْتفِيد ، إذا طلبتَ أن تسْتَنْبِط من لفظةِ « فى » الجهةَ ، وحمْلتَها على حقيقتها هل[1] يُفْهَمُ منها غيرُ الظَّرْفيّةِ ، أو ما فى معناها؟ وإذا كان كذلك فهل يَفْهَم عاقلٌ أنَّ الظرفَ ينْفَكُّ عن إحاطَةٍ[2] ببعضٍ أو جميعٍ أو مايلزم ذلك؟ وهل جرَى هذا على سَمْعٍ؟ وهل مَن يُخاطِر أنَّ « فى » على حقيقتها فى جهةٍ ، ولايُفْهَمُ منها احْتِواءٌ ولا إحاطةٌ ببعضٍ ولاكُلٍّ؟ فإن كان المرادُ أن يعزِل الناسُ عقولَهم ، وتتكلّمَ أنت وهم يُقلِّدون ويُصدِّقون ، لم[3] تأْمَنْ أنّ بعضَ المسئُولين

---

(١) فى ج ، ز : « هو » ، والمثبت من المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « إحاطته » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « ثم » ، والتصويب من : ج ، ز .

من المُخالفين للمِلَّةِ[1] يأمرُك بذلك ويُثْبِتُ[2] الباطلَ عليك .

ثم قولُك : لو سُئِل سائرُ المسلمين ، هل يفهمون من قولِ الله تعالى ورسولِه أنّ الله فى السماءِ تَحْوِيهِ ، لبادَر كلُّ واحدٍ منهم إلى أن يقول : هذا شيءٌ لعلَّه لم يخطُر ببالِنا . فنقولُ : ماالذى أردتَ بذلك ؟ إن أردتَ أنّ هذا اللفظَ لايُعْطِى هذا المعنى فإيَّاك أن تسألَ عن هذا مَن هو عارفٌ بكلامِ العرب ، فإنه لايُصَدِّقُك فى أنّ هذا اللفظَ لايُعْطِى هذا ، مع كَوْنِ « فى » للظَّرْفيّة ، وأنّها على حقيقتها فى الجِهَةِ ؛ وإن أردتَ أنّ العقولَ تأْبَى ذلك فى حَقِّ اللهِ تعالى ، فلسْنا نحن معك إلّا فى تَقْريرِ هذا ، ونَفْىِ كلِّ مايُوهِم نَقْصًا فى حَقِّ اللهِ تعالى .

ثم قولُك : عند المسلمين أنّ اللهَ فى السماءِ وهو على العرشِ واحدٌ . لاينْبَغِى أن تُضِيف هذا الكلامَ إلّا إلى نفسِك ، أو إلى مَن تلقَّيْتَ هذه الوَصْمَةَ منه ، ولاتَجْعلِ المسلمين يَرْتبِكون فى هذا الكلامِ الذى لايُعْقَل .

ثم اسْتَدْلَلْتَ على أنّ كَوْنَ اللهِ فى السماءِ والعرشِ[3] واحدٌ بأنّ السماءَ إنما يُراد بها العُلُوُّ ، فالمعنى : الله فى العُلُوِّ لا فى السُّفْلِ . قُلْ لِى : هل قال اللهُ تعالى ورسولُه ﷺ والسابِقون الأوَّلُون من المُهاجرين والأنصار رضىَ الله عنهم أجمعين : إنّ اللهَ تعالى فى العُلُوِّ لا فى السُّفْلِ؟ وكُلُّ ماقلتَ من أوَّلِ المُقدِّمة إلى آخِرها ، لو سُلِّمَ لك لَكان حاصلُه أنّ اللهَ تعالى وصَف نفسَه بأنّه اسْتَوَى على العرشِ ، وأنّ اللهَ تعالى فوقَ العرش .

[و][4] أمَّا أنّ السماءَ المُرادُ بها جِهَةُ العُلُوِّ ، فماظَفِرتْ كفّاك بنَقْلِه .

ثم قولُك : قد علم المسلمون أنّ كُرْسِيّه تعالى وَسِعَ السَّمٰوٰتِ والأرضَ ، وأنّ

---

(١) فى المطبوعة ، ز : « للمسألة » ، والمثبت من : ج .

(٢) فى المطبوعة : « أو ينبت » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٣) فى المطبوعة : « وعلى العرش » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٤) زيادة من المطبوعة على مافى : ج ، ز .

الكرسىَّ فى العرشِ كحَلْقةٍ مُلْقاةٍ بأرضٍ[1] فَلاةٍ . [2]فليت شِعْرِى ، إذا كان حديثُ الأَوْعَال يدلُّك علَى أنّ اللهَ فوقَ العرش ، فكيف يُجْمَع بينه وبين طُلوع الملائكةِ إلى السماء التى فيها اللهُ ؟ وكيف يكونُ مع ذلك فى السماء حقيقةً؟ ولعلَّك تقولُ : إنّ المُرادَ بهما[3] جِهَةُ العُلُوِّ توفيقا[2] ، فليت شِعْرِى أيُمكن أن تقولَ بعد هذا التَّوْفيق العارِى عن التَّوْقِيف والتَّوفيق : إنَّ اللهَ فى السماءِ حقيقةً ، وعلى السماءِ حقيقةً ، وفى العرشِ حقيقةً ، وعلى العرشِ حقيقةً؟ ثم حقيقةُ السماءِ هى هذه المُشاهَدةُ المَحْسوسةُ يُطْلِق عليها هذا الِاسمَ مَن لم يخطُر بباله السُّمُوُّ ، وأمَّا أصلُ الِاشْتقاق فذلك لامَزِيَّةَ لها فيه على السَّقْف والسحابِ ، فتبارَك اللهُ خالقُ العُقول!

ثم قولُك بعد ذلك : العرشُ من مخلوقاتِ الله تعالى ، لانِسْبَةَ له إلَّا قدرةُ اللهِ وعظمتُه . وقَع إلينا « إلا قدرةُ الله » فإن كانتْ بألف لام ألف ، كما وقَع إلينا فقد نفيْتَ العرشَ ، وجعلتَ الجِهَةَ هى العظمةَ والقدرةَ ، وصار معنى كلامِك : جِهَةُ اللهِ عظمتُه وقدرته . والآن قلتَ مالايُفْهم ، ولاقالَهُ أحدٌ ؛ وإن كان كلامُك بألف لام ياء ، فقد صدَقْتَ وقلتَ الحقَّ ، ومن قال خلافَ ذلك[4]؟ ولَعَمْرِى لقد رَمَمْنَا لك هذا المكانَ ، ولَقَّنَّاك إصْلاحَه .

ثم قلتَ : كيف يُتَوَهَّم بعد هذا أنَّ خَلْقًا يحصُره أو يَحْوِيه . قُلْنا : نعم ، ومِن أىِّ شىءٍ بلاؤُنا إلَّا ممَّن يدَّعِى الحَصْرَ أو يُوهِمُه!

ثم قلتَ : وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[5] أوَما علمتَ أنَّ التَّمَكُّنَ الِاسْتِقْرارِىَّ[6] حاصلٌ فى الجِذْعِ ، فإنَّ تَمَكُّنَ[7] المصلوبِ فى الجِذْع

---

(١) فى المطبوعة : « فى أرض » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٢) ساقط من : ز ، وهو من المطبوعة ، ج .

(٣) فى المطبوعة : « بها » ، والمثبت من : ج .

(٤) بعد هذا فى المطبوعة زيادة : « لعمرى » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٥) سورة طه ٧١ .

(٦) فى المطبوعة : « والاستقرار » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٧) فى المطبوعة : « تمكين » ، والتصويب من : ج ، ز .

كتَمَكُّنِ[1] الكائنِ فى الظَّرْفِ ، وكذلك الحُكْمُ فى قولِه تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] وهذا الذى ذكرْناه هو الجوابُ عن حديثِ الأَوْعَال ، وحديثِ قَبْضِ الرُّوح ، وحديثِ عبد الله بن رَوَاحةَ رضىَ الله عنه ، وحديثِ أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ ، وماقال من قوله[3] :

مَجِّدُوا اللهَ فَهْو أهلٌ لمجدٍ ربُّنا فى السماءِ أمسى كبيرَا

فيُقال للمُدَّعِى : إن كنتَ تَرْوِيه « فى السماء » فقط ، ولا تُتْبعها « أمسى كبيرًا » فربما يُوهِم ماتدَّعِيه ، لكن لاينْقَى شِعْرًا ولاقافيةً ، وإن كان قال : « ربنا فى السماء أمسى كبيرا » فقُل مثلَ ماقال أُمَيَّةُ ، وعند ذلك لايُدْرَى : هل هو كما قلتَ : [4]أو قال[4] : إنَّ الله كبيرٌ فى السماء .

فإن قلتَ : وهو كبيرٌ فى الأرض فلِمَ خُصَّت السماءُ؟

قلنا : التَّخْصِيصُ بما أشرْنا إليه من أنَّ تعظيمَ أهلِ السمٰواتِ أكثرُ مِن تعْظيمِ أهلِ الأرضِ له ، فليس فى الملائكةِ مَن يَنْحَتُ حَجَرًا ويعبدُه ، ولا فيهم دَهْرِىٌّ ولا مُعَطِّلٌ ولامُشَبِّهٌ ، وخِطابُ أُمَيَّةَ لكُفَّارِ العربِ الذين اتَّخذوا هُبَلَ ومَناةَ واللَّاتَ والعُزَّى وغيرَ ذلك من الأنْداد ، وقد عَلِمت العربُ أنَّ أهلَ السماءِ أعلمُ منهم ، حتى كانوا يتمسَّكون بحديثِ الكاهنِ الذى كان يتَلَقَّفُ[5] من الجِنِّىِّ الذى يسْتَرِقُ الكلمةَ من المَلَكِ ، فيُضِيف إليها مائةَ كِذْبَة ، فكيف اعْتقادُهم فى الملائكة!! فلذلك احْتَجَّ عليهم أُمَيَّةُ بالملائكة ، هذا ليس ببَعِيدٍ ولا خِلافُه[6] قَطْعِىٌّ .

---

(١) فى المطبوعة : « كتمكين » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٢) سورة الأنعام ١١ ، وسورة النمل ٦٩ ، وسورة العنكبوت ٢٠ ، وسورة الروم ٤٢ .

(٣) ديوانه ٣٣ ، والرواية فيه : « فهو للمجد أهل » .

(٤) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « يتلقى » ، والمثبت من : ج ، ز .

(٦) فى المطبوعة : « خلاف » ، والتصويب من : ج ، ز .

ثم قال : مِن المعلومِ بالضرورةِ أنَّ الرسولَ المُبلِّغَ عن اللهِ أَلْقَى إلى أُمَّتِهِ المَدْعُوِّين[1] أنَّ اللهَ تعالى علَى العرش ، وأنَّه فوقَ السماءِ ، فنقولُ له : هذا ليس بصحيحٍ بالصَّريح ، بل أَلْقَى إليهم أَنَّ الله اسْتَوَى على العرشِ ، هذا الذى تَواتَرَ مِن تَبْليغ هذا النَّبىِّ ﷺ ، وماذكره المُدَّعِى مِن هذا الإِخْبار[2] ، فأَخْبارُ آحادٍ لايصدُق عليها جمْعُ كَثْرةٍ ، ولاحُجَّةَ له فيها ، وذلك واضحٌ لمن سمِع كلامَ الرسولِ ﷺ ، ونَزَّله على اسْتعمالِ العربِ وإطْلاقاتها ، ولم يُدْخِلْ عليها غيرَ لُغَتِها .

ثم قلتَ : كما فطَر اللهُ جميعَ الأُمَم ؛ عَرَبِهم وعَجَمِهم فى الجاهليَّةِ والإِسْلام ، إلَّا مَن اجْتالَتْهُ الشَّياطينُ عن فِطْرتِه . هذا كلامٌ من أوَّلِه إلى آخِره مُعارَضٌ بالمَيْلِ والتَّرْجيحِ معًا .

ثم قلتَ عن السَّلَفِ فى ذلك مِن الأَقْوال مالو جمعتُه[3] لبلغتْ مائتين أُلوفًا . فنقولُ : إن أردتَ بالسَّلَفِ سَلَفَ المُشَبِّهَةِ كما سيأتى فى كلامك ، فربَّما قاربْتَ[4] ، وإن أردْتَ سَلَفَ الأُمَّةِ الصالحين فلا حَرْفًا[5] ولاشَطْرَ حرفٍ ، وها نحن معك فى مَقامٍ مَقامٍ ومِضْمارٍ مضمارٍ ، بحولِ اللهِ وقُوَّتِه .

ثم قلتَ : ليس فى كتابِ الله تعالى ، ولاسُنَّةِ رسولِه ، ولا عن أحدٍ من سَلَفِ الأُمَّةِ ؛ لامِن الصحابةِ ولا من التابعين ، حَرْفٌ واحد يُخالف ذلك ؛ لانَصٌّ ولاظاهرٌ . قُلْنا : ولاعنهم ، كما ادَّعَيْت أنتَ ، ولانَصٌّ ولاظاهرٌ ، وقد صَدَّرتَ أوَّلًا أنَّك تقولُ ماقاله[6] اللهُ ورسولُه والسابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار ، ثم دارت الدائرةُ على أنَّ المُرادَ بالسابِقين الأَوَّلين من المُهاجرين والأَنْصار مشَايخُ عقيدتِك ، وعَزَلْتَ العَشرةَ وأهلَ بَدْر

---

(١) فى المطبوعة : « المذعنين » ، وفى ز : « المدعين » ، والتصويب من : ج .
(٢) كذا فى الأصول ، ولعل صوابه : « هذه الأخبار » بدليل مابعده .
(٣) فى المطبوعة : « جمعت » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٤) فى المطبوعة : « قارب » ، والمثبت من : ج ، ز .
(٥) فى المطبوعة : « حرف » ، والتصويب من : ج ، ز .
(٦) فى المطبوعة : « قال » ، والمثبت من : ج ، ز .

والحُدَيبِيَة عن السَّبْق[١] ، والتَّابِعين عن المُتابَعة ، وَتَوَلِّى هؤلاءِ لاغَيْر[٢] ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾[٣] .

ثم قولُك : لم يقلْ أحدٌ منهم : إِنَّه ليس فى غيرِ السماء ، ولا إِنَّه ليس على العرشِ ، ولا إِنَّه فى كلِّ مكان ، ولا إِنَّ جميعَ الأَمْكنةِ بالنِّسْبة إليه سَواء ، ولا إِنَّه داخِلَ العالَم ولاخارجَه ، ولا مُتَّصِلٌ ولامُنْفَصِل . قُلْنا : لقد عَمَّمْتَ الدَّعْوَى ، فذكرتَ مالم تُحِطْ به عِلما ، وقد ذكَرْنا لك عن جعفر الصَّادقِ والجُنَيْد والشِّبْلِىِّ وجعفر بن نُصَير ، وأبى عثمان المَغْرِبىِّ ، رضِىَ اللهُ عنهم ، مافيه كفايةٌ ، فإن طَعَنْتَ فى نَقْلِنا ، أو فى هذه السَّادةِ ، طَعَنَّا فى نَقْلِك ، وفيمن أَسْنَدْتَ إليه من أهلِ عقيدتِك خاصَّةً ، فلم يُوافِقْك على ما[٤] ادَّعَيْتَه غيرُهم .

ثم إِنَّك أنت الذى قد قلتَ مالم يَقُلْه اللهُ ، ولا رسولُه ، ولا السابِقون الأَوَّلون من المهاجِرين والأَنْصار ، ولا من التابعين ، ولا من مَشايخِ الأُمَّةِ الذين لم يُدْرِكوا الأَهْواءَ[٥] فما نَطَق أحدٌ منهم بحرفٍ فى أَنَّ اللهَ تعالى فى جِهَةِ العُلُوِّ ، وقد قلتَ وصرَّحتَ وبَحَثْتَ وفهِمْتَ بأَنَّ ماورَد مِن أَنَّه فى السماءِ ، وفوقَ السماءِ ، وفى العرشِ ، وفوقَ العرشِ ، المرادُ به جِهَةُ العُلُوِّ ، فقُلْ لنا : مَن قال هذا؟ هل قالَه اللهُ ، أو رسولُه ، أو السابِقون الأَوَّلون من المُهاجِرين والأَنْصار ، أو التَّابِعين[٦] لهم بإِحْسانٍ ، فلِمَ تُهَوِّلُ علينا بالأُمور المُغَمْغَمةِ[٧] ، وباللهِ المُسْتعان .

ثم اسْتَدَلَّ على جَواز الإِشارة الحِسِّيَّة إليه بالأَصابعِ ونحوِها ، بما صَحَّ أَنَّه ﷺ فى خُطْبَةِ عَرَفات جعَل يقولُ : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ »؟ فيقولون : نعم . فيَرْفَع

---

(١) فى المطبوعة : « السلف » ، وفى ج : « السابق » ، والمثبت من : ز .

(٢) فى المطبوعة : « وتولى هؤلاء غير الله والله أعلم حيث .. » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٣) سورة الأنعام ١٢٤ . و« رسالاته » بالجمع قراءة غير ابن كثير وحفص وابن محيصن . الإتحاف ٢١٦ .

(٤) فى المطبوعة : « من » ، والتصحيح من : ج ، ز .

(٥) فى المطبوعة : « إلا هؤلاء » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٦) فى المطبوعة : « والتابعين » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٧) فى المطبوعة : « المغمضة » ، والمثبت من : ج ، ز .

أُصْبُعَه إلى السماءِ ويَنْكُتُها[1] إليهم ، ويقول : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » غيرَ مَرَّة . ومن أىِّ دَلالةٍ يدُلُّ هذا على جَوازِ الإشارة إليه؟ هل صدَر منه ﷺ إلَّا أنَّه رفَع أُصْبُعَه ثم نَكَتها[2] إليهم؟ هل فى ذلك دَلالةٌ على أنَّ رفْعَه كان يُشِير به إلى جِهَةِ اللهِ تعالى؟ ولكن هذا من عظيمِ مارسَخ فى ذِهْنِ هذا المُدَّعِى من حديثِ الجِهَةِ ، حتى إنه لوسَمِع مسألةً من عَوِيص الفَرائضِ والوَصايا وأحْكام الحيض ، لَقال : هذه دَالّةٌ على الجِهَةِ .

ثم أتى بالطَّامَّةِ الكبرى والدَّاهِيَةِ الدَّهْياء ، وقال : فَإن كان الحَقُّ مايقولُه هؤلاء السابِقون النَّافُون ، من هذه العباراتِ ونحوِها ، دون مايُفْهَم من الكتابِ والسُّنَّةِ ، إمَّا[3] نَصًّا أو ظاهِرًا ، كيف يجوزُ علَى اللهِ تعالى ، ثمَّ على رسولِه ﷺ ، ثم على خَيْرِ[4] الأُمَّة : أنَّهم يتكلَّمون دائمًا بما هو نَصٌّ أو ظاهرٌ فى خلافِ الحقِّ ، ثم الحقُّ الذى يجب اعتقادُه لايبوحُون به قَطُّ ، ولا يدُلُّون عليه ؛ لانَصًّا ولاظاهِرًا ، حتى يجىء أنْباطُ الفُرس والرُّوم وأفراخُ الهُنُود[5] يُبَيِّنون للأُمَّة العقيدةَ الصحيحةَ ، التى يجب على كلِ مؤلِّفٍ أو فاضلٍ أن يعتقدَها ، لئن كان مايقولُه هؤلاء [المتكلِّمون][6] المتكلِّفون ، هو الاعتقادَ الواجب ، وهم مع ذلك أُحِيلوا على مُجَرَّد عُقولهم ، وأن يَدفَعُوا لِمُقْتَضَى[7] قياسِ عقولِهم مادَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ ، نَصًّا أو ظاهِرًا ، لقد كان تَرْكُ الناسِ بلا كتاب ولا سُنَّةٍ أهْدَى لهم وأنفعَ على هذا التَّقرير[8] ، بل كان وجودُ الكتابِ والسُّنَّةِ ضَرَرًا

---

(١) فى المطبوعة : « وينكثها » ، والتصويب من : ج ، ز ، وصحيح مسلم (باب حجة النبى ﷺ من كتاب الحج) ، ٢ / ٨٩٠ .

(٢) فى المطبوعة : « نكثها » ، والتصويب من : ج ، ز .

(٣) من هنا إلى قوله « عظيم ماوصف من نفسه » ص ٧٥ ساقط من ج .

(٤) فى المطبوعة : « حبر » ، والمثبت من : ز ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « اليهود » ، والمثبت من ز ، ك .

(٦) زيادة من : ز ، ك ، على مافى المطبوعة .

(٧) فى الأصول : « المقتضى » ، ونرى الصواب حذف الألف .

(٨) فى المطبوعة : « التقدير » ، والمثبت من : ز ، ك .

مَحْضًا فى أُصول الدِّين ؛ فإنَّ حقيقةَ الأمر على مايقولُه هؤلاء : أنكم يامعشرَ العِباد لاتطلُبوا[1] معرفةَ اللهِ سبحانه وتعالى ، وما يسْتَحِقُّ مِن الصفاتِ نَفْيًا ولا إثْباتًا ، لامن الكتابِ ولا من السُّنَّةِ ، ولا من طريقِ سَلَفِ الأُمَّةِ ، ولكن انْظروا أنتم ؛ فما وجدتموه مُسْتَحِقًّا له من الصِّفاتِ فصِفُوه به ، سواءٌ كان موجودًا فى الكتابِ والسُّنَّةِ أو لم يكن ، ومالم تجدُوه مُسْتَحِقًّا له فى عقولكم فلا تصِفُوه بها .

ثم قال : هما فريقان ، أكثرُهم يقولُ : مالم تُثْبِتْهُ عقولُكم فانْفُوه[2] ، ومنهم من يقول : بل تَوَقَّفُوا فيه . ومانَفاهُ قياسُ عقولكم الذى أنتم فيه مُخْتَلِفُون ومُضْطَرِبون ، اخْتلافًا أكثرَ من جميعِ اخْتلافٍ على وَجْهِ الأرضِ فانْفُوه ، وإليه عند الشارِع فارجعُوا ، فإنه الحقُّ الذى تعبَّدْتُكم به ، وما كان مذكورًا فى الكتابِ والسُّنَّةِ ممَّا يُخالِف قياسَكم هذا ، أو يُثْبِتُ مالم تُدْرِكْه عقولُكم ، على طريقةِ أكثرِهم ، فاعلموا أنَّنى امْتَحَنْتُكُم بتَنْزيلِه ، لالتأْخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا فى تخْريجِهِ على شَواذِّ اللُّغَةِ ووَحْشِيِّ الألفاظ وغَرائبِ الكلام ، أو تسكتُوا عنه[3] مُفَوِّضين عِلْمَه إلىَّ . هذا حقيقةُ الأمر على رأىِ المتكلِّمين .

هذا ماقاله ، وهو الموضِع[4] الذى صُرِع[5] فيه وتخبَّطه الشيطانُ من المَسِّ ، فنقولُ له : ماتقول[6] فيما ورَد من ذكر العُيونِ بصفة الجمعِ ، وذكْرِ الجَنْب ، وذِكْرِ السَّاق الواحد ، وذكرِ الأيْدِى؟ فإن أخذْنا بظاهرِ هذا يلزمْنا إثْباتُ شخصٍ له وَجْهٌ واحدٌ عليه عيونٌ كثيرة ، وله جَنْبٌ واحد[7] وعليه أَيْدٍ كثيرة ، وله ساقٌ واحد ، فأَىّ[8] شخصٍ يكونُ

---

(١) فى المطبوعة : « لاتطلبون » ، وأثبتناه بصيغة النهى من : ز ، ك ، ويقويه مابعده .

(٢) فى المطبوعة : « فابقوه » ، والتصويب من : ز ، ك .

(٣) كذا فى المطبوعة ، وفى ز ، ك : « غير مفوضين » .

(٤) فى المطبوعة : « الموضح » ، والمثبت من : ز ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « صرح » ، والمثبت من : ز ، ك .

(٦) فى ز ، ك : « ماتقوله » ، وأثبتنا مافى المطبوعة .

(٧) زدنا الواو من : ز ، ك .

(٨) فى المطبوعة : « وأى » ، والمثبت من : ز ، ك .

فى الدنيا أبْشَعَ من هذا ، وإن تصرَّفْتَ فى هذا بجَمْعٍ وتَفْريقٍ بالتَّأويل ، فلِمَ لاذكَره اللهُ ورسولُه وسَلَفُ الأُمَّةِ؟

وقوله تعالى فى الكتاب العزيز : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] فكلُّ عاقلٍ[2] يعلم أنَّ النُّورَ الذى على الحِيطانِ والسُّقوف وفى الطُّرُقِ والحُشُوشِ ليس هو اللهَ تعالى ، ولا قالتِ المَجُوسُ بذلك ، فإن قلتَ بأنَّه هادِى السَّمٰواتِ والأرض ومُنَوِّرُها ، فلِمَ لاقالَه اللهُ تعالى ولارسولُه ولا سَلَفُ الأُمَّةِ؟

وورَد قولُه تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[3] وذلك يقتضِى أن يكونَ اللهُ داخلَ الزَّرْدَمَةِ[4] ، فلِمَ لابَيَّنه[5] اللهُ ولا رسولُه ولاسَلَفُ الأُمَّةِ؟

وقال تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ ﴾[6] ومعلومٌ أن التقرُّبَ فى الجِهَةِ ليس إلَّا بالمَسافةِ ، فلِمَ لابَيَّنه اللهُ تعالى ولارسولُه ﷺ ولاسَلَفُ الأُمَّةِ؟

وقال تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[8] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾[9] ، وقال تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[10] .

---

(١) سورة النور ٣٥ .

(٢) فى المطبوعة : « عالم » ، وأثبتنا مافى : ز ، ك .

(٣) سورة ق ١٦ .

(٤) فى المطبوعة : « الرزدمة » بتقديم الراء على الزاى ، والصواب بتقديم الزاى ، كما فى : ز ، ك . والزردمة : الغلصمة أو موضع الابتلاع . ويقال : زردمه : إذا عصر حلقه . القاموس ، والمعرب للجواليقى ١٧٣ .

(٥) فى المطبوعة : « يبينه » ، والمثبت من : ز ، ك . ويأتى نظيره .

(٦) الآية الأخيرة من سورة العلق .

(٧) سورة البقرة ١١٥ .

(٨) سورة الفجر ٢٢ .

(٩) سورة النحل ٢٦ .

(١٠) الآية الثانية من سورة الأنبياء . وجاء فى الأصول : « ومايأتيهم » وليست الواو فى آية الأنبياء هذه . إنما جاءت فى آية الشعراء ٥ : ﴿ومايأتيهم من ذكر من الرحمٰن محدث﴾ .

وقال ﷺ ، حِكايةً عن ربِّه عَزَّ وجَلَّ : « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » وماصَحَّ فى الحديثِ : « أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ » ، ومِن قوله ﷺ : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ » ، ومِن قولِه ﷺ ، حِكايةً عن ربِّه سبحانه وتعالى : « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي » .

وكُلُّ هذه هل تأمَنُ مِن المُجَسِّم أن يقول لك : ظَواهِرُ هذه كثرةٌ[1] تفوتُ[2] الحَصْرَ أضعاف أحاديثِ الجِهَةِ ، فإن كان الأمرُ كما يقولُ[3] فى نَفْى الجِسْمِيَّةِ ، مع أنَّه لم يَأْتِ فى شىءٍ من هذه مايُبيِّن[4] خِلافَ ظَواهِرِها ، لا عن اللهِ تعالى ، ولا عن رسولِه ﷺ ، ولا عن سَلَفِ الأُمَّة ، فحينئذٍ يَكِيلُ لك المُجَسِّمُ بصَاعِك ، ويقول لك : لو كان الأمرُ كما قلتَ ، لَكان تَرْكُ الناسِ بلا كتابٍ ولا سُنَّةٍ أهْدَى لهم .

وإن قلتَ : إن العمُوماتِ قد بيَّنتْ خلافَ ظواهِرِ هذه ، لم نجد[5] منها نافيًا للجِسْمِيَّة إلَّا وهو نافٍ[6] للجِهَةِ .

ثم مايُؤمنك من تَنَاسُخِيٍّ يفهم من قوله : ﴿ فِى أَيِّ صُورَةٍ مَّاشَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[7] مذهبَه ، ومن مُعَطِّلٍ يفهم من قوله تعالى : ﴿ مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ ﴾[8] مُرادَه ، فحينئذٍ لاتجِدُ مسَاغًا لما تَغَصُّ[9] به من ذلك إلا الأدِلَّةَ الخارجةَ عن هذه الألفاظ ، ثم صار

---

(١) فى المطبوعة : « كثيرة » ، والمثبت من : ز ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « تعدت » ، والمثبت من : ز ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « يقولون » ، والمثبت من : ز ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « بين » ، وأثبتنا مافى : ز ، ك .

(٥) كذا بالنون فى المطبوعة ، وأهمل النقط فى : ز ، ك . ولعل الصواب : « يجد » بالياء التحتية ، ويكون الفاعل المضمر عائدا إلى المجسم .

(٦) فى : ز ، ك : « باق » ، وأثبتنا مافى المطبوعة .

(٧) الآية الثامنة من سورة الانفطار .

(٨) سورة البقرة ٦١ ، ويس ٣٦ .

(٩) فى المطبوعة : « نقص » ، وأثبتنا الصواب من : ز ، ك .

حاصلُ كلامِك أن مَقالةَ الشافعيّة والحنفيّة والمالكيّة ، يلزمُها أن يكون تَرْكُ الناسِ بلا كتابٍ ولاسُنَّةٍ أهْدَى لهم ، أفتَراهم يُكفِّرونَك بذلك أم لا؟

ثم جعلتَ أنَّ مُقتضَى كلامِ المتكلِّمين ، أنَّ اللهَ تعالى ورسولَه وسَلَفَ الأُمَّةِ تركوا العقيدةَ حتى بَيَّنَها هؤلاء ، فقُلْ لنا : إنَّ اللهَ ورسولَه وسَلَفَ الأمَّة بَيَّنُوها ، ثم[1] انقُلْ عنهم أنَّهم قالوا كما تقولُ : إنَّ اللهَ تعالى فى جِهَةِ العُلُوِّ لافى جِهَةِ السُّفْل ، وإن الإشارةَ الحِسِّيّةَ جائزةٌ إليه ، فإذا لم تَجِدْ ذلك فى كتابِ اللهِ تعالى ، ولاكلامِ رسولِه ﷺ ، ولا كلامِ أحدٍ من العَشَرةِ ، ولاكلامِ أحدٍ من السَّابقين الأَوَّلين من المُهاجرين والأنْصار رضىَ الله عنهم ، فعُدْ على نفسِك باللَّائمَةِ ، وقل : لقد ألزمتُ[2] القومَ بما لايلزمُهم ، ولو لَزِمَهم لَكان عليك اللَّوْمُ .

ثم قلتَ عن المُتكلِّمين : إنهم يقولون : مايكونُ على وَفْقِ قياسِ العُقول فقولُوه ، وإلَّا فانْفُوه . والقومُ لم يقولُوا ذلك ، بل قالوا : صِفَةُ الكمالِ يجبُ ثُبوتُهالِلّهِ ، وصفةُ النَّقْصِ يجب نَفْيُها عنه . كما قالَه الإمامُ أحمدُ رضِىَ الله عنه ، قالوا : وماورَد من اللهِ تعالى ومن رسولِه ﷺ فلْيُعْرَضْ على لُغَةِ العرب ، التى أرْسل اللهُ تعالى محمدًا بلُغَتِها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَاأَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[3] فما فهمتِ العربُ فافْهَمْه ، ومن[4] جاءك بما يُخالفه فانبِذْ كلامَه نَبْذَ الحِذَاءِ المُرَقَّع ، واضْرِب بقولِه حائطَ الحُشِّ .

ثم نعقِد فصلًا إن شاء اللهُ تعالى بعد إفْساد مانزَعَ به ، فى سبب ورُودِ هذه الآياتِ على هذا الوَجْهِ ، فإنه إنَّما تلقَّف مانزَع به فى مُخالفةِ الجماعةِ ، وأساء القَوْلَ على المِلَّةِ[5] مِن حُثالة المَلاحدةِ الطَّاعِنين فى القرآن ، وسَنُبَيِّن إن شاء اللهُ تعالى ضلالَهم ، ويُعْلَم إذ ذاك

---

(١) فى المطبوعة : « نقل » ، والتصويب من : ز ، ك .

(٢) فى : ز ، ك : « لزمت » ، والمثبت من المطبوعة .

(٣) الآية الرابعة من سورة إبراهيم .

(٤) فى : ز ، ك : « ما » ، وأثبتنا مافى المطبوعة .

(٥) فى المطبوعة : « المسألة » ، وأثبتنا ما فى : ك . ولم نستطع ابتداء من هذا الموضع الإفادة من النسخة « ز » المحفوظة بدار الكتب المصرية لأسباب خارجة عن إرادتنا .

مَن هو من فِراخ الفلاسفة والهُنود[1] ، ثم لو اسْتَحْيَى الغافل[2] لعَرف مقدارَ عُلماءِ الأُمَّة رحمهم اللهُ تعالى ، ثم هل رأى مَن رَدَّ على الفلاسفةِ والهُنُود[1] والرُّومِ والفُرْسِ غيرَ هؤلاء الذين جعلهم فراخَهم ، وهل اتَّكلوا فى الرَّدِّ على هذه الطَّوائفِ على قومٍ لاعقلَ لهم ولابصيرةَ ولاإدراك ، ثم يَذَرُونهم يَسْتدلُّون على إثْباتِ اللهِ تعالى فى الحِجاج[3] على مُنْكرِه بالنقْل ، وعلى مُنْكرِى النُّبوَّةِ بالنَّقْلِ حتى يصيرَ مُضْغَةً للماضِغ ، وضُحْكةً للمُسْتَهزِئ ، وشَماتةً للعَدُوِّ ، وفَرَحًا للحَسُودِ ، وفى قصة الحسن بن زيادٍ اللُّؤْلُؤِىِّ[4] عبرةٌ للمُعْتبِر .

ثم أخذ بعدَ هذا فى أنَّ الأُمورَ العامَّةَ إذا نفيت عنها إنَّما يكونُ دَلالتُها على سبيلِ الإلْغاز . قلنا : وكذلك المُجسِّم يقولُ لك : دَلالةُ الأُمور العامَّةِ على نَفْى الجِسْمِيَّةِ إلْغاز .

ثم قال بعد هذا : ياسبحانَ اللهِ ، كيف لم يقُل الرَّسولُ ﷺ ، يومًا مِن الدهرِ ، ولا أحدٌ مِن سَلَفِ الأُمَّة : هذه الآياتُ والأحاديثُ لاتعتقدُوا مادَلَّتْ عليه؟ فيُقالُ له : مَاالذى دَلَّتْ عليه حتى يقولُوا إنَّه لايُعْتَقَدُ؟ هذا تشنيعٌ[5] بَحْتٌ .

ثم يقولُ لك المُجسِّمُ : ياسبحانَ اللهِ ، لِمَ لَمْ يقُل رسولُ الله ﷺ ، ولا أحدٌ من سَلَف الأُمَّة : إنَّ الله تعالى ليس بجِسْمٍ ، ولا قالوا : لاتعتقِدُوا[6] من الأحاديثِ المُوهِمَةِ للجِسْمِيّةِ ظَواهِرَها؟

---

(١) فى المطبوعة : « اليهود » ، وأثبتنا مافى : ك . وسبق نظيره قريبا .

(٢) فى ك : « العاقل » ، والمثبت من المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « الحجاب » ، والتصحيح من : ك .

(٤) راجع تاريخ بغداد ٧ / ٣١٤ ، ميزان الاعتدال ١ / ٤٩١ .

(٥) فى المطبوعة : « تشيع » ، وأثبتنا مافى : ك .

(٦) فى المطبوعة : « لايعتقدون » ، وأثبتنا مافى : ك .

ثم اسْتَدَلَّ بقولِه ﷺ فى صِفَةِ الفِرْقَةِ النَّاجيَة : « هو مَنْ كانَ علَى[1] مِثلِ مَا أنا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وأَصْحابى » ، قال المُدَّعِى : فهَلَّا قال : مَن تمسَّك بظاهرِ القرآنِ فى آياتِ الاعْتقادِ فهو ضَالٌّ ، وإنما الهُدَى رُجوعُكم إلى مَقاييس عُقولِكم .

فلْيَعْلمِ الناظرُ أنه ها هنا باهَتَ[2] وزَخْرَفَ[3] وتَشَبَّع بما لم يُعْطَه ، فإنه قد ثبتَ أن طريقَ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه رضىَ الله عنهم : الكَفُّ عن ذلك ، فما نحن[4] الآمِرون به ، وأنه هو ليس بساكتٍ ، بل طريقُه الكلامُ ، وأَمْرُ الدَّهماءِ بوَصْفِ اللهِ تعالى بجِهَةِ العُلُوِّ ، وتَجْويزُ الإشارةِ الحِسِّيَّةِ إليه ، فليت شِعْرِى ، مَن المُوافِقُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه! ولكنْ صدَق القائلُ : رَمَتْنِى[5] بدائِها وانْسَلَّتْ .

ثم المُجَسِّمُ يقولُ له ، حَذْوَ النَّعْلِ بالنعلِ ماقالَه لنا ، ونقول له : لِمَ لاقال رسولُ الله ﷺ : النَّاجيَةُ مَن قال : إنَّ اللهَ فى جِهَةِ العُلُوِّ ، وإنَّ الإشارةَ الحِسِّيَّةَ إليه جائزةٌ؟ فإن قال : هذه طريقةُ السَّلَفِ وطريقةُ[6] الصَّحابة . قلنا : مِن أينَ لك هذا؟ ثم لاتأمن[7] مِن كلِّ مُبْتَدِعٍ أن يدَّعِىَ ذلك .

ثم أفاد المُدَّعِى وأسْنَدَ أنَّ هذه المَقالةَ مأخوذةٌ مِن تلامذة اليهود والمشركين وضُلَّال الصَّابئين . قال : فإنَّ أَوَّلَ مَن حُفِظ عنه هذه المَقالةُ : الجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ ، وأخذَها عنه جَهْمُ

---

(١) فى المطبوعة : « ومن كان عليه مثل ... » ، وأثبتنا الصواب من : ك . وانظر الحديث كاملا فى عارضة الأحوذى ، شرح سنن الترمذى (باب افتراق هذه الأمة) ٧ / ٣٧٩ ، ٤٠٠ ، وتيسير الوصول لابن الديبع (كتاب الفتن والأهواء) ٣ / ١٥٦ .

(٢) فى المطبوعة : « باهى » ، وأثبتنا مافى : ك .

(٣) فى المطبوعة : « تزخرف » ، وأثبتنا مافى : ك .

(٤) فى ك : « وأنا نحن » ، والمثبت من المطبوعة .

(٥) هو مثل ، من كلام إحدى ضرائر رهم بنت الخزرج بن تيم الله بن رفيدة . راجع قصته فى اللسان (ع ف ل) ، ومجمع الأمثال ١ / ١٠٢ ، ٢٨٦ (حرف الباء ، والراء) .

(٦) كذا فى المطبوعة ، وفى : ك : « طريق » .

(٧) كذا فى المطبوعة ، وفى : ك : « يأمن » .

ابنُ صَفْوانَ ، وأظْهرها فنُسِبت مَقالةُ الجَهْمِيَّةِ إليه ، [قال][(١)] : والجعدُ أخَذها عن أَبانِ بنِ سِمْعان ، وأخذها أَبانُ مِن طَالُوتَ بنِ أُخْتِ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَم[(٢)] ، وأخذها طالوتُ من لَبِيدٍ اليَهُودِيِّ الذى سحَر النبىَّ ﷺ . قال : وكان الجعدُ هذا فيما يُقال من أهلِ حَرَّانَ .

فيُقال له : أيها المُدَّعِى أنَّ هذه المَقالةَ مأخوذةٌ من تلامذةِ اليهود ، قد خالفْتَ الضَّرُورةَ فى ذلك ، فإنه مايخفَى على جميعِ الخَواصِّ وكثيرٍ من العَوامِّ أنَّ اليهودَ مُجسِّمةٌ مُشَبِّهاتٌ[(٣)] ، فكيف يكونُ ضدُّ التجْسيمِ والتَّشْبيهِ مأخوذًا عنهم؟ وأمَّا المشركون فكانوا عُبَّادَ أَوْثانٍ ، وقد بَيَّنَت الأئمةُ أَنَّ عَبَدَةَ الأَصْنام تلامذةُ المُشَبِّهةِ ، وأنَّ أصلَ عبادةِ الصَّنَمِ التَّشْبِيهُ ، فكيف يكون نَفْيُه مَأخوذًا عنهم؟ وأمَّا الصابئةُ فبلدُهم معروفٌ وإقْليمُهم مشهور ، وهل نحن منه أو خُصومُنا؟ وأمَّا كَوْنُ الجَعْدِ ابنِ دِرْهَمٍ من أهلِ حَرَّانَ فالنِّسْبةُ صحيحةٌ ، وترتيبُ هذا السَّنَدِ الذى ذكَره سيسأَلُه اللهُ تعالى عنه ، واللهُ مِن ورائِه بالمِرْصاد ، وليت لو أَتْبَعَهُ أنَّ سندَ دَعْواه وعقيدتِه أنَّ فِرْعَونَ ظنَّ أنَّ إِلَهَ موسى فى السماءِ!

ثم أضاف المَقالةَ إلى بِشْرٍ المَرِيسِىِّ[(٤)] ، وذكر أنَّ هذه التَّأْويلاتِ هى التى أَبْطَلَتْها الأئمةُ ، ورَدَّ بها على بِشْرٍ ، وأنَّ ماذكره الأستاذ أبو بكرٍ بنُ فُورَك ، والإمامُ فخر الدين الرَّازِىُّ ، قدَّس اللهُ رُوحَهما ، هو ماذكره بِشْرٌ ، وهذا بَهْرَجٌ لايثبُت على مِحَكِّ النَّظَرِ القويمِ ، ولا مِعْيارِ الفكرِ المُسْتقيم ، فإنه من المُحال أن تُنْكِر الأئمةُ على بِشْرٍ أن يقولَ ماتقولُه العربُ ، وهذان الإمامان ماقالا إلَّا ماقالتْه العربُ ، وما الإنْكارُ على بِشْرٍ إلَّا فيما يخالِفُ فيه لُغَةَ العربِ ، وأن يقولَ عنها مالم تقُلْه .

---

(١) زيادة من : ك ، على ماف المطبوعة .

(٢) فى ك : « أعصم » ، والمثبت من المطبوعة ، وهو المعروف ، راجع أسباب نزول القرآن الكريم ، للواحدى ٥١٣ فى قصة سحر النبى ﷺ .

(٣) كذا فى المطبوعة ، وفى ك : « مشبهة » .

(٤) فى المطبوعة : « المزنى » وهو خطأ ، أثبتنا صوابه من : ك ، وراجع ماسبق ٢ / ١٤٤ ، ٣ / ١٤٧ ، وانظر ترجمة « بشر » فى الأعلام ٢ / ٢٨ .

ثم أخذ بعدَ ذلك فى تصْدِيقِ عَزْوَته إلى المُهاجرين والأنْصار رضىَ الله عنهم ، وشرَع فى النَّقْل عنهم ، فقال : قال الأوْزاعِيُّ : كُنَّا ، والتَّابِعون مُتَوافِرون ، نقول : إنَّ الله ـــ تعالى ذِكْرُه ـــ فوقَ عرشِه .

فنقول له : أوَّلُ مابدأْتَ به الأَوْزاعِيُّ وطبقتُه ومَن بعدَهم ، فأينَ السابِقون الأوَّلون من المُهاجرين والأنْصار؟ وأما قولُ الأَوْزاعِيِّ فأنتَ قد خالفْتَه ، ولم تقُلْ به ؛ لأنَّك قلتَ : إن الله [ليس][1] فوق عَرْشِه ، لأنَّك قَرَّرْت أن العرشَ والسماءَ ليس المُرادُ بهما إلَّا جِهَةَ العُلُوِّ ، وقلت : المُرادُ من فوق عرشِه ، والسماءُ ذلك ، فقد خالفْتَ قولَ الأَوْزاعِيِّ صريحًا ، مع أنَّك لم تقُلْ قَطُّ مايُفْهَم ، فإن[2] قَرَّرْتَ أن السماءَ فى العرشِ كحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فى فَلاةٍ ، فكيف تكونُ هى هو[3]؟ ثُمَّ مِن أينَ لك صِحَّةُ هذا النَّقْلِ عن الأَوْزاعِيِّ؟

وبعد مُسامحتِك فى كلِّ ذلك ، ماقال الأَوْزاعِيُّ : اللهُ فوقَ العرشِ حقيقةً ، فمن أين لكَ هذه الزِّيادة؟!

ونقَل عن مالكِ بنِ أنسٍ والثَّوْرِيِّ واللَّيْثِ والأَوْزاعِيِّ ، أنَّهم قالوا فى أحاديثِ الصِّفاتِ : أمِرُّوها[4] كما جاءتْ . فيُقال له : لِمَ لاأمْسَكْتَ على ماأَمَرَتْ به الأئمةُ؟ بل وَصَفتَ اللهَ بجِهَةِ العُلُوِّ! ولم يرِدْ بذلك خبرٌ ، ولو بذَلْتَ قِرابَ الأرْضِ ذَهَبًا على أن تسمعَها من عالمٍ رَبَّانِيٍّ لم تفْرَحْ بذلك ، بل تصرَّفْتَ ونقَلْتَ على ماخطَر لك ، وما أمْرَرْتَ ولا أَقْرَرْتَ ولا امْتثلْتَ مانقلتَه عن الأئمةِ .

وروَى قولَ رَبيعةَ ومالكٍ : الاسْتواءُ غيرُ مجهولٍ . فليت شِعْرِى! مَن قال إنَّه مجهولٌ؟ بل أنتَ زَعَمْتَ أنه لِمَعْنًى عَيَّنْتَه وأرَدْتَ أن تَعْزُوَهُ إلى الإمامَين ، ونحن لانسْمَحُ لك بذلك .

---

(١) سقط من : ك ، وأثبتناه من المطبوعة .

(٢) كذا فى المطبوعة ، وفى : ك : « فإنك قررت » .

(٣) فى المطبوعة : « تكون هى بعد » . وأثبتنا الصواب من : ك .

(٤) فى المطبوعة : « أقروها » . والمثبت من : ك ، وسيأتى نظيره .

ثم نقَل عن مالكٍ أنه قال للسائلِ : الإيمانُ به واجبٌ ، والسُّؤالُ عنه بِدْعَةٌ ، ومأأَراكَ إلَّا مُبْتَدِعًا . فأمَر به فأُخْرِج . فيُقال له : ليت شِعْرِى! مَن امتثَل مِنّا قولَ مالك؟ هل امتثلْناه نحن ، حيث أَمَرْنا بالإمساك ، وأَلْجَمْنا العَوامَّ عن الخَوض فى ذلك ، أو الذى جَعَله دِراستَه[1] ، يُلْقيه ويُلَقِّنه [ويُلَقِّنه][2] ويَكتُبه ويُدَرِّسه ، ويأمر العَوامَّ بالخَوْض فيه؟ وهل أَنكَر على المُسْتَفْتِى فى هذه المسألة بعَينها ، وأَخْرَجه ، كما فَعل مَالكٌ رضى الله عنه فيها بعَيْنها؟ وعند ذلك يَعلم أن مانَقلَه[3] عن مالكٍ حُجَّةٌ عليه لا له .

ثم نقَل عن عبدِ العزيز بن عبد الله بن أبى سَلَمَة الماَجِشُون ، أنه قال وقد سُئِل عمّا جَحَدت به الجَهْمِيَّةُ : [4][أمّا بعد ، فقد فهِمتُ فيما سألتَ فيما السامعت[5] الجَهْمِيّة][4] ومَن خالفها فى صِفِة الرّبِّ العظيم الذى فاقَتْ عظمتُه الوصفَ والتَّقدير ، وكَلَّت الألسنُ عن تفسير صِفته ، وانحَسَرت[6] العقولُ دُونَ معرفةِ قُدْرَتِه ، رَدَّت عظمتُه العقولَ فلم تجد مَساغًا فرَجَعت خاسِئةً وهى حَسِيرة ، وإنما أُمِروا بالنظر والتفكُّر فيما خَلَق بالتقدير ، وإنما يقال : « كَيْفَ » لمن لم يكن مَرَّةً ثم كان ، فأما الذى لايَحُول ولايَزُول ، ولم يَزَلْ ، وليس له مِثْل ، فإنه لايَعلَمُ كيفَ هو إلّا هو ، وكيف يُعْرَفُ قَدْرُ مَن لم يَبْدأ ومَن لايموت ولايَبْلَى؟ وكيف يكون لِصفةٍ[7] شىءٍ منه حدٌّ أو منتهى يعرفهُ عارِف ، أو يَحُدّ قَدْرَه واصِف؟ على أنه الحَقُّ المُبين ، لاحَقَّ أحَقُّ منه ، ولاشىءَ أَبْيَنُ منه .

والدليلُ على عَجز العُقول عن تحقيقِ صِفته عَجْزُها عن تحقيق صِفةِ أصغرِ خَلْقِه ، فلا تكاد تراه صغيرًا يَحُول ويَزُول ، ولايُرَى له سَمعٌ ولابَصرٌ ، بل[8] مايَتَقلَّب به

---

(١) كذا فى المطبوعة ، وفى : ك : « داسته » .
(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ك .
(٣) فى المطبوعة : « قاله » ، والمثبت من : ك .
(٤) ما بين الحاصرتين ، سقط من المطبوعة ، ومكانه فيها بياض ، وأثبتناه من : ك .
(٥) هكذا وردت الكلمة فى : ك ، ولم نعرف صوابها .
(٦) فى المطبوعة : « انحصرت » ، وأثبتناه بالسين من : ك .
(٧) فى المطبوعة : « لصفته لشىء منه حدًا ومنتهى » ، والتصحيح من : ك .
(٨) كذا فى المطبوعة ، وفى : ك « لما » .

ويحتال مِن عقلِه أعْضَلُ بك وأخْفَى عليك مِمّا ظهَر مِن سَمعه وبصرِه ، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين وخالِقُهم ، وسيِّدُ الساداتِ وربُّهم .

ثم نقل عنه الأحاديثَ الواردة فى الصِّفات ، وذكر قوله : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَوٰاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه ﴾[1] قال : فواللهِ مادَلَّهُم على[2] عظيم ماوَصَف مِن نفسِه ، وماتُحِيط به قَبْضَتُه إلّا صغر نظرها[3] منهم عندهم أن ذلك الذى أُلْقِىَ فى رُوعِهم وخلق على معرفة قلوبهم ، فما وَصَف مِن نفسِه فسَمّاه على لسانِ رسولِه ﷺ ، سَمَّيناه كما سَمّاه ، ولم نَتكلَّفْ[4] منه صِفَةً مّاسِواه ، لا هذا ولاهذا ، لانَجْحَدُ ماوَصَفَ ، ولا نَتكَلَّفُ مَعرِفَةَ مالم يصِفْ[5] .

وبَسَط الماَجِشُون كلامَه فى تقرير هذا .

فنقول لهذا الحاكِى : نِعْمَ الحُجَّةُ أتيتَ بها ، ولكن لَنا ، ونِعْم السِّلاحُ حمَلْتَ ، ولكن لِلْعِدَى .

أمّا كلامُ عبدِ العزيز رضى الله عنه ، وماذَكر من كبرياء الله وعظمتِه ، وأنها تُحَيِّر العقولَ ، وتَشْدَهُ[6] الفُهوم ، فهذا قاله العُلماءُ نَظْمًا ونَثْرا ، وأنت أَزْرَيْتَ على سادات الأئمّة وأعلامِ الأمّة فى ثانى صفحة نَزَغْتَ[7] بها ، حيث اعترفوا بالعَجْز والتقصير ، ونَعَيْتَ[8] عليهم ذلك ، وَعَدَدْته عليهم ذَنْبا ، وأنت معذورٌ وهم معذورون ، وجعلت قولَ عبدِ العزيز حُجَّتَك[9] ، وقد ذكر[10] فى القَبْضَة مايقوله المُتكلِّمون فى كلِّ مَوضِع،

---

(١) سورة الزمر ٦٧ .

(٢) هنا انتهى سقط النسخة « ج » السابق فى صفحة ٦٥ .

(٣) هكذا فى الأصول ، وسياق الكلام غير ظاهر .

(٤) فى المطبوعة : « ولا لم يتكلم منه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « يتصف » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٦) فى المطبوعة : « وتبز » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٧) فى المطبوعة : « ترغب » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . وسبق هذا الفعل قريبا .

(٨) فى المطبوعة : « وتعيب » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٩) فى المطبوعة : « حجة » ، والمثبت من : ج ، ك .

(١٠) فى المطبوعة : « وقد ذكرنا فى القضية » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

وأَمْرُ عبدِ العزيز أن يَصِفَ الربَّ بما وَصَف به نفسَه ، وأن يسكتَ عمّا وراءَ ذلك ، وذلك قولُنا وفِعْلُنا وعَقْدُنا[1] وأنت وصَفْتَه بجهة العُلُوّ ، وما وصَفَ[2] بها نفسَه ، وجَوَّزْتَ الإشارةَ الحِسِّيَّةَ إليه ، وماذَكرها ، ونحن أَمْرَرْنا[3] الصِّفاتِ كما جاءت ، وأنت جمعتَ بين العرشِ والسماء بجِهَة[4] العُلُوّ ، وقلت : فى السماء حقيقة ، وفى العرش حقيقة ، فسُبحانَ واهبِ العقولِ ، ولكن كان ذلك فى الكتاب مَسْطُورًا .

ثم ذَكر عن محمد بن الحسن اتّفاقَ الفقهاء على وَصْفِ الربّ بما جاء فى القرآن وأحاديثِ الصِّفات .

فنقول له : نحن لانترُكُ مِن هذا حرفًا ، وأنت قلت : أَصِفُ الربَّ تعالى بجِهة العُلُوّ ، وأُجَوِّز الإشارةَ الحِسِّيَّةَ إليه ، فأين هذا فى القرآن وأخبارِ الثِّقات؟ ماأَفَدْتَنا فى الفُتْيا من ذلك شيئًا .

ونَقل عن أبى عُبيد القاسم بن سَلّام رضى الله عنـه ، أنه قال : إذا سُئِلْنا عن تفسيرها لانُفسِّرُها، وأنه قال : ماأَدْرَكْنا أحدًا يُفسِّرها .

فنقول له : الحمدُ لله ، حصَل المقصودُ ، ليت شِعْرِى! مَن فَسَّر السماءَ والعرشَ وقال : معناهما جِهَةُ العُلُوّ ، ومَن ترك تفسيرَهما وأَمَرَّهما كما جاءا؟

ثم نَقل عن ابن المُبارَك رضى الله عنه ، أنه قال : يُعْرَف ربُّنا بأنه فوقَ سمائه على عرشِه ، بائنٌ مِن خَلْقِه ، ولا نقول كما تقول الجَهْمِيّة إنه هاهنا فى الأرض .

فنقول له : قد نَصّ عبدُ الله أنه فوقَ سمائِه على عَرْشِه ، فهل قال عبدُ الله : إن السماءَ والعرشَ واحدٌ ، وهى جهَة العُلُوّ ؟

---

(١) فى المطبوعة : « عقيدتنا » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « به » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « أقررنا » ، وأثبتنا مافى ج ، ك . وسبق نظير هذا الفعل قريبا ، ويأتى أيضا .

(٤) فى المطبوعة : « بصفة » ، والمثبت من : ج ، ك . وسيأتى كثيرا .

ونَقل عن حَمّاد بن زيد أنه قال : هؤلاء الجَهْمِيَّةُ إنما يُحاوِلون أن يقولوا : ليس فى السماء شىءٌ .

فنقول له أيضًا : أنت قلتَ بمقالتهم ، فإنك صرَّحتَ بأن السماءَ ليس هى ذاتَها ، بل المعنى الذى اشتُقَّتْ منه ، وهو السُّمُوّ ، وفسَّرتَه بِجهة العُلُوّ ، فالأولى لك أن تَنْعَى على نفسِك مانَعاه حَمّادٌ على الجَهْمِيّة .

ونَقل عن ابن خُزَيْمةَ أن من لم يقُلْ إن اللهَ فوقَ سمواته على عرشه ، بائنٌ مِن خَلْقِه ، وجَب أن يُسْتتابَ ، فإن تاب وإلّا ضُرِبتْ عُنُقه ، ثم أُلْقِيَ على مَزْبَلَة ، لئلّا يَتأذَّى به أهلُ القِبْلة وأهلُ الذِّمّة .

فيقال له : الجوابُ عن مثل هذا قد تقدَّم ، على أنّ ابنَ خُزَيمةَ قد عَلِم الخاصُّ والعامُّ حديثَه فى العقائد ، والكتابُ الذى صنَّفه فى التشبيه ،وسَمّاه بالتوحيد[1]، ورَدُّ الأئمةِ عليه أكثَرُ من أن يُذْكَرَ ، وقولُهم فيه ماقاله[2] هو[3] فى غيرِه ، معروفٌ .

ونَقل عن عَبّاد الواسطِىّ ، وعبدِ الرحمن بن مَهْدِىّ ، وعاصم بن علىّ بن عاصم ، نَحْوًا ممّا نَقله عن حَمّاد ، وقد بَيَّنّاه .

ثم ذكر بعد ذلك ماصَحَّ عن أنس بن مالك رضى اللهُ عنه ، قال : كانت زينبُ تفتخر على أزواجِ النّبىِّ ﷺ ، تقول : زَوَّجَكُنَّ أهالِيكُنّ ، وزَوَّجَنِى اللهُ مِن فوقِ سبعِ سموات[4] .

فنقول : ليس فى هذا الحديثِ أنّ زينبَ قالت : إن اللهَ فوقَ سبعِ سموات ، بل إن تَزْويجَ اللهِ إيّاها كان من فوقِ سبعِ سموات .

---

(١) طبع هذا الكتاب طبعة جيدة بتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، عن مكتبة الرشد بالرياض ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

(٢) فى المطبوعة ،ك : « ماقالوه » ،وأثبتنا ما فى : ج .

(٣) فى المطبوعة : « له هو » ،وحذفنا « له » كما فى : ج ،ك .

(٤) فى : ج ،ك : « سمواته » ،وأثبتنا ما فى المطبوعة ،ومثله فى الاستيعاب ١٨٥٠ ،والعقد الثمين ٢٢٧/٨ .

ثم نَقَل عن أبى سُليمان الخَطّابىّ مانقله عن عبدِ العزيز الماَجِشُون ، وقد بَيّنّا مُوافقَتنا له ، ومُخالَفَته لذلك .

وحكاه أيضًا عن الخطيب ، وأبى بكر الإسماعيلىّ ، ويحيى بن عَمّار ، وأبى إسماعيلَ الهَرَوِىّ ، وأبى عثمانَ الصابُونِىّ .

وحَكَى عن أبى نُعَيم الأصْبَهانىّ أن الأحاديثَ الثابتةَ فى الاستِواء يقولون بها ، ويُثْبتونها من غير تكييف ولاتمثيلٍ ولاتشبيه ، وهو مُستَوٍ على عرشِه فى سمائه دُونَ أرضِه .

وحكاه عن مَعْمَر الأصْبَهانىّ ، وقد بَيّنّا لك غيرَ ما مَرَّةٍ أنَّه مُخالِفٌ لهذا ، وأنه ماقال به طَرْفَةَ عَينٍ إلّا ونقَضَه ؛ لأنّ السماءَ عندهُ ليست هى المعروفةَ ، وأن السماءَ والعَرْشَ لامعنى لهما إلّا جِهَةُ العُلُوّ .

وحَكَى عن عبد القادر الجِيلِىّ أنه قال : اللهُ بجِهة العُلُوّ مُسْتَوٍ على عَرشِه . فليت شِعْرِى! لِمَ احْتَجّ بكلامِه وتَرَك مِثلَ جعفر الصادِق والشِّبْلِىّ والجُنَيْد وذى النُّون المِصْرِىّ وجعفر بن نُصَير ، وأضرابِهم رضى الله عنهم؟

وأمّا ماحكاه عن أبى عمر بن عبد البَرّ ، فقد عَلِم الخاصُّ والعامُّ مَذْهَبَ الرجُلِ ومُخالفَةَ الناسِ له ، ونَكِيرُ المالكيّة عليه ، أوَّلًا وآخِرًا مَشْهور ، ومُخالفَتُه لإمام المغرب أبى الوليد الباجِىّ مَعْروفة ، حتى إنّ فُضَلاءَ المغرب يقولون : لم يكن أحدٌ بالمغرِب يَرَى هذه المَقالةَ غيرَه وغيرَ ابنِ أبى زيد ، علَى[1] أن العلماء : منهم مَن قد اعتذر عن ابن أبى زيد ، بما هو موجودٌ فى كلام القاضى الأجَلِّ أبى محمد عبد الوَهّاب البغدادىّ المالكىّ ، رحمه الله .

ثم إنه قال : إنّ اللهَ فى[2] السماء على العرش ، مِن فوقِ سبع سموات ، ولم يَعْقِلْ مامعنى فى السَّماء على العرش من فوق سبع سموات .

---

(١) فى المطبوعة : « غير » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .
(٢) فى المطبوعة : « إن الله فوق فى السماء » . وأثبتنا مافى : ج ، ك .

ثم إنّ ابنَ عبد البَرّ ماتأوَّلَ هذا الكلامَ ، ولا قال كمقالَةِ[1] المُدَّعِى إن المُرادَ بالعَرْش والسماء جِهَةُ العُلُوّ .

ثم نَقل عن البَيْهَقِىّ رحمه الله ، مالاتَعلُّقَ له بالمسألة ، وأعاد كلامَ مَن سَبق ذِكرُه .

ثم ذكر بعدَ ذلك شيخَنا أبا الحسن علىَّ بن إسماعيل الأشعرىَّ ، وأنه يقول : الرحمنُ على العرش اسْتَوَى ، ولانتَقدَّمُ بين يَدَى الله تعالى فى القول ، بل نقول : اسْتَوَى بلا كَيْف .

وهذا الذى نَقله عن شيخنا هو نِحْلَتُنا وعقيدتُنا ، لكنْ نقلُه لكلامِه مأراه[2] إلا قَصْدَ الإيهام أنَّ الشيخَ يقول بالجِهة ، فإن كان كذلك فلقد[3]بالَغَ فى البَهْت .

وكلامُ الشيخِ فى هذا أنه قال : كان ولا مَكان ، فخَلَق العَرْشَ والكُرسِىَّ ، فلم يَحتَجْ إلى مكان ، وهو بَعْدَ خَلْقِ المكانِ كما كان قبلَ خَلْقِه .

وكلامُه وكلامُ أصحابِه رحمهم الله يَصْعُب حَصرُه فى إبطالِها .

ثم حكى ذلك عن القاضى أبى بكر ، وإمام الحرَمَيْن .

ثم تَمسَّك برَفْع الأيْدِى إلى السماء ، وذلك إنما كان لأجْلِ أن السماءَ مَنْزِلُ البركاتِ والخيرات ، فإنّ[4] الأنوارَ إنما تَنْزِلُ منها والأمطار ، وإذا أَلِفَ الإنسانُ حُصولَ الخيراتِ من جانبٍ مالَ طَبْعُه إليه ، فهذا المعنى الذى أوْجَب رَفْعَ الأيدِى إلى السماء ، وقال الله تعالى : ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[5] .

ثم [إن][6] اكتفَى بمِثْل هذه الدَّلالةِ فى مَطالبِ أُصولِ العَقائد ، فما يُؤمِّنه مِن

---

(١) فى المطبوعة : « بمقالة » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « ماأراد به » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « فقد » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « لأن » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) سورة الذاريات ٢٢ .

(٦) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

مُدَّعٍ يقول : اللهُ تعالى فى الكَعْبة ؛ لأن كُلَّ مُصَلٍّ يُوجِّه وَجْهَه إليها ، ويقول : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] .

أو يقول : اللهُ فى الأرض ، فإن الله تعالى قال : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[2] والاقترابُ بالسُّجود فى المَسافة إنما هو فى الأرض . وقال النبىُّ ﷺ : « أَقْرَبُ مَايَكُونُ العَبْدُ فِى سُجُودِهِ » .

ثم ذكر بعد ذلك ماأَجَبْنا عنه مِن حديثِ الأوعال .

وذكر بعدَ ذلك مالاتَعَلُّقَ له بالمسئلة ، وأخذ يقول : إنه حَكَى عن السَّلَف مِثْلَ مَذْهبِه ، وإلى الآن ماحَكَى مَذْهبَه عن أحدٍ ، لامِن سَلَفٍ ولا مِن خَلَفٍ ، غيرَ عبد القادر الجِيلىّ ، وفى كلامِ ابن عبد البَرّ بَعْضه ، وأمّا العشرة وباقى الصحابة رضى الله عنهم ، فما نَبَس[3] عنهم بحرفٍ .

ثم أخذ بعدَ ذلك فى مَواعِظَ وأدعيةٍ ، لاتَعلُّقَ لها بهذا .

ثم أخذ فى سَبِّ أهلِ الكلام ورَجْمِهم ، وماضَرَّ القَمَرَ مَن نَبَحَه .

وقد تبيَّن بما ذكرناه أن هذا الحَبْرَ الحُجَّةَ يُرَجِّم فُتياه أنه يقول ماقاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ولم ينقُلْ مَقالَته عن أحدٍ من الصحابة .

وإذ قد أتينا على إفْسادِ كلامِه ، وإيضاحِ إيهامه ، وإزالةِ إبهامه ، ونَقْض إبْرامِه ، وتَنْكيسِ أعلامِه ، فلنأخُذْ بعدَ هذا فيما يتعلَّقُ بغَرَضِنا وإيضاحِ نِحْلتِنا ، فنقول وبالله التوفيق :

على سامعِ هذه الآياتِ والأخبار المُتعلِّقة بالصِّفات ماقدَّمناه[4] من الوظائفِ ، وهى التقديسُ والإيمانُ والتصديقُ ، والاعترافُ بالعَجْز ، والسُّكوت والإمساكُ عن التصرُّفِ فى الألفاظ الوارِدَة ، وكَفُّ الباطِنِ عن التَّفكُّر فى ذلك ، واعتقادُه أنّ ماخَفِىَ عنه

---

(١) سورة الأنعام ٧٩ .

(٢) الآية الأخيرة من سورة العلق .

(٣) فى المطبوعة : « نبث » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « قررناه » ، والمثبت من : ج ، ك .

لم يَخْفَ عن رسولِ الله ﷺ ، ولا عن الصِّدِّيق ، ولا عن أكابرِ الصَّحابة رضى الله عنهم .

ولنأخُذ الآنَ فى إبراز اللَّطائفِ من خَفِيَّاتِ هذه الوظائف ، فأقول وبالله المستعان :

أما التقديسُ فهو أن يَعْتَقِدَ فى كلِّ آيةٍ أو خَبَرٍ معنًى يَليقُ بجَلالِ الله تعالى ، مِثالُ ذلك : إذا سَمِع قولَه ﷺ : « إنّ الله يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا » وكان النُّزول يُطلَقُ على مايَفْتَقِرُ إلى جِسْمٍ عالٍ ، وجِسمٍ سافِلٍ ، وجِسمٍ مُنتَقِلٍ من العالِى إلى السافِل ، والزَّوالُ[1] : انتقالُ جسمٍ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ، ويطلَقُ على معنًى آخَرَ لايفتقر إلى انتقالٍ ولاحَرَكة جسمٍ ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾[2] مع أنّ النَّعَمَ لم تَنزِلْ من السماء ، بل هى مخلوقةٌ فى الأرحام قَطْعًا ، فالنّزولُ له معنًى غيرُ حَرَكةِ الجسمِ ، لامَحالةَ .

وفُهِم ذلك من قَوْل الإمام الشافعِىِّ رضى الله عنه : دخَلْتُ مِصْرَ فلم يفهموا كلامى ، فنَزلْتُ ثم نزلتُ ثم نزلتُ . ولم يُرِدْ حينئذٍ الانتقالَ مِن عُلْوٍ إلى سُفْل .

فلْيتحقَّق السامعُ أن النُّزولَ ليس بالمعنى الأوّل فى حَقّ اللهِ تعالى ، فإنّ الجسمَ على الله مُحالٌ .

وإن كان لايَفْهَمُ من النُّزولِ الانتقالَ ، فيقال له : مَن عَجَز عن فَهْمِ نُزُولِ البعيرِ فهو عن فَهْمِ نُزولِ الله عزّ وجلّ أعْجَزُ . فاعْلَمْ أنّ لهذا معنًى يليقُ بجَلاله .

وفى كلام عبد العزيز الماَجِشُون السابق إلى هذا مَرامِزُ .

وكذلك لفظة « فَوْقَ » الواردةِ فى القرآن والخَبَر ، فلْيُعْلَمْ أنّ « فَوْقَ » تارةً تكون للجِسمِيّة ، وتارةً للمَرْتَبة ، كما سَبَق ، فلْيُعْلَمْ أنّ الجِسْمِيَّةَ على الله مُحالٌ . وبعد ذلك : إن له معنًى يليق بجَلاله تعالى .

---

(١) فى المطبوعة : « وإلى انتقال » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٢) الآية السادسة من سورة الزمر .

وأما الإيمانُ والتصديقُ به ، فهو أن يُعْلَمَ أن رسولَ الله ﷺ صادِقٌ فى وصْفِ الله تعالى بذلك ، وماقاله حَقٌّ لارَيْبَ فيه ، بالمعنى الذى أراده ، والوَجْهِ الذى قاله[1] ، وإن كان لايَقِفُ على حقيقته ، ولا يَتَخبَّطُه الشيطانُ فيقول : كيف أُصَدِّقُ بأمْرٍ جُمْلِيٍّ[2] لاأعرِفُ عينَه ، بل يُخْزِى الشَّيطانَ ، ويقول : كما إذا أخبرنى صادِقٌ أنّ حيوانًا فى دارٍ ، فقد أدركتُ وجودَه ، وإن لم أعرِف عَيْنَه ، فكذلك هاهنا .

ثم لِيَعْلَمْ أنّ سيِّدَ الرسلِ ﷺ قد قال : « لَا أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » وقال سيِّدُ الصِّدِّيقين رضى الله عنه : العَجْزُ عن دَرْكِ الإدْراكِ إدْراكٌ .

وأمّا الاعترافُ بالعَجْز : فواجِبٌ على كلِّ مَن لايَقِفُ على حقيقة هذه المعانى الإقرارُ بالعَجْز ، فإن ادَّعَى المعرفة فقد كلف ، وكلُّ عارِفٍ وإن عَرَف فما خَفِىَ عليه أكثَرُ .

وأما السكوتُ فواجبٌ على العَوامِّ[3] ، لأنه بالسؤال يتعرَّضُ[4] لما لايُطِيقُه ، فهو إن سأل جاهِلًا زاده جهلًا ، وإن سأل عالمًا لم يمكن العالِمَ إفهامُه ، كما لايمكن البالغَ تعليمُ الطِّفل لَذَّةَ الجِماع ، وكذلك تعليمُه مصلحةَ البيتِ وتدبيرَه ، بل يُفْهمه مصلحتَه فى خُروجِه إلى المَكْتَب .

فالعامِّىُّ إذا سأل عن مِثل هذا يُزْجَرُ ويُردَع ، ويقال له : ليس[هذا][5] بعُشِّكِ فادْرُجِى . وقدأمَر مالكٌ بإخراجِ مَن سأله ، فقال : ماأراكَ إلا رَجُلَ سوءٍ ، وعَلاه الرُّحَضاء[6] ، وكذلك فعل عمرُ رضى الله عنه بكلِّ مَن سأل عن الآياتِ المُتشابِهة ، وقال صلّى الله عليه

---

(١) فى المطبوعة : « أراده » ، والتصحيح من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « جمل » ، والتصحيح من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « العموم » ، والمثبت من : ج ، ك ، وسيأتى مايشهد له .

(٤) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « يعرض مالايطيقه » .

(٥) سقط من : ج ، ك ، وأثبتناه من المطبوعة ، ومجمع الأمثال ٢ / ١٨١ ، واللسان (درج) .

(٦) الرحضاء : العرق .

وسلم : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ » . ووَرَد الأمرُ بالإِمساكِ عن القَدَر ، فكيف [عن][1] الصِّفات ؟

وأمّا الإِمساكُ عن التصرُّفِ فى هذه الأخبار والآيات ، فهو أن يقولَها كما قالها اللهُ تعالى ورسولُه ﷺ ، ولا يَتصرَّفُ فيها بتفسيرٍ ولاتأويل ، ولا تَصريفٍ ولا تَفْريقٍ ولاجَمْع .

فأمّا التفسيرُ : فلا يُبَدِّل لفظَ لغةٍ بأُخرى ، فإنه قد لايكون قائمًا مَقامَه ، فربّما كانت الكلمة تُسْتَعار فى لُغةٍ دونَ لغة ، وربّما كانت مشتَرَكةً فى لغةٍ دونَ لغة ، وحينئذٍ يعظُم الخَطْبُ بتَرك الاستعارة ، وباعتقادِ أنّ أحدَ المَعْنَيَين هو المرادُ بالمشتَرك .

وأما التأويل : فهو أن يَصرِفَ الظاهِرَ ، ويتعلَّقَ بالمَرجُوح ، فإن كان عامِّيًّا فقد خاض بحرًا لاساحِلَ له ، وهو غير سابِحٍ ، وإن كان عالمًا لم يَجُز له ذلك إلا بشَرائطِ التأويل ، ولا يَدخُل مع العامّىّ فيه ، لعَجزِ العامِّىّ عن فَهمه .

وأمّا كَفُّ باطِنه : فلئلّا يتوغَّلَ فى شىء يكون كُفْرًا ، ولايتمكَّنَ من صَرفِه عن نفسه ، ولايمكن غيرَه ذلك .

وأمّا اعتقادُه أن النبىَّ ﷺ يَعْلَم ذلك ، فلْيَعْلَمْه ، ولا يَقِسْ نفسَه به ولا بأصحابِه ، ولا بأكابرِ العلماء ، فالقُلوبُ مَعادِنُ وجَواهِرُ .

ثم الكلامُ بعد هذا فى فصلين : أحدهما فى تنزيه اللهِ تعالى عن الجِهة ، فنقول :
الأوّل : أنّ القومَ إن بَحثُوا بالأخبار والآثار فقد عرفتَ مافيها ، وأنهم ماظَفِرُوا بصَحابىٍّ ولا تابِعِىٍّ يقول بمَقالتهم ، على أن الحقَّ فى نفس الأمرِ أنّ الرّجالَ تُعْرَف بالحَقِّ ، وَلايُعْرَف الحَقُّ بالرّجال ، وقد روى أبو داوُدَ فى سنَنه[2] ، عن مُعاذٍ رضى الله عنه

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة .

(٢) فى (باب لزوم السنة ، من كتاب السنة) ٤ / ٢٨٢ ، ومارواه أبو داود يختلف كثيرا عما حكاه المصنف .

أنه قال : اقْبَلُوا الحقَّ مِن كُلِّ مَن جاء به وإن كان كافِرًا ، أو قال : فاجرًا ، واحْذَرُوا زَيْغَةَ الحكِيم ، قالوا : كيف نعلمُ أنّ الكافِرَ يقول الحَقّ؟ قال : إنّ على الحَقِّ نُورًا . ولقد صدَق رضى الله عنه .

ولو تُطُوِّقَتْ قِلادةُ التقليد لم نأمن أنَّ كافرًا يأتينا بمَن هو مُعَظَّمٌ فى مِلَّته ، ويقول : اعرَفُوا الحقَّ بهذا .

وإذ قد عَلِمتَ أن القومَ لامُسْتَرْوَحَ لهم فى النَّقل ، فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُخاطِب إلّا أُولى العقولِ والألباب والبصائر ، والقرآنُ طافِحٌ بذلك ، والعقلُ هو المُعَرِّفُ بوجود الله تعالى ووَحْدته ، ومُبَرْهِنُ رِسالةِ أنبيائه ، إذ لاسبيلَ إلى معرفة إثبات ذلك بالنَّقل ، والشَّرعُ قد عَدَّل العقلَ وقَبِل شَهادتَه ، واستَدلَّ به فى مواضعَ من كتابه ، كالاستدلال بالإنشاء على الإعادة[1] وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾[2] ولقد هدم اللهُ تعالى بهذه الآية مَباحثَ الفلاسفة فى إنكار المَعاد الجُسْمانِىّ .

واستدلَّ به على التوحيد ، فقال الله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[6] .

---

(١) كذا بالأصول . ولعل صواب الكلام : « فى قوله تعالى » أو « وهو قوله تعالى » . ونحو ذلك .

(٢) سورة يس ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء ٢٢ .

(٤) سورة المؤمنين ٩١ .

(٥) سورة الأعراف ١٨٥ .

(٦) سورة يونس ١٠١ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾[2] .

فيا خَيْبةَ مَن رَدَّ شاهِدًا قَبلَه الله ، وأَسْقَط دليلًا نَصَبه الله .

فَهم يُلْغُون[3] مِثلَ هذا ويَرجعُون إلى أقوال مشايخهم ، الذين لو سُئل أحدُهم عن دينه لم يكن له قُوَّةٌ على إثباته ، وإذا رُكِضَ عليه فى مَيدان التَّحقيق جاء سُكَيْتًا[4] وقال : سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلتُه .

وفى صحيح البُخارِىّ فى حديث الكُسُوف مايُعْرَف به حديثُ هؤلاء فى قُبورِهم[5] .

وبعد ذلك يقول العقلُ الذى هو مَناطُ التكليف ، وحاسَبَ اللهُ تعالى الناسَ به ، وقَبِل شهادتَه ونَصَبه[6] ، وأثبت به أُصُولَ دِينه ، وقد شَهِد بخُبْث هذا المَذْهَب ، وفسادِ هذه العَقيدة ، وإنها آلتْ إلى وَصْفِه تَعالَى بالنَّقائص ، تَعالَى اللهُ عمَّا يقولُ الظالِمُون عُلُوًّا كَبيرًا .

وقد نَبَّهَتْ مَشايخُ الطَّريق على ماشَهِد به العقلُ ، ونَطَق به القرآن ، بأسلوبٍ فَهِمَتْه الخاصَّة ، ولم تَنْفِرْ منه العامَّةُ .

وبَيانُ ذلك بوجوه :

البُرهانُ الأول :

وهو المُقْتَبَسُ مِن ذِى الحَسَب الزَّكِىّ ، والنَّسَب العلِىّ ، سيِّدِ العلماء ، ووارِثِ خير الأنبياء ، جَعْفَر الصادِق ، رضى الله عنه ، قال : لو كان اللهُ فى شيءٍ لكانَ مَحْصُورا .

---

(١) سورة سبأ ٤٦ .

(٢) سورة فصلت ٥٣ .

(٣) فى المطبوعة : « يلقون » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) السكيت ، مصغر ، والتخفيف أكثر من التثقيل : العاشر من خيل السباق ، وهو آخرها . المصباح المنير . وقال الزمخشرى فى الأساس : وفلان سكيت الحلبة : للمتخلف فى صناعته . وراجع حلية الفرسان ١٤٦ .

(٥) راجع صحيح البخارى (باب صلاة النساء مع الرجال فى الكسوف . من كتاب الكسوف) ٢ / ٤٧ .

(٦) فى المطبوعة : « فى نصه » ، والتصحيح من : ج ، ك . وسبق هذا قريبا .

وتقريرُ هذه الدَّلالة : أنه لو كان فى جِهةٍ لَكان مُشارًا إليه بحسَب الحِسِّ ، وهم يَعلَمُون ذلك ، ويُجَوِّزون الإشارةَ الحِسِّيَّة إليه .

وإذا كان فى جِهةٍ مُشارًا إليه لَزِم تَناهِيه ، وذلك لأنه إذا كان فى هذه الجِهَة دُونَ غيرِها ، فقد حَصل فيها دُونَ غيرها ، ولا مَعنى لتناهِيه إلّا ذلك ، وكُلُّ مُتَناهٍ مُحْدَثٌ ؛ لأنّ تخصيصَه بهذا المِقدار دُونَ سائرِ المَقاديرِ لا بُدَّ له من مُخَصِّص .

فقد ظَهر بهذا البُرهان الذى يَبْدَهُ[1] العُقُولَ : أنّ القولَ بالجِهة يُوجِبُ كونَ الخالق مَخلُوقًا والرَّبِّ مَرْبُوبًا ، وأنّ ذاتَه مُتَصرَّفٌ فيها ، وتَقبلُ الزِّيادةَ والنُّقصان ، تعالَى اللهُ عمَّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا .

البرهان الثانى :

المُستفَاد مِن كلام الشِّبْلِىّ رضى الله عنه ، شيخ الطّريق وعلَم التحقيق ، فى قوله : الرَّحمن لم يَزَلْ ، والعَرْشُ مُحْدَثٌ ، والعَرْشُ بالرَّحمن استوَى .

وتقريرُه : أنّ الجِهَةَ التى يَختصُّ الله تعالى بها على قولِهم ، تعالَى الله عنها ، وسَمَّوْها العرشَ : إمّا أن تكون معدومةً أو موجودةً ، والقسم الأول مُحالٌ بالاتفاق .

وأيضًا فإنها تَقبلُ الإشارةَ الحِسِّيَّة ، والإشارةُ الحِسِّيَّة إلى العَدَم مُحالٌ ، فهى موجودة ، وإذا كانت موجودةً ، فإن كانت قديمةً مع الله فقد وُجِد [لنا][2] قديمٌ غيرُ الله وغيرُ صِفاته ، فحينئذٍ لايُدْرَى أيّهما الأَوَّلةُ[3] .

وهذا خُبْثُ هذه العقيدة .

وإن كانت حادِثةً فقد حَدث التَّحَيُّز باللهتعالى ، فيَلْزَم أن يكونَ اللهُ قابِلًا لصِفاتٍ نفسيَّة حادثةٍ ، تعالَى اللهُ عن ذلك .

---

(١) فى المطبوعة : « تبديه » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .

(٢) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « الإله » ، والمثبت من ج ، ك . والأولة : الأولى . راجع اللسان (وأل) .

البرهان الثالث :

المستفادُ من لِسان الطريقةِ وعَلَمِ الحقيقة وطَبيبِ القُلوب والدَّليلِ على المحبوب ، أبى القاسم الجُنَيْد ، رضى الله عنه ، قال : متى يَتَّصِلُ مَن لاشَبيهَ له ولانَظيرَ بمَن له شَبيهٌ ونظيرٌ؟ هَيْهاتَ هَيْهاتَ! هذا ظَنٌّ عجيبٌ .

وتقرير هذا البرهان : أنه لو كان فى جِهةٍ : فإمّا أن يكون أكبرَ أو مُساوِيًا أو أصغَرَ ، والحَصْرُ ضَرُورِىٌّ .

فإن كان أكبرَ ، كان القَدْرُ المُساوِى[1] منه للجهة مُغايرًا للقَدْرِ الفاضِل منه ، فيكون مركَّبا مِن الأجزاء والأبعاض ، وذلك مُحالٌ ؛ لأن كلَّ مُركَّبٍ فهو مُفتقرٌ إلى جزئه ، وجُزؤُه غيرُه ، وكلُّ مُركَّبٍ مُفْتقرٌ إلى الغَير ، وكلُّ مُفتقِرٍ إلى الغير لايكون إلٰهًا .

وإن كان مُساوِيًا للجِهة فى المقدار ، والجِهةُ منقسِمة لإمكان الإشارة الحِسّيّة إلى أبعاضها ، فالمساوى لها فى المِقدار مُنقسِمٌ .

وإن كان أصغرَ منها ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا ، فإن كان مُساوِيًا لجوهَرٍ فَرْدٍ ، فقد رَضُوا لأنفسهم بأنّ إلٰههم قَدْرُ جَوهَرٍ فَرْدٍ .

وهذا لايقوله عاقِلٌ ، وإن كان مَذهبُهم لايقوله عاقل ، لكنّ هذا فى بادئ الرأى يَضحكُ منه جَهَلَةُ الزَّنج .

وإن كان أكبرَ منه انْقَسَم ، فانظُروا إلى هذه النِّحْلَة ، وما قد لَزِمَها ، تعالى الله عنها .

البرهان الرابع :

المستفادُ مِن جَعفَر بن نُصَير ، رحمه الله ، وهو أنه سُئِلَ عن قولِه تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[2] فقال : اسْتوى عِلمُه بكُلِّ شىءٍ ، فليس شىءٌ أقربَ إليه مِن شىء .

---

(١) فى المطبوعة : « المساوى للقدر منه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٢) الآية الخامسة من سورة طه .

وتقرير هذا البرهان : أنّ نِسْبَة الجِهات إليه على التَّسْوية[1] ، فيمتنع أن يكونَ فى الجِهة .

وبَيانُ أنَّ نِسْبتَها إليه على التَّسْوِيَة[1] : أنه قد ثَبَت أن الجِهَة أمرٌ وُجُودِىٌّ ، فهى إن كانت قديمةً مع الله لَزِم وُجودُ قديمين مُتميِّزين بذَاتَيْهما ، لأنهما إن لم يتميَّزا بذاتَيْهما ، فالجِهةُ هى اللهُ تعالى ، واللهُ هو الجِهةُ ، تعالى اللهُ عن ذلك .

وإن لم تكن قديمةً ، فاختصاصُه بها إمّا أن يكونَ لأنّ ذاتَه اقتضتْ ذلك ، فيَلْزَم كونُ الذاتِ فاعِلةً فى الصِّفات النَّفسِيّة ، أو غيرَ ذاتِيَّة ، فنِسبةُ الجِهات إلى ذاته على التَّسْوِيةِ[1] فمُرَجِّحُ جهةٍ على جهةٍ أمرٌ خارِجٌ عن ذاته ، فلَزِم افتقارُه فى اختصاصِه بالجِهة[2] إلى غيره ، والاختِصاصُ بالجهة هو عينُ التَّحيُّز ، والتَّحيُّزُ صِفةٌ قائمةٌ بذاتِ المُتَحيِّز ، فلَزِم افتقارُه فى صِفةِ ذاتِه إلى غيرِه ، وهو على الله تعالى مُحالٌ .

ثم اعلَم ، أنّ هذه البراهينَ التى سَردْناها وتَلقَّيْناها من مَشايخ الطَّريق فإنما استنبطوها[3] من الكتاب العزيز ، ولكن ليس كلٌّ مافى الكتاب العزيز يَعرِفُه كلُّ أحد ، فكلٌّ[4] يَغْتَرفُ بقَدْرِ إنائه ، ومانَقَصَتْ قَطْرةٌ مِن مائه .

ولقد كان السَّلَفُ يستَنبِطُون مايقَعُ من الحروب والغَلَبة ، مِن الكتاب العزيز ، ولقد استنبط ابنُ بَرَّجان رحمه الله من الكتاب العزيز ، فَتْحَ القدْس على يد صلاح الدين فى سَنَته ، واستنبط بعضُ المتأخِّرين من سورة الروم ، إشارةً إلى حدوثِ ماكان بعد [سنة][5] ثلاث وسبعين وستمائة ، ولقد استنبط كَعْبُ الأحبار رضى الله عنه مِن التوراة أنّ عبدَ الله بن قِلابة يدخلُ إرَمَ ذاتِ العِماد ، ولا يدخلُها غيرُه ، وكان يستنبط منها مايَجْرى من الصَّحابة رضى الله عنهم ، وما يُلاقيه أجنادُ الشام ، وذلك مشهور .

---

(١) فى المطبوعة : « السوية » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « للجهة » ، والتصحيح من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « استنبطناها » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « وكل » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٥) زيادة فى : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .

والله تعالى أنزل فى كتابه مايفهم أحدُ الخلقِ منه الكثيرَ ، ولايفهم الآخَرُ من ذلك شيئا ، ولقد تختلف المَراتِبُ فى استنباط الأحكام من كلام الفقهاء ، والمعانى من قصائد الشعراء .

فأمّا ماورَد فى الكتاب العزيز ممّا ينفى الجِهةَ ، فتعرفه الخاصَّةُ ، ولا تشمئزُّ منه العامَّةُ ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] ولو حَصرتْه جِهةٌ لَكان مِثْلًا للمَحصُور[2] فى ذلك البعض .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[3] قال ابنُ عباس رضى الله عنه : هل تعلم له مِثْلًا؟ ويُفهَمُ ذلك مِن ﴿ القَيُّوم ﴾[4] وبناءِ المبالغة ، فى أنه قائمٌ بنفسه ، وماسواه قائمٌ به ، فلو قام بالجِهة لقام به غيرُه[5] .

ويُفهَم من قوله تعالى : ﴿ المُصَوِّرُ ﴾[6] لأنه لو كان فى جهةٍ لَتُصُوِّرَ ، فإمّا أن يُصوِّرَ نفسَه أو يُصَوِّره غيرُه ، وكِلاهما مُحال .

ويُفهَم من قوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[7] ولو كان على العرش حقيقةً ، لكان محمولًا .

ويُفْهَم من قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[8] والعرشُ شيءٌ يَهْلِكُ ، فلو كان سبحانه وتعالى لافى جِهَةٍ ثم صار فى جهة [ثم صار لافى جهة][9] لوُجِد التَّغيُّر ، وهو على الله مُحالٌ .

---

(١) سورة الشورى ١١ .

(٢) فى المطبوعة : « للمحصول » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .

(٣) سورة مريم ٦٥ .

(٤) راجع سورة البقرة ٢٥٥ ، وآل عمران ٢ ، وطه ١١١ .

(٥) فى المطبوعة : « لقام بغيره » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٦) سورة الحشر ٢٤ .

(٧) سورة الحاقة ١٧ .

(٨) سورة القصص ٨٨ .

(٩) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

والمُدَّعِى لمّا عَلِم أنّ القرآنَ طافِحٌ بهذه الأشياء ، وبهذه الإشارات ، قال : هذه الأشياءُ دِلالتُها كالإلغاز .

أوَما عَلِمَ المغرورُ أن أسرارَ العقائدِ التى لاتحمِلها عُقولُ العَوامِّ لاتأتى إلا كذلك ، وأين فى القرآن مايَنْفِى الجِسْمِيّةَ إلا على سبيل الإلغاز؟ وهل تفتخر الأذهانُ إلّا فى استنباط الخفيّات ، كاستنباط الشافعىّ رضى الله عنه الإجماعَ من قوله تعالى : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ ﴾[1] وكاستنباطِ القِياس من قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِى الْأَبْصَارِ ﴾[2] وكما استنبط[3] الشافعىُّ خِيارَ المجلِس مِن نَهْيِهِ ﷺ عن البَيْع على بَيعِ أخيه .

وزُبْدَةُ المسألِةِ أن العقائدَ لم يُكلِّف النبىُّ ﷺ الجُمهورَ منها إلّا بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، كما أجاب مالكٌ الشافعىّ رضى الله عنهما ، ووَكَل الباقىَ إلى الله ، وماسُمِعَ منه ولا عن أصحابِه فيها شىءٌ إلّا كلماتٌ معدودات ، فهذا الذى يَخْفى مِثلُه ، ويُلْغَزُ فى إفادته .

الفصل الثانى :

فى إبطالِ ماموَّه به المُدَّعِى ، من أن القرآنَ والخَبرَ اشتملا على مايُوهِمُ ظاهرُه مايتنزَّه[4] الله تعالى عنه ، على قول المتكلّمين ، فنقول :

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾[5] الآية . دَلَّت هذه الآيةُ على أن مِن القرآن مُحْكَمًا[6] ومنه متشابهًا ، والمتشابه قد أُمِر العبدُ بِرَدِّ تأويلِه إلى الله ، وإلى الراسخين فى العلم ، فنقول بعد ذلك : إنما لم تأتِ النُّبوةُ بالنَّصِّ ظاهرًا على المتشابه ،

---

(١) سورة النساء ١١٥ .

(٢) الآية الثانية من سورة الحشر .

(٣) فى المطبوعة : « وكاستنباط » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « تنزه » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) الآية السابعة من سورة آل عمران .

(٦) فى المطبوعة : « محكم ، ومنه متشابه » ، والتصحيح من : ج ، ك .

لأن جُلَّ مقصودِ النُّبوَّةِ هِدايةُ عُمومِ الناس ، فلمّا كان الأكثرُ مُحْكَمًا ، وأُلْجِمت العامَّةُ عن الخوضِ فى المتشابه ، حَصَل المقصودُ ، لولا أن يُقيِّضَ اللهُ تعالى لهم شيطانًا يستهويهم ويُهْلِكهم ، ولو أُظْهِر المُتشابِهُ لضَعُفَت عقولُ العالَم عن إدراكه .

ثم[1] من فوائد المُتشابِه رِفْعةُ مَراتِبِ العلماء بعضِهم على بعض ، كما قال تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[2] وتحصيلُ زِيادة الأُجور بالسَّعى فى تفهُّمها وتفهيمها ، وتَعلُّمها وتعليمها .

وأيضا لو كان واضحًا جلِيًّا مفهومًا بذاته ، لمَا تَعلَّم الناسُ سائرَ العُلوم ، بل هُجِرَت بالكُلِّيَّة ، ووَضَح الكتابُ بذاته ، ولَما احتِيج إلى عِلْمٍ من العُلوم المُعينةِ على فهم كلامه تعالى ، ثم خُوطِب فى المتشابه بما هو عظيم بالنسبة إليهم ، وإن كان[3] الأمرُ أعظمَ منه ، كما نبَّه عليه عبد العزيز الماَجِشُون فى القَبْضَة[4] ، وكما قال تعالى فى نعيم أهلِ الجنة : ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾[5] الآية . فهذا عظيمٌ عندهم ، وإن كان فى الجنة ماهو أعظمُ منه ، كما قال ﷺ ، حكايةً عن الله عز وجل : « أعْدَدْتُ لِعبادِىَ الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

نسألُ اللهَ العظيمَ أن يجعلَ فيها قَرارَنا ، وأن يُنَوِّرَ بصيرتَنا وأبصارَنا ، وأن يجعلَ ذلك لوجهه الكريم ، بمَنِّه وكَرَمِه .

ونحن ننتظرُ مايَرِدُ مِن تَمويهِه وفسادِه ، لِنُبيِّنَ مَدارِجَ زَيغِه وعِناده ، ونجاهدَ فى اللهِ حَقَّ جِهاده ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى المطبوعة : « ومن » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) سورة يوسف ٧٦

(٣) فى المطبوعة : « فى الأمر » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « القضية » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) سورة الواقعة ٢٨ — ٣١ .

١٣٠٣

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حَيْدَرَة

شيخنا فى « صحيح مسلم »
القاضى شمس الدين أبو المعالى ابن القَمَّاح*

صاحب المجاميع المفيدة .

مولده سنةَ ستٍّ وخمسين وستمائة .

وسَمِع من إبراهيم بن عمر بن مضر[١] ، وإسماعيل بن عبد القَوِىّ بن عَزُّون ، والنَّجِيب عبد اللطيف ، والعِزّ عبد العزيز ابنى عبد المنعم الحَرَّانِىّ ، وابن خَطِيب المِزَّة ، وغيرِهم .

وكان ذَكِىَّ القَرِيحةِ ، قَوِىَّ الحافِظة ، حافِظًا لكثير من الفقه ، حَسَنَ الحفظ للقرآن ، كثيرَ التلاوة[٢] .

وحَكم بالقاهرة مُدَّةً نِيابةً .

توفِّى فى ربيع الأول سنةَ إحدى وأربعين وسبعمائة بالقاهرة .

ووالده الشيخ علم الدين أحمدُ بن إبراهيم[٣] ، كان أيضًا من أهل العلم والدِّيانة المتينة ، وله النَّظْمُ البديعُ ، وامتُحِن [مرَّةً][٤] بمِحْنةٍ ، ذُكِر أنه نظم فيها أبياتا فى ليلة ، لم يَنفَلِق فَجْرُها إلّا وقد فُرِّج عنه ، والأبيات :

---

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١ / ٢٤٦ ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٩١ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١١١ ، ذيول العبر ٢٢١ ، شذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٣٣٨ ، الوافى بالوفيات ٢ / ١٥٠ .

(١) فى المطبوعة : « منصور » ، والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، والعبر ٥ / ٢٧٦ ، والشذرات ٥ / ٣١٥ ، و « إبراهيم » هذا هو الرضى بن البرهان ، الذى سبق فى الجزء الثامن ٣٩٧ ، ويصحح اسمه فى الفهارس ٤٦٧ .

(٢) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « درس بقبة الشافعى رضى الله عنه » .

(٣) تقدمت ترجمته فى ٨/ ٥ ، وجاء اسم جده هناك : « حيدر » بغير تاء ، فيعارض بما هنا .

(٤) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة .

اصبِرْ على حُلوِ القَضاءِ ومُـرِّهِ　　واعْلَمْ بـأنَّ اللهَ بالِـغُ أمـرِهِ
فالصَّدرُ مَن يلقَى الخُطُوبَ بصَدْرِهِ　　وبصَبْـرِه وبحَمْـدِه وبشُكْـرِهِ
والحُرُّ سَيْفٌ والذُّنُوبُ لصَفْـوِهِ　　صَدَأٌ وصَيْقَلُـه نَـوائبُ دهـرِهِ
ليس الحوادثُ غيرَ أعمالِ امرئٍ　　يُجْزَى بها مِن خَيرِه أو شَرِّهِ
فإذا أُصِبْتَ بما أُصِبْتَ فلا تَقُلْ　　أُوذِيتُ مِن زَيدِ الزَّمانِ وعَمْرِهِ
واثْبُتْ فكَمْ أَمْرٍ أَمَضَّكَ عُسْرُهُ　　لـيلًا فبَشَّرك الصَّبـاحُ بـيُسْرِهِ
ولَكَمْ علَى ناسٍ أتى فَرَجُ الفَتَى　　مِن سِرٍّ[1] غَيْبٍ لا يَمُرُّ بفِكْـرِهِ
فاضْرَعْ إلى اللهِ الكريمِ ولاتَسَلْ　　بَشَرًا فليس سِواه كاشِفَ ضُرِّهِ
واعجَبْ لنَظْمِىَ والهمُومُ شَواغِلٌ　　يُلْهِينَ عن نَظمِ الكلامِ ونَثْرِهِ

وما أحسنَ قولَ شاعرِ العصرِ الشيخِ جمالِ الدين ابنِ نُباتَة ، فى هذا المعنى[2] :

لاتَخْشَ من غَمٍّ كغَيْمٍ عارِضٍ　　فلسوفَ يُسْفِرُ عن إضاءَةِ بَدْرِهِ
إن تُمْسِ عن عَبَّاسٍ حالِكَ راوِيًا　　فكأنَّنى بك راوِيًا عـن بِشْرِهِ
ولقد تَمُرُّ الحادِثاتُ علَى الفَتَى　　وتَـزُولُ حتَّـى ماتَمُـرُّ بفِكـرِهِ
هَوِّنْ عليكَ فـرُبَّ أمـرٍ هائـلٍ　　دُفِعَتْ قُواهُ بِدافِعٍ لم تَـدْرِهِ
ولَـرُبَّ لَيـلٍ بالهُمُـومِ كَدُمَّـلٍ　　صابَرْتَـهُ حتّى ظَفِـرْتَ بفَجْـرِهِ[3]

---

(١) فى المطبوعة : « شرع » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) ديوانه ٢٢٥ ، ورواية البيت الرابع فيه : « فرب خطب » .

(٣) التورية هنا ، على إرادة الفجر ، وهو ضوء الصباح ، وفجر الدمل ، وهو انشقاقه .

١٣٠٤

محمد بن أحمد بن عبد المؤمن

الشيخ شمس الدين بن اللَّبَّان*

تفقَّه على الفقيه نجم الدين بن الرِّفْعة .

وصَحِب فى التَّصوُّف الشيخ ياقوتَ[١] المقيمَ بالإسكندرية ، وكان الشيخُ ياقوتُ[٢] من أصحاب سيِّدى الشيخ أبى العباس المُرْسىّ ، صاحبِ سيِّدى الشيخ أبى الحسن الشَّاذِلىّ .

وبَرَع ابنُ اللَّبّان ؛ فِقْهًا وأُصولًا ونحوًا وتصوُّفًا[٣] ، ووَعظ الناسَ ، وعَقَد مجلسَ التذكير بمصر ، وبَدَرَتْ منه ألفاظٌ يُوهِمُ ظاهرُها مالا نَشُكُّ فى بَراءتِه منه ، فاتفقت له كائنةٌ شديدة ، ثم نجَّاه اللهُ تعالى .

ودَرَّس بالآخِرة بالمدرسة المجاوِرة لضَريح الشافعىّ ، رضى الله عنه .

واختصر « الرَّوضة » ، وبَوَّب « الأُمّ » ، ورَتَّبها على المسائل والأبواب .

ووقفتُ له على كتاب « مُتشابه القرآن والحديث » وهو مختصرٌ حسنٌ ، تكلم [فيه][٤] على بعض الآيات والأحاديث المتشابهات ، بكلامٍ حَسَنٍ على طريقة الصُّوفيّة . تُوفِّى بالطاعون ، سنةَ تسعٍ وأربعين وسبعمائة[٥] .

---

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١ / ٤٢٨ ، الدرر الكامنة ٣ / ٤٢٠، ذيول تذكرة الحفاظ ١٢١ ، ذيول العبر ٢٧١ ، شذرات الذهب ٦ / ١٦٣ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٣٧٠ ، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٧٦ - ٧٩ ، مرآة الجنان ٤/ ٣٣٣ ، الوافى بالوفيات ٢/ ١٦٨ .

(١) هو ياقوت بن عبد الله العرشى الحبشى الشاذلى ، توفى بالإسكندرية سنة ٧٣٢ ، ذكر الشعرانى فى طبقاته ٢/ ٢٠ أنه زوج ابنته لشمس الدين بن اللبان ، صاحب الترجمة . وانظر الدرر الكامنة ٥/ ١٨٣ ، والشذرات ٦ / ١٠٣ .

(٢) بعد هذا فى المطبوعة : « المقيم بالإسكندرية » ، وحذفنا هذه الزيادة ، كما فى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « تصرفا » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، وطبقات المفسرين ٢ / ٧٨ .

(٥) قال الأستاذ الزركلى فى الأعلام ٦ / ٢٢٣ : فى أكثر المصادر ، مولده سنة ٦٨٥ ، إلا أن اليافعى ، بعد أن أرخه سنة ٦٧٩ ، قال : « وعاش سبعين سنة » .

=

ومِن الفوائد والمُلَحِ عنه والأشعار

[فمن شعره][1] ماأورده فى كتابه المتشابه فى الربّانيّات[2] :

تَشاغَـــلَ عنَّـــا بوَسْواسِـــهِ وكان قَدِيمًـــا لَنـــا يَطْـــلُبُ
مُحِبٌّ تَناسَى عُهُـودَ الهَـوَى وأصبـــح فى غيرِنـــا يَـــرْغَبُ
ونحن نَـــراه ونُمْلِـــى لَـــهُ ويَحْسَبُنـــا أنَّنـــا غُـــيَّبُ
ونحن إلى العبـدِ مِـن نفسِـهِ ووَسْـواسِ شَيطانِـهِ أَقْــرَبُ[3]

ومن مُناجاته فى هذا الكتاب ، وهو[4] ممَّا أُخِذَ عليه :

إلٰهى ؛ جَلَّتْ عَظَمَتُكَ أن يَعْصِيَكَ عاصٍ ، أو ينساك ناسٍ ، ولكن أوْحَيْتَ رُوحَ أوامرِك فى أسرارِ الكائنات ، فذكَرَك الناسِى بِنسيانه ، وأطاعَك العاصِى بعِصْيانِه ، وإن من شىء إلَّا يُسَبِّحُ بحَمْدِك ، إن عَصَى داعِىَ إيمانِه فقد أطاع داعِىَ سُلْطانِك ، ولكن قامَتْ عليه حُجَّتُك ، ولله الحُجَّةُ البالِغة ﴿ لايُسْئَلُ عمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾[5] .

ومن كلامه فيه ، علَى حديث : « إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ » الحديثَ : فيه إشارةٌ إلى أنَّ خَشْيَةَ سُوءِ الخاتمة مخصوصٌ بأهلِ أعمالِ[6] الجنَّة ، وأمَّا أهلُ الإخلاص لأعمال[7] التوحيد ، فلا يُخْشَى عليهم سُوءُ الخاتِمة ، ولهذا قال : « فيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

= ونقول : أفاد الداودى فى طبقاته ٢ / ٧٧ أنه ولد سنة ٦٧٩ ، قال : « وخرج له المحدث شهاب الدين ابن أيبك جزءًا ، وحدث به ، وسأله عن مولده ، فقال : فى العشر الأخير من شوال ، سنة تسع وسبعين وستمائة بدمشق » .

(١) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « الديانات » ، والمثبت من : ج ، ك ، وطبقات المفسرين ٢ / ٧٨ .

(٣) فى المطبوعة : « ونحن من العبد إلى نفسه » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وطبقات المفسرين ٢ / ٧٩ .

(٤) فى المطبوعة : « وهى » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) سورة الأنبياء ٢٣ .

(٦) فى المطبوعة : « بأعمال أهل » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٧) فى المطبوعة : « لأعمال أهل التوحيد » ، والمثبت من : ج ، ك .

الجَنَّةِ حتَّى مَايَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَها » فأَفْهَم بذلك أن المُتَقرِّبَ مُتقرِّبان : مُتَقرِّبٌ إلى الجَنّة بأعمالِها ، ومُتَقرِّبٌ إلى الله بذِكرِه ، كما ثَبَت [فى][1] « أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأنا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى » إلى قوله : « وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِراعًا تَقرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا » .

وذلك يُفهِمُك أن المُتقرِّبَ إلى الله تعالى لايُمكِن أن يبقَى بينَه وبينَه ذِراعٌ ، لأن ذلك الذراعَ إن كان التَّقرُّبُ[2] به مطلوبًا مِن العبد ، لم يَبقَ بعدَه مِقدارٌ يتَقرَّبُ الله تعالى به إليه ، وحينئذٍ فيستلزم الخُلْفَ فى خَبَرِه[3] ، وهو مُحالٌ ، وإن كان موعودًا به من الله ، لَزِم تَنجُّزُ وعدِه ، وتحقُّقُ القُرْب للعبد ، فلا يبقَى بُعْدٌ ولادخولٌ إلى النار ، فعُلِم أن ذلك الذراعَ مخصوصٌ بأهل القُرْب إلى الجنّة التى لايلزم[4] مِمَّن يُقرَّب إليها ، فافهَمْه فإنه بديعٌ . انتهى .

● ومنه : قال : أنكر القاضى أبو بكر بن العربىّ فى كتاب « الأَحْوَذِىّ »[5] ثُبوتَ الرؤية فى الموقِف ، وقال : إنّ نَعِيمَ الرؤيةِ لايكون إلا للمؤمنين فى الجنة ، وأن ماجاء فى[6] الرؤية فى الموقف فإنما هو على سبيل الامتِحانِ والاختبار . والذى نعتقده ثبوتُ الرؤيةِ ، وتعميمُها للمؤمنين فى الموقف ، على ماصَحَّ فى الحديث ، وذلك صريحٌ فى قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[7] [انتهى والله أعلم بالصواب][8] .

(١) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .
(٢) فى المطبوعة : « المتقرب » ، والتصحيح من : ج ، ك .
(٣) فى المطبوعة : « الخلو من حيزه » ، والتصحيح من : ج ، ك . وجاءت الكلمة فيهما : « الحلف » بالحاء المهملة ، وصوابها بالخاء المعجمة ، كما أثبتناها . والخلف ، بضم الخاء : الاسم من إخلاف الوعد .
(٤) فى المطبوعة : « لايلزم أن يقربه من يقرب » . والمثبت من : ج ، ك .
(٥) عارضة الأحوذى ١٠/٢٣ .
(٦) فى المطبوعة : « من » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٧) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣ .
(٨) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك .

١٣٠٥

محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عَدْلان بن محمود بن لاحِق ابن دواد الكِنانىّ . الشيخُ الإمام شمس الدين*

سَمِع من العِزِّ الحَرّانىّ ، والحافظ أبى محمد الدِّمياطِىّ ، وأبى الحسن علىِّ بن نصر الله بن الصَّوّاف .

وتفقَّه على الشيخ وَجِيه الدِّين البَهْنَسِىّ .

وقرأ الأصولَ على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهانىّ ، شارِح « المحصول » ، والنحوَ على الشيخ بهاء الدين بن النحّاس .

وأفتَى وناظَرَ ، ودَرَّس وأفاد ، وناب فى الحُكْم عن شيخ الإسلام تقىِّ الدين ابن دَقيق العِيد ، وأُرْسِلَ رسولًا إلى اليمن فى الدَّولة الناصرية محمد بن قَلاوُون .

وشرح « مختصر المُزَنِىّ » ولم يُكمِلْه[1] .

وفى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة لمّا توجَّهْنا إلى القاهرة فى خِدمة الشيخ الوالد رحمه الله ، عندما تسلْطَنَ السلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قَلاوُون ، وَلِىَ الأخُ الشيخ بهاء الدين أبو حامد ، سلَّمه الله ، قضاءَ القضاة بالعساكر المنصورة ، ثم وقَع نِزاعٌ كثير ، ووَلِىَ الشيخُ شمس الدين المشارُ إليه ، قضاءَ العسكر .

وكان إمامًا عارِفًا بالمذهب ، مُشارًا إليه بالتقدُّم بينَ أهل العلم ، يُضرَب[2] المثلُ باسمِه .

---

* له ترجمة فى : البدر الطالع ٢ / ١٠٩ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٨ ، الدرر الكامنة ٣ / ٤٢٣ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١٢١ ، ذيول العبر ٢٧٠ ، شذرات الذهب ٦ / ١٦٤ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٢٣٧ ، الوافى بالوفيات ٢ / ١٦٨ .

(١) فى : ج ، ك : « وله تكملة » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والطبقات الوسطى .

(٢) فى المطبوعة : « فضرب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى .

مولده سنة نيِّفٍ وستين وستمائة .

وتوفِّى فى الطاعون[1] ، سنةَ تسع وأربعين وسبعمائة ، بالقاهرة .

ومن الفوائد عنه

● مُناظَرةٌ بينَه وبينَ الشيخ [الإمام][2] الوالدِ رحمه الله ، فى حَدِّ الوَرَع ، لايحضُرنى منها إلّا أنه ادَّعَى أن الورَعَ تَرْكُ الشُّبهة ، وأن الشيخَ الإمامَ الوالد ، قال : الوَرَعُ مَراتِبُ ، أدناها اجتنابُ الكبائر .

ونقلت من خَطِّ الوالد جوابًا عن مُكاتبةٍ أُرسلت إليه فى هذا المعنى ، مانَصُّه :

وأمّا كلامُ ابنِ عَدْلان فى الوَرَع فتعجَّبتُ منه ، والورع[3] درجاتٌ أدْناها كُلُّ مسلمٍ مُجتنبٍ للكبائر ، مُتَّصِفٌ به .

هذا فى المصدر ، وأمّا اسم الفاعل فهو تابعٌ للمصدر ، لكن قد يُخَصّ فى العُرْف ببعض المراتب .

● والشُّروطُ هل تُحمَلُ على المُسمَّى ، كما ذكره الفقهاءُ فى السَّلَم ، أو على رُتْبةٍ خاصَّة ، إن دَلّ العُرْف عليها؟ فيه بَحْثٌ .

أمَّا عِندَ اضطراب العُرْف ، فلا شَكَّ فى الحَمْل على المُسمَّى .

وهذه الكلماتُ يمكن أن تُبْسَطَ فى تصنيفٍ ، ولسنا من أهل الوَرَع ، إنما أهلُه سَعِيدُ بن المُسَيَّب وسُفْيان ، ومن المتأخِّرين النَّوَوِىّ . انتهى مانقلتُه من خَطِّ الشيخ الإمام .

وكانت الواقِعةُ فى وَقْفٍ اشترَط واقِفُه فى مُباشِرِه الوَرَعَ ، فأفتى الشيخُ الإمام بالاكتفاءِ فيه بالعَدالة ، لاضطراب العُرْفِ فى حَدِّ الوَرَع .

---

(1) فى المطبوعة : « بالطاعون » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وأمر الطاعون فى هذه السنة مشهور . قال فى الشذرات ٦ / ١٥٨ ، حوادث السنة المذكورة : « فيها كان الطاعون العام الذى لم يسمع بمثله ، عم سائر الدنيا ، حتى قيل : إنه مات نصف الناس حتى الطيور والوحوش والكلاب ، وعمل فيه ابن الوردى مقامة عظيمة » وانظر النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٣٣ ، وذيول تذكرة الحفاظ ١١٦ .

(2) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة .

(3) فى المطبوعة : « وللورع » ، والمثبت من : ج ، ك .

قال : والعَدالَةُ أدنى مَراتِبِهِ ، فيُحْمَلُ عليها .

وهذه[١] مسئلةٌ حسنة تقع كثيرا ، وخالفه [فيها][٢] ابن عدلان .

● أفتى ابنُ عَدْلان فى واقِفِ مدرسةٍ[٣] على الفقهاء والمُتفقِّهة ومُدَرِّس ومعيدين[٤] وجماعةٍ عَيَّنَهم .

قال : ومِن شُرُوطِ المذكور[٥] أن لايشتغلوا بمدرسةٍ أخرى غيرِ هذه المدرسة ، ولايكونَ لواحدٍ منهم تعلُّق بمدرسةٍ أخرى ، ولا مُباشرةٌ بتجارةٍ ولا بِزازَةٍ يُعرف بها ، غيرَ تجارةِ الكتب ، ولا وِلاية ، بأنه[٦] يجوز للمُقَرَّر فى هذه المدرسة الجمعُ بينَها وبينَ إمامةِ مسجدٍ قريبٍ منها .

ووافقه شيخُ الحنفيّة فى زماننا قاضى قضاة الحنفيَّة بالدِّيار المصرية ، علاءُ الدِّين علىُّ[٧] بن عثمان المارْدِينىّ بن التُّرْكُمانىّ .

قلت : وفيه نَظَرٌ لنَصِّ الشافعىّ[٨] على أن الإمامة ولايةٌ ، حيث يقول : ولاأكرَهُ الإمامةَ إلا مِن جهة أنها وِلايةٌ ، وأنا أكره سائر الوِلايات[٩] .

---

(١) فى المطبوعة : « ومنها » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « مدرسته » . وفى الطبقات الوسطى : « وقف مدرسة » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى الطبقات الوسطى : « ومعيد » .

(٥) فى الطبقات الوسطى : « المذكورين » .

(٦) فى المطبوعة : « لايجوز » . وأسقطنا « لا » كما فى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وفى ج وحدها : « أنه » .

(٧) فى المطبوعة : « علاء الدين بن على » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، وتاج التراجم ٤٤ ، وحسن المحاضرة ١ / ٤٦٩ .

(٨) انظره فى الأم ١ / ١٤١ ، ١٤٢ (باب كراهية الإمامة ـــ من صلاة الجماعة) .

(٩) بعد هذا فى الطبقات الوسطى :

● « ومن محاسن ابن عدلان ، أنه سئل : أيّهما أفضل ، أبو بكر أو علىّ ؟ وكان فى مكان لايمكنه فيه التصريحُ بمذهب أهل السنة . فقال : علىٌّ أفضل القَرابة ؛ وأبو بكر أفضل الصحابة » .

● رأيت فى كلام ابن عَدْلان أن شرائطَ المَبيع ثمانية ، فذكر كونَه طاهِرًا منتفعا به ، مَقْدورًا على تَسليمه ، مملوكًا للعاقِد ، أو لمَن يقع له العَقْد ، معلومًا ، وزاد : سالِمًا من الرِّبا ، خالِصًا مِن مقارَنةِ مالا يجوز العَقدُ عليه ، وأن لايكونَ مُعرَّضًا للعاهة .

قال : وقولُنا : سالِمًا من الرِّبا : احترازٌ عمّا لو اشتمل على الرِّبا .

وقولنا : خالصًا ، إلى آخره : احترازٌ عمًّا لو جَمَع بين مَعلومٍ ومَجْهول ، فإنه لايصِحُّ فى الأصحّ .

وقولُنا : وأن لايكونَ مُعرَّضًا للعاهة : احترازٌ عمّا لو باع الثَّمَر قبل بُدُوِّ الصَّلاح ، أو الزَّرعَ الأخضر ، ولم يشترط القَطع ، فإنه لايَصِحّ .

١٣٠٦

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز

شيخنا وأستاذنا ، الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله التُّركُمانِىّ الذَّهبِىّ* مُحدِّثُ العَصْرِ .

اشتمل عَصرُنا على أربعة[1] من الحفّاظ ، بينَهم عُمومٌ وخُصوص : المِزِّىّ والبِرْزالِىّ والذَّهبِىُّ والشيخُ الإمام الوالدُ ، لاخامِسَ لهؤلاء فى عَصرِهم .

فأمّا المِزِّىُّ والبِرْزالِىُّ والوالِدُ فسنُترجمهم إن شاء الله تعالى .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٢٢٥ ، البدر الطالع ٢ / ١١٠ — ١١٢ ، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٩ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٧٨ ، ٧٩ ، الدرر الكامنة ٣ / ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ذيول تذكرة الحفاظ ٣٤ — ٣٧ ، ٣٤٧ — ٣٤٩ ، ذيول العبر ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، شذرات الذهب ٦ / ١٥٣ — ١٥٧ ، طبقات الإسنوى ١ / ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، طبقات القراء ٢ / ٧١ ، طبقات ابن هداية الله ٢٣٢ ، فهرس الفهارس ١/ ٣١٢ — ٣١٤ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٧٠ — ٣٧٢ ، مرآة الجنان ٤ / ٣٣١ — ٣٣٣ ، مفتاح السعادة ١/ ٢٦١ ، ٢/ ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٢ ، نكت الهميان ٢٤١ — ٢٤٤ ، الوافى بالوفيات ٢/ ١٦٣ — ١٦٨ .

هذا وقد ذكر السخاوى الذهبى فى أكثر من موضع ، فى كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، راجع فهارسه .

وانظر مراجع أخرى لترجمة الذهبى فى مقدمة الجزء الأول من سير أعلام النبلاء . نشر مؤسسة الرسالة ، للدكتور بشّار عوّاد معروف .

(١) فى المطبوعة : « أربع » ، والتصحيح من : ج ، ك .

وأمّا أستاذُنا أبو عبد الله فَبَصَرٌ[١] لانَظِيرَ له ، وكَنْزٌ[٢] هو المَلْجأ إذا نزلت المُعْضِلَة ، إمامُ الوجودِ حِفْظًا ، وذَهَبُ العَصْرِ معنًى ولفظًا ، وشيخُ الجَرْح والتَّعْديل ، ورجلُ الرِّجال فى كلِّ سَبِيل ، كأَنّما جُمِعَت الأُمَّة فى صَعِيدٍ واحد فنَظَرها ثم أخذ يُخْبِرُ عنها إخبارَ مَن حَضَرها .

وكان مَحطَّ رِحالٍ تغيَّبت[٣] ، ومُنتهى رغبات من تغَبَّيت[٤] .

تَعْمَلُ المَطِىُّ[٥] إلى جِواره ، وتَضْرِبُ البُزْلُ المَهارِى أكبادَها فلا تبرَحُ أو تُنْبَلَ[٦] نحوَ دارِه .

وهو الذى خَرَّجنا فى هذه الصِّناعة ، وأدْخَلَنا فى عِداد الجماعة ، جَزاه اللهُ عنَّا أفضلَ الجزاء ، وجَعل حَظَّه مِن غُرُفات[٧] الجنان مُوَفَّر الأجزاء ، وسَعْدَه بدرًا طالِعًا فى سَماءِ العُلوم ، يُذْعِنُ له الكبيرِ والصغير من الكتب ، والعالِى[٨] والنازِل مِن الأجزاء .

مولده فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

وأجاز له أبو زكريا بن الصَّيْرَفِىّ ، وابنُ أبى الخير ، والقُطبُ[٩] ابن أبى عَصْرُون ، والقاسم بن الإرْبِلِى[١٠] .

---

(١) فى المطبوعة : « فنظير » . وفى ج ، ك : « قيصر » ، وأثبتنا مافى شذرات الذهب ، وهو ينقل عن السبكى . ويرى الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة أن صوابها : « فَبَحْرٌ » .

(٢) فى المطبوعة : « وكبير » . وفى ك : « وكثير » . وأهمل النقط فى ج ، وأثبتنا ما فى الشذرات .

(٣) فى المطبوعة: «المعنت»، وأثبتنا ما فى: ج، ك، وفى أصل الشذرات ما يشبهه. وفى ج وحدها: «رجال».

(٤) فى المطبوعة ، والشذرات : « تعنت » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . و « تغبيت » من التغبية بمعنى الستر . ولعل الصواب على هذا التفسير حذف « من » الثابتة فى الأصول والشذرات .

(٥) فى المطبوعة : « المطية » ، والمثبت من : ج ، ك ، والشذرات .

(٦) فى المطبوعة : « تقبل » ، وفى الشذرات : « تبيد » . والكلمة فى ج ، ك بالرسم الذى أثبتناه ، مع إهمال النقط . ويقال : نبل الإبل : ساقها . راجع القاموس (ن ب ل) .

(٧) كذا فى المطبوعة ، والطبقات الوسطى . وفى : ج ، ك ، والشذرات : « عرصات » .

(٨) فى المطبوعة : « من الكتب العوالى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، والشذرات .

(٩) فى المطبوعة : « ابن أبى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، والشذرات .

(١٠) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « وطائفة » .

وطَلَب الحديثَ وله ثمانِىَ عَشْرةَ سنةً ، فسَمِع بدمشق من عمرَ بن القَوَّاس ، وأحمدَ بن هِبَة الله بن عَساكِرَ ، ويوسفَ بن أحمد الغَسُولى[1] ، وغيرِهم .

وببَعْلَبَكَّ مِن عبد الخالق بن علوان[2] ، وزينبَ بنت عُمر بن كِنْدِىّ ، وغيرهما .

وبمصرَ من[3] الأَبَرْقُوهِىّ ، وعيسى بن عبد المُنعِم بن شِهاب ، وشيخ الإسلام ابن دَقِيق العِيد ، والحافظين أبى محمد الدِّمْياطىّ ، وأبى العباس بن الظاهِرِىّ ، وغيرِهم .

ولمّا دخل إلى شيخِ الإسلام ابن دَقِيق العِيد ، وكان المذكورُ شديدَ التَّحرِّى فى الإسماع ، قال له : من أين جئت؟ قال : من الشام ، قال : بِمَ تُعْرَفُ؟ قال : بالذَّهَبِىّ ، قال : مَن أبو طاهِر الذَّهبىّ ؟ فقال له : المُخَلِّص ، فقال : أحسنتَ ، فقال : مَن أبو محمد الهِلالى[4]؟ قال : سُفيان بن عُيَيْنَة ، قال : أحسنتَ ، اقرأْ ، ومَكَّنه من القِراءة عليه حينئذٍ إذ رآه عارِفًا بالأسماء .

وسَمع بالإسكندريَّة من أبى الحسن علىّ بن أحمد الغَرّافِى[5] ، وأبى الحسن يحيى ابن أحمد بن الصَّوّاف ، وغيرِهما .

وبمكَّةَ من التَّوْزَرِىّ وغيرِه .

وبحَلَبَ من سُنْقُر الزَّيْنِىّ وغيرِه .

وبنابُلُسَ مِن العِماد بن بَدْران .

وفى شيوخِه كثرةٌ ، فلا نُطيلُ بتَعْدادِهم .

---

(١) فى المطبوعة : « القمولى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والشذرات ، والعبر ٥ / ٤١٢ . والغسولى : نسبة إلى الغسولة : من قرى دمشق ، كما فى معجم البلدان ٣ / ٨٠٢ .

(٢) فى الطبقات الوسطى زيادة : « القاضى » .

(٣) فى الطبقات الوسطى : « أبى المعالى الأبرقوهى » .

(٤) فى الأصول كلها : « الهلال » ، ووضعت شدة فوق اللام الأولى فى : ج ، ك ، وهو خطأ ، صوابه : « الهلالى » كما فى الشذرات . قال ابن الأثير فى اللباب ٣ / ٢٩٦ : « الهلالى ، بكسر الهاء : هذه النسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، قبيلة كبيرة ، ينسب إليها كثير من العلماء ، منهم سفيان بن عيينة » . وانظر الجزء الثامن من الطبقات ٧٨ .

(٥) فى المطبوعة : « العراق » . وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وقد تكلمنا على هذه النسبة مرارا ، راجع فهارس الأجزاء السابقة .

وسَمِع منه الجمعُ الكثير ، ومازال يخدِمُ هذا الفنَّ إلى أن رَسَخَتْ فيه قَدَمُه ، وتَعِب الليلَ والنَّهارَ وماتَعِب لسانُه وقلَمُه ، وضُرِبَت باسمه الأمثال ، وسار اسمُه مسيرَ الشمس[١] ، إلّا أنه لايتقلَّص[٢] إذا نَزَل المَطَرُ ، ولا [يُدْبِر][٣] إذا أقبلت اللَّيال .

وأقام[٤] بدمشق يُرْحَلُ إليه من سائرِ البلاد ، وتُنادِيه السُّؤالاتُ من كلِّ ناد ، وهو بينَ أكنافِها كَنَفٌ لأهلِيها[٥] وشَرَفٌ تفتخر وتُزْهَى[٦] به الدنيا ومافيها ، طَوْرًا تَراها ضاحكةً عن تَبسُّمِ أزهارِها ، وقَهْقهةِ غُدْرانها ، وتارةً تَلْبَس ثوبَ الوَقارِ والفَخار ، بما اشتمَلَت عليه من إمامِها[٧] المعدودِ[٨] فى سُكَّانها .

وكان شيخُنا ــ والحَقُّ أحَقُّ ماقِيل ، والصِّدقُ أولى ماآثره ذو السَّبيل ــ شديدَ المَيْلِ إلى آراء الحَنابِلة ، كثيرَ الإزراءِ بأهل السُّنّة ، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعرىّ فيهم مُقَدَّمَ القافِلة ، فلذلك لاَيُنصِفُهم فى التَّراجم ، ولا يَصِفُهم بخَير إلا وقد رَغِم منه أنْفُ الرَّاغِم[٩] .

---

(١) فى المطبوعة : « مسير قبة والشمس » . وفى : ج ، ك : « مسير لقبه الشمس » بإهمال مابعد القاف ، ولم نجد لذلك معنى ، مع كثرة التقليب ، فأثبتنا مافى الطبقات الوسطى . وقد وردت الكلمة فى الشذرات : « لقبه » بالقاف والباء .

(٢) فى الطبقات الوسطى : « يتقاصر » . وما فى أصول الطبقات الكبرى مثله فى الشذرات .

(٣) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والشذرات . ومكانه فى الطبقات الوسطى : « يغيب عند إقبال الليال » .

(٤) فى المطبوعة : « وقام » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، والشذرات .

(٥) فى أصول الطبقات الكبرى : « لأهلها » . وأثبتناه بزيادة الياء ــ وهو الأنسب ــ من الطبقات الوسطى ، والشذرات .

(٦) فى المطبوعة : « تزهر » . وفى الطبقات الوسطى : « تزدهى » . وفى الشذرات : « تزهو » . والمثبت من : ج ، ك .

(٧) فى المطبوعة : « آمالها » . وفى : ج ، ك ، والشذرات : « أبياتها » . وأثبتنا مافى الطبقات الوسطى .

(٨) فى الطبقات الوسطى ، والشذرات : « من » .

(٩) انظر آراء العلماء فى كلام ابن السبكى هذا ، فى **الإعلان** بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ١٠١ ، والبدر الطالع ٢/١١١ . وانظر ماتقدم من الطبقات ٣/٣٥٣ ، ٨/٨٨ ، ٨٩ .

صَنَّف التاريخ الكبير ، وماأحْسَنَه لولا تعصُّبٌ فيه ، وأكمَلَه لولا نَقْصٌ [فيه][1] وأىّ نَقْصٍ يَعْتَرِيه .

والتاريخ الأوسطَ المُسمى بالعِبَرِ[2] ، وهو حَسنٌ جِدًّا .

والصَّغِير المسمَّى دُولَ الإسلام .

وكتابَ النُّبلَاء[3] .

ومُختصرَ[4] تَهذِيب الكَمال للمِزِّىّ .

والكاشِفَ ، مُخْتَصَرَ ذلك ، وهو مجلَّدٌ نفيس .

والمِيزانَ ، فى الضُّعفاء ، وهو مِن أجَلِّ الكُتب .

والمُغْنِى فى ذلك .

وكتابًا ثالثًا فى ذلك .

ومختَصَر سُنَنِ البَيْهَقِىّ ، وهو حَسَنٌ .

ومُخْتَصَرَ الأطرافِ للمِزِّىّ .

وطبقاتِ الحُفّاظ .

وطبقاتِ[5] القُرّاء .

وكتابًا[6] فى الوَفيات .

ومُختصرًا آخَرَ فيها يُسمَّى بالإعلام[7] .

والتَّجرِيدَ فى أسماء الصحابة .

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة .

(٢) هو المعروف باسم : العبر فى خبر من عبر .

(٣) ويعرف باسم : سير أعلام النبلاء .

(٤) هو المسمى : تذهيب تهذيب الكمال .

(٥) هو المعروف باسم : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار .

(٦) لعله المسمى : الإشارة إلى وفيات الأعيان . وراجع مقدمة سير أعلام النبلاء ٣١ .

(٧) هو الإعلام بوفيات الأعلام . انظره وانظر بقية مصنفات الذهبى فى مقدمة سير أعلام النبلاء ٧٥ــ ٩٠ .

والمجرَّدَ[1] فى أسماءِ رجالِ الكتبِ السِّتَّة .
ومختصرَ المُسْتَدْرَك للحاكِم .
ومُختصرَ تاريخِ نيسابور للحاكم .
ومُختصرَ[2] ذَيْلِ ابن الدَّبيثىّ .
والمُعجَمَ الكبيرَ والصَّغِير .
والمختصّ[3] لمحدِّثى العصر .
ومختصرَ[4] المُحلَّى لابن حَزم .
وكتابَ نبأ[5] الدَّجَّال .
ومُخْتصراتٍ كثيرةً .
وقرأ القُرآنَ بالروايات ، وأقْرَأه .

توفِّى فى ليلة الاثنين ثالثَ ذى القَعْدة ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، بالمدرسة المنسوبةِ لأمِّ الصالح[6] ، فى قاعة سَكَنِه .

ورآه الوالدُ رحمه الله قبلَ المَغْرب ، وهو فى السِّياق ، وقال [له][7] : كيف تَجِدُك؟ فقال : فى السِّياق ، ثم سأله : أدَخَلَ وقتُ المغرب؟ فقال له الوالد : ألم تُصَلِّ العَصْرَ؟ فقال : بلى ولكن لم أُصَلِّ المغرِبَ إلى الآن ، وسأل الوالدَ رحمه الله [عن][7] الجمع بين المغرِب

---

(١) فى المطبوعة : « المحرر » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وتمام اسم هذا الكتاب : المجرد من تهذيب الكمال .

(٢) يسمى : المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .

(٣) فى المطبوعة : « المختصر لمحدث » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . ويسمى هذا الكتاب : المعجم المختص .

(٤) ويسمى : المستحلى فى اختصار المحلى .

(٥) فى المطبوعة : « أسماء الرجال » ، وكذا فى : ج ، ك . لكن كلمة « أسماء » غير واضحة فيهما . وأثبتنا الصواب من بعض مصادر الترجمة . وقال المصنف فى الطبقات الوسطى : « وله كتاب الروع والأوجال فى نبأ المسيخ الدجال ، وهو حسن قرأته عليه . وانتقى وخرج ، ودخل فى كل باب من أبواب الحديث وخرج » .

(٦) وتسمى المدرسة الصالحية . راجع تحديدها فى منادمة الأطلال ١١٠ .

(٧) ساقط من المطبوعة . وأثبتناه من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى .

والعِشاء تقديمًا ، فأفتاه بذلك ، ففعله ، ومات بعد العِشاء قبلَ نِصْفِ اللَّيل .

ودُفِن بباب الصَّغِير ، حضرتُ الصَّلاةَ عليه ، ودَفْنَه .

وكان قد أَضَرَّ قبل وفاته بمدَّةٍ يسيرة .

أنشدَنا شيخُنا الذَّهبيُّ ، مِن لفظِه لنفسِه[1] :

تَوَلَّى شَبابِى كأن لم يَكُنْ   وأقبلَ شَيبٌ علينَا تَوَلَّى
ومَن عايَنَ المُنْحَنَى والنَّقَى   فما بعدَ هذينِ إلا المُصَلَّى

وأنشدَنا لنفسِه ، وأرسلَها[2] معى إلى الوالدِ رحمه الله ، وهى فيما أراه آخِرَ شِعرٍ قاله ، لأن ذلك كان فى مَرَضِ موتِه ، قبلَ موته بيومين أو ثلاثة :

تَقىَّ الدِّينِ ياقاضِى المَمالِكْ   ومَنْ نحنُ العَبيدُ وأنت مالِكْ
بلَغْتَ المجْدَ فى دِينٍ ودُنْيا   ونِلْتَ مِن العُلُومِ مَدَى كَمالِكْ
ففى الأحكامِ أقْضانَا عَلِىٌّ   وفى الخُدَّام مَعْ أنسِ بنِ مالِكْ
وكابْن مَعِين فى حِفْظٍ ونَقْدٍ   وفى الفُتْيا كسُفْيانٍ ومالِكْ
وفَخْرِ الدِّين فى جَدَلٍ وبَحْثٍ   وفى النَّحْوِ المُبرِّدِ وابنِ مالِكْ
وتَسكُنُ عندَ رِضْوانٍ قريبًا   كما زُحْزِحْتَ عن نِيرانِ مالِكْ[3]
تَشفَّعْ فى أُناسٍ فى فِراءٍ   لِتكسُوَهُمْ ولو مِن رأسِ مالِكْ[4]
لِتُعْطَى فى اليَمِين كِتابَ خَيْرٍ   ولاتُعْطَى كِتابَكَ فى شِمالِكْ

وذكر بعد هذا أبياتًا[5] علَى هذا النَّمَط ، تتعلَّقُ بمَدْحِى ، لم أذكرْها ، وختَمها بقوله :

---

(١) البيتان فى : شذرات الذهب ٦ / ١٥٥ ، ذيول تذكرة الحفاظ ٣٧ ، وانظر شبيه البيت الثانى فى شعر عمر بن عوض الشارعى ، المترجم فى الدرر الكامنة ٣ / ٢٥٨ .

(٢) فى المطبوعة : « وأرسل بها » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى .

(٣) فى الطبقات الوسطى : « دار رضوان » .

(٤) جاء هذا البيت فى المطبوعة بعد الذى يليه . وأثبتناه كما ورد فى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى .

(٥) فى المطبوعة : « بعدها أبيات » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى .

وللذَّهبِـــــىِّ إِدْلالُ المَوالِـــــى	عَلَى المَوْلَى كحلمِكَ واحتِمالِكْ(١)

ومِن نَظْمِه أيضًا فى أسماء المُدَلِّسِين(٢) :

حَـدُّ المُدَلِّسِيـنَ يـاذا الفِكْـرِ	جابرٌ الجُعْفِـىُّ ثُـمَّ الزُّهْـرِى(٣)

والحَسَنُ البَصْرِىُّ قُلْ مَكْحُـولُ	قَتَـادَةٌ حُمَيْـدٌ الطَّوِيـــلُ(٤)

[ثُمَّتَ] ابنُ عبدِ المَلِكِ القِبْطِى	وابـنُ أبى نَجِيـحِ المَكِّـــى(٥)

والثَّبْتُ يحيى بنُ أبى كَثِيـرِ	والأعْـمَشُ الناقِـلُ بالتَّحرِيـــرِ

وقُـلْ مُغِيـرَةُ أبـو إسحـاقِ	والمَرئِـى الميمـونُ باتِّفـاقِ(٦)

---

(١) فى المطبوعة : « بحلمك » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى .

(٢) رجعنا فى توثيق هذه الأسماء إلى رسالة فى أسماء المدلسين ، للحافظ السيوطى ، محفوظة بمعهد المخطوطات ، بجامعة الدول العربية ، برقم (١٣٦٣) تاريخ . وللحافظ ابن حجر العسقلانى رسالة فى أسماء المدلسين ، تسمى : « تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » ، وهى مطبوعة بمصر سنة ١٣٢٢هـ ، لكننا لم نتمكن من الاطلاع عليها ، لندرتها .

(٣) فى المطبوعة : « خذ » ، والتصحيح من : ج ، ك .

(٤) قتادة هنا ، هو : قتادة بن دعامة السدوسى . راجع ميزان الاعتدال ٣ / ٣٨٥ . وجاء فى المطبوعة : « وقل حميد » . وأسقطنا هذه الزيادة ، كما فى : ج ، ك .

وحميد الطويل ، هو : حميد بن تيرويه الطويل . راجع ميزان الاعتدال ١ / ٦١٠

(٥) مابين الحاصرتين زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك . وجاء فى المطبوعة : « القطيعى » . وفى ك : « القطبى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ولعل المقصود هنا : « عبد الملك بن عمير القبطى » . ونسبته هذه إلى فرس كان له ، اسمه « قبطى » . راجع اللباب ٢ / ٢٤١ ، والميزان ٢ / ٦٦٠ .

وابن أبى نجيح : هو عبد الله ، كما فى رسالة السيوطى ، وانظر ميزان الاعتدال ٢ / ٥١٥

(٦) نرجح أن مغيرة هنا : هو المغيرة بن مقسم الضبى ، أبو هشام فقد كان موصوفا بالتدليس . انظر ميزان الاعتدال ٤ / ١٦٥ ، ١٦٦ ، تقريب التهذيب ٢ / ٢٧٠ . وجاء فى رسالة السيوطى : « مغيرة بن نعيم » ولم نجده فى المحدثين .

أما « أبو إسحاق » فلعله السبيعى .

وجاء فى المطبوعة : « والمرادى ميمون » . وفى : ج ، ك : « والراى الميمون » . وفى رسالة السيوطى : « ميمون بن موسى الحراى » . وأثبتنا مافى اللباب ٣ / ١٢٠ ، وتقريب التهذيب ٢ / ٢٩٢ ، وميزان الاعتدال ٤ / ٢٣٤ ، قال ابن الأثير فى اللباب : « المرئى ، بفتح الميم والراء ، وبالألف المهموزة المكسورة : هذه النسبة إلى امرىء القيس بن مضر ، منهم ميمون بن موسى بن عبد الرحمن » . وقد وصفه الذهبى وابن حجر بالتدليس .

ثـمّ يَزِيـدُ بـنُ أبى زِيـادِ حَبِيبُ ثابتٌ فَتـى الأَجْـدادِ[1]
أبـو جَنـابٍ وأبـو الزُّبَيْـرِ والحَكَمُ الفَقِيهُ أهـلُ الخَيـرِ[2]
عَبَّادُ مَنصُورٌ قُلِ ابنُ عَجْـلانْ وابـنُ عُبَيْـدٍ يـونُسُ ذُو الشَّأنْ[3]
ثم أبـو حُـرَّةَ وابـنُ إسحـاقِ حَجَّـاجُ أرْطـاةٌ لكـلّ مَساقِ[4]
ثم أبـو سَعْـدٍ هـو البَقَّـالُ عِكْرِمَـةُ الصَّغِيـرُ ياهِـلالُ[5]

---

(١) يعنى : حبيب بن أبى ثابت . كما ذكر السيوطى فى رسالته . وراجع تقريب التهذيب ١ / ١٤٨ ، وميزان الاعتدال ١ / ٤٥١ .

(٢) فى المطبوعة : « أبو حبان » . وفى ك : « أبو خباب » ، وأثبتنا مافى : ج ، وهو : يحيى بن أبى حية أبو جناب الكلبى ، وصفوه بالتدليس . راجع ميزان الاعتدال ٤ / ٣٧١ ، وتقريب التهذيب ٢ / ٣٤٦ .

و « أبو الزبير » هو : محمد بن مسلم ، المكى ، كما ذكر السيوطى . وراجع الميزان ٤ / ٣٧ ، والتقريب ١ / ٢٠٧ .

والحكم هنا ، هو : الحكم بن عتيبة ــ بالمثناة ثم الموحدة مصغرا ــ كما قيده ابن حجر فى التقريب ١ / ١٩٣ ، وجاء فى رسالة السيوطى : « عيينة » . وانظر الميزان ١ / ٥٧٧ .

(٣) يعنى فى أول البيت : « عباد بن منصور » ، كما فى رسالة السيوطى ، والميزان ٢ / ٣٧٦ .

وابن عجلان ، هو : محمد بن عجلان . كما ذكر السيوطى . وراجع الميزان ٣ / ٦٤٤ .

وانظر لترجمة « يونس بن عبيد » ٤ / ٤٨٢ .

(٤) أبو حرة ، هو : واصل بن عبد الرحمن الرقاشى . انظر الميزان ٤ / ٣٢٩ ، والتقريب ٢ / ٣٢٨ .

وابن إسحاق ، هو : محمد بن إسحاق ، كما ذكر السيوطى . وهو صاحب السيرة . راجع الميزان ٣ / ٤٦٨ .

وانظر ترجمة : « حجاج بن أرطاة » فى الميزان ١ / ٤٥٨ .

وجاء فى المطبوعة : « لكل مشتاق » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) أبو سعد ، هو : سعيد بن المرزبان البقال ، كما ذكر السيوطى . وهو فى الميزان ٢ / ١٥٧ .

وجاء فى أصول الطبقات : « النقال » بالنون قبل القاف . وصوابه بالباء الموحدة ، كما فى المرجعين السابقين ، واللباب ، لابن الأثير ١ / ١٣٥ .

وعكرمة هنا ، لعله : عكرمة بن خالد بن سلمة بن العاص المخزومى . راجع الميزان ٣ / ٩٠ ، والتقريب ٢ / ٣٠ .

وقوله : « ياهلال » . هو هكذا فى المطبوعة . ولم يتضح رسمه فى : ج ، ك .

ثم ابنُ واقِدٍ حُسَيْنُ المَـرْوَزِى   وابـنُ أبى عَرُوبَـةَ اصْغَ تَفُـزِ[1]
وَلِيـدُ مُسْلِـمٌ حكـى بَقِيَّـهْ   فى حـذفِ واه خُلَّـةٌ دَنِيَّـهْ[2]

وقد كنت لما توفِّىَ شيخُنا رثيتُه بقصيدةٍ مَطلعُها[3] :

مَن للحديثِ وللسَّارِينَ فى الطَّلَبِ   مِن بعدِ مَوْتِ الإمامِ الحافِظِ الذَّهَبِى
مَـن للرِّوايـةِ للأخبـار يَنشرُهـا   بينَ البَرِيَّةِ مِن عُجْمٍ ومِن عَرَبِ[4]
مَـن للدِّرايـةِ والآثـارِ يَحْفَظُهـا   بالنَّقْدِ مِن وَضْعِ أهلِ الغَىِّ والكَذِبِ
مَن للصِّناعةِ يَدْرِى حَلَّ مُعْضِلِها   حتَّى يُرِيكَ جِلاءَ الشَّكِّ والرِّيَبِ
مَن للجَماعَةِ أهلِ العِلْمِ تُلْبِسُهُمْ   أعلامُه الغُرُّ مِن أبرادِها القُشُبِ[5]
مَن للتَّخارِيجِ يُبْدِيها ويَدْخُلُ فى   أبوابِهـا فاتِحًـا للمُقْفَـلِ الأَشِبِ
مَن فى القِراآتِ بينَ الناسِ نافِعُهُمْ   وعاصِمٌ رُكْنَها فى الجَحْفَلِ اللَّجِبِ[6]
مَن للخِطابَةِ لَمَّا لاحَ يَرْفُلُ فى   ثَوْبِ السَّوادِ كبَدْرٍ لاحَ فى سُحُبِ

---

(١) فى المطبوعة : « حصين المروزى » . والتصحيح من : ج ، ك ، ورسالة السيوطى . وانظر ترجمة : « الحسين بن واقد » هذا فى الميزان ١ / ٥٤٩ .

وابن أبى عروبة ، هو : سعيد . راجع الميزان ٢ / ١٥١ .

(٢) راجع « الوليد بن مسلم » فى الميزان ٤ / ٣٤٧ .

وبقية ، هو : بقية بن الوليد بن صائد الكلاعى الحافظ . راجع الميزان ٤ / ٣٣١ .

وجاء فى المطبوعة : « خلت دينه » ، والتصحيح من : ج ، ك .

(٣) بعض هذه الأبيات فى : ذيول تذكرة الحفاظ ٣٤٩ ، فهرس الفهارس ١ / ٣١٣ ، ونشير هنا إلى أن المصنف فى هذه القصيدة قد تأثر أبا تمام فى بائيته التى أولها :

* السيف أصدق أنباء من الكتب *

راجع ديوانه ١ / ٤٠ ومابعده .

(٤) فى الطبقات الوسطى : « والأخبار ينشرها » ، وكذلك فى المرجعين السابقين .

(٥) فى الطبقات الوسطى : « يلبسها » .

(٦) فى : ج ، ك : « النجب » . وأثبتنا مافى : المطبوعة ، والطبقات الوسطى . وانظر هذه القافية فى شعر أبى تمام ، ديوانه ١ / ٥٩ ، وراجع تعليقنا فى أول القصيدة .

منها :

بِاللهِ يانَفسُ كُونِى لى مُساعِدَةً — وحاذِرِى جَزَعَ الأَوْصابِ والرُّعُبِ
فهـذه الـدارُ دارٌ لاذِمـامَ لهَـا — ليستْ بنَبْعٍ إذا عُدَّتْ ولاغَرَبِ[1]
وليس تَبْقَى على حالٍ وليس لَها — عَهْدٌ يُمَسَّكُ بالأَوْتادِ والطُّـنُبِ[2]
بَيْنا يُرَى المَرْءُ فى بَحْرِ المَعَزَّةِ ذا — خَوْضٍ تَرامَتْ عليه ذِلَّةُ النُّوبِ[3]
والأَمْرُ مِن واصِلِ الأيامِ مُنْقَطِعٌ — وعُمْرُ عامِرِها كالمَرْبَعِ الخَرِبِ
هَـذِى المنِيَّـةُ لاتنـفَكُّ آخِـذَةً — مابَينَ مُحتَقَرٍ فينـا وذِى نَسَبِ
هى السِّهامُ نُصِبْنا نحوَها غَرَضًا — تُصْمِى وتَسْلبُ كالعَسَّالَةِ السُّلُبِ
وهْوَ الحِمامُ فلا تَعجُبْ عليه ولا — تَعْجَبْ لَدَيه فما فى الموتِ مِن عَجَبِ[4]
وإن تَغِبْ ذاتُ شمسِ الدِّينِ لاعَجَبٌ — فأىُّ شَمْسٍ رأيناها ولم تَـغِبِ
هو الإمامُ الذى رَوَّتْ روايتُـهُ — وطَبَّقَ الأرضَ مِن طُلَّابِهِ النُّجُبِ
مُهَـذَّبُ القَـولِ لاعِىٌّ ولَجْلَجَـةٌ — مُثَبَّتُ النَّقْلِ سامِى القَصْدِ والحَسَبِ[5]

---

(١) فى المطبوعة : « لادوام لها » . وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وورد الشطر الثانى مضطربا فى أصول الطبقات الكبرى . وأثبتنا الصواب من الطبقات الوسطى . وهو من شعر أبى تمام ، قال فى فتح عمورية ، مكذبا للمنجمين الذين حكموا بأن المعتصم لن يفتحها :

أيـن الروايـة أم أيـن النجـوم ومـا — صاغـوه مـن زخـرف فيها ومـن كـذب
تخرصا وأحاديثـا ملفقـة — لـيست بنبـع إذا عـدت ولاغـرب

ديوانه ١/ ٤٢ ، والنبع والغرب : ضربان من الشجر ، النبع من جيده ، والغرب من رديئه . يقول : هذه الأحاديث ليست بقوية ولا ضعيفة ، أى هى غير شىء ، كما يقال : ما هو بخل ولا خمر ، أى هو كالمعدوم ليس عنده خير ولا شر .

(٢) فى أصول الطبقات الكبرى : « تمسك » . وأثبتنا ما فى الطبقات الوسطى . وانظر هذه القافية فى شعر أبى تمام ، ديوانه ١/ ٦٤ ، وراجع تعليقنا فى أول القصيدة .

(٣) فى : ج ، ك : « دله النشب » . وأثبتنا مافى : المطبوعة ، والطبقات الوسطى . والقافية عند أبى تمام ، ديوانه ١ / ٤٨ .

(٤) فى أصول الطبقات الكبرى : « ولاتعجب » . وأثبتنا مافى الطبقات الوسطى . وضبطنا الفعل بفتح التاء وضم الجيم ، منها .

(٥) فى المطبوعة : « سامى الغصن » وفى الطبقات الوسطى : « الفضل » . وأثبتنا مافى : ج ، ك .

ثَبْتٌ صَدُوقٌ خَبِيرٌ حافِظٌ يَقِظٌ فى النَّقْلِ أَصْدَقُ أَنباءً مِن الكُتُبِ[1]
كالزُّهْرِ فى حَسَبٍ والزَّهْرِ فى نَسَبٍ والنَّهْرِ فى حَدَبٍ والدَّهْرِ فى رُتَبِ[2]
وهى طويلةٌ فَلْيقع الاقتصارُ على ماأوردناه .

ومن الفوائد عنه

ويُعجِبُنى من كلام شيخِنا أبى عبد الله الحافظ ، فَصْلٌ ذَكره بعدَ تصنيفِ كِتاب المِيزان[3] ، وأنا مُورِدٌ بعضَه .

● قال : قد كتبتُ فى مصنَّفِى [الميزان][4] عددًا كثيرًا مِن الثِّقات الذين احتجّ البُخارِىّ أو مسلمٌ أو غيرُهما بهم ، لكونِ الرَّجُلِ منهم قد دُوِّنَ اسمُه فى مصنَّفات الجَرْح ، وماأوردتُهم لضَعْفٍ فيهم عِندى ، بل لِيُعرَفَ ذلك ، ومازال يَمُرُّ بى الرَّجلُ الثَّبْتُ وفيه مَقالُ مَن لايُعْبأُ به ، ولو فتحْنا هذا البابَ على نُفوسِنا لدَخَل فيه عِدَّةٌ مِن الصَّحابة والتابعين والأئمّة ، فبعضُ الصَّحابة كَفَّر بعضَهم بتأويلٍ مَّا ، واللهُ يرضَى عن الكُلِّ ويَغفِرُ لهم ، فما هم بمعصُومِين ، ولا اختلافُهم ومُحارَبتُهم بالتى تُلَيِّنُهم عندَنا أصلًا ، ولابتكفيرِ الخَوارِجِ لهم انحطَّتْ رِوايتُهم ، بل صار كلامُ الخوارِجِ[5] والشِّيعةِ فيهم جَرْحًا فى الطاعِنين ، فانظُرْ إلى حكمة رَبِّك ، نسأَلُ اللهَ السَّلامة .

---

(١) هذا من قول أبى تمام :

* السيف أصدق أنباء من الكتب *

وانظر تعليقنا فى أول القصيدة .

(٢) فى : ج ، ك : « والدهر فى نسب » . وأثبتنا مافى : المطبوعة ، والطبقات الوسطى . وجاء بعد هذا البيت فى الطبقات الوسطى :

اللهُ أكبرُ ماأحْرَى وأحفَظَهُ مِن زاهِدٍ ورِعٍ فى اللهِ مُرْتَعِبِ

والقافية عند أبى تمام : « فى الله مرتغب » بالغين المعجمة : أى يرغب فيما يقربه إلى الله تعالى . راجع ديوانه ١ / ٥٨ ، وانظر تعليقنا فى أول القصيدة .

(٣) هذا الفصل ذكره الذهبى فى كتاب : « الثقات المتكلّم فيهم بما لا يوجب ردّهم » المطبوع بمصر ١٩٠٦ م ، وانظر مقدمة الميزان وخاتمته .

(٤) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « الجارح » . والتصحيح من : ج ، ك .

وهكذا كَثيرٌ مِن كلام الأَقْرانِ بعضِهم فى بعض ، ينبغى أن يُطْوَى ولا يُرْوَى .

قال : وسوف أبسُطُ فصلًا فى هذا المعنى يكون فَيصلًا[1] بين المُجرَّحِين[2] ، المُعْتَبرِ والمَرْدُود .

فأمّا الصَّحابةُ فبِساطُهم مَطْوِىٌّ ، وإن جَرَى ماجَرَى ، إذ العَمَلُ على عَدالَتِهم ، وبه نَدِينُ اللهَ .

وأمّا التابعون فيكاد يَعْدَمُ فيهم الكاذِبُ عَمدًا ، ولكن لهم غَلَطٌ وأوهام ، فمَنْ نَدَر غَلطُه احتُمِل ، وكذا مَن تَعدَّد غَلَطُه وكان مِن أوعِية العِلْم ، علَى تَردُّدٍ بين الأئمّة فى الاحتجاج بمن هذا نَعْتُه ، كالحارِث[3] الأَعْوَر ، وعاصِم بن ضَمْرة[4] ، وصالِح مَوْلَى التَّوْأَمَة[5] ، وعطاءِ بن السائب[6] .

ومَن فَحُشَ خطؤُه وكثر تفرُّدُه ، لم يُحتَجَّ بحديثِه ، ولا يكاد يقع ذلك فى التابعين الأوَّلين [7] [وإن وُجِد فى صِغار التابعين ، كمالِكٍ والأَوزاعِىّ][7] فمَن بَعدَهم ، [7][فعلى المَراتبِ المذكورة][7] .

وأما أصحابُ التابعين فوُجِد فى عصرهم مَن تعمَّد[8] الكذِبَ ، أو من كثُر غلطُه وتخبيطُه[9] فتُرِك[10] حديثُه ، هذا مالِكٌ النَّجْمُ الهادِى بينَ الأُمّة[11] ، وماسَلِمَ مِن

---

(١) فى المطبوعة : « فصلا » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « المجروحين » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٣) هو الحارث بن عبد الله الهمدانى الأعور ، راجع ترجمته فى ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٥ .

(٤) انظر الميزان ٢ / ٣٥٢ .

(٥) هو صالح بن نبهان المدنى . والتوأمة : بنت أمية بن خلف . ميزان الاعتدال ٢ / ٣٠٢ ، تاج العروس (ت أ م) ٨ / ٢١٠ .

(٦) راجع الميزان ٣ / ٧٠ .

(٧) مابين الحاصرتين ، فى الموضعين ، زيادة من المطبوعة على مافى : ج ، ك . ويلاحظ أن الكلام جاء فى النسخة ج هكذا : « ولايكاد يقع ذلك فى التابعين الأولين ، كمالك والأوزاعى فعلى المراتب المذكورة » . ثم ضبب الناسخ على : « كمالك والأوزاعى فعلى المراتب المذكورة » .

(٨) فى : ج ، ك : « يتعمد » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، وهو مناسب لما بعده .

(٩) فى المطبوعة : « وتخبطه » ، والمثبت من : ج ، ك .

(١٠) فى المطبوعة : « فتحول » ، والمثبت من : ج ، ك .

(١١) فى المطبوعة : « الأئمة » ، والمثبت من : ج ، ك .

الكلامِ فيه ، وكذا الأوْزاعِيُّ ثِقَةٌ حُجَّةٌ ، ورُبمّا انفرد ووَهَم ، وحديثُه عن الزُّهرِيّ فيه شيءٌ مَّا ، وقد قال فيه أحمدُ بن حَنْبل : حديثٌ ضعيفٌ ورأيٌ ضعيف .

وقد تُكُلِّفَ لمعنى[1] هذه اللفظة ، وكذا[2] تَكلَّم مَن لايفَهم فى الزُّهرِيّ ، لكونه خَضَب بالسَّوادِ ، ولَبِس زِيَّ الجُنْد ، وخَدَم عندَ هشام بن عبد الملك .

وهذا[3] بابٌ واسع ، والماءُ إذا بلَغ القُلَّتَيْن[4] لم يَحْمِل الخَبَثَ .

ثم ذكَر جماعةً من هذا الجنس ، أعنى مَن لايَضُرُّهم كلامُ مَن تكلَّم فيهم ، بل يَضُرّ المتكلِّمَ ، فمنهم الفُضَيل بن عِياض ، فإنه ثِقةٌ سَيِّدٌ بلا نِزاع .

وقال أحمد بن[5] أبى خَيْثَمة : سمعتُ قُطْبَةَ بنَ العلاء يقول : تركتُ حديثَ الفُضَيل بن عِياض ، لأنه رَوَى أحاديثَ أزْرَى فيها على عثمانَ بنِ عَفّان رضى الله عنه ، فلا يُسْمَعُ كلامُ قُطْبَةَ ، ومَن هو قُطْبة[6]؟

ومنهم محمد بن إدريس الشافعيُّ ، الإمام الذى سارت الرُّكْبانُ بفضائله ومعارِفه وثقتِه وأمانتِه ، فهو حافظٌ ثَبْتٌ نادِرُ الغَلَط ، حتى إن أبا زُرْعةَ قال : ماعندَ الشافعيِّ حديثٌ غَلِطَ فيه ، وقال أبو داود : ماأعلم للشافعيّ [قَطُّ][7] حديثًا خطأً ، وقد رُوِىَ أنّ ابن مَعِين قال فيه : ليس بِثقةٍ .

---

(١) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « معنى » .

(٢) فى المطبوعة : « وقد » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « وهو » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « قلتين » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « بن خيثمة » ، والتصحيح من : ج ، ك ، وميزان الاعتدال ٣ / ٣٦١ ، فى ترجمة « الفضيل » . واسم أبى خيثمة : زهير بن حرب .

(٦) بعد هذا فى الميزان : « وماقطبة حتى يجرح ، وهو هالك؟ » . وراجع ترجمة « قطبة » فى الميزان ٣ / ٣٩٠ .

(٧) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة .

قال الذهبىُّ : فقد آذى ابنُ مَعِين نفسَه بذلك ، ولم يلتفت أحدٌ إلى كلامه فى الشافعىّ ، ولا إلى كلامِه فى جماعةٍ من الأثبات ، كما لم يلتفتُوا إلى توثيقِه بعضَ الناس .

قلت : وقد قدَّمنا[1] فى ترجمة الأستاذ أبى منصور البَغدادِىّ أن ابنَ مَعِين لم يَعْنِ الشافعىَّ[2] ، فانطَوَى هذا البِساط .

وأطال الذهبىُّ النَّفَسَ فى هذا الموضع وأجادَ فيه ، وقال فى آخره : فالشافعىُّ من جِلَّةِ أصحابِ الحديث ، رَحَل فيه ، وكَتَب بمكةَ والمدينةِ والعِراقِ واليمنِ ومصرَ ، ولُقِّب ببغدادَ ناصِرَ الحديث ، ولم يوجد له حديثٌ غَلِطَ فيه ، والله حَسِيبُ من يتكلَّمُ بجهلٍ أو هَوًى .

نعم لم يكن الشافعىُّ فى الحديث كيحيى القَطَّان ، وابنِ مَهْدِىّ ، وأحمدَ بنِ حنبل ، وابن المَدِينىّ ، بل ماهو فى الحديث بدُونِ الأَوْزاعِىّ ولامالكٍ ، وهو فى الحديث ورِجاله وعِلَله فوقَ أبى مُسْهِر وأشباهِه . انتهى .

قلت : ونحن لانُسلِّم أن الشافعىَّ فى الحديثِ دُونَ مَن ذَكره ، وغايةُ الأمرِ أن الذى ظهر أنّ ذِكْرَه أكثر ، وماذاك إلّا لاشتغال الشافعىِّ بما هو أهَمُّ : من ترتيب قَوانينِ الشَّريعة .

ويكفى الشافعىَّ شهادةُ المحدِّثين له ، بأنه[3] ليس له حديثٌ غَلِط فيه .

ثم أورد الذهبىُّ الذين لم يُؤثِّر الكلامُ فيهم ، علَى حُروفِ المعجَم ، فعَدَّ فيهم : إبراهيمَ ابن طَهْمان ، وإبراهيمَ بن سعد ، وأبانَ بن يزيد العَطّار ، وأبا ثَوْر ، وأحمد بن صالح الطَّبرىَّ المِصرِىَّ ، وأبا نُعيم الأصبهَانىّ الحافظ ، والخطيبَ أبا بكر الحافظ ، وأبا مسعود أحمد بن الفُرات الرَّازِىّ الحافظ ، وأحمدَ بن حنبل ، وأحمدَ بن منصور الرَّمادِىّ الحافظ ، وإسرائيلَ بن يونس ، وإسماعيلَ بن عُلَيَّةَ ، وابن راهُويَهْ ، وجعفرًا الصادق ، وجريرَ

---

(1) فى المطبوعة : « قدمت » ، والمثبت من : ج ، ك .

(2) راجع الجزء الخامس ١٤٨ .

(3) فى المطبوعة : « بأن » ، والمثبت من : ج ، ك .

ابن حازِم الأزْدىَّ ، وحبِيبًا[1] المُعلم ، وحَربَ بن شَدَّاد ، وحَفصَ[2] بن مَيْسَرة ، وحُمْران[3] بـن أبان ، مولى عثمانَ ، وخالدًا[4] الحَذَّاء ، وزكريا بن أبى زائدة[5] ، والأعمشَ ، وعبد الرزّاق ، وقيسَ بن أبى حازِم ، ومالكَ بن دينار ، وهشامَ بن حسَّانَ ، وهَمَّامَ بن يحيى ، والوليدَ بن مسلم ، ووَهْبَ بن مُنبِّه ، ويَعْلَى بن عُبَيد الطَّنافِسىّ ، وأبا إسحاق السَّبِيعىَّ ، وجماعةً آخرين ، تركتُهم اختصارًا .

وقد أجاد الشيخُ رحمه الله ، فلا يخفَى أن الكلامَ فى هؤلاء وعدمَه سواءٌ ، ولا يؤثِّر الكلامُ فيهم شيئا مّا ، وإذا عارضَ حديثَ أحدِهم حديثُ مِن لم يقع فيه كلامٌ لا نقول : إنه يُقدَّم عليه ؛ لأن الكلامَ فيهم لم يؤثِّر شيئًا ، بل أقول : لم يسلَمْ أحدٌ مِن أن يُتكلَّمَ فيه بمثل ما تُكلِّم فى هؤلاء ، والله المستعان .

قال لى شيخُنا الذَّهبىُّ مَرَّة : مَن فى الأُمَّة أفضلُ من أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه بالإجماع ؟

فقلت : يُفيدنا الشيخُ .

فقال : عيسى ابنُمريم عليه السلام ، فإنه من أمّة المصطفَى ﷺ ، ينزلُ على باب دمشق ، ويأتَمُّ فى صلاة الصُّبح بإمامها ، ويحكم بهذه الشَّريعة .

---

(١) فى الأصول : « وحبيب » ، وقد اختلف فى اسم أبى حبيب اختلافا كثيرا ، انظره فى الميزان ١/ ٤٥٦ ، وتقريب التهذيب ١/ ١٥٢ .

(٢) فى : ج ، ك : « جعفر بن ميسرة » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة . ويؤكده أن الذهبى حين ترجم لحفص ابن ميسرة ، ذكر توثيق العلماء له ، وتعديله ، وحين ترجم لجعفر بن ميسرة حكى عنهم تضعيفه وتجريحه . راجع الميزان ١/ ٤١٨ ، ٥٦٨ .

(٣) فى المطبوعة : « حمدان » بالدال ، وأثبتناه بالراء ، من : ج ، ك ، والميزان ١/ ٦٠٤ ، وتقريب التهذيب ١/ ١٩٨ ، ونص على أنه بضم أوله .

(٤) فى الأصول : « وخالد » .

(٥) فى : ج ، ك : « زائد » ، والمثبت من المطبوعة ، والميزان ٢/ ٧٣ ، وفى اسم أبى زائدة خلاف انظره فى تقريب التهذيب ١/ ٢٦١ .

قلت : وهذا ما أشرتُ إليه بقصيدتى[1] التى نظمتُها فى المُعاياةِ ، منها :

مَن باتِّفاقِ جميعِ الخَلْقِ أفضلُ مِنْ   شَيخِ الصِّحابِ أبى بكرٍ ومِن عُمَرِ
ومِن علىٍّ ومِن عُثمانَ وهْوَ فتًى   مِن أمّةِ المصطفَى المُختارِ من مُضَرِ

وبعد أن نظمتُ هذه الأبيات ، وقفت على قصيدة غَرَّاءَ لبعض الأُدباء ، أحببتُ تخليدَها فى هذا الكتاب ، وهى[2] :

سَلَا صاحِبَىَّ الجَزْعَ مِن أَبْرَقِ الحِمَى   عَن الظَّبَيَاتِ الخُرَّدِ البِيضِ كالدُّمَى[3]
وعُوجَا على أهلِ الخيامِ بحاجرٍ   ورامَةَ مِن أهلِ العراقِ فَسلِّما[4]
وإن سَفَهتْ رِيحُ الشَّمالِ عليكُما   ورِيحُ الصَّبا فى أرضِها فتحَلَّما[5]
فبَيْنَ الخيامِ أغيَدٌ يَخطِفُ الحشَا   مَريضُ جُفُونٍ للصَّحيحاتِ أسْقَما[6]
يُريكَ الدَّياجِى إن غدا مُتَجَهِّمًا   وشَمْسَ الضُّحَى إن ما بدا مُتَبسِّما[7]
ويَفْتَرُّ عن دُرٍّ يُصانُ بَهاؤُه   ويَحرُسُ بالظَّلْمِ المُمَنَّعِ واللَّما
كأنَّ قَضِيبَ البانِ فى مَيَسانِهِ   رأى قَدَّه لمَّا انثَنَى فَتعلَّما
إذا الرِّيحُ جَالت حولَ عِطْفَيْه أصبحَتْ   تَهُبُّ نَسِيمًا ما أرَقَّ وأنْعَما
يُقيِّدُ مِن تَعْرِيجِه الصُّدْغَ عَقْرَبًا   ويُرْسِلُ مِن رَجْعِ الذُّؤابَة أرْقَما[8]
لـه فى قُلوبِ العالَمين مَهابَةٌ   تُبلِّغُه فى حُكْمِه ماتيمَّما[9]

---

(١) ستأتى هذه القصيدة فى ترجمة : « محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى ، عماد الدين البلبيسى » .

(٢) يوجد من هذه القصيدة المسماة « القصيدة البديعة ، العربية الجامعة لشتات الفضائل والرموز العلمية » مخطوطة فى مجموع بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٩٠٨ أدب ، ومنها مصورة بمعهد المخطوطات ، برقم ٦٥٣ أدب ، وعلى الصفحة الأولى أنها من نظم أبى محمد عبد الله بن أحمد ، المعروف بابن الخشاب ، وبعث بها إلى الإمام كمال الدين عبد الرحيم الأنبارى . وعليها أيضا بخط حديث أن القصيدة موجودة بطبقات تاج الدين السبكى .

وابن الخشاب الذى تنسب إليه القصيدة ، هو الإمام النحوى اللغوى الأديب ، المتوفى سنة ٥٦٧هـ ، وجاء فى ترجمته من الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٢٢ ، أن له قصيدة طويلة فى الألغاز والعويص فى جميع أنواع العلوم . قال ابن رجب : « قيل : إنه كتبها إلى بعض فضلاء عصره ... وأظنه ابن الدهّان » . أما كمال الدين ابن الأنبارى ، فلم نعرفه ، والذى نعرفه بهذا اللقب وتلك النسبة هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، صاحب الإنصاف وغيره ، وهو من معاصرى ابن الخشاب ، حيث إنه توفى سنة ٥٧٧هـ . راجع ترجمته فيما سبق من الطبقات ٧/١٥٥ .

(٣) فى القصيدة : « عن أيمن الحمى » . وفى النسخ : « عن الطيبات الخرد » .

(٤) فى ج ، ك : « وحاجر » . والمثبت فى م ، والقصيدة . وفى القصيدة : « ورامة من أرض العراق » . وحاجر : موضع فى ديار بنى تميم . ورامة : موضع بالعقيق فى طريق البصرة إلى مكة . معجم ما استعجم ٤١٦ ، ٩٥٤ .

(٥) فى القصيدة : « فى مرها فتحلما » .

(٦) فى النسخ : « فبين خيام » . وفى القصيدة : « مريض الجفون بالصحيحات » .

(٧) فى النسخ : « متهجما » .

(٨) فى المطبوعة : « يعبد من تعريجه » . وفى القصيدة : « من حسن الذؤابة » .

(٩) فى القصيدة : « فى قلوب العاشقين » .

وحُثَّا إلى عبدِ الرَّحيمِ رَكائبًا ... تُحاكِي قِسِيَّ النَّبعِ فَوَّقْنَ أَسْهُما[1]
فتًى جُمِعَتْ فيه الفضائلُ راضِعًا ... ونالَ العُلَى مِن قبلِ أن يتكلَّما
حَلِيفُ التُّقَى تِرْبُ الوَقارِ مُهذَّبُ الـ ... ـخِلالِ يَرَى كَسْبَ المحامِدِ مَغْنَما[2]
يَبِيتُ نَدِيمًا للسَّماحِ مُعاقِرًا ... ويُصْبِحُ صَبًّا بالمعالِي مُتَيَّما[3]
له خُلُقٌ كالرَّوْضِ غِبَّ سَمائِهِ ... تَضوَّعَ مِسْكًا أَذْفَرًا وتَبسَّما
إذا جئتماه فامنحاهُ تحيَّةً ... مُلُوكِيَّةً أو كَبِّراهُ وأعْظِما[4]
وقُولا له اسْمَعْ ما نقول ولا تكُنْ ... ضَجُورًا به مُسْتَثْقِلًا مُتَبرِّما
رأيناك فى أثناء قولِكَ مُعْجَبًا ... بكونك أوفى الناسِ فَهْمًا وأَعْلَما
فإن كنتَ مِن أهلِ الكِتابةِ واثِقًا ... بنَفْسِك فيها لا تخافُ تَهَضُّما[5]
فما أَلِفٌ من بعدِ ياءٍ مَريضة ... مُصاحِبة عَيْنًا تَخوَّفَها العَما[6]
تُظَنُّ إذا الراوى غَدا ناطِقًا بها ... زَميرَ نَعامٍ فى الفَلاةِ تَرنُّما[7]
وياءٌ إذا مُدَّتْ غدت غيرَ نفسِها ... وصارت حديثًا عن جَواك مُتَرْجِما[8]
وإن قُصِرَت كانت غُرابًا بقَفْرةٍ ... يَرُودُ لكى يَلْقى خَلِيلًا وأَيْنَما[9]
وسِينًا أضافوها إلى الدال مَرَّةً ... فصرَّح بالشكوى لها ثمّ جَمْجَما[10]
يَخافُ إذا ما باح بالقولِ سَطْوةً ... مِن الصادِ أو غِشًّا من الميم مؤلما[11]

---

(١) فى : ج ، ك : « يحكى » من غير نقط ، وفى القصيدة « يخلن » . والمثبت من المطبوعة . وفيهما : « النقع » . وأثبتنا ما فى المطبوعة . والنبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسى . راجع اللسان (ن ب ع) ١٠/٢٢٣ . وجاء فى المطبوعة : « فوقز أسهما » ، والتصحيح من : ج ، ك .

(٢) فى القصيدة : « حلف الوقار » .

(٣) فى المطبوعة : « بالمعانى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والقصيدة .

(٤) فى النسخ : « وأكبراه » .

(٥) فى المطبوعة : « الكتابة والتقى » ، والتصحيح من ج ، ك ، والقصيدة .

(٦) فى المطبوعة : « من بعدنا مريضة » . والتصحيح من : ج ، ك ، والقصيدة .

(٧) فى القصيدة : « فى الفلاة تهيما » .

(٨) فى المطبوعة : « عن حراك » ، والمثبت من : ج ، ك ، والقصيدة .

(٩) فى المطبوعة : « أو ابنما » . والتصحيح من : ج ، ك ، والقصيدة .

(١٠) فى القصيدة : « وسين » .

(١١) فى النسخ : « من الصاد عينا » . والتصحيح من القصيدة .

وما الكافُ إن رُدَّتْ إلى أصلِ خَاْة ٍها وما القافُ إن أضحى لها مُتقدِّما
وسِتَّةُ أشياخٍ تَخالُ شُخُوصهاَ إذا عُكِسَتْ نَجْمَ الثُّريّا إذا سَما[1]
وحَرفانِ مَحسُوبان فى العَدِّ سَبْعَةً تُريكَ غُبارَ الجَوِّ طار ودَوَّما[2]
وإن كنتَ من أهلِ البَلاغةِ جامِعَ الـ ـلُّغـاتِ بأنواعِ الأقاويلِ قيِّما[3]
فما كِلماتٌ هُنَّ عُرْبٌ صَرائحٌ يَعودُ الفَصيحُ إن شَذاهُنَّ أَعْجَما[4]
وإن قُلِبَتْ أعيانهُنَّ وصُحِّفت ترى مِصْقَعًا فيهنَّ مَن كان أبْكَمَا[5]
وما السَّيْرَبَانُ والجحوحـة والضّفـا ضَفا الدار والسُّمرُ الغرانفُ والهَمَا[6]
وما الحمل والتيمات والزام بعده وما الجَعْفرِيَّات تنزَّى وزُغْلَما[7]
وما السَّفْحُ والفِرْغانِ والخَنْعُ والنَّقى وقُفُّ التَّوالى والهُبابةُ والجَما[8]
وما الخَيْعَرُ المبثوثُ والشامِخُ الذى يُناطُ براعونٍ ليُصبحَ مُعْلَما[9]
وما الحَدَبُ الهادى وما أجْدَبُ الكرى وما عَنْجمٌ إن كنت تعرفُ عَنْجَما[10]
وما الزِّبْرَقُ المائى إذا غاب نَجْمُه وما الزّنْبَقُ الناوى إذا هو أَنْجَما[11]

---

(١) فى القصيدة : « وستة أشخاص » .

(٢) فى القصيدة : « عقاب الجو » .

(٣) فى : ج ، ك : « بأنواع البلاغة » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والقصيدة ، وفيها : « جامعا لغات » .

(٤) فى المطبوعة : « هى عرب ... شذاهن » ، والمثبت من : ج ، ك ، والقصيدة ، وفيها : « عرب صرائح » .

(٥) فى المطبوعة : « وصفحت .... مضعفا » ، والمثبت من : ج ، ك ، والقصيدة ، وفيها : « مسقعا » . وهو المصقع . وفى النسخ : « كان نمنا » . والتصحيح من القصيدة .

(٦) هكذا جاء البيت فى أصولنا وفى القصيدة . وهو كلامٌ غير معروف ، وكذلك ما بعده .

(٧) فى : ج ، ك : « وما الحمك والتتمات » ، وفى المطبوعة ، ج ، ك : « الجعفرانيات تترى » ، والمثبت من : القصيدة .

(٨) فى المطبوعة :

وما الشيخ والفرعان والجمع والنقى وفـق التـوالى والهبابـة والجمـا

وفى ج ، ك : « وما الشيخ والفرعان والنقى » . والمثبت من القصيدة .

(٩) فى المطبوعة : « وما الجيعر المثبوت ... لنصح معلما » ، وفى ج ، ك : « وما الجيعر المبثوت » . والمثبت من القصيدة .

(١٠) فى المطبوعة ، ج ، ك : « وما الجعدب الهادى » ، وفى المطبوعة : « وما أجدر الكرى » . وفى ج ، ك : « وما أجـد الكرى » . وفى المطبوعة : « وما عيجم ... عيجما » . وفى ج ، ك : « غنجم ... غنجما » .

(١١) فى ج: «الزبرق المابى»، وفى: المطبوعة، ك: «الزيرق المائى»، والمثبت من القصيدة. وفى ج، ك: «غاب فحمه». والمثبت من القصيدة، والمطبوعة. وفى ج، ك، المطبوعة: «الزنبق الناوى». والمثبت من القصيدة.

وما العَنْقفِيس والمَلاحِيحُ والكُبَى وطـارِسةٌ والفادِحيَّـات عَظْلَمـا[1]
وإن كنتَ ممَّنْ يَدَّعِـى عَرَبِيَّـةً ويَحقِرُ فِى النَّحْوِ الإمام المُقَدَّما[2]
فما لفظَةٌ إن أُعْرِبَتْ أصبحت لَقًى يَعـاف بها المرءُ البليـغُ التَّكلُّمـا[3]
وإن أُهْملَ الإعرابُ فيها فمَنْ غَدا بشيءٍ سِواها ناطقًا كان مُفْحَما[4]
ومـا اسمٌ إذا ثَنَّيْتَـه وجَمَعْتَـهُ تنصَّفَ فيمـا رُمْتَـه وتسَهَّمـا
وحَرفٌ إذا أعملتَـه صار مُعْرَبًـا وفعـلٌ إذا عَدَّيتَـه صار مُدْغَمـا[5]
وما حَرفُ عَطْفٍ ليس يُوجَدُ عاطِفًا إذا المرء آلى فى المَقالِ وأقْسَما
وحَرفـانِ للتوكيـدِ ليسا لحاجَـةٍ يُعَدَّانِ بل يُرْجَى أخو النَّقْصِ مِنهُمَا[6]
وما مَصْدرٌ قد أُلْزِمَ الرَّفْعَ دائمًا وما اسمان إن فتّشت بالجَرِّ أُلْزِما[7]
وما نُونُ جَمْعٍ تَطْلُب الكسرَ شَهْوَةً وتَكرهُ أن تَرْقى إلى الفَتْحِ سُلَّما[8]
تَرَى الكَسْرَ غُنْمًا فى يَدَيْها مُحَصَّلًا ويُعْتَدُّ ذاك الفتحُ خُسْرًا ومَغْرَما[9]
وإن كنتَ فى علم العَرُوضِ ووَزْنِهِ وجَمْعِ القَوافِى للـوَرَى مُتَقدِّمـا[10]
فكيـف السِّبـاحُ واللبـاسُ ونافـد إذا البيتُ زاد الوَزْنُ فيه وأخْرَما[11]
وكيـف السِّنـادُ والرِّفـاد إذا غدا بوَصْلٍ إلى أصل الزِّحافِ قد انْتَما[12]
وما كَلِماتُ الوَزْنِ إن كنتَ عارِفًا بِهِـنَّ ومـا فعـلان فيـه وفَعْلَمـا
وما الهَزَجُ المَرْمُولُ إن رُمْتَ شَرْحَه عن القَضْبِ والبيت الطويل إذا جما[13]

---

(١) فى المطبوعة ، ج ، ك : « الملاجيح والكنا » والمثبت من القصيدة . وفى المطبوعة « والعارصات عظلما » والمثبت من : ج ، ك ، والقصيدة .

(٢) فى المطبوعة : « ويحقرنى نحو » ، وفى ج ، ك : « فى نحو » . والمثبت من القصيدة .

(٣) اللقى ، بوزن فتى : ما طرح وألقى . وفى المطبوعة ، ج ، ك : « يعاق بها » . والمثبت من القصيدة .

(٤) فى المطبوعة ، ج ، ك : « وإن أعمل » .

(٥) فى القصيدة : « كان » معربا ، وفى القصيدة ، والمطبوعة : « إذا عدتيه » . والمثبت من : ج ، ك .

(٦) فى القصيدة : « بل يروى » .

(٧) فى المطبوعة ، ج ، ك : « بالجزم ألزما » .

(٨) فى المطبوعة ، ج ، ك : « ونون جميع » . وفى القصيدة : « النقص شهرة وتكبر » .

(٩) فى المطبوعة : « خسرا ومغنما » .

(١٠) فى المطبوعة ، ج ، ك : « جميع القوافى » ، والمثبت من : القصيدة .

(١١) فى المطبوعة ، ج ، ك : « فكيف السياج ونافد ... فأخرما » .

(١٢) فى القصيدة : « بوصلٍ به أَلْيُ الزحاف » . والمثبت من : المطبوعة ، ج ، ك .

(١٣) فى ج ، ك : « سرحه » ، والمثبت من : القصيدة ، المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « القصب » ، وفى : المطبوعة : « القصد » ، والمثبت من : القصيدة ، وفى : القصيدة : « حما » ، والمثبت من : ج ، ك ، المطبوعة .

وما الجَثُّ فى بَحْرِ الخَفِيفِ إذا غَدا	سَرِيعًا فلاقَى جانيًا فترمرما[1]
وما الكامِلُ المحْسوبُ فى بَحْرِ إلْفِهِ	بَسِيطًا إذا أضْحَى مُذالًا مُلَمْلَما[2]
وما الخَبَلُ المَطْوِىُّ أصبحَ ناشِرًا	إذا هو بالتَّشْعيثِ صارَ مُهَشَّما[3]
وما الكَفُّ والقَبْضُ المُضارِعُ مُشْكِلٌ	بناء المَدِيدِ بعد أن يَتَهدَّما[4]
وما الثَّلْمُ إن رُمْتَ اقترابَ اتِّفاقِهِ	وما الحذفُ إن أُلفى بَتارًا وأَثْرَما[5]
وإن كنتَ فى نَظْمِ القَرِيضِ مُجَوِّدًا	وكنتَ عليه قادرًا مُتَحَكِّما[6]
فكيف يكونُ الرَّفْعُ والقَطْعُ واصِلًا	فَرِيدَ المَعانِى حين أصبحَ تَوْأَما[7]
وكيف الرَّوِىُّ المستقيمُ وما الذى	تقول إذا أنشأت تنعَتُ عَنْدَما[8]
وكيف تَرَى وَصْفَ السَّحابِ وذِكْرَهُ	إذا أَحْفَرَتْ أهدابُه وإذا هَمَى[9]
ووَصْفُ أثافِىِّ الدِّيارِ إذا انْطَوَتْ	مَحاسِنُها وابْيَضَّ ما كان أسْحَما[10]
وكيف خُروجُ المَدْحِ والهَجْوِ بَعْدَهُ	جَميعًا إذا كان النَّسِيبُ مُتَمِّما[11]
وما وَصْفُ دَوْحٍ مُطْمَئِنٍّ قرارُهُ	يُرَى مُضْمَحِلًّا بالزِّيادةِ والنَّما[12]

---

(١) فى : ج ، ك : « الجب » ، وفى : المطبوعة : « البحث » ، والمثبت من القصيدة ، وفى المطبوعة : « البحر الخفيف » ، والمثبت من : القصيدة ، ج ، ك . وفى : ج ، ك ، المطبوعة : « ولاقى » ، والمثبت من : القصيدة .

(٢) فى : ج ، ك ، والمطبوعة : « المختار » ، والمثبت من : القصيدة .

(٣) فى : ج ، ك ، والمطبوعة : « وما الخبل المطوى » .

(٤) فى : ج ، ك ، والمطبوعة : « قبل أن يتهدما » .

(٥) فى المطبوعة ، ج ، ك : « وما السلم » . وفى المطبوعة : « اقتران نفاقه » . وفى ج ، ك : « اقتران اتفاقه » . وفى المطبوعة : « إن ألفى انبتارا وأثرما » . والبتر والثرم معروفات فى مصطلحات العروض . راجع فهارس « الكافى » للتبريزى ٢٣٧ .

(٦) فى القصيدة : « مبارزا وكنت » . وفى المطبوعة : « نادرا متحكما » ، والمثبت من : القصيدة ، ج ، ك .

(٧) فى القصيدة : « القطع والوقع » .

(٨) فى المطبوعة : « يقول : ... ينعب » ، والمثبت من : القصيدة ، وألفاظ البيت غير واضحة فى : ج ، ك .

(٩) فى المطبوعة : « وأداهما » ، والتصحيح من : المطبوعة ، ج ، ك . ويقال : حفر السيل الوادى : جعله أخدودا . وهذا غيث لا يحفره أحد : أى لا يعلم أحد أين أقصاه . راجع المصباح واللسان .

(١٠) فى المطبوعة : « ووصف إناء فى » ، والمثبت من : القصيدة . والأثافى : جمع « أثفية » وهى القطعة من الجبل يوضع عليها القدر . قال الراجز .

يا دار هند عفت إلا أثافيها

راجع اللسان (ث ف ى) . وجاء فى المطبوعة « والبيض ما كان ... » ، والتصحيح من : ج ، ك ، والقصيدة .

(١١) فى المطبوعة ، ج ، ك : « التشبب منهما » ، والمثبت من : القصيدة .

(١٢) فى القصيدة : « وما وصف درج » .

وغادِيَةٍ كالطَّوْدِ تَحْسِبُ جَرْسَها جَوادًا رأى الخَيْلَ العِرابَ فحَمْحَما
تَمِيلُ إليها الغادِياتُ رواجِيًا جَناها لِتَكْسُوهُنَّ وَشْيًا مُنَمْنَما[1]
تحطُّ بأغوار البلاد رحالها وقد صافَحَتْ مِن قَبْلُ نَسْرًا ومِرْزَما[2]
وإن كنتَ فى القُرآن أتْقَنَ حافِظٍ وأدْرَى بأصنافِ الخِلافِ وأفْهَما
فمَنْ جَعَلَ الأَحزابَ تِسعين آيةً وزادَ على التِّسعينَ عَشْرًا فتَمَّما[3]
ومَن جَعَلَ الفُرْقانَ مِن بَعْدِ فاطِرٍ وصَيَّر قبلَ الكَهْفِ سُورَةَ مَرْيَما[4]
وعَمَّن روَى ابنُ الحاجبيَّةِ وَحْدَهُ قِراءتَه حتَّى على الناسِ قُدِّما[5]
ومَن حَقَّقَ الهَمَزاتِ فى سُورة النِّسا ولَيَّنها فى العَنكَبُوتِ وأدْغَما[6]
ومَن زادَ فى مَدِّ الحُروفِ وهَمْزِها على ابن كَثِيرٍ أو أمال المُفَخَّما
ومَن قال فى القُرآنِ عِشرونَ سَجْدَةً وستٌّ ويَرْوِى ذاكَ عَمَّنْ تقَدَّما
ومَن شَدَّد النُّونَ التى قَبْلَ ربِّهِ وخَفَّفَ لكنَّ التى بَعْدَها رَمَى
ومَن وَصَلَ الآياتِ جَحْدًا لِقَطْعِها ومَدَّ الضُّحَى مِن بَعْدِ ما قَصَرَ السَّما
ومَن حَذَفَ الياءات من غيرِ عِلَّةٍ وأنكَرَ فى القرآنِ تَضْعيفَ رُبَّما[7]
وإن كنتَ ذا فِقْهٍ بدينِ مُحَمَّدٍ على ذِكْرِه صلَّى الإلهُ وسَلَّما[8]
فمَن جَعَلَ الإجْماعَ فى البَيْعِ حُجَّةً وصَيَّره كالعُرْفِ ظَنًّا مُرَجَّما[9]
ومَن رَدَّ ما قال ابنُ عَبَّاس عامِدًا ودانَ بما قال ابنُ حَفْصٍ تَوَهُّما[10]
وماذا يَرَى النُّعْمانُ فى أهلِ قَرْيةٍ أقاموا إمامًا للأنامِ مُجَذَّمًا[11]
وكيف تَرَى رأىَ ابنِ إدْريسَ فى فتًى عَصَى وغدا فى فِعْله مُتَأثِّما[12]

---

(١) فى القصيدة : « رواجيا حباها » .
(٢) فى القصيدة : « بأغوار الحسام رحالها » ، والمثبت من : المطبوعة . وفى المطبوعة ، ج ، ك : « نشرا ومرزما » .
(٣) فى القصيدة : « وزاد على العشرين » .
(٤) سقط هذا البيت من القصيدة ، وأثبته الناسخ على حواشيها ، من طبقات ابن السبكى .
(٥) فى المطبوعة ، ج ، ك : « قرا آية » ، والمثبت من : القصيدة .
(٦) فى ج ، ك : « خفف الهمزات » .
(٧) فى المطبوعة ، ج ، ك : « التاءات » ، والمثبت من القصيدة .
(٨) فى القصيدة : « على روحه » .
(٩) فى : ج ، ك : « فى الصرف طبا مرحما » . وفى المطبوعة : « فى الصرف طبا مرخما » ، والمثبت من : القصيدة .
(١٠) فى : ج ، ك : « أصل قرية » ، والمثبت من : القصيدة ، المطبوعة ، ج ، ك : « للأنام مخدما » .
(١١) فى ج : « عدا » بالعين المهملة ، وأثبتناه بالمعجمة من : القصيدة ، ك ، المطبوعة .

وما حُجَّةُ الثَّوْرِىِّ فيما يَقِيسُه   إذا لم يُثَبِّتْ فيه أصْلًا مُسَلَّما

وما رأىُ شَيْخِ العِلْمِ مالِكَ فى امرِىءٍ   تَمَجَّسَ قَصْدًا بعد ما كان أسْلَما[١]

يُحِلُّ إذا ما أَحْرَمَ الناسُ بالضُّحَى   وإمَّا أحَلَّ الناسُ باللَّيْلِ أَحْرَما

وليس بِذِى ذَنْبٍ يُقادُ بفعلِهِ   ولا قِيلَ يومًا قد أساءَ وأَجْرَما[٢]

وإن كنتَ فى حِفْظِ النَّوائبِ أوْحَدَا   تُجَمِّعُ من أخبارِها ما تَقَسَّما[٣]

فمَن فَرَضَ التَّعْفِيرَ قبلَ صَلاتِهِ   وأَوْجَبَ فى إثْرِ الرُّكُوعِ التَّيَمُّما

ومَن جَعَلَ التَّسْوِيرَ فى الزَّنْدِ شِرْعَةً   ومَن سَنَّ فى إحدَى اليَدَينِ التَّخَتُّما[٤]

ومَن فَرَضَ الصَّوْمَ الرَّبيعَيْنِ بعدَ أن   يَصُومَ جُمادَى كُلَّه والمُحَرَّما[٥]

ومَن حَظَرَ التَّزويجَ إلا بِثَيِّبٍ   وصَيَّرَ تَزْوِيجَ البِكارِ مُحَرَّما

ومَن أوجَبَ التَّكبيرَ بعدَ صَلاتِهِ   على قَوْمِهِ فيما يُقالُ وأَلْزَما[٦]

وقال زَكاةُ المرءِ مِن نِصفِ مالِهِ   تكونُ وإلّا صارَ نَهْبًا مُقَسَّما

ومَن قال إنَّ البيعَ ليس بجائزٍ   على المَرْءِ إلّا أن يكونَ بِعُسْرِما[٧]

ومَن طافَ حَوْلَ البيتِ سَبْعِينَ مَرَّةً   يَرَى ذلك التَّطْوافَ فَرْضًا مُحَتَّما[٨]

ومَن فَرَضَ التَّسليمَ فى كُلِّ ركعةٍ   وأوجَبَ فيها رَنَّةً وتَرَنُّما[٩]

وإن كنتَ ممَّن يَدَّعِى عِلْمَ سِيرَةٍ   وحِفْظًا لأخبارِ الأوائلِ مُحْكَما

فمَن صامَ عن أكلِ الطَّعامِ نَهارَهُ   معَ اللَّيلِ يَطْوِى الصَّومَ حَوْلًا مُجَرَّما[١٠]

---

(١) سقط هذا البيت من : ج ، ك ، وأثبتناه من : القصيدة ، والمطبوعة .

(٢) فى : ك ، والمطبوعة : « يعار » ، وفى القصيدة : يعاب ، وأثبتنا ما فى : ج . وفى المطبوعة : « يوما أساء » . وأثبتنا ما فى : القصيدة ، ج ، ك ، وبه يستقيم وزن البيت .

وجاء بعد هذا البيت فى القصيدة بيت آخر هو :

وما قول أشياخ الأحاديث كلهم   وأيهم فى قوله كان أحزما

(٣) فى القصيدة : « حفظ النُّبوّات » .

(٤) فى القصيدة : « وأوجب فى إحدى يديه التختما » .

(٥) فى القصيدة : « ومن ذا رأى فرض الربيعين بعد أن » .

(٦) فى القصيدة : « على نفسه » ، والمثبت من : ج ، ك ، المطبوعة .

(٧) فى القصيدة : « بعشر ما » ، والمثبت من : المطبوعة ، ج ، ك .

(٨) فى المطبوعة ، ج ، ك : « ومن طاف بالبيت سبعين حجة » هكذا مضطرب الوزن ، والمثبت من : القصيدة .

(٩) فى القصيدة : « ومن شرح التسليم » . وفى المطبوعة ، ج ، ك : « ربه » . والتصويب من : القصيدة .

(١٠) فى : القصيدة ، ج ، ك : « محرما » بالحاء المهملة ، وأثبتناه بالجيم من المطبوعة ، وهو الصواب . قال فى القاموس : حول مجرم ، كمعظم : تام .

وَمَن طاف نحوًا مِن ثَمانينَ حِجَّةً ... على حاجَةٍ ليستْ تُماثِلُ دِرْهَما[1]

وفى يَدِه أموالُ قارُونَ كُلُّها ... ونُمْرُودِ كَنْعانٍ وأموالُ عَلْقَما

ومَن قَطَع البَحْرَينِ فى بَعْضِ يَومِهِ ... وواصَلَ أقْصَى البرِّ ساعةَ أُعْتَما[2]

ومَن عاش ألْفًا بعدَ ألِفِ كَوامِلٍ ... يعوذ بدَرِّ الثَّدْىِ مِن خِيفَةِ الظَّما[3]

ومَن مَلَكَ الدُّنيا الخَئونَ بِأَسْرِها ... ثمانينَ يومًا بعدَ عامٍ تَصَرَّما

يُذَبِّحُ أولادَ الأنـامِ تَجَبُّـرًا ... ويَسْتَحْيِى للنِّسوانِ منهم تَذَمُّما

ومَن هابَ خَوْضَ النِّيلِ ساعةَ زَخْـرِهِ ... وخاضَ سَواءَ البحرِ والبَحْرُ قد طَما[4]

ومَن سار طُولَ الأرضِ يَومًا وليلةً ... وعادَ على أعقابِهِ ما تَلَوَّما

لَعَمْرُك إنّا قد سألناكَ هَيِّنًا ... ولم نَقْصِدِ المَعْنى العَويصَ المُغَمْغَما[5]

ففكِّرْ ولا تَعْجَلْ بما أنت قائِلٌ ... وسِرْ مُنْجِدًا تَبْغِى الجوابَ ومُتْهِما[6]

فإن أنتَ فيما قد سألْنا بَيانَهُ ... أصبتَ فحَقٌّ أن تُعَزَّ وتُكْرَما[7]

وإن أنت أخطأتَ الصَّوابَ ولم تُجِبْ ... فحَقُّكَ أن يُحْثَى عليك وتُرْجَما[8]

فما لكَ عِلْمٌ بالأمورِ وإنَّما ... قُصاراكَ أن تَرْوِى كَلامًا مُنَظَّما

---

(١) فى القصيدة : « ليست تساوم » .

(٢) فى القصيدة : « وأوصل أقصى البر » .

(٣) فى : ج ، ك : « يعود » بالدال المهملة ، وأثبتناه بالمعجمة من : القصيدة ، المطبوعة ، وفى المطبوعة : « الندى » بالنون وأثبتناه بالثاء المثلثة ، من : ج ، ك ، والقصيدة .

(٤) فى القصيدة : « زجره » ، والمثبت من : المطبوعة ، ج ، ك . وفى المطبوعة : « وخاض سواء والبحر قد طما » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والقصيدة . وسواء البحر : وسطه .

(٥) فى المطبوعة ، ج ، ك : « سألناك لينا » . والمثبت من القصيدة .

(٦) فى القصيدة : « ففكر ولا تعجب لما أنا قائل » ، والمثبت من : المطبوعة ، ج ، ك .

(٧) فى القصيدة : « فإن كنت » .

(٨) فى القصيدة : « وإن كنت أخطأت الجواب » .

١٣٠٧

محمد بن أحمد بن علىّ بن عبد الكافى بن [علىّ][1] بن تَمَّام السُّبْكِىّ الوَلدُ العزيز تقىُّ الدّين أبو حاتم*

وَلدُ سيِّدى وأخى شيخ الإسلام بهاء الدين أبى حامد .

[هو][2] الشابُّ المُنَغَّصُ على شبابه ، حبيبُ الشيخِ الإمام ورَيْحانَتُه وأنيسُه .

وُلِد بالقاهرة فى الثُّلُث الأخير من ليلة ثالث عشرين[3] من رجب ، سنةَ خمس وأربعين وسبعمائة .

وأجازه خَلْقٌ .

وسَمِع الحديثَ من جَدِّه الشيخ الإمام ، ومن خَلْق .

ورُبِّىَ فى حِجر الشيخ الإمام بدمشق ، لايكاد يفارقُه ، وحَلَّ مِن قلبه بالمنزِلة الرفيعة ، وحَفِظ القرآنَ العظيم وخَتَم فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ولم يزل عند جَدِّه بدمشق ، إلى أن عَرَض [4]للشيخ الإمام[4] الضَّعفُ فسَفَّره أمامَه إلى القاهرة ، فى ربيع الأول سنةَ ست وخمسين ، ثم لَحِقه الشيخ الإمام .

وكان قبلَ أن يُسفِّرَه أحبَّ أن يُلقىَ درسًا ويحضُرَه قبلَ وفاته ، فعَمِل درسًا ، دَرَّس به بالمدرسة العادليّة الكبرى ، اجتمع فيه العلماء ، الشيخُ الإمامُ فمَن دونَه ، وابتهج به الشيخُ الإمام ، وحَضَره مع مرضه ، لكنه حَمَل نفسَه وحَمله حُبُّه له .

ثم استمرّ أبو حاتم فى القاهرة .

وحفظ « التنبيه » وغيرَه ، وجَدَّ فى الاشتغال على والِدِه وغيرِه .

---

(١) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك . وهى معروفة فى نسبهم ، وانظرها فى ترجمة « تقى الدين السبكى ، على بن عبد الكافى » فى هذه الطبقة.

* ترجمه ابن كثير فى البداية والنهاية ١٤ / ٣٠١ ، وذكره صاحب البيت السبكى ٦٦ ، نقلا عن الطبقات .

(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « الثالث عشر » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « لجده ».

وقرأ النحوَ على الشيخ جمال الدين بن هشام ، ولازم حَلْقةَ الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنائيّ[1] ، إلى أن نزل [له][2] والدُه عن تدريس المدرسة المنصوريّة ، فدَرَّس بها .

وحضَر عندَه قُضاةُ القضاءِ الأربعة ، قاضى القُضاة عِزُّ الدّين بن جَماعة الشافعيُّ ورُفقاؤه .

ودرَّس أيضا بالسَّيفيّة والكَهّاريّة ، أصالَةً ، وبقُبّةِ الشافعيّ رضى الله عنه ، نيابةً عن والده .

وخَطب بالجامع الطُّولُونىّ ، وحضر مَشْيخةَ المِيعاد فيه .

وكان شابًّا ديّنًا عاقلًا ، أحسن اللهُ عَزاءَنا فيه ، ورَحِمه .

توفّى فى طاعُون القاهرة ، عندَ طلوع الشمس من يوم الأربعاء ، ثامنَ عشر رجب سنةَ أربع وستين وسبعمائة ، رحمه الله رحمةً واسعة ، لقد أحرق القُلوب ، وشَقَّ[3] الجُيُوب ، ألهم اللهُ والدَه وألهمنى معه الصبرَ علَى فقده ، لقد خالطتُه بعدَ كَبْرة[4] نحوَ تسعةِ أشهر ، من شعبانَ سنةَ ثلاث وستين إلى ربيع الآخر من سنة موته ، يَبِيتُ ويُصبحُ عندى ، فوالله مااغتَظْتُ منه قَطُّ ، ولا[5] نَقِمتُ عليه شيئًا فى دِينه ، فلا حولَ ولاقُوّةَ إلا بالله العلىّ العظيم .

وكان يَنظِمُ الشِّعرَ ، ويُحسن ترتيبَ الدروس ، كنت أحضرُعندَه بالمنصوريّة ، فيُدَرِّس بأُبَّهة وتَأَتٍّ[6] ، صبّرنا الله على فقدِه ، إن العَينَ لَتدمَعُ ، وإن القلبَ لَيَحْزَن ، ولانقول إلا مايُرْضِى الرّبَّ سبحانه وتعالى .

---

(١) فى المطبوعة : « الإسناوى » ، والمثبت من : ج ، ك ، وكلاهما صواب . ويقال أيضا : « الإسنوى » ، والنسبة إلى : « إسنا » بلد بصعيد مصر.

(٢) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « شقق » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) فى المطبوعة : « لقد خالطه بعض كره » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . ويشهد له مابعده.

(٥) فى المطبوعة : « وما » والمثبت من : ج ، ك.

(٦) فى المطبوعة : « وتأن » ، والمثبت من : ج ، ك.

١٣٠٨

محمد بن أحمد بن عيسى بن رِضوان القَلْيُوبى*

القاضى فَتْحُ الدِّين بن كمال الدّين بن ضِياء الدّين

تفقَّه على والدِه ، وقد تقدّم ذِكرُ والدِه وجَدِّه فى الطبقة السادسة[١] .

وكان فقيهًا شاعرًا مُجيدا .

وَلِىَ القَضاء بأُشْمُوم ، ثم بأَبْيار ، ثم ولى قضاء صَفَدَ ، ثم انصرف منها وعاد إلى الدِّيار المصرية ، وتقلَّبت به الأحوالُ .

ومِن شِعره وقد أرسل له بعضُهم بُسْرًا كبيرَ النَّوَى :

أرسَلْتَ لى بُسْرًا حَقِيقَتُه نَوًى ... عارٍ فليس لجسمِه جِلْبابُ[٢]
ولئن تباعَدَت الجُسُومُ فوُدُّنا ... باقٍ ونحن علَى النَّوَى أحبابُ

وأنعم عليه الصاحبُ تاجُ الدِّين بتفصيلة ، فكتب إليه :

يأيُّها المولَى الوزيرُ الذى ... أفضالُه أوجَبَ تَفْضِيلَهْ
أحسنتَ إجمالًا ولم تَرْضَ بالإجْمالِ ... إذ أرسلْتَ تَفْصِيلَهْ

وشعره كثيرٌ منشور ، حَسَنٌ مَسْطُور .

توفِّىَ فى جُمادى الأولى سنةَ خمس وعشرين وسبعمائة .

---

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١/٤١٩ ، الدرر الكامنة ٣/٤٣٥ ، طبقات الإسنوى ٢/٣٢٨ . وسماه السيوطى والإسنوى : « أحمد » .

(١) انظر الجزء الثامن ٢٣ ، ٣٤٥.

(٢) البيتان فى طبقات الإسنوى.

١٣٠٩

محمد بن إسحاق بن إبراهيم السُّلَمِىّ
القاضى تاجُ الدِّين المُناوِىّ*

خليفةُ قاضِى القضاة عزِّ الدين بن جَماعة ، علَى الحكْم بالديار المصرية .

كان عارِفًا بالمُحاكَمات[1] ، فقيهًا ناهِضًا .

سمع الحديث من سِتّ الوُزراء[2] ابنة المُنَجَّا ، وأحمدَ بن أبى طالب الحَجَّار ، وغيرِهما .

وحدَّث ودَرَّس بالمَشْهد الحُسيْنىّ بالقاهرة وغيرِه .

ووَلِى قَضاءَ العسكر ، وحكم بين المسلمين خِلافةً عن قاضى القضاة عِزِّ الدين مُدَّةً مَدِيدة .

توفّى فى سادس شهر ربيع الآخَر ، سنةَ خمس وستين وسبعمائة بالقاهرة .

---

*له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٦ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٧ ، الدرر الكامنة ٣ / ٤٧٠ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١٤٦ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٠٥ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٤٦٧ ، النجوم الزاهرة ١١ / ٨٥ .

(١) فى المطبوعة : « بالمحكمات » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « بنت الوزير » . والتصحيح من : ج ، ك ، والدرر الكامنة ٢ / ٢٢٣ ، وذكر ابن حجر اسمها كاملا : « ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا » . قال : « وتدعى : وزيرة » . وانظر فى ترجمتها : ذيول العبر ٨٨ ، والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٣٧.

١٣١٠

محمد بن إسحاق بن محمد بن المُرتَضَى
الشيخ عِمادُ الدين البِلْبِيسىّ*

وقفتُ له على ترجمته لشخصٍ قال فيها : هو محمد بن إسحاق بن محمد بن المُرْتَضَى الشافعىّ المشهورُ بالبِلْبِيسىّ ، نقلتُه من خَطِّه رحمه الله ، لقبُه عِمادُ الدّين .

الفقيهُ الأُصولىّ الصُّوفىّ الذَّكىّ .

اشتغل بِمصرَ[١] علَى الفقيه نجم الدين بن الرِّفْعة ، والشيخِ جمال الدين الوَجيزِىّ ، والشيخ شرف الدين القَلْقَشَنْدِىّ ، والظَّهِير التِّزْمَنْتِىّ ، والشيخ عزّ الدين ابن مِسكِين ، وغيرِهم .

وكان ملازِمًا للشيخ نجم الدِّين كثيرا ، وعنه أخذ ، وبه مَهَر فى الفقه .

وبحَث مع الشيخ نجمِ الدِّين القَمُولِىّ ، والشيخ نجم الدِّين بن عَقِيل البالِسِىّ .

وفاق على أقرانِه فى ذلك الزّمان ، واشتغل بالاشتغال بمصر ، وانتفع به خلقٌ كثير .

وأجاز جماعةً بالإقراء بمصر ، منهم تلميذُه الفقيه تقىّ الدين البباىّ[٢] ، وكان المذكورُ له من الذَّكاء والفهم حظٌّ وافِر[٣] .

---

*له ترجمة فى: حسن المحاضرة ١/٤٢٨، الدرر الكامنة ٣/٤٧٣، ذيول تذكرة الحفاظ ١٢١، شذرات الذهب ٦/١٦٤، طبقات الإسنوى ١/٢٩٥. وبلبيس: بلد بمصر، بمحافظة الشرقية. وضبطها ياقوت بكسر الباءين، وضبطها الصاغانى بضم الباء الأولى، وفتح الثانية. راجع معجم البلدان ١/٧١٢، وتاج العروس(ب ل س) ٤/١١٢، وذكر الزبيدى أن بعضهم صحح فتح الباء الأولى ، مع الثانية . وصدر الترجمة عندنا كأنه من كلام أحد تلاميذ المصنِّف ابن السبكى .

(١) فى المطبوعة : « اشتغل عصرا على الفقيه » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « البيانى » . وفى : ج ، ك : « البابى » . وأثبتنا الصواب من شذرات الذهب ٦ / ١٦٤ ، قال : « تقى الدين محمد المعروف بابن البباىّ ، ابن قاضى ببا ، الشافعى ، تفقه على العماد البلبيسى ».
وورد اسمه هكذا أيضا فى : الدرر الكامنة ٥ / ٨٦ ، وذيول تذكرة الحفاظ ١٢٢ .
وببا : مدينة بصعيد مصر ، غربى النيل ، من أعمال البهنسا . وقد ضبطها ابن حجر بكسر الباء الأولى وقيدها ياقوت بالفتح . راجع معجم البلدان ١ / ٤٨٦ .

(٣) بعد هذا فى المطبوعة : « ولى قضاء الإسكندرية عند الملك الناصر محمد بن قلاوون » ولم يرد هذا الكلام فى : ج ، ك . وسيأتى فى السطر التالى . هذا ولم يذكر أحد ممن ترجموا لتقى الدين البباىّ أنه ولى قضاء الإسكندرية . وكل ماقالوه أنه كان يتردد على الإسكندرية للتجارة.

ولى الشيخُ عِمادُ الدّين مدرسةَ الخانقاه المعروفة بأَرْسِلان[1] ، بالمُنْشأة بين القاهرة ومصر ، ثم ولى قضاءَ الإسكندريّة عن[2] الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأقام بها مُدّةً ، ثم حصلت له مِحنةٌ ، طُلِب منه أخذُ أموال الأيتام للسُّلطان ، فامتَنع فعُزِل ، ووُضِع من مقداره بسبب ذلك .

ثم وَلِى تصديرَ المدرسة الملكيّة الجُوكَنْدار[3] بالقاهرة المحروسة قريبًا من المَشْهد الحُسَينىّ ، أقام بها يَشْغَلُ الطلبةَ من الظّهر إلى العصر كلَّ يوم ، خلا أيامَ الجُمَع والثلاثاء ، لايَشْغَلُه عن ذلك شاغِلٌ ، حتى كان يحضُر فى بعض الأيّام مِن بيتِه ماشيا ، وكان بعيدًا ، وبعضَ الأيام يركب مُكارِيًا ، وإذا ركِبَ لايكْرِى إلا دابَّة ضعيفةً مُحتقَرة ، وكان يقول : هذا رُبما لايقصده الناسُ كثيرا ، فأنا أُرِيدُ بِرَّه ، والغرضُ يحصُل ، وبعضُ أوقاتِه يركب بَغْلتَه .

وكان فقيرًا ، لم تحصل له قَطُّ كفايتُه[4] ، وكان معلومُ التصدير نحوَ ثمانين درهما [نُقْرَةً][5] فى الشهر ، ليس له غيرُها[6] ، وصبَر على ذلك إلى أن توفّاه الله .

وكان مجتهدًا فى أشغال الطلبة ، حتى إنه يأمُرهم بالكتابة لِما يشرحُه لهم ويحفظونه ، ويستدعى عَرْضَ ذلك منهم .

---

(١) فى الأصول : « برسلان » . وهو الأمير : بهاء الدين أرسلان الدوادار ، كان فى أيام الملك محمد الناصر ابن قلاوون ، وتوفى سنة ٧١٧ . راجع الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ٢٩٢ ، خطط المقريزى ٣/ ٤١٥ ، ٤١٦ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٤١.

(٢) فى المطبوعة : « عند » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « الجوكندارية » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . وتأتى قريبا فى صفحة ١٣٢ . قال المقريزى : « هذه المدرسة بخط المشهد الحسينى ، من القاهرة ، بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار ، تجاه داره ، وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة » الخطط ٣ / ٣٦٣.

(٤) فى المطبوعة : « كفاية » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٥) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك . والنقرة : القطعة المذابة من الفضة.

(٦) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « غيره ».

وكان مُولَعًا بذكر الألغاز فى الفقهِ وغيرِه .

كتابُه « التنبيه » و « الحاوِى الصغير » وكان يعظِّم « الحاوِىَ » ويحثُّ الطلبةَ على الاشتغال به ، وشَرَحه ولم يخرجه[1] ، وشرح قِطعةً من « التنبيه » .

وكان شديدَ الاعتقادِ فى الفقراء ، يمشى إليهم ويتبرَّك بدعائهم ، وجَرى له مع شخصٍ مُكارِى ركِب معه من القاهرة إلى مصر ، قبلَ أن يلىَ قضاء الإسكندرية مكاشفةٌ ، فلما رَكِب خطر فى خاطره بغلةٌ وجاريةٌ تركيّةٌ مليحة ، وإذا المُكارِى قال له : يافقيهُ شَوَّشْتَ علينا ، أو ماهذا معناه ، بَغلةٌ وجارية [بغلة وجارية][2] يحصُل لك ذلك ، فلما ولِى قضاء الإسكندرية ركِب البغلةَ وملك الجارية[3] ، تركيّةً مليحة .

كان رحمه الله نُخْبَةَ الزمان ، جليسُه لايَملُّه ، درسُه بستانٌ حوَى العُلوم ، ونُزْهةٌ تُزيل همَّ كلِّ مهموم ، ساعةٌ فى الفقه وساعةٌ فى النحو ، وساعةٌ فى حكاياتٍ مستظرَفة وأشعار مُستَلْطَفة[4] .

حَكى لنا فى دَرْسه العام ، قال : كنت ملازِمًا للشيخ نجم الدين بن الرِّفعة ، وكان مِنديلُه دائما فيه شيءٌ من الذهب ، فقام يومًا مسرعًا من الدَّرس ، فتبعتُه ، فقال : خذ هذا المِنديلَ معك ، ودخل الخَلاء لقضاء حاجته ، ثم خرج وهو يُنشد :

عِلَّةُ البَوْلِ والخَـرا ... خَيَّرا كلَّ مَن تَرَى
فهُمـا آفَـةُ الـوَرَى ... سَهُلَا أم تَـعسَّرا

وأنشدَنا للشيخ تقىِّ الدين ابن دَقِيق العِيد ، رحمه الله[5] :

لَعَمْرِى لقد قاسَيْتُ بالفَقْرِ شِدَّةً ... وقَعْتُ بها فى حَيْرتِى وشَتاتِى[6]

---

(١) كذا فى المطبوعة . والنقط غير واضح فى : ج ، ك.

(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « جارية » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) كذا فى المطبوعة ، ك . وفى ج : « مستطرفة ».

(٥) ديوانه ١٥٨ .

(٦) رواية الديوان : « حيرة وشتات ».

فإن بُحتُ بالشَّكْوى هَتكْتُ مُروءَتِى وإن لم أَبُحْ بالضُّرِّ خِفتُ مماتِــى[1]
فأَعْظِمْ بـه مِــن نــازِلٍ بمُلَمَّــةٍ يُزِيـلُ حَيائِى أو يُزيـلُ حَياتِــى

أفادنا رحمه الله فوائدَ كثيرةً غريبة ، منها فَرْعان غريبان ، قال : سمعتهما من الشيخ نجم الدين بن عَقِيل البالِسِىّ ، وكان من العلماء الفضلاء ، قال : رأيتُهما فى كتابٍ و لم يحضُرْنى ذِكرُه ، وهو :

● لو كتَب آيةً وطَمَسها بالمِداد ، أو آيةً مقطَّعةَ الحُروفِ ، فهل يَحِلُّ للجُنُبِ مَسُّها ؛ أو كتابتُها ؟ فى المسئلة وَجْهان .

● إذا قلنا بجَواز اتِّخاذ آنيةِ الذهب والفضة فينبغى أن يكونَ بيعُها إذا بِيعت بجِنْسِها كبيع آلاتِ الملاهى ؛ لأنها مُحرَّمةُ الاتِّخاذِ ، كَهِىَ .

● الوَجْهُ الصائرُ إلى أن حَدَّ الضَّبَّة فى الكِبَر والصِّغَر : أن الكبيرَ قَدْرُ النِّصاب ، والصَغيرَ دُونَه .

قلت : فيه نَظَرٌ ؛ لأن النِّصابَ يُطلَقُ بإزاءِ نِصاب السَّرِقة ، وبإزاءِ نِصاب الزكاة ، ونِصابُ الزكاة مختلَفٌ فى قَدْرِه ، فأىُّ نِصابٍ أُرِيد؟ والأَوْلَى أن يُحملَ على نِصاب السَّرِقة ، هذا ماظَهر لى .

فائدة فى [السواك][2]

● السِّواكُ مَطْهرةٌ للفَم ، مَرْضاةٌ للربِّ ، مُفْرِحٌ للملائكة ، مُسْخِطٌ للشَّيطان ، يَزِيدُ فى الثَّواب ، ويُقوِّى البصرَ وأصُولَ الشَّعَر ، ويَشُدُّ اللِّثة ، ويَقطعُ البَلْغَم ، ويَحُلُّ عُقَد اللِّسان ، ويَزيد فى الذَّكاء ، ويُقَوِّى الباءة ، ويُكثِرُ الرِّزق ، ويُزِيل تغيُّر الرائحةِ الكريهة والقَلَحَ[3] ، ويُهَوِّن سَكَراتِ الموت ، نقل ذلك بعضُ مشايخِنا رضى الله عنهم .

● نَقل عن « تطريز الوَجيز » فى نَتْف الشَّيب أنه سَفَهٌ تُرَدُّ به الشَّهادة .

(١) فى الديوان : « وإن لم أبح بالصبر » .
(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .
(٣) القلح ، بفتحتين : تغير الأسنان بصفرة أو خضرة .

● لايُشْتَرطُ فى المَنْوِىِّ تحقُّقُ فِعلِه ، بل إمكانُه ، حتى لو نَوَى أن يُصلِّىَ بوُضوئه أوّلَ رمضانَ صلاةَ العِيد ، صَحَّ ، وكذا[1] لو نَوَى بِوُضوئِه لصلاة العِيد أن يُصلِّىَ ركعتى الطَّواف بمكةَ ، صحَّ ؛ لأن العَقل لا يُحيلُه ، وإن خالَف العادةَ .

● سؤالٌ فيه إبهامٌ على الفَطِن : لو رأى فى بعض بدَنِه نَجاسةً وخَفِىَ عليه موضعُها ، كيف يصنعُ؟

جوابه : يَغسِلُ جميعَ مايُمْكِنه[2] رؤيتهُ له مِن بَدنِه ، لاما لايُمكِنُ رؤيتُه ؛ فإنه لايجب غَسلُه .

وفوائده[3] كثيرة .

توفِّىَ رحمه الله فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، عامَ الطاعُون ، بمنزله المجاوِر لمدرسة [المَلِك][4] الجُوكَنْدار ، ودُفِن بتُربة المَقرِّ السَّيْفىّ قُشْتُمر ، خارِجَ القاهرة .

قلت : هذا ماأشرت إليه فى قصيدتى التى نظمتُها فى المُعاياة ، منها[5] :

---

(١) فى المطبوعة : « وكذلك نوى » ، والتصحيح من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « يمكن » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « وفوائد » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة . وقد عرفنا بهذه المدرسة قريبا فى صفحة ١٢٩ .

(٥) أورد المؤلف بعض أبيات هذه القصيدة فى كتابه : معيد النعم ومبيد النقم ١٠٠ ، وقد شرح السيوطى هذه القصيدة ، فى رسالة سماها : « الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية » وتقع هذه الرسالة ضمن مجموعة خطية باسم : « رسائل السيوطى » بمكتبة رواق الأتراك ، بالمكتبة الأزهرية ، برقم ٣٦٩٨ ، ويحتفظ معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بصورة من هذه المجموعة ، برقم ١٤١٤ تاريخ . ومكان الرسالة فى المجموعة ، من ورقة ٣٩ إلى ٤٧.

وجاء فى أول الرسالة أن السيوطى ، كتبها سنة ٨٧٦ ، ردا على سؤال حول هذه الألغاز ، وجهه إليه محمد ابن على بن سودون الحنفى ، وقد أفاد ابن سودون أن السبكى وجه هذه القصيدة سنة ٧٦١ إلى الصلاح الصفدى ، ولم يزد الصفدى على أن كتب أبياتا إلى السبكى ، يمدحه فيها دون أن يجيب على هذه الأسئلة .

وبعد أن فرغ السيوطى من أجوبته على ألغاز السبكى ، نظم هذه الأجوبة فى قصيدة من بحر قصيدة السبكى وقافيتها . ثم قال : « ثم بعد اثنتى عشرة سنة ، وذلك فى ذى القعدة ، سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقفت على كراسة بخط الإمام علم الدين العراقى قال فيها مالملخصه : قال مولانا القاضى الفاضل كريم الدين عبد الله =

سَلْ لى أخا الفِكرِ والتَّنقِيبِ والسَّهَرِ
ما اسْمٌ هو الحَرفُ فِعلًا غيرُ مُعْتَبرِ[1]
وأىُّ شَكْلٍ به البُرْهانُ مُنْتَهِضٌ
ولا يُعَدُّ مِن الأشكالِ والصُّوَرِ[2]

= الشافعى : وبعد فإن بعض أكابر العلماء السادة المعروفين بزيادة التحقيق وكثرة الإفادة ، وضع سبع عشرة مسألة ، من المعانى المحكمة بالسؤالات المشكلة ، وجعلها نظما ؛ لتكون أعسر فهما ، تحتار فيها عقول أولى الألباب ، ويعجزون عن أن يأتوا لها بجواب ، فلما وقفت عليها أردت أن أجرب ذهنى الكليل ، فأجبت عنها غير مسألة تعذر تحقيقها لإشكال معناها » . ثم نقل السيوطى عن القاضى كريم الدين هذا ، ماتفرد به من شرح لألغاز السبكى . وانظر الأشباه والنظائر النحوية ، للسيوطى ٢/٦٧٢ .

(١) رواية السيوطى :

فما سُؤالاتُ مَن وافاك يسأل ما حَرْفٌ هو الاسمُ فعلًا غير مُعتبرِ

قال : أمّا الحرفُ الذى يكون أيضا اسمًا وفعلا ، فهو « عَلَى » فإنه يكون حرفَ جرٍّ ، واسمًا ، بمعنى « فوق » فيدخل عليه حرفُ الجرّ ، كقول الشاعر : غَدَتْ مِن عليه .

[يعنى قول مزاحم بن الحارث العقيلى :

غَدَتْ مِن عَلَيه بعدَ ماتمَّ خِمْسُها
تَصِلُّ وعن قَيْضٍ ببَيْداءَ مَجْهَلِ

ديوان مزاحم ١١ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ / ٢٣ (مبحث حروف الجر) ومغنى اللبيب ١٥٦ ، (مبحث على) ، ٥٨٧ (الباب الخامس)].

وفِعلًا ، من العُلُوّ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص ٤] هكذا ذكر جماعة من العلماء أن « على » استكملت الكلمة [يعنى السيوطى أن « على » استكملت أقسام الكلمة الثلاثة ، وهى : الاسم والفعل والحرف] .

(٢) قال السيوطى : وقوله : وأىُّ شَكْلٍ . إلى آخره : هذا أمرٌ يتعلَّق بعلم المنطق ، وهو علم حرامٌ خبيثٌ لاأخوضُ فيه.

[نقول : كراهية السيوطى لعلم المنطق معروفة ، فقد ألف فى ذمِّ الاشتغال به كتابا ، سَمّاه : « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » . وقال فى ترجمته لنفسه ، من حسن المحاضرة ١ / ٣٣٩ : « وقد كنت فى مبادئ الطلب قرأت شيئًا فى علم المنطق ، =

وأىُّ بَيْتٍ علَى بَحْرَيْنِ مُنْتَظِمٍ بيتٍ من الشِّعْرِ لابَيْتٍ مِن الشَّعَرِ[1]
وأىُّ مَيْتٍ من الأمواتِ ماطَلَعتْ بموتِه رُوحُه فى ثابتِ الخَبَرِ[2]
ولا يُضافُ إلى البحرين واختَلفُوا فيه وجاءوا بقولٍ غيرِ مُخْتَصَرِ[3]

= ثم ألقى اللهُ كراهتَه فى قلبى . وسمعت أنَّ ابنَ الصَّلاح أفتى بتحريمه ، فتركتُه لذلك ، فعوَّضنى اللهُ تعالى عنه علمَ الحديث ، الذى هو أشرف العلوم » . وإنما ذكرنا هذا لئَلَّا يُظَنّ أن السيوطىّ رحمه الله خَفِىَ عليه جوابُ اللُّغز ، فقال ماقال] .

(١) فى الأصول : « على تحرير منتظم » . وأثبتنا الصواب من الأجوبة الزكية .

وقال السيوطى فى شرح البيت : هذا نوعٌ معروفٌ من أنواع البديع ، يسمَّى : التشريعَ ، أوَّلُ من اخترعه الحَريرىُّ ، وهو أن يكون البيت مبنيًّا على بحرين وقافيتين ، يصح الوقوفُ على كلٍّ منهما ، كقوله :

ياطالِبَ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ إنَّهـا شَرَكُ الرَّدَى وقَرارَةُ الأكدارِ
دارٌ متى ماأضحكَتْ فى يَوْمِها أبكَتْ غَدًا بُعْدًا لَها مِن دارِ

فإنه يصح أن يقول :

ياطـالِبَ الدُّنْيـا الدَّنِيَّـــ ـــةِ إنّهـا شَرَكُ الـــرَّدَى
دارٌ متـــى ماأضحـــكَتْ فى يومِهـا أبـكَتْ غَــدَا

[نقول : هذا الشعر فى المقامة الثالثة والعشرين ، وهى المقامة الشعرية . من مقامات الحريرى صفحة ١٢٨ ، ١٢٩ ، والرواية فيها : « ياخاطب الدنيا » . وهذا اللون البلاغى المسمَّى : التشريعَ ، يُسمَّى أيضًا : التَّوأم . راجع تحرير التحبير ٥٢٢] .

(٢) قال السيوطى : الظاهر أنه أراد به مافى قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة ٢٨] : أى نُطَفًا فى الأصلاب ، فأُطلق عليها الموتَ ، مع عدمِ وجودِ روحٍ فيها .

(٣) قوله : « البحرين » جاء هكذا فى المطبوعة . ولم ينقط فى : ج ، ك . ولم يرد البيت كله عند السيوطى.

مَن عُدَّ فى أمراءِ المؤمنينَ ولَمْ يَحكُمْ على اثنين مِن بَدْوٍ ولاحَضَرِ[1]
ولم يكُنْ قُرشِيًّا حينَ عُدَّ ولا يجُوز أن يَتولَّى إمْرَةَ البَشَرِ
مَن باتِّفاقِ جَميعِ الخَلْقِ أفضَلُ مِنْ شيخِ الصِّحابِ أبى بَكْرٍ ومِن عُمَرِ[2]

---

(١) فى المطبوعة : « فى بدو » . وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والأجوبة الزكية . وروايتها : « من عد من أمراء ... مِن بَدْوٍ ومن حَضَرِ ».

وقال السيوطى فى حَلِّ البيت : هو أسامة بن زيد ، مولى النبىّ ﷺ ، أمَّره على جيشٍ ، فيه أبو بكر وعمر ، فلم ينفذ حتى تُوفِّى ﷺ ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، وكان الصحابة فى ذلك السفر يَدْعُونه أميرَ المؤمنين . ورَوَيْنا عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا رأى أسامة ابن زيد ، قال : السلام عليك أيها الأمير ، فيقول أسامة : غفر الله لك ياأمير المؤمنين ، تقول لى هذا ؟ فيقول : لا أزال أدعوك ما عشتُ : الأميرَ ، مات رسول الله ﷺ وأنت علىَّ أميرٌ . ولم يكن أسامةُ من قريش ، بل من الموالى .

(٢) قال السيوطىّ : قوله : مَن باتفاق . إلى آخره : « مَن » فيه استفهام نفيٍ أو إنكارٍ ، وكذا : « مَن قال إن الزِّنَى » والبيتان بعده . أى : لم يقل ذلك أحدٌ ، وكذا رأيتُ صاحب النظم الشيخ تاج الدين السُّبْكىَّ فَسَّره فى بعض تعاليقه . وجوَّز فى قوله : « من قال إن الزنى » أنّ « مَن » مبتدأ ، خبره : « غيرُ مغتفرٍ » : أى لايغتفر له هذا القول ، بل يؤاخذ به .

نقول : لايُسْلَم هذا التفسيرُ للسيوطى ، ونقلُه عن السُّبكىّ فيه شكٌّ ، لِما تقدَّم فى ترجمة الذهبى من هذه الطبقة أن المراد بهذا اللغز : عيسى بن مريم ، عليه السلام . انظر صفحة ١١٥ من هذا الجزء . وكذلك قال القاضى كريم الدين الشافعى ، على ماحكى السيوطى نفسه فى آخر الأجوبة الزكية . قال القاضى : إن كان عنى بالفَتَى : عيسى ابن مريم ، فلايُطلَق اسمُ الفتى على الأنبياء ، وإنما يُسمَّى بذلك الصِّبيان والعبيد والخَدَم والإماء . وإن كان أراد : إبراهيمَ ولدَ النبىّ ﷺ ، فلايُطلَق عليه فَتًى ، فقد نَصَّ الأزهرىُّ على أن الصبىَّ لايُسمَّى فَتًى حتَّى يُراهِقَ . وإن كان أراد : الحسنَ ، فأبو بكر أفضلُ منه ، فلو قال =

وَمِن عليٍّ ومن عثمانَ وهْوَ فَتًى ... مِن أمَّةِ المُصطَفى المَبعُوثِ مِن مُضَرِ

من أبْصرَتْ فى دِمَشْقٍ عينُه صَنَمًا ... مُصَوَّرًا وهْوَ مَنْحُوتٌ مِن الحَجَرِ[1]

إن جاعَ يأكُلْ وإن يَعْطَشْ تَضَلَّعَ مِن ... ماءٍ نَمِيرٍ زُلالٍ ثُمَّ مُنْهَمِرِ

مَن قال إن الزِّنَى والشُّرْبَ مَصْلَحةٌ ... ولم يَقُلْ هو ذَنبٌ غيرُ مُغْتَفَرِ[2]

مَن قال إنّ نِكاحَ الأُمِّ يَقرُبُ مِنْ ... تَقْوَى الإلٰهِ مَقالًا غيرَ مُبْتَكَرِ[3]

مَن قال سَفْكُ دِماءِ المسلمين على الـ ... صَّلاةِ أوْجَبَهُ الرحمنُ فى الزُّمَرِ[4]

مَن كان والِدُها ابنًا فى الأنامِ لَها ... وذاك غيرُ عَجِيبٍ عندَ ذى النَّظَرِ[5]

= بدلَ فتًى : « شخص » صَحَّ علَى عيسى عليه السلام ، وعلَى إبراهيمَ ولدِ النبىِّ ﷺ ، وعلَى فاطمةَ رضى الله عنها ، لقول النبىِّ ﷺ : « فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّى » قال مالك رضى الله عنه : لاأفضِّلُ علَى بَضْعَةٍ من النبىِّ ﷺ أحدًا .

(١) قال السيوطى : أراد بهذا مارواه الحاكم فى « تاريخ نيسابور » بسنده إلى أبى عبد الله البُوشَنْجِىِّ ، عن عبد الله بن يزيد الدِّمَشْقىّ ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : رأيت ببغداد ، صَنَمًا من نحاس ، إذا عَطِش نزل فشرب . قال البُوشَنْجِىُّ : رُبَّمَا تكلَّمت العلماء على قَدْرِ فهم الحاضرين تأديبًا وامتحانًا ، فهذا الرجلُ ابنُ جابر أحد علماء الشام ، ومعنى كلامه : أن الصَّنَمَ لايعطَش ، ولو عَطِش نزل فشَرِب ، فنفى عنه النُّزولَ والعطَش .

انتهى كلام السيوطى . وجاء فى كلامه « ببغداد » . ولعله سهو ، فإن الذى فى شعر السبكى : « دمشق » . ويُقوِّيه أن الرائىَ ، وهو ابن جابر : شامى ، كما ذكر السيوطى .

(٢) انظر شرح هذا البيت ، والبيتين بعده ، فى التعليق قبل السابق.

(٣) فى : ج ، ك : « نكاح الأم مقربة من » وهو خطأ يضطرب به وزن البيت . وأثبتنا الصواب من : المطبوعة ، ومعيد النعم ، والأجوبة الزكية.

(٤) فى الأجوبة الزكية ، وبعض نسخ معيد النعم : « الزبر ».

(٥) قال القاضى كريم الدين : تلك عائشةُ ، زوجُ النبىِّ ﷺ ، فإنها أُمُّ المؤمنين ، وابنة أبى بكر ، فهى أمُّه وابنتُه.

وهـاتِ قُـلْ لِـىَ إبراهيـمُ أَرْبَعَــةٌ بَعْضٌ عن البَعْضِ مَن هُمْ تَحْظَ بالظَّفَرِ[1]

وهكذا خَلَفٌ مِن الرُّواةِ كـذا مُحمّدٌ فى المَغازِى جاء والسِّيَرِ

ومااللُّقَيقَةُ جاءَتْ والسُّحَيْقَــةُ فى غَرِيبِ ماصَحَّ مِمَّا جاء فى الأَثَرِ[2]

وعَن فَتاةٍ لها زَوْجـانِ مابَرِحـا تَزوَّجَتْ ثالِثًا حِلًّا بِـلا نُكُـرِ[3]

---

(١) قال السُّيوطىّ : هذا نوعٌ من أنواع علوم الحديث ، وهو مَن اتفق اسمُه واسمُ شيخِه فصاعِدًا ، والأربعة الذين رَوَوْا بعضُهم عن بعض ، وكلٌّ منهم يُسمَّى إبراهيمَ ، كثيرٌ ، منهم : إبراهيم بن شَمَّاس السَّمَرْقَندِىّ ، عن إبراهيم بن محمد الفَزارِىّ الكُوفِىّ ، عن إبراهيم بن أدْهَم الزاهِد ، عن إبراهيم بن ميمون الصائغ . والأربعة الذين كلٌّ منهم اسمُه خَلَف : وقع ذلك فى علوم الحديث للحاكم ، فى إسنادٍ واحِد ، بل خمسة ، فقال : حدَّثَنا خلف ، حدَّثنا خَلَف ، حَدَّثنا خَلَف ، حَدَّثنا خَلَف ، حَدَّثَنا خَلَف : الأول : الأمير خلف بن أحمد السِّجْزِىّ ، والثانى : أبو صالح خلف بن محمد البُخارِىّ ، والثالث : خلف بن سليمان النَّسفِىّ ، والرابع : خلف ابن محمد الواسِطِىّ ، والخامس: خلف بن موسى بن خلف. [وانظر علوم الحديث، للحاكم ٢٣٦].

وأمّا المحمَّدُون فى إسناد واحد ، ففى صحيح البخارى من ذلك شىءٌ كثير ، وقد وَقَع لى حديثٌ كلُّ رواته يُسمَّى محمدًا ، من شيخنا إلى النبىّ ﷺ . انتهى كلام السُّيوطىّ . ونقول : تقدَّم للمصنِّف : إبراهيم ، عن إبراهيم ، عن إبراهيم ، ثلاثة . وخلف ، عن خلف ، ستة ، فى الجزء الثالث ٢٧٩ ، وتقدَّم أيضا : يحيى ، عن يحيى ، عن يحيى ، ثلاثة فى الجزء الرابع ١٨٩ .

(٢) لم يشرح السّيوطىّ هذا البيت . وجاء فى الأصول : « اللفيفة والسحيفة » . وقد تقدَّم هذان اللفظان ، فى الجزء الثانى ٢٠٢ ، وتكلم المصنف هناك عنهما فقال : كأنهما اسم موضعين يعرفهما المخاطَب . ثم ضَعَّف الحديثَ الذى وردا فيه.

(٣) قال السُّيوطىّ : « رأيت بخط صاحب النظم الشيخ تاج الدين فى تذكرته ، ماصورته : امرأةٌ لها زوجان ويجوز أن يتزوجها ثالث : هذه امرأة لها عبدٌ وأمة ، زوَّجت أحدَهما =

وآخر راح يَشْرِى طُعْمَ زَوْجتِه فعادَ وهْوَ علَى حالٍ مِن العِبَرِ[1]
قالت له أنت عَبْدِى قد وَهبْتُكَ مِن زَوْجٍ تَزوَّجْتُه فاخْدمْهُ واصْطَبِرِ
وخَمْسةٍ مِن زُناةِ الناسِ خامِسُهُمْ مانالَهُ بالزِّنى شئٌ مِـن الضَّرَرِ[2]
والقَتلُ والرَّجْمُ والجَلْدُ الأَلِيمُ مع الـ تَّغْريبِ وُزِّع فى الباقِين فافْتَكِرِ

= بالآخر ، فيصدق أنها امرأة لها زوجان ، وإذا جاء ثالثٌ حُرٌّ ، فله نكاحُها » .
وقد أورد المصنِّف هذا اللُّغزَ وإجابتَه فى الجزء الثانى ٢٠٦ ، وزاد هناك قوله : « واللام فى « لها » للملك » .
وقال القاضى كريم الدين ، فى حلّ هذا اللُّغز : الجواب : لها زَوْجان من بَقر وغَنم ، أو غير ذلك ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [سورة هود ٤٠] ، ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [سورة الرعد ٣] .

(١) قال السيوطى : رأيت بخطه أيضًا [أى خط ابن السُّبكىّ] أن صورتَها : عبدٌ زوَّجه مولاه بابنته ودخل بها ، ثم مات مولاه ، ووقعت الفُرْقةُ ، لأنها ملكت زوجَها بالإرث ، وكانت حاملًا فوضعت فانقضت العِدَّةُ فتزوَّجَتْ ، ووهبت ذلك العبدَ لزوجها .
وتقدَّم هذا اللُّغزُ وإجابته فى الجزء الثانى ٢٠٦.

(٢) قال السُّيوطىُّ : رأيت بخطّه أيضًا : قيل إن محمد بن الحسن سأل الشافعىَّ عن خمسة زَنَوْا بامرأةٍ ، فوجَب على واحدٍ : القتلُ ، وآخر : الرَّجْمُ ، والثالث : الجَلْدُ ، والرابع : نصفُه ، ولم يجب على الخامس شئٌ.
فقال الشافعىُّ : الأول : ذِمِّىٌّ زَنَى بمسلمةٍ ، فانتقض عهدُه ، فيُقتَل ، والثانى : مُحْصَنٌ ، والثالث : بِكْرٌ ، والرابع : عبدٌ ، والخامس : مجنونٌ .
وسبق هذا اللُّغْز والجوابُ عليه فى الجزء الثانى ٢٠٤ .
قال السُّيوطىّ فى آخر الأجوبة الزكية : انتهى الجوابُ ، ولم أقف على شئٍ من أجوبة هذه المسائل لغيرى ، إلّا هذه المواضعَ الثَّلاثةَ ، التى نقلتها عن الشيخ تاج الدين ، والموضعَ السابق فى « مَنْ » ، وباقى المسائل ممّا أخذتُه بالفَهْم . =

١٣١١

محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جَماعةَ بن علىّ بن جَماعةَ

ابن حازِم بن صَخْر

شيخُنا قاضى القضاة بَدْر الدّين ، أبو عبد الله الكِنانىّ الحَمَوِىّ*

حاكِمُ الإقليمَيْن مِصْرًا وشاما ، وناظِمُ عَقْدِ الفَخارِ الذى لايُسامَى ، مُتَحَلٍّ بالعَفاف ، مُتَخَلٍّ[1] إلا عن مِقدار الكَفاف ، مُحدِّثٌ فقيه ، ذو عَقْلٍ لايقوم أساطينُ الحُكماء بما جَمع فيه .

مولده فى شهر ربيع الآخِر ، سنةَ تسع وثلاثين وستمائة[2] بحَماة .

= وقد ختم السيوطىُّ قصيدةَ السُّبكىّ بهذا البيت الذى لم يرد فى أصول الطبقات ـــ والخطاب فيه لصلاح الدين الصفدى ـــ كما سبق :

أَجِبْ فأنت جَزاكَ اللهُ صالحةً ... مَن لم يُرَعْ عند إشكالٍ و لم يَحَرِ

وبذلك تَمَّت أبياتُ القصيدة أربعةً وعشرين بيتًا ، وهو العدد الذى ذكره صاحب كشف الظنون ١ / ١١ ، فى أثناء حديثه عن : الأجوبة الزكيّة .

بقى شىء : وهو أن المصنِّف رحمه الله قال فى صدر هذه القصيدة : « هذا ماأشرتُ إليه فى قصيدتى التى نظمتُها فى المعاياة » . و لم يأت فى القصيدة موضعُ هذه الإشارة . ولعلّ فى القصيدة نقصًا ، كما تدلّ عليه عبارة : « منها » التى ذكرها المصنف .

* له ترجمة فى الأنس الجليل ٢/١٣٦ ، البداية والنهاية ١٤/١٦٣ ، تاريخ ابن الوردى ٢/٣٠٢ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٥ ، وانظر فهارسه ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٦٧ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١٠٧ ، ذيول العبر ١٧٨ ، شذرات الذهب ٦ / ١٠٥ ، طبقات الإسنوى ١ / ٣٨٦ ، طبقات المفسرين للداودى ٢ / ٤٨ ، قضاة دمشق ٨٠ ـــ ٨٢ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٥٣ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٨٧ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٩٨ ، نكت الهميان ٢٣٥ ، الوافى بالوفيات ٢ / ١٨ ـــ ٢٠ .

(١) فى المطبوعة : « منحل » ، وأثبتنا مافى : ص ، ج ، ك.

(٢) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ بحماة ».

ولِىَ قضاءَ القُدْس مُدَّةً ، ثم درَّس بالقَيْمَرِيّة بدمشق ، ثم وَلِى خِطابةَ القدس وقضاءَها[1] ثانيا ، ثم نُقِل منها إلى قضاء القُضاة بالدِّيار المصريّة ، ثم ولى قضاء دمشق وخِطابتَها ، ثم أُعِيد إلى قضاء الدّيار المصرية ، وسار فى القَضاء سِيرةً حسنة ، وأضرَّ بالآخِرة .

سمع بديار مصر من أصحاب البُوصِيرِىّ ، ومن ابن القَسْطَلّانىّ ، وأجازه[2] ابن مُسْلِمةَ وغيرُه .

وقرأ بدمشق على أصحاب الخُشُوعِىّ ، وسَمِعنا الكثيرَ عليه[3] .

مات بمِصرَ فى ليلة الاثنين الحادى والعشرين من جُمادى الأُولى سنةَ ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودُفِن بالقَرافة[4] .

أخبرنا شيخُنا قاضى القضاة بَدرُ الدّين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جَماعة ، قراءةً عليه وأنا حاضرٌ فى الثالثة ، أخبرنا أبو الفرج بن أبى محمد عبد المُنعِم بن أبى الحسن على النُّمَيرِىّ ، بقراءتى عليه ، أخبركم الشيخُ أبو الفرج عبد المُنعِم بن عبد الوَهّاب بن سعد بن صَدَقة بن كُلَيب ، قراءةً عليه ، أخبرنا أبو القاسم علىّ بن أحمد بن محمد[5] بن بَيان الرَّزّاز ، قراءةً عليه ، قال : حدَّثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مَخْلَد ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصَّفّار ، أخبرنا الحسن بن عَرَفَةَ ، أخبرنا عَمّار بن محمد ، عن الصَّلْت ابن قُوَيْد[6] الحَنَفِىّ ، قال : سمعت أبا هُريرةَ رضى الله عنه [يقول][7] ، سمعتُ خليلى

---

(١) فى المطبوعة : « قضاء القدس وخطابتها » . والمثبت من : ص ، ج ، ك.

(٢) فى الطبقات الوسطى : « وأجازه الرشيد بن مسلمة ، وعمر بن البراذعى ، وسمع من إسماعيل بن عزون ، وابن علاق ، والنجيب ، وكان فقيها محدثا ».

(٣) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « حضورا وسماعا . ذكره شيخنا الذهبى فى « المعجم المختص » وقال : طلب بنفسه وخرج ، وقرأ على الشيوخ ، ومحاسنه كثيرة ، وصنف وروى الكثير ».

(٤) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « روى عنه الذهبى ووالدى وجماعة من حفاظ العصر ».

(٥) فى المطبوعة : « على » مكان « محمد » . وأثبتنا الصواب من : ص ، ج ، ك ، والمشتبه ٣١٢ ، ومما سبق فى الجزء السابع ٢٦٣.

(٦) فى المطبوعة : « يزيد » ، والتصحيح من ص ، ج ، ك ، وميزان الاعتدال ٢ / ٣١٩.

(٧) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ص ، ج ، ك.

أبا القاسم ﷺ يقول : « لَاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا تَنْطِحَ ذاتُ قَرْنٍ جَمَّاءَ » .

رواه سُفيانُ بن وكيع ، عن زيد بن الحُباب[1] ، عن عَمّار بن محمد ، وهو غايةٌ فى العُلُوّ .

أخبرنا قاضى القضاة بدرُ الدين ، حُضورًا ، أخبرنا الشيخُ الفقيه أبو الحسن علىّ ابن الشيخ الزاهد[2] أبى العباس المعروف بابن القَسْطَلّانىّ ، قال : سمعتُ والدى الإمامَ أبا العباس ، يقول : سمعتُ الشيخَ الإمام أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القُرشِىّ رضى الله عنه ، يقول : علامةُ الصادِق أن يَفْتقِرَ بإيمانه إلى كُلِّ إيمانٍ ، وبعَقْلِه إلى كُلِّ عَقْل ، وبعلْمه إلى كلِّ عِلْم .

أنشدَنا قاضى القضاة بدرُ الدين ، حُضورًا ، أنشدَنا الإمام أبو الحسن علىّ بن أحمد ، أنشدنا الإمامُ الحافظ أبو الحسن على بن المفضَّل[3] المالِكىّ ، إملاءً لنفسِه :

أعَـمُّ خَلائـقِ الإنسانِ نَفْعًـا ... وأَقْرَبُهـا إلى مافِيـهِ راحَـهْ
أداءُ أمانـةٍ وعَفـافُ نَـفْسٍ ... وصِدْقُ مَقالةٍ وسمَاحُ راحَهْ

ومن شعر قاضى القُضاة بدرِ الدِّين ماأنشدَنيه ولدُه سيِّدُنا قاضى القضاة عِزُّ الدين أبو عمر عبد العزيز ، بقراءتى عليه بالقاهرة ، قال : أنشدنا والدى لنفسِه :

جِهاتُ أموالِ بَيْتِ المالِ سَبْعَتُها ... فى بَيتِ شِعْرٍ حَواها فيه كاتِبُهُ
خُمْسٌ وفَىْءٌ خَراجٌ جِزْيَةٌ عُشُرٌ ... وإرْثُ فَرْدٍ ومالٌ ضَلَّ صاحِبُهُ

---

(1) بضم الحاء المهملة ، على ماقيده ابن حجر فى تقريب التهذيب ١ / ٢٧٣.

(2) فى المطبوعة : « الأهدابى » ، وفى : ج ، ك : « الأهد » وضبط فى ج بفتح الهاء وتشديد الدال . وأثبتنا الصواب من ترجمة أبى الحسن على ، وأبيه أبى العباس أحمد بن على بن محمد ، فى : حسن المحاضرة ١ / ٤٥٥ ، والديباج المذهب ٦٧ ، وشذرات الذهب ٥ / ١٧٩ ، ٣٢٠ ، العبر ٥ / ١٤٨ ، ٢٨١ ، العقد الثمين ٣ / ١٠٥ ، وقد أجمعوا على أن الشيخ أبا العباس كان زاهدا متصوفا.

(3) فى المطبوعة : « الفضل » ، والتصحيح من : ج ، ك ، وتقدم كثيرا فى الأجزاء السابقة ، راجع فهارس الأعلام.

وأنشدَنا مولانا قاضى القضاة عِزُّ الدين أيضًا بقراءتى عليه ، قال : أنشدنى والِدى لنفسه :

أحِنُّ إلى زِيارةِ حَىِّ لَيْلَى ... وعَهْدِى مِن زِيارتِها قَرِيبُ[1]

وكنتُ أظُنُّ قُرْبَ العَهْدِ يُطْفِى ... لَهِيبَ الشَّوقِ فازدادَ اللَّهِيبُ

وأنشدنى [أيضًا][2] بقراءتى عليه ، قال : أنشدنى والِدى لنفسه :

أُهَنِّى بشَهْرِ الصَّومِ مَن لو بَثَثْتُهُ ... عَظِيمَ اشْتياقِى رَقَّ مِمَّا أُعانِيهِ

وأشكُو إليه حُسَّدًا لو بُلِى بِهِمْ ... شَوامِخُ حِسْمَى هَدَّها ما تُقاسِيهِ[3]

ومَن كان لا يُرْضِيه مِن حالَتِى سِوَى ... خِلافُ مُرادِ اللهِ ما حِيلَتِى فِيهِ

ومن شِعره أيضًا :

قالوا شُروطُ الدُّعاءِ المُستجابِ لَنا ... عَشْرٌ بِها بَشَّرَ الداعِى بإفْلاحِ

طَهارَةٌ وصَلاةٌ مَعْهُما نَدَمٌ ... وَقْتُ خُشُوعٍ وحُسْنُ الظَّنِّ يا صاحِ

وحِلُّ قُوتٍ ولا يُدْعَى بمَعْصِيَةٍ ... واسْمٌ يُناسِبُ مَقْرُونٌ بالحاجِ

● من كتاب « كَشْف المعانى » لابن جَماعة ، ذَكَر فى الجَمْع بين[4] الرَّحمن والرَّحيم ، فى البَسْمَلة : أن أحسنَ ما يُقال فيه ، ولم نجِدْه لغيره ، أن فَعْلان مُبالَغةٌ فى كثرة الشىء ، ولا يَلْزَم منه الدَّوامُ ، كغَضْبان ، وفَعِيل لدَوامِ الصِّفة ، كظَرِيف ، فكأنه قيل : العظيمُ الرَّحْمة الدَّائِمُها .

قال : وإنما قُدِّم الرّحمنُ على الرَّحيم ؛ لأن رَحمتَه فى الدنيا تَعُمُّ المؤمنين والكافرين ، وفى الآخرة دائمةٌ لأهل الجنَّة ، ولذلك يقال : رحمنُ الدُّنْيا ورَحِيمُ الآخرة .

---

(١) البيتان فى الوافى ١٩/٢ ، وطبقات المفسرين ٥٠/٢ .

(٢) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « شواخ خمسا » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، لكن الكلمة رسمت فيهما : « حسما » . وحسمى ، بكسر الحاء والقصر : أرض ببادية الشام فيها جبال شواهق ، وقيل : موضع باليمن ، وقيل : قبيلة جذام . راجع اللسان (ح س م) ، ومعجم البكرى ٤٤٦ ، وياقوت ٣٦٧/٢ .

(٤) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « بين بسم الله الرحمن الرحيم » .

● وفى البقرة ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾[1] وفى إبراهيم : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَذَا ٱلْبَلَدَ آمِنًا ﴾[2] لأن آية البقرة دعا بها إبراهيمُ عندَ نُزول[3] إسماعيل وهاجَر فى الوادى ، قبلَ بناء مكة ، وآيةَ سورة إبراهيم بعد عَوده إليها وبنائها .

● فى البقرة : ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ ﴾[4] وفى المائدة والأنعام والنَّحْل : ﴿ لِغَيرِ اللهِ بِهِ ﴾[5] لأن آيةَ البقرة وردَت فى سِياق المأكول وحِلِّه وحُرْمته ، فكان تقدُّمُ ضَمِيرٍ قد تعلَّق الفِعلُ به أهَمَّ ، وآيَة المائدة وردت بعد تعظيم شعائرِ الله وأوامرِه ، وكذلك آية النحل بعد قوله : ﴿ وَٱشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ ﴾[6] فكان تقدُّمُ[7] اسمِه أهَمَّ .

وأيضًا فآية النَّحل والأنعام نَزَلتا بمكة ، فكان تقديمُ ذِكرِ الله بترك[8] ذكر الأصنام على ذبائحهم أهَمَّ ، لما يجب من توحيده وإفرادِه بالتسمية على الذَّبائح ، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان مايَحِلُّ ومايَحرمُ ، فقدَّم الأهمَّ فيه .

● قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[9] وقال بَعْدُ : ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾[10] لأنه أشار بالحُدُود فى الأول إلى نَفْس المحرَّمات فى الصِّيام والاعتكاف ؛ من الأَكل والشُّرْب والوَطء والمُباشَرَة ، فناسَب : ﴿ لَا تَقْرَبُوهَا ﴾ .

وفى الثانية إلى المأمُورات فى أحكام الحِلِّ والحُرْمة فى نِكاح المُشركات وأحكامِ الطلاق والعِدَدِ والإيلاء والرَّجْعة وحَصْر الطَّلاقِ فى الثَّلاث والخُلْع ، فناسَب : ﴿ لَا تَعْتَدُوها ﴾

---

(١) سورة البقرة ١٢٦.

(٢) سوره إبراهيم ٣٥.

(٣) فى المطبوعة : « ترك » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) سورة البقرة ١٧٣.

(٥) سورة المائدة ٣ ، والأنعام ١٤٥ ، والنحل ١١٥.

(٦) سورة النحل ١١٤.

(٧) فى المطبوعة : « تقديم » . والمثبت من : ج ، ك . وسبق نظيره.

(٨) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « تبرك وذكر ».

(٩) سورة البقرة ١٨٧.

(١٠) سورة البقرة ٢٢٩ .

أى قِفُوا عندَها ، ولذلك قال بعد [ذلك][1] : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

● قوله : ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] وقال بعد ذلك : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[4] فأتى[5] بالإحسان فى الأُولَى وبالتَّقوى فى الثانية ، لأن الأُولَى فى مُطلَّقةٍ قبلَ الفَرْضِ والدُّخولِ ، فالإعطاءُ فى حَقِّها إحسان ، وإن أوجَبَه قومٌ ، لأنه لافى مُقابَلَة شئٍ ، فناسَب المُحسِنين .

والثانية[6] فى الرَّجْعيّة ، والمُراد بالمَتاع عندَ المحقِّقين النَّفَقةُ ، ونَفقةُ الرَّجعيَّة واجبةٌ ، فناسَبَ [حقَّ][7] المُتَّقِين .

ورَجَّح أنّ المُرادَ به النَّفقةُ أنه ورَد عَقِب قولِه : ﴿ مَتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴾[8] والمرادُ به النَّفقة ، وكانت واجبةً قبلَ النَّسْخ[9] ، ثم قال : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ ﴾ فظَهَر أنه[10] النفقةُ فى عِدّة الرَّجعيّة ، بخِلاف البائنِ بخُلْع ، فإن الطَّلاقَ مِن جِهتها ، فكيف تُعْطَى المُتعةَ التى شُرِعَت جَبْرًا للكَسْر بالطَّلاق ، وهى الراغبةُ فيه؟ فظهر أن المُرادَ بالمتاعِ هنا النفَقةُ زَمَنَ العِدَّة ، لا المُتْعةُ .

وللعلماء فى هاتين الآيتين اضطرابٌ كثير ، وماذكرتُه أظْهَرُ ؛ لأنه تقدَّم حُكْمُ الخُلْع ، وحُكمُ عِدَّةِ الموت ، وحُكمُ المُطلَّقة بعدَ التسمية ، وبَقَى حكمُ المطلَّقة الرَّجعيّة ، فيُحْمَلُ عليه .

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.
(٢) سورة البقرة ٢٣٠.
(٣) سورة البقرة ٢٣٦.
(٤) سورة البقرة ٢٤١.
(٥) فى : ج ، ك : « قال بالإحسان » ، والمثبت من المطبوعة.
(٦) فى المطبوعة : « والثانى » ، والتصحيح من : ج ، ك.
(٧) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.
(٨) سورة البقرة ٢٤٠.
(٩) فى ج : « الفسخ » ، وأثبتنا الصواب من : ك ، والمطبوعة . وراجع تفسير القرطبى ٣ / ٢٢٩.
(١٠) فى المطبوعة : « أن » ، والتصحيح من : ج ، ك .

● فى[1] ﴿ يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[2] أفرَدَ ﴿ النُّورَ ﴾ لأن دِينَ الحقِّ واحدٌ ، وجَمَع ﴿ الظُّلُمَاتِ ﴾ لأن الكفرَ أنواع .

● فى البقرة : ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾[3] لأن[4] المَثَل للعامِل ، فكان تقديمُ نَفْيِ قُدْرتِه ، وصِلتِها وهى : ﴿ عَلَى شَيْءٍ ﴾ أنْسَبَ .

وفى سورة إبراهيم : ﴿ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾[5] لأن المَثَل للعَمَلِ ، لقوله[6] تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ ﴾[7] تقديره : مَثَلُ أعمالِ الذين كفروا ، فكان تقديمُ ﴿ مَاكَسَبُوا ﴾ أنْسَبَ ؛ لأنه صِلَةُ ﴿ شَيْءٍ ﴾ وهو الكَسْبُ .

● وفى البقرة : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾[8] قدَّم المغفرةَ ، وفى المائدة قَدَّمَ ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾[9] لأن آيَةَ البقرة جاءت ترغيبًا فى المُسارَعة إلى [طَلَبِ][10] المغفرة ، وإشارةً إلى سَعَةِ رحمة الله ، وآيةَ المائدة جاءت عَقِبَ ذكرِ السارق والسارِقة[11] ، فناسَبَ ذِكرَ العذاب .

● قوله فى آلِ عِمْران ومَرْيم : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾[12] وفى الزُّخْرُف :

---

(1) فى المطبوعة : « فى البقرة » ، وحذفناها كما فى : ج ، ك . ولامعنى لها حيث لم يأت بعدها ماتقابل به ، كما فى أحكام الآيات السابقة.

(2) سورة البقرة ٢٥٧ ، والمائدة ١٦.

(3) سورة البقرة ٢٦٤.

(4) فى المطبوعة : « ولأن » ، والصواب حذف الواو ، كما فى : ج ، ك.

(5) سورة إبراهيم ١٨.

(6) فى : ج ، ك : « كقوله » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والكلام فى سياق التعليل.

(7) الآية نفسها من سورة إبراهيم.

(8) سورة البقرة ٢٨٤.

(9) سورة المائدة ٤٠.

(10) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .

(11) فى الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(12) سورة آل عمران ٥١ ، ومريم ٣٦ ، وآية آل عمران من غير الواو .

﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾[1] لأنه تقدَّم فى السورتَيْن مِن الآيات الدالَّة على توحيد الرَّبِّ[2] وقُدْرتِه، وعُبودِيَّةِ المسيحِ له، ماأغنى عن التأكيد، بخلاف الزُّخْرُف.

● فى يُونُس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾[3] قدَّم الضَّرر[4] لتقدُّم ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[5] وفى الفُرقان: ﴿ مَالَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾[6] لتقدُّم ذِكرِ النِّعَم.

● ونظيرُه تقديم «الأرض» فى يونُس فى قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[7] ولأنه تقدَّم: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ الآيَةَ، فناسَبَ تقديمَ الأَرضِ؛ لأن الشُّئونَ والعَمَلَ فى الأرض، وفى سَبَأ: ﴿ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[8].

---

(١) سورة الزخرف ٦٤، وفى الأصول: «وإن». وليست الواو فى نص الآية الكريمة.
(٢) فى المطبوعة: «الله»، وأثبتنا مافى: ج، ك.
(٣) سورة يونس ١٨.
(٤) فى المطبوعة: «الضر»، والمثبت من: ج، ك.
(٥) سورة يونس ١٥، وجاء فى الأصول: «قل إنى أخاف» وهو خطأ، فهذه الآية ١٥ من سورة الأنعام.
(٦) سورة الفرقان ٥٥.
(٧) سورة يونس ٦١.
(٨) الآية الثالثة من سورة سبأ. وهكذا وقف الكلام ــ فى الأصول كلها ــ دون ذكر فائدة تقديم «السموات» فى سورة سبأ.

١٣١٢

محمد بن إبراهيم بن يوسُف بن حامد

الشيخ تاجُ الدِّين المَرَّاكُشِىّ*

وُلِد بعدَ السبعمائة .

ونشأ بالقاهرة ، وتفقَّه بها ، وقرأ على قاضى القضاة الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل القُونَوِىّ ، ولازَم الشيخَ رُكْن[١] الدين بن القَوْبَع[٢] .

وكان فقيهًا نحويًّا متفنِّنًا مواظِبًا على طَلَب العِلم ، لا يَفْتُر ولا يَمَلُّ إلا فى القليل[٣] .

أعاد فى القاهرة بقُبَّة الشافعىّ ، ثم دخل دمشق ، ودَرَّس بالمَسْرُورِيّة[٤] .

وسَمِع من شيخِنا الحافظ المِزِّىّ ، وجماعةٍ .

ثم ترك[٥] التدريسَ وانقطع[٦] بدارِ الحديث الأشْرفيّة ، على طَلَب العِلم ، إلى أن

---

* له ترجمة فى: بغية الوعاة ١٦/١، الدارس فى أخبار المدارس ٣٢٠/١، ٤٥٧، ٤٥٨، الدرر الكامنة ٣٨٦/٣، ٣٨٧ ، شذرات الذهب ٦ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٤٦٨ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٥٣ .

(١) فى أصول الطبقات الكبرى : « زكى الدين » ، وأثبتنا الصواب من الطبقات الوسطى ، والدرر الكامنة ، الموضع السابق ، وموضع ترجمته منها فى ٤ / ٢٩٩ ، وحسن المحاضرة ١ / ٤٥٩ ، وهو : محمد بن محمد ابن عبد الرحمن التونسى .

(٢) فى المطبوعة : « القونع » وأهمل النقط فى : ج ، ك . وأثبتنا الصواب من الطبقات الوسطى ، والمرجعين السابقين . قال ابن حجر فى الدرر ٤ / ٣٠٢ : « والقوبع ، على الألسنة بضم القاف ، ونقل ابن رافع عنه ، أنه قال إنه بفتح القاف ، وذكر عن بعض المغاربة أن القوبع : طائر ».

(٣) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « وكان ضريرا ، فلا تراه يفتر عن الطلب إلا إذا لم يجد من يطالع له ».

(٤) فى أصول الطبقات الكبرى : « بالمروزية » ، والتصحيح من : الطبقات الوسطى ، ومصادر الترجمة . والمدرسة المسرورية هنا : من مدارس دمشق . الدارس ٤٥٥/١ .

(٥) قبل موته بسنة ، كما أفاد المصنف فى الطبقات الوسطى ، والإسنوى فى طبقاته . وقد ذكر السيوطى فى البغية – الموضع السابق – أن صاحب الترجمة ترك التدريس بالمسرورية ، للشيخ تقى الدين السبكى – والد المصنف – لأنه رأى فى شرط واقف المدرسة أن يكون المدرس عالما بالخلاف .

(٦) فى الطبقات الوسطى : « وانقطع معتكفا » .

تُوفِّيَ فجأةً بعدَ العصر ، من يوم الأحد ثالثَ عشر جُمادى الآخرة ، سنةَ اثنتين وخمسين وسبعمائة .

أنشدنا مِن لفظه لنفسه[1] :

قِلَّــةُ الحَــظِّ يافَتَــى صَيَّرَتْنِــى مُجَــهّلَا
وجَهُـــولٍ بحَظِّـــهِ صارَ فى النــاسِ أكْــمَلَا

دخلتُ إليه مَرَّة ، وهو يُنشِد قولَ ابنِ بَقِىّ[2] :

حَتَّى إذا مالَتْ بهِ سِنَةُ الكَرَى زَحْزَحْتُه شَيْئًا وكان مُعانِقِى[3]
أبْعدتُه عـن أَضْلُـعٍ تَشْتاقُـهُ كَىْ لاينامَ علَى وِسادٍ خافِقِ

وقولَ الحَكَم بن عقال[4] :

إن كان لابُـدَّ مِـن رُقـادِ فأَضْلُعِى هـاكَ عَــن وِسادِ
ونَـمْ علَى خَفْقِها هُــدُوًّا كالطِّفْـلِ فى نَهْنَـهِ المِهــادِ

وهو ومَن عنده يقولون إن قولَ الحَكَم أجْدَرُ بالصَّواب ؛ فإنه لايُناسِبُ المحبَّ أن يُبعِدَ حبيبَه ، ويُنشِدون قولَ الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِىّ [أمتع الله ببقائه][5] فى ذلك ، ردًّا على ابن بَقِىّ :

---

(١) البيتان فى بغية الوعاة.

(٢) فى المطبوعة ، ك : « تقى » بالتاء الفوقية . وأهمل النقط فى : ج . وصوابه بالباء الموحدة المفتوحة وكسر القاف وتشديد الياء ، على ماقيده ابن خلكان فى الوفيات ٦ / ٢٥٠ ، وهو : يحيى بن عبد الرحمن بن بقى الأندلسى القرطبى الشاعر المشهور . توفى سنة ٥٤٠ ، وانظر النجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٧ ، فقد جاء فيها مقيدا بالعبارة : « بتاء مثناة من فوق ثالثة الحروف ».

والبيتان من قصيدة لابن بقى، تراها فى: المغرب فى حلى المغرب ٢ / ٢١ ، رايات المبرِّزين ٧٩ ، تزيين الأسواق ١ / ٤٣ ، معجم الأدباء ٢٠ / ٢٣ ، وفيات الأعيان ٥ / ٢٤٩ ، خريدة القصر ٢٣٦ ، ٢٣٧ (قسم شعراء المغرب والأندلس)، الفلاكة والمفلوكين ١٠٣ . ومن غير نسبة فى المثل السائر ٢ / ٣٠ . والبيت الأول فى المقتضب من كتاب تحفة القادم ٨٤ ، والبيتان فى غيث الأدب المسجم للصفدى ١ / ٢٦٩ ، وانظر نفح الطيب ٣ / ٢٠٩ ، ٤ / ١٥٥ ، ٢٣٧ .

(٣) فى ج : « زحزحته شفقا » . وأثبتنا ما فى المطبوعة ، ك ، ومثله فى المغرب والغيث . والرواية فى الخريدة ، ومعجم الأدباء ، والوفيات : « زحزحته عنى » .

(٤) كذا فى المطبوعة . وفى : ج : « عسال » . وفى : ك : « عساكر » وفى الغيث : « عيال » ولم نعرفه . والبيتان فى تزيين الأسواق ٢ / ٤٢ ، منسوبين لابن عنين ، ولم نجدهما فى ديوانه المطبوع . وفى أدباء الأندلس : « جعفر بن يحيى . أبو الحكم بن غتال » . راجع المقتضب من تحفة القادم ١٨ ، فلعله هذا .

(٥) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك .

أبْعَدْتَه مِن بعدِ مازَحْزَحْتَهُ ... ماأنت عندَ ذَوِى الغرامِ بعاشِقِ[1]
إن شئتَ قلْ أبعدتُ عنه أضالِعِى ... ليكونَ فِعْلَ المُستَهامِ الوامِقِ[2]
أو قُل فباتَ على اضطرابِ جَوانِحِى ... كالطِّفْلِ مُضطَجِعًا بمَهْدٍ خافِقِ

قلت : [إن][3] ابنَ بَقِىّ وإن أساء لفظًا ، حيث قال : أبعدتُه ، فقد أحسن معنًى ؛ لأنه وصف أضْلُعَه بالخَفَقان والاضطرابِ الزائد الذى لايستطيع الحبيبُ النومَ عليها ، فقدَّم مصلحتَه على مصلحتِه ، وترك مايُريد لما يُريد ، وأبعَدَه عمّا يُقْلِقُه .

ولو قال :

* أبعدتُ عنه أضلُعًا تشتاقُه *

لأحسنَ لفظًا كما أحسن معنًى ، وأمّا الحَكَم فإنه وصَف خفقانَه بالهُدُوِّ ، وهو خَفَقانٌ يَسيرٌ يُشبه اضطرابَ سَريرِ الطِّفل ، وهذا نَقْضٌ ، فوقع النِّزاع فى ذلك .

وأرسلوا إلى القاضى شِهاب الدِّين أحمدَ بن يحيى بن فضل الله رحمه الله ، صُورةَ سؤالٍ عن الرجلين : ابن بَقِىٍّ والحكم ، أيُّهما المُصيب ؟ فكتب :

قولُ ابن بَقِىٍّ عليه مَأْخَذٌ ... لكنه قولُ المحبِّ الصادِقِ[4]
يَكْفِيه فى صِدْقِ المَحبّةِ قولُهُ ... كى لاينامَ على وِسادٍ خافِقِ
ما الحُبُّ إلّا مايُهَدُّ له الحَشَا ... ويَهُدُّ أيْسَرُه فُؤادَ العاشِقِ

فى أبياتٍ أُخَر لم تَجْرِ على خاطِرى الآن .

وأبياتُ ابن بَقِىٍّ هذه من كلمةٍ له حسنة ، وهى :

بأَبِى غَزالٌ غازَلَتْهُ مُقْلَتِى ... بَيْنَ العُذَيْبِ وبَيْنَ شَطَّىْ بارِقِ
وسألتُ مِنه زِيارةً تَشْفِى الجَوا ... فأجابَنِى مِنها بوَعْدٍ صادِقِ
بِتْنا ونحنُ مِن الدُّجا فى خَيْمَةٍ ... ومِن النُّجومِ الزُّهْرِ تحتَ سُرادِقِ[5]

---

(١) ذكر الصفدى هذه الأبيات فى كتابه : غيث الأدب . الموضع المذكور قريبا . والرواية عنده : « أبعدت من زحزحته عن أضلع » . وزاد بعد البيت الأول ، قال :

هذا يدل الناس منك على الجفا ... إذ ليس هذا فعل صب وامق

(٢) فى غيث الأدب : « المستهام الصادق ».

(٣) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٤) تقرأ : « بقى » بتشديد القاف ، ليستقيم الوزن.

(٥) فى مراجع تخريج القصيدة المشار إليها : من الدجا فى لجة.

عاطَيْتُه واللَّيلُ يَسْحَبُ ذَيلَهُ   صَهْباءَ كالمِسْكِ الفَتِيق لِناشِقِ[1]
وضَمَمتُه ضَمَّ الكَمِيِّ لسَيْفِهِ   وذُؤابتَاهُ حمَائِلٌ فى عاتِقِى
حتّى إذا مالَتْ به سِنَةُ الكَرَى   زَحْزَحْتُه شيئًا وكان مُعانِقِى
أبعدتُه عن أضْلُعٍ تَشْتاقُهُ   كى لايَنامَ على وِسادٍ خافِقِ
لمّا رأيتُ اللَّيلَ آخِرَ عُمْرِهِ   قد شابَ فى لِمَمٍ له ومَفارِقِ
وَدَّعْتُ مَن أهْوَى وقلتُ تأسُّفًا   أَعْزِزْ عَلَىَّ بأن أراكَ مُفارِقِى[2]

ويَقْرُب مِن هذه النُّكتة أن جَرِيرًا قال[3] :

طَرَقتْكَ صائدةُ الفُؤادِ وليسَ ذا   وَقْتُ الزِّيارةِ فارْجِعِى بِسَلامِ[4]

فِعيبَ عليه قولُه : « فارْجِعِى » وهو نَقْدٌ حسَنٌ ، فأىُّ لَفْظٍ[5] أَبْشَعُ مِن قولِ المُحِبِّ لمن يُحبّه : ارْجِعْ ؟

ورأيتُ الشيخَ صلاحَ الدِّين الصَّفَدِىّ ، نفع الله به ، قد قال رادًّا عليه[6] :

ياخَجْلَتَا لِجَرِيرٍ مِن   قولٍ كَفانا اللهُ عارَهْ[7]
طَرَقَتْكَ صائدةُ الفُؤا   دِ وليس ذا وَقْتُ الزِّيارَهْ[8]
هل كان يَلْقَى إن أتا   هُ خَيالُ مَن يَهْوَى خَسارَهْ
أَوْ كان قَلْبٌ قد حوا   هُ مِن حَدِيدٍ أو حِجارَهْ[9]

---

(١) فى المطبوعة : « العبيق الناشق » . وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والمراجع المذكورة.

(٢) فى معجم الأدباء ٢٠ / ٢٤ : « وقلت مشيعا » . ومافى الطبقات مثله فى وفيات الأعيان . ولم يرد البيت فى المغرب.

(٣) ديوانه ٥٥١ ، وطيف الخيال ٦٥ ، وانظر مراجع تحقيقه وفهارسه.

(٤) رواية الديوان والطيف : « صائدة القلوب » . وقال الآمدى : « وقد استجفى الناس قوله : « فارجعى بسلام » ، وإنما قال هذا لأنه عاتب عليها ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

لو كان عهدك كالذى عاهدتنا   لوصلت ذاك فكان غير رمام »

راجع حواشى طيف الخيال ، والمراجع الجيدة التى أحال عليها المحقق الفاضل .

(٥) فى المطبوعة : « فإن لفظة » ، والتصحيح من : ج ، ك.

(٦) فى كتابه غيث الأدب المسجم ١ / ٢٢٦.

(٧) فى المطبوعة والغيث : « ياخجلة » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٨) فى الغيث : « صائدة القلوب ».

(٩) فى المطبوعة : « قلب حوله هو من حديد » ، وأثبتنا مافى ج ، ك ، والغيث.

فعجبتُ له كيف ترك لفظة « ارْجِعِى » وهو أبْشَعُ ماعِيبَ به على جرير ، وقلت :

أمَّا جَرِيرُ فجَرَّ ثوبَ العَارِ فى ... دَعْوَى الضَّنَى وله دِثارُ غَرامِ[1]

إذ كَذَّبَ الدَّعْوى وقال لها وقَدْ ... زارَتْهُ فى الغَلَسِ ارْجِعِى بسَلامِ

ثم قلت : لعلَّ الشيخَ صلاحَ الدِّين إنما ترك لفظة الرُّجوع لِنَكارتها، وقلت[2]:

إنِّى لأعجَبُ مِن جَرِيرٍ وقَوْلِهِ ... قَوْلًا غَدَوْتُ به أُنَكِّرُ حالَهْ

طَرَقَتْكَ صائِدةُ الفُؤادِ وليس ذا ... وَقْتُ الزِّيارةِ فاسْتَمِعْ أقْوالَهْ

واعْذِرْ فلستُ بقادِرٍ واللهِ أن ... أُحْكِى الذى بعدَ الزِّيارةِ قالَهْ

فلمّا وقف الشيخُ صلاحُ الدّين على كلامى هذا كلّه ، زَعم أنّى أعترِفُ له بحُسْن النَّقْد ، وقال :

أمَّا جَرِيرُ فلم يَكُنْ ... صَبًّا ولكنْ يَدَّعِى

أوَمَا تَراهُ أتَتْهُ صا ... ئِدةُ الفُؤادِ فلم يَعِى

بَلْ قال جَهْلًا ليس ذا ... وَقْتُ الزِّيارةِ فارْجِعِى

لو كنتُ حاضِرَ أمْرِهِ ... قلتُ ارْجِعِى وَلَهُ اصْفَعِى

قلت : ولا يَخْفَى أن هذه الاعتراضاتِ كلَّها لفظيَّة ، طَرقتْ قائلَها ، ولم يُحقِّق ؛ فإنّ جريرًا لم يقصِدْ برُجوعها إلّا الشَّفقةَ[3] عليها من الزِّيارة فى غيرِ وقتِ الزِّيارة ، فجاءه الاعتراضُ من لفظة الرُّجوع فقط ، كما جاء ابنَ بَقِىٍّ مِن لفظة الإبعاد ، ورُبَّما أُتِىَ أقوامٌ مِن سُوءِ العِبارة .

قال الحافظ أبو عبد الله الحُمَيْدِىّ : أخبرنى أبو غالب محمد [بن أحمد][4] ابن سَهْل النَّحْوِىّ ، قال : حكيتُ للوزير أبى القاسم الحسين بن على المَغرِبِىّ ، قول أبى الحسنِ الكَرْخِىّ : أوصانا شيوخُنا بَطَلب العِلم ، وقالوا لنا : اطلُبُوه واجتَهِدوا فيه ، فَلَأَنْ يُذَمَّ لكم الزَّمانُ أحْسَنُ مِن أن يُذَمَّ بكم الزَّمان .

---

(١) فى المطبوعة : « دعوى الصبابة وازدياد غرام » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) راجع ديوان الصبابة ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) فى المطبوعة : « رجوعها إلا للشفقة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٤) ساقط من ج ، ك ، وفى المطبوعة محمد والصواب أحمد كما فى الجزء الأول ص ٣٠٨ .

قال : فاستحسن الوزيرُ ذلك وكَتَبه ، ثم عَمِل أبياتًا و[1] أنشدنيها ، وهى :

ولقد بَلَوْتُ الدَّهْرَ أَعْجُمُ صَرْفَهُ ... فأطاعَ لى أصحابُه ولِسانُـهُ
ووجَدْتُ عَقْلَ المرءِ قِيمةَ نَفْسِهِ ... وبجدِّه جَدْواهُ أو حِرْمانُـهُ
وعلَى الفَتَى أن لايُكَفْكِفَ شَأْوَهُ ... عِندَ الحِفاظِ ولا يُغَضّ عِيانُهُ
فإذا جَفاه المَجْدُ عِيبَتْ نَفْسُهُ ... وإذا جَفاه الجَدُّ عِيبَ زَمانُهُ

قلت : وهذه أبياتٌ حَسَنَةٌ بالغِةٌ فى بابِها ، وقد حاول الشيخ تاجُ الدّين عبد الباقى اليَمانِىّ اختصارَها ، فقال[2] :

تَجنَّبْ أن تُذَمَّ بك اللَّيالِى ... وحاوِلْ أن يُذَمَّ لك الزَّمانُ[3]
ولا تَحْفِلْ إذا كُمِّلْتَ ذاتًا ... أَصَبْتَ العِزَّ أم حَصَلَ الهَوانُ

فأَغْفَلَ ماتضمنتْه أبياتُ الوَزير الثَّلاث مِن المَعانى ، واقتصر على ماتضمّنه البيتُ الرابع ، ثم انقلب عليه المَعنى ، وأُتِىَ مِن سُوءِ التعبير ، فإن المقصودَ أن المرءَ يُكَمِّلُ نفسَه ولا عليه مِن الزَّمان ، وأمّا أنه يَسْعَى فى أن يُذَمَّ له الزَّمان ، فليس بمقصودٍ[4] ، ولا هو مُرادُ أشياخِ الكَرْخِىّ ، ولا يَحْمَدُه عاقل ، وكان الصَّوابُ حيث اقتصر على مَعنى البيتِ الرابع أن يأتِىَ بِعبارةٍ مطابقة ، كما قُلناه[5] نحن :

عليكَ كمالَ ذاتِك فاسْعَ فيها ... وليس عليك عِزٌّ أو هَوانُ
وليس إليكَ أيضًا فاسْعَ فِيما ... إليك وأنت مشكورٌ مُعـانُ
فذَمُّ الدَّهْـرِ لـلإنسانِ خَيْـرٌ ... من الإنسان ذُمَّ به الزَّمـانُ

---

(١) زدنا الواو من : ج ، ك.

(٢) البيتان فى : الدرر الكامنة ٢ / ٤٢٣ ، فوات الوفيات ١ / ٥١٢ ، البدر الطالع ١ / ٣١٨.

(٣) فى المطبوعة : « تذم لك الليالى » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمراجع السالفة.

(٤) المراد ، كما قال محقق فوات الوفيات : أن يكون موضع أمل الناس فيأتوه قائلين : نشكو إليك عنت الدهر وظلمه ، وما أشبه ذلك.

(٥) فى المطبوعة : « تطابقه ، كما قلنا نحن » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

فهذا البيتُ وافٍ بالمَعْنى الذى قاله أشياخُ الكَرْخِىّ ، مطابقٌ له من غير زِيادةٍ ولا نقص ، وأحسنُ مِن هذا [كلِّه][1] قولُ بعضِهم :

جَهْلُ الفتَى عارٌ عليه لِذاتِهِ ... وخُمولُه عارٌ على الأيَّامِ

وقولُ الآخَر :

أنْ يكُونَ الزَّمانُ عَيْبِى أوْلَى ... بِىَ مِن أن أكونَ عيبَ الزَّمانِ[2]

وقولُ الآخَر :

مافى خُمولِىَ مِن عارٍ علَى أَدَبِى ... بل ذاك عارٌ على الدُّنيا وأهلِيها

١٣١٣

محمد بن عبد الحاكِم[3] بن عبد الرزّاق البِلِفْيائىّ[4]

مِن فُقهاء المِصريِّين .

وهو والدُ شيخِنا القاضى زين الدين أبى حفص عمر[5] .

أخبرنى ولدُه أن له شرحًا على « الوسِيط » لم يكمِّلْه .

● ورأيت ولدَه المذكورَ قد نقل[6] عنه فى شَرحه على « مُختصَر التِّبْريزِىّ » ، لما تكلَّم على قولِ الأصحاب إنه يُجزِئ فى بَوْلِ الغُلام الذى لم يَطْعَم ، النَّضْحُ ، وأن المرادَ به لم يَطْعَم غيرَ اللَّبن ، فقال : فى « شرح الوَسِيط » لوالدى أن الشافعىَّ رضى الله عنه قال : والرَّضاعُ بعدَ الحَوْلَين بمنزلة الطَّعام والشراب[7] .

---

(١) زيادة من ج ، ك على مافى المطبوعة.

(٢) فى المطبوعة : « إن كون » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « عبد الحكم » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وفى ترجمة ولده من هذه الطبقة : « عبد الكريم » . وسنتكلم عليه هناك إن شاء الله.

(٤) قيده ابن حجر : بكسر الباء الموحدة واللام ، وسكون الفاء ، بعدها ياء تحتية ممدودة . الدرر الكامنة ٣ / ٢٦٤ ، فى ترجمة ولد المذكور.

(٥) تأتى ترجمته فى مكانها من هذه الطبقة.

(٦) فى المطبوعة : « نقله » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٧) راجعه فى الأم ٥ / ٢٥ (باب رضاعة الكبير).

١٣١٤

محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المُرْشِدِىّ *

الشيخ الصالح ذو الأحوال .

قرأ على ضِياء الدِّين بن عبد الرحيم .

وكان مقيمًا بمُنْيةِ بنى مُرْشِد[١] بالدِّيار المِصرية .

واتَّفق الناسُ على أنه لو وَرَد عليه فى اليوم الواحد العددُ الكثيرُ من الخَلق لَكَفاهم قُوتَ يومِهم ، وأطعمهم مايشتهونه ، ولا يعرِف أحدٌ أصلَ ذلك ، ولا يُحْفَظُ عليه أنه قَبِلَ[٢] لأحدٍ شيئًا . وتُحْكَى عنه مُكاشَفاتٌ كثيرة ، نَفَع الله به .

توفِّى فى شهر رمضانَ ، سنةَ سبع وثلاثين وسبعمائة .

وهو أخو سيِّدى الشيخ أحمد ، أعاد اللهُ مِن بركاته .

١٣١٥

محمد بن داود بن الحسن التِّبْرِيزىّ

السيِّد صَدْر الدِّين بن قُطْب الدِّين

له شرح على كتاب النَّبِيه[٣] ، مختصر التنبيه ، لابن يونُس [رحمه الله][٤] .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٧٩ ، حسن المحاضرة ١ / ٥٢٥ ، الدرر الكامنة ٤ / ٨٢ — ٨٤ ، ذيول العبر ١٩٨ ، السلوك : القسم الثانى من الجزء الثانى ٤٢٧ ، شذرات الذهب ٦ / ١١٦ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٩٢ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٣١٣ .

(١) فى الأصول : « بنى رشيد » ، وأثبتنا ما جاء فى مراجع الترجمة . قال فى حواشى النجوم الزاهرة : اسمها الأصلى : منية بنى مرشد ، كما ورد فى كتاب التحفة السنية ، لابن الجيعان ، من نواحى إقليم فوه . وهى اليوم منية المرشد ، إحدى قرى مركز فوه ، بمديرية الغربية بمصر.

(٢) فى المطبوعة : « قال » . والتصحيح من : ج ، ك ، والدرر الكامنة.

(٣) فى المطبوعة : « التنبيه » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، ومما سبق فى الجزء الثامن ١٩١.

(٤) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

١٣١٦

محمد بن خَلَف[١] بن كامل

القاضى شَمْسُ الدِّين الغَزِّىّ *

رَفِيقى فى الطَّلَب .

مولده سنةَ ست عشرة وسبعمائة بِغَزَّة .

وقدِم دمشقَ فاشتغل بها ، ثم رحَل إلى قاضى حَماة شرفِ الدِّين البارِزِىّ ، فتَفقَّه عليه ، وأذِن له بالفُتْيا ، ثم عاد إلى دمشق وجَدَّ[٢] واجتهد .

صحبتُه ورافقتُه فى الاشتغال ، من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، سنةَ مَقْدَمِنا دمشق ، إلى أن توفِّى وهو على الجِدِّ البالغ فى الاشتغال .

أمّا الفقهُ فلم يكن فى عصره أحفظُ منه لمذهب الشافعىّ ، يكاد يأتى على الرافعىِّ وغالِب « المَطْلَب » لابن الرِّفعة استحضارًا ، وله مع ذلك مُشارَكةٌ جيِّدةٌ فى الأصول والنحو والحديث .

وحَفِظ « التلخيص » فى المعانِى والبَيان للقاضى جلال الدين .

وصنَّف « زِيادات المَطْلَب » ، على الرافعىّ .

وجمَع كتابًا نفيسًا على الرافعىّ ، يذكر فيه مَناقِبَ الرافعىّ بأجمعها ، وما يمكن الجوابُ عنه منها بتَنْبِيهات[٣] مُهِمّات فى الرافعىّ ، ويستوعِبُ على ذلك كلامَ ابنِ الرِّفْعة والوالِد رحمهما الله ، ويذكُر مِن قِبَلِه شيئًا كثيرًا ، وفوائدَ مُهِمَّةً ، ولم يبرحِ يعمل فى هذا الكتاب إلى أن مات ، فجاء فى نحو خمس مجلَّدات ، أنا سمَّيتُه « مَيدانَ الفُرسان » ، فإنه سألنى أن أسمِّيَه له ، وكان يقرأ علىَّ غالِبَ مايكتُبه فيه ، ويسألنى عمَّا يُشْكِلُ عليه ، فلِى فى كتابِه هذا كثيرٌ من العَمل ، وبالجُملة لعلَّنا استَفدْنا منه أكثَر ممَّا استفادَ مِنّا .

---

(١) فى المطبوعة : « خالد » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمراجع الآتية .

* له ترجمة فى: الدارس ١/٤٦٣، الدرر الكامنة ٤/٥٣، شذرات الذهب ٦/٢١٨، النجوم الزاهرة ١١/١٠٥ .

(٢) فى : ج ، ك : « وأخذ » ، وأثبتنا مافى المطبوعة.

(٣) فى المطبوعة : « تنبيهات » ، والمثبت من : ج ، ك.

وكان مِن تِلاوَة القُرآن وكثرةِ التَّعبُّد ، وقِيامِ الليل ، وسَلامةِ الصَّدر ، وعدمِ الاختلاطِ بأبناء الدُّنيا ، بمَكان .

استنبتُه فى الحُكْم بدمشق ، ونزلتُ له عن تدريس التَّقْوِية ، ثم تدريسِ الناصِريّة ، وكان قد درَّس قبلَهما فى حياة الوالد رحمه الله ، بالحَلْقة القُوصِيّة بالجامِع ، فاجتمع له التَّداريسُ الثلاثة ، مع إعادةِ الرُّكْنيّة ، وإعادةِ العادِليّة الصغرى ، وتَصْديرٍ[1] على الجامع ، وإمامة الكَلَّاسة .

وكان الوالدُ رحمه الله يحبُّه ، وكان هو يحضُر دروسَ الوالد ، ويسمع كلامَه .

وسألنى مَرَّاتٍ أن يقرأ عليه[2] شيئًا ، فما تهيّأ له ، لكنّا كنّا نُطالعُ فى ليالى الشتاء ، سنةَ ثلاثٍ وأربعين وسبعمائة أو أربع وأربعين ، بدار الحديث الأشرَفيّة ، « الرافعيَّ » أنا والغَزِّىُّ وتاجُ الدِّين المَرَّاكُشِيّ ، فى غالب اللَّيل ، ويخرج الوالدُ فى بعض الأحايين ، ويجلس معنا ، فيسمع قراءتى تارةً ، وقراءتَه أخرى ، ويأخذ عنه .

توفى الغَزِّىُّ ليلةَ الأحد ، رابعَ عشر[3] رجب سنةَ سبعين وسبعمائة ، بمنزله بالعادِليّة الصغرى بدمشق ، فإنه كان مُعيدَها .

وسكَن فى بيت التدريس ، أعاره إياه مُدرِّسُها الشيخ جمال الدين ابن قاضى الزَّبَدانِيّ[4] فسكن فيه مُدَّة[5] سِنين .

ودُفِن من الغَد بتُرْبَتِنا بسَفْح قاسِيُون ، والناس عليه باكون متأسِّفون ، فإنه حكَم بدمشق نحوِ أربعَ عشرةَ سنة ، لايُعرَفُ منه غيرُ لِين الجانِب وخَفْضِ الجنَاح وحُسْنِ الخُلق ، مع لُزوم التقوى ومَحبّة الفقراء .

---

(١) فى المطبوعة : « والتصدير » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « على » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، وسيأتى مايشهد له.

(٣) كذا فى المطبوعة ، ك . وفى ج : « عشرى ».

(٤) هو جمال الدين محمد بن الحسن الحارثى ، ابن قاضى الزبدانى . ذيول العبر ٣٦٣ ، و « الزبدانى » : بلد بين دمشق وبعلبك . بلدان ياقوت ٢ / ٩١٣.

(٥) فى المطبوعة : « عدة » ، والمثبت من : ج ، ك.

١٣١٧

محمد بن عبد الله بن عمر

الشيخ زَينُ الدِّين بن علم الدّين بن زين[1] الدين بن المُرَحِّل*

وُلِد بعدَ سنة تسعين وستمائة .

وتفقَّه على عمّه الشيخ صَدْر الدّين .

ودرَّس بالقاهرة ، بالمَشْهَد الحُسَينىّ ، ثم بدمشق بالشامِيَّة البَرّانيّة والعَذْراوِيّة .

وكان رجلًا فاضلًا دَيِّنًا ، عارِفًا بالفقه وأصوله .

صنَّف فى الأصول كتابين[2] .

توفّى سنةَ ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة[3] .

---

(١) فى المطبوعة : « زيد » ، والتصحيح من : ج ، ك . والمراجع الآتية .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٨١ ، ١٨٢ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٠ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٢٨٣ ، الدرر الكامنة ٤ / ٩٩ ، ذيول العبر ٢٠٣ ، شذرات الذهب ٦ / ١١٨ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٤٦٢ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٩٨ ، الوافى بالوفيات ٣ / ٣٧٤ .

ويعرف المترجم : بابن المرحل ، وابن الوكيل . كما فى بعض مراجع الترجمة.

(٢) أحدهما يسمى : خلاصة الأصول . راجع الأعلام للأستاذ الزركلى ٧ / ١١٢.

(٣) حدده الإسنوى فقال : « ليلة الأربعاء ، تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة » وقد انفرد ابن حجر فذكر أن وفاته سنة (٧٤١).

١٣١٨

محمد بن عبد الرحمن بن عمر
قاضى القضاة جَلالُ الدِّين القَزْوِينىّ *

قدم دمشقَ من بلاده ، هو وأخوه قاضى القضاة إمام الدين ، وأعاد بالمدرسة البادَرائِيّة[١] ، ثم ناب فى القَضاء بدمشق ، عن أخيه ، ثم عن قاضى القضاة نجم الدِّين بن صَصْرَى ، ثم وَلِىَ خِطابة دمشق ، ثم قَضاء القضاة[٢] بها ، ثم انتقل إلى قضاءِ القُضاة بالدِّيار المصرية لَمَّا أضَرَّ القاضى بَدْرُ الدِّين بن جماعة ، فأقام بها مُدَّةً ، ثم صُرِف عنها وأُعِيد إلى قضاء الشام .

وكان رجلًا فاضلًا مُتَفَنِّنًا ، له مَكارِمُ وسُؤْدَدٌ .

وكان يذكُر أنه من نسل أبى دُلَف العِجْلِىّ .

وهو مصنف[٣] كتاب « التَّلخيص » فى المعانى والبيان[٤] ، وكتاب « الإيضاح » فيه .

ذكره الشيخُ جمالُ الدين بن نُباتة فى « سَجْع المُطَوّق » فقال : الإمام المُقدَّم على التحقيق ، والغَمام المُنْشِئُ فى مُرُوج مَهارِقِه كلَّ روض أنيق ، والسابق لغايات[٥]

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٨٥ ، البدر الطالع ٢ / ١٨٣ ، بغية الوعاة ١ / ١٥٦ ، تاريخ ابن الوردى ٢ / ٣٢٤ ، حسن المحاضرة ٢ / ١٧١ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ١٩٧ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٢٠ — ١٢٣ ، ذيول العبر ٢٠٥ ، شذرات الذهب ٦ / ١٢٣ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٣٢٩ — ٣٣٠ ، وفى حواشيه أن للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب كتابًا فى سيرة صاحب الترجمة ، اسمه : « القزوينى وشروح التلخيص » مطبوعا فى بغداد ، سنة ١٩٦٧ ، قضاة دمشق ٨٧ ، مرآة الجنان ٤ / ٣٠١ ، مفتاح السعادة ١ / ٢٠٩ — وانظر فهارسه — ، النجوم الزاهرة ٩ / ٣١٨ ، الوافى بالوفيات ٣ / ٢٤٢ .

(١) فى المطبوعة . « البدرانية » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . وقد سبق التعريف بهذه المدرسة كثيرا ، انظر مثلا الجزء الثامن ١٥٩.

(٢) فى الطبقات الوسطى : « بالشام ».

(٣) فى الطبقات الوسطى : « وإليه ينسب كتاب التلخيص ... ».

(٤) زاد فى الطبقات الوسطى : « وهو من أجل المختصرات فيه ».

(٥) فى المطبوعة : « لرايات » ، والمثبت من : ج ، ك ، ونسخة مخطوطة من سجع المطوق ، محفوظة بمعهد المخطوطات — بجامعة الدول العربية ، برقم (٤٥٨) أدب.

العلوم ، الذى خُلِّىَ[1] له نحوَها عن الطريق ، والبازِى[2] المُطِلُّ على دَقائِقها ، الذى[3] اعترف له بالتقصير ذَوُو التحليق ، والهادِى لمذاهب السُّنَّة الذى يَشهدُ البحثُ أن بَحْرَ فِكرِه عَميق ، والحَبْرُ الذى لاتَدَّعى نَفَحاتِ ذِكره الزُّهْر ، والصَّحيح أنها[4] أعْطَرُ مِن المسك الفَتِيق ، ناهِيكَ [به][5] مِن رجُلٍ علَى [حينَ][6] فَتْرةٍ من الهِمَم ، وظُلْمةٍ من الدَّهر لا كالظُّلَم ، أطْلَعَه الشَّرْقُ كوكبًا ملأ نُورُه المَلا ، لا بَلْ بَدْرًا لايَغترُّ بأشعَّة توَاضُعِه[7] الأَعْلَوْن فيشرَئبّون[8] إلى[9] ، لا بَلْ صُبْحًا يَحْمَدُ[10] لديه الطالبُ سُراه[11] ، لا بَل شمسًا يتمثَّلُ فى شَخْصِه علماءُ الدَّهرِ الغابر ، فكان مَرآةَ مِرآه .

وذكره القاضى شِهابُ الدِّين ابنُ فَضل الله ، فى كتابه « مَسالك الأبصار » ، فقال : مِن وَلَدِ أبى دُلَف ، ومِن مَدَد ذلك السَّلَف ، وَلِى أبوه وأخوه ، وشُبِّهت النُّظَراء ولم يُؤاخُوه[12] ، ولى الخِطابَة وشآفَنَّها[13] ، ورَقَى أعوادَ المَنابِر وهَزَّ غُصْنَها ، وكان

---

(١) فى المطبوعة : « أخلى » ، والمثبت من : ج ، ك ، وسجع المطوق ، وفيه : « خلى له دونها ».
(٢) فى الأصول : « البادى » ، وأثبتنا مافى سجع المطوق.
(٣) فى الأصول : « التى » ، والتصحيح من سجع المطوق.
(٤) فى المطبوعة : « أنه » ، والمثبت من : ج ، ك ، وسجع المطوق.
(٥) زيادة من سجع المطوق.
(٦) ليس فى سجع المطوق.
(٧) فى المطبوعة : « يواضعه » ، والمثبت من : ج ، ك . والذى فى سجع المطوق : « لايغتر بتواضع أشعته ».
(٨) فى المطبوعة : « الأعلون فسر بنوره إلى الإبل صبحا » وقومنا العبارة من : ج ، ك . وسجع المطوق.
(٩) هكذا فى : ج ، ك ، وسجع المطوق . ولعل فى الكلام إشارة إلى شعر أو مثل أو نحوهما . وإنما وقف الكلام هنا ليتم السجع الذى سبق فى قوله : « الملا ».
(١٠) فى المطبوعة : « فيحمد » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، وسجع المطوق
(١١) فى : ج ، ك : « مسراه » ، والمثبت من المطبوعة ، وسجع المطوق ، وهو متفق مع لفظ المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » . وإن كان « مسراه » يناسب : « مرآه » الآتية ، لمكان الميم .
(١٢) فى المطبوعة : « يؤاخذوه » ، والتصحيح من : ج ، ك .
(١٣) فى المطبوعة : « وسلافيها » ، والكلمة غير واضحة فى : ج ، ك . ولعل الصواب مأأثبتناه .

صَدْرَ المَحافِلِ إذا عُقِدَت ، وصَيْرَفِىُّ المسائل إذا انتُقِدَت ، وكان طَلْقَ[1] اليَدَيْن ، و [طَرْقَ][2] الكَرمِ وإن كان بالدَّيْن . انتهى .

توفِّىَ القاضى جلالُ الدِّين بدمشق ، فى[3] سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

وفيه يقول القاضى صلاحُ الدِّين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدِىّ ، وكيلُ بيت المال ، وإمامُ الأدب فى هذا العصر ، من قصيدةٍ امتدحه بها :

هذا الإمامُ الذى تُرْضَى حُكُومَتُهُ ... خِلافُ ماقاله النَّحْوِىُّ فى الصُّحُفِ[4]
حَبْرٌ مَتَى جالَ فى بَحْثٍ وجادَ فلَا ... تَسأَلْ عن البحرِ والهَطَّالةِ الوُطُفِ[5]
له على كُلِّ قولٍ بات يَنصرُه ... وَجْهٌ يُصانُ عن التَّكليفِ بالكَلَفِ
قد ذَبَّ عن مِلَّةِ الإسلام ذَبَّ فَتًى ... يَحْمِى الحِمَى بالعَوالِى السُّمْرِ والرُّعُفِ
ومَذْهبُ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ قامَ بِهِ ... وثَقَّفَ الحقَّ مِن حَيْفٍ ومِن جَنَفِ
يأتى بكُلِّ دَلِيلٍ قد حَكَى جَبَلًا ... فليس يَنْسِفُه مامَغْلَطَ النَّسَفِى[6]
وقد شَفَى العِىَّ لمَّا بات مُنتَصِرًا ... للشافِعِىِّ برَغْمِ المَذهبِ الحَنَفِى
يُحْيِى دُرُوسَ ابنِ إدريسٍ مباحِثُهُ ... فحبَّذا خَلَفٌ منه عن السَّلَفِ[7]

---

(١) فى : ج ، ك : « خرق » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، وهو أنسب لما بعده.

(٢) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك.

(٣) فى نصف جمادى الآخرة ، كما ذكر الإسنوى.

(٤) يشير إلى قول الفرزدق :

ماأنت بالحكم الترضى حكومته ... ولا الأصيل ولاذى الرأى والجدل

راجع شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ / ١٣٦ (باب الموصول) .

(٥) الوطف ، بالتحريك : انهمار المطر ، وسحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو : هى الدائمة السح ، الحثيثة ، طال مطرها ، أو قصر . القاموس (و ط ف).

(٦) فى : ج ، ك : « وليس » ، وأثبتناه بالفاء من المطبوعة . وفيها : « مايغلط » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ومغلط : أى أتى بالأغاليط . والمغلطة : الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به . راجع اللسان (غ ل ط) . والغالب أن المراد بالنسفى هنا : برهان الدين محمد بن محمد بن محمد الحنفى ، من علماء الأحناف ، وممن صنفوا فى الجدل والكلام والخلاف ، توفى سنة ٦٨٧ . راجع الأعلام ٧ / ٢٦٠.

(٧) فى المطبوعة : « يحيى درس » ، والتصحيح من : ج ، ك.

فمَا أَرى ابنَ سُرَيْجٍ إن يُناظِرْهُ ... مِن خَيلِ مَيْدانِهِ فَلْيَمْضِ أو يَقِفِ
ولو أَتَى مُزَنِيٌّ الفِقْهِ أغرَقَـهُ ... ولم يَعُدْ قَطْرَةً فى سُحْبِهِ الذُّرُفِ
وقد أقام شِعارَ الأَشْعَرِىِّ فمَا ... يَشُكُّ يومًا ولايشكُو مِن الزَّيفِ
وليس للسَّيفِ حَدٌّ يَستقِيمُ بهِ ... ولو تَصَدَّى له أَلْقاه فى التَّلَفِ[1]
والكـاتِبِىُّ غَدَا فى عَيْنِه سَقَمٌ ... إذ راحَ يَنظُرُ مِن طَرْفٍ إليهِ خَفِى[2]
مِن مَعْشَرٍ فَخْرُهُمْ أَبْقَاه شاعِرُهُمْ ... فى قولِهِ إنما الدُّنْيا أبو دُلَفِ[3]

● أفتى القاضى جلالُ الدِّين ، وهو خطيبُ دمشق ، فى رجُلٍ فَرَض على نفسه لولده فَرْضًا مُعيَّنا فى كلِّ شهر ، وأذِن لأُمِّه حاضِنتِه فى الإنفاق والاستدانة والرُّجوع عليه ، ففعلت ذلك ومات الآذِنُ[4] : بأن لها الرُّجوعَ فى تَرِكتِه .

وتوقَّف فيه[5] الشيخُ بُرهانُ الدِّين بن الفِرْكاح ؛ لقول الأصحاب : إن نَفقةَ القَريبِ [لا][6] تصير دَيْنًا إلّا بقَرْضِ القاضى أو إذنه فى الاستقراض ، فإن ذلك يَقْتضِى عَدَمَ الرُّجوع ، وقولهم : لو قال : أطْعِم هذا الجائعَ وعلىَّ ضَمانُه ، استحَقّ عليه ، ولو قال : أعتِقْ عبدَك وعلَىَّ ألفٌ استحَقّ ، يقتضى الرُّجُوع .

قلت : الأرجَحُ ماأفْتَى به القاضى جلالُ الدِّين ، مِن الرُّجوع .

---

(١) يعنى بالسيف : على بن أبى على بن محمد الآمدى . راجع ترجمته فى ٨ / ٣٠٦ ، وجاء فى : ج ، ك : « يستقيم له » ، وأثبتنا مافى المطبوعة.

(٢) انظر ما يأتى، صفحة ٢٥٦ . والشاعر يشير إلى كتابه «العين» فى المنطق، وله أيضا: «حكمة العين». فوات الوفيات ٢/ ١٣٤.

(٣) يشير إلى قول على بن جبلة ، المعروف بالعكوك ، يمدح أبا دلف العجلى ، الذى ذكر المترجم أنه من نسله :

إنما الدُّنيـا أبــو دُلَــفٍ ... بَيْـنَ مَغْزاهُ ومُحْــتَضَرِهْ
فـإذا وَلَّـى أبـو دُلَـفٍ ... وَلَّتِ الدُّنيا علَـى أَثَــرِهْ

ديوان على بن جبلة ٦٨ .

(٤) فى المطبوعة : « الأب » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « معه » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٦) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك.

١٣١٩

محمد بن عبد الرحيم بن محمد

الشيخ صَفِىُّ الدِّين الهِنْدِىّ الأُرْمَوِىّ *

المتكلِّم على مَذهَب الأشعرىّ .

كان من أعلمِ الناسِ بمذهبِ الشيخ أبى الحسن ، وأَدْراهم بأسراره ، مُتضلِّعًا بالأصْلَين .

اشتغل على القاضِى سِراج الدِّين صاحبِ « التحصيل »(١) .

وسَمِع من الفَخر بن البُخارِىّ .

روى عنه شيخُنا الذَّهبىُّ .

ومن تصانيفه فى عِلم الكلام : الزُّبْدة(٢) ، وفى أصول الفقه : « النهاية »(٣) ، والفائق(٤) ، والرسالة السَّيفيَّة(٥) .

وكلُّ مُصنَّفاته حَسَنةٌ جامِعة ، لاسِيَّما النِّهاية .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٧٤ ، ٧٥ ، البدر الطالع ٢ / ١٨٧ ، حسن المحاضرة ١ / ٥٤٤ ، الدارس ١ / ١٣٠ — ١٣٢ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٣٢ ، ذيول العبر ٨٣ ، ٨٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٣٧ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٥٣٤ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٧٢ ، مفتاح السعادة ٢ / ٣٦٠ ، الوافى بالوفيات ٣ / ٢٣٩ .

وقد ورد فى هذا المرجع الأخير : « محمد بن عبد الرحمن » ، وكذلك فى حسن المحاضرة .

(١) فى : ج ، ك ، ومفتاح السعادة : « التلخيص » ، وأثبتنا الصواب من : المطبوعة ، والطبقات الوسطى . واسم الكتاب : « التحصيل مختصر المحصول » فى أصول الفقه ، لسراج الدين أبى الثناء محمود بن أبى بكر ابن أحمد الأرموى . راجع ترجمته فى الجزء الثامن ٣٧١ .

(٢) سماها المصنف فى الطبقات الوسطى : « زبدة الكلام ».

(٣) تسمى : نهاية الوصول فى دراية الأصول . راجع فهرس المخطوطات المصورة ، بمعهد المخطوطات ١/ ٢٥٣ .

(٤) فى أصول الدين ، كما فى الأعلام ٧ / ٧٢ ، وعبارة صاحب مفتاح السعادة تؤذن بأنه فى أصول الفقه.

(٥) فى المطبوعة : « النفسية » . والنقط غير واضح ، فى : ج ، ك ، فأثبتنا ما فى الطبقات الوسطى ، والشذرات . وفى الأعلام — الموضع السابق — : الرسالة التسعينية فى الأصول الدينية.

مولده ببلاد الهِنْد ، سنةَ أربعٍ وأربعين وستمائة .

ورَحل إلى اليَمن سنةَ سبع وستين ، ثم حَجَّ وقَدِم إلى مصر ، ثم سار إلى الرُّوم ، واجتمع[1] بسِراج الدين .

ثم قدم دمشق ، سنةَ خمس وثمانين واستوطنها ، ودَرَّس بالأتابكِيّة والظاهريّة الجُوَّانيّة ، وشَغَل الناسَ بالعِلم .

توفّى بدمشق سنةَ خمسَ عشرةَ وسبعمائة[2] .

● وكان خَطُّه فى غاية الرَّداءة ، وكان رجلًا ظريفا ساذَجًا ، فيُحكى أنه قال : وجدتُ فى سُوقِ الكُتب مَرَّةً كِتابًا بخَطٍّ ظَنَنتُه أقبحَ مِن خَطِّى ، فغاليتُ فى ثمنه ، واشتريته لأحتَجَّ به على مَن يَدَّعِى أن خَطِّى أقبحُ الخطُوط ، فلما عُدتُ إلى البيت وجدتُه بخَطِّى القديم .

ولما وقع مِن[3] ابن تَيْمِيةَ فى المسئلة الحَمَويّة ماوقع ، وعُقِد له المجلسُ بدار السَّعادة[4] ، بينَ يدَى الأمير تِنْكُز ، وجُمِعت العلماء ، أشاروا[5] بأنّ الشيخَ الهِنديَّ يحضُر ، فحضَر ، وكان الهِنديُّ طويلَ النَّفَس فى التقرير[6] ، إذا شرَع فى وَجهٍ يُقَرِّره لايدَعُ شُبهةً

---

(١) فى الطبقات الوسطى : « وقرأ على سراج الدين ».

(٢) فى حسن المحاضرة وحدها : « خمسين وسبعمائة ».

(٣) فى المطبوعة : « لابن تيمية » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) كان ذلك ، سنة خمس وسبعمائة . انظر هذه الأحداث فى كنز الدرر وجامع الغرر ــ الجزء التاسع ، وهو الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ١٣٣ ــ ١٤٥ ، البداية والنهاية ١٤ / ٣٦ ــ ٣٨.

(٥) فى المطبوعة : « وأشاروا » ، وأسقطنا الواو ، كما فى : ج ، ك.

(٦) الذى فى الكتب أن صفى الدين الهندى لم يستطع مغالبة ابن تيمية ، ولم يجاره فى قوة الجدل . وهذه عبارة ابن كثير : « وحضر الشيخ صفى الدين الهندى ، وتكلم مع الشيخ تقى الدين كلاما كثيرا ، ولكن ساقيته لاطمت بحرا » . ويعلق الشوكانى فى البدر الطالع ، على قول الصفى لابن تيمية : « أنت مثل العصفور » . ولعله قال ذلك لما رأى من كثرة فنون ابن تيمية وسعة دائرته فى العلوم الإسلامية ، والرجل ليس بكفؤ لمناظرة ذلك الإمام إلا فى فنونه التى يعرفها ، وقد كان عريا عن سواها ».

ولااعتِراضًا إلّا[1] قد أشار إليه فى التقرير ، بحيث لايتمُّ التَّقريرُ إلا وقد[2] بَعُدَ على المعتَرض مُقاوَمتُه ، فلمَّا شَرع يُقرِّر أخذ ابنُ تَيْمِيَة يَعْجَلُ عليه علي عادتِه ، ويخرُج من شيءٍ إلى شيء ، فقال له الهِنْدِيّ : ما أراك يا ابنَ تَيْمِية إلا كالعُصفور ، حيث أردتُ أن أقبِضَه مِن مَكانٍ فرَّ[3] إلى مكانٍ آخر ، وكان الأميرُ تِنْكز يُعَظِّم الهِنديَّ ويعتَقِده ، وكان الهنديُّ شيخَ الحاضرين كلِّهم ، فكلُّهم[4] صَدَر عن رأْيه ، وحُبِس ابنُ تَيْمِيَةَ بسبب تلك المسئلة ، وهى التى تضمَّنت قوله بالجِهَة[5] ، ونُودِىَ عليه فى البَلَد ، وعلى أصحابِه ، وعُزِلُوا مِن وظائفهم .

١٣٢٠

محمد بن عبد الصَّمد بن عبد القادر بن صالح
الشيخ قُطْب الدِّين السُّنْباطِىّ*

صاحبُ « تصحيح التعجيز » ، و « أحكام المُبَعَّض » .

كان فقيهًا كبيرا ، تخرجَتْ به المِصريُّون .

سمع أبا المعالى الأَبَرْقُوهِىّ ، وعلىَّ بنَ نصر الله الصَّوَّاف ، وغيرَهما .

توفِّى فى ذى الحِجّة سنةَ اثنتين وعشرين وسبعمائة ، بالقاهرة ، ودُفِن بالقَرافة .

---

(١) فى المطبوعة : « وقد » ، وأسقطنا الواو ، كما فى : ج ، ك ، وهو الأولى.

(٢) فى المطبوعة : « إلا ويعز على » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وقد ثبتت الواو فى الأصول . والأولى حذفها كما سبق.

(٣) فى المطبوعة : « يفر » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) فى المطبوعة : « وكلهم » ، وأثبتناه بالفاء من : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « تضمنت القول قوله » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٠٤ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٣ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٣٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٥٧ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٧٢ ، ٧٣ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٨٤ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٥٧ و « السنباطى » بضم السين : نسبة إلى سنباط ، من أعمال المحلة ، بالديار المصرية . راجع حواشى النجوم

● قولُ الأصحاب : إنّ الراهِنَ والمُرتَهِنَ إذا تَشاحَّا فى أن الرَّهنَ يكون عِندَ مَنْ ؟ يُسلِّمُه الحاكِمُ إلى عَدْلٍ ، صُورَةُ التَّشاحُح ممَّا يُسأَلُ عنها ، [فإنه][1] إن كان قبلَ القَبْض فالتسليمُ غيرُ واجِب ، وإجبارُ الحاكِم إنما يكون فى واجِب ، وإن كان بعدَ القَبْض ، فلا يجوزُ نَزْعُه ممَّن هو فى يدِه ، وكان السُّنْباطىُّ يُصوِّرُه فيما إذا وَضَعاه عندَ عَدْلٍ ، فَفَسَق ، فإنّ يدَه تُزالُ ، والرَّهنَ لازِمٌ ، فإن تشاحَّا حينئذ فيمَن يكون تحتَ يده ، اتَّجه إجبارُ الحاكِمِ ، وكذلك لو رَضِيا بيَد المُرْتَهِن لعدالته حينَ القَبْض ثم فَسَق ، ينبغى أن يكون كذلك .

١٣٢١

محمد بن عبد الغَفّار بن عبد الكريم القَزْوِينىُّ

الشيخ جَلالُ الدِّين*

وَلَدُ صاحب « الحاوِى الصغير » الشيخ نجم الدين[2] .

تفقّه على أبيه ، وتوفّى سنةَ تسع وسبعمائة .

---

(١) سقط من : ج ، ك ، وأثبتناه من : المطبوعة ، والطبقات الوسطى.

* له ترجمة فى : الدرر الكامنة ٤ / ١٣٧ ، طبقات الإسنوى ١ / ٤٥٣.

(٢) تقدمت ترجمته فى ٨/ ٢٧٧ . وقال ابن حجر عن « محمد » هذا : « وله صنف أبوه « الحاوى » اختصره من الرافعى الكبير ، فحفظه جلال الدين محمد ، وأقرأه ».

١٣٢٢

محمد بن عبد المحسن [بن الحسن][١]

قاضى البَهْنَسا .

شَرَفُ الدِّين الأَرْمَنْتِىّ*

مولدُه سنةَ اثنتين وسبعين وستمائة[٢] .

وكان فقيها شاعِرًا .

توفّى سنةَ ثلاثين وسبعمائة[٣] ، ومن شِعره[٤] :

إنّ العَبادِلَـةَ الأخيـارَ أرْبَعَـةٌ مَناهِجُ العِلْمِ للإسلام فى الناسِ[٥]

ابنُ الزُّبَير وابـنُ العاصِ وابنُ أبِى حَفْصِ الخليفةِ والحَبْرُ ابنُ عَبّاسِ

وقد يُضافُ ابنُ مَسْعُودٍ لَهمْ بَدَلًا عن ابنِ عَمْرٍو لِوَهْمٍ أو لإلْباسِ

---

(١) ساقط من : ج ، ك ، وأثبتناه من : المطبوعة . ومن المرجعين التاليين.

* له ترجمة فى : الدرر الكامنة ٤ / ١٤٦ ، الطالع السعيد ٢٩٩ — ٣٠١ .

وجاء فى أصول الطبقات : « الأزمنتى » بالزاى ، وصوابه بالراء ، كما فى المرجعين المذكورين . و « أرمنت » بالفتح والسكون وفتح الميم وسكون النون ، وتاء فوقها نقطتان : بلدة بصعيد مصر ، قريبة من قوص وأسوان ، معجم البلدان ١ / ٢١٨ .

(٢) تقديرا ، كما ذكر الأدفوى فى الطالع السعيد.

(٣) فى الدرر الكامنة : « ٧٣٥ » ، وفى الطالع السعيد ، بالعبارة : « ست وثلاثين وسبعمائة » . وننبه إلى أن صاحب الطالع من معاصرى المترجم ، وقد ذكر أنه أنشده بعض أشعاره.

(٤) الأبيات فى الطالع السعيد ٣٠٠.

(٥) رواية الطالع : « فى الإسلام للناس ».

١٣٢٣

محمد بن عبد اللَّطيف بن يحيى بن علىّ بن تَمّام السُّبْكِىّ *

الفقيه المحدِّث الأديبُ المُتَفَنِّن[١] .

تقىُّ الدّين أبو الفتح

كان مِمَّن جمع بين الفِقه والحديث ، ووضع أُخْمُصَه فوقَ النُّجوم مع سِنٍّ حديث .

له الأَدَبُ الغَضّ ، والألفاظ التى لو أُصْغَى الجدارُ إليها لَأَراد أن يَنْقَضّ .

وكان مُتَدرِّعًا جِلْبَابَ التُّقَى ، مُتورِّعًا حَلَّ مَحَلَّ النَّجم وارْتَقَى .

طلَب الحديثَ فى صِغَره .

وسَمِع من أحمدَ بن أبى طالب بن الشِّحْنَة ، وأحمد بن محمد بن علىّ العَبّاسِىّ ، والحسن ابن عمر الكُرْدِىّ ، وعلىّ بن عمر العِراقىّ [٢] ، ويوسف بن عمر الخُتَنِىّ [٣] ، ويونُس[٤] بن إبراهيم الدَّبابِيسىّ [٥] ، وخَلْقٍ .

وأحضَره والِدُه علَى أبى الحسن علىّ بن عيسى القَيِّم ، وعلىٍّ بن محمد بن هارون المُقْرِئ ،

---

* له ترجمة فى: البيت السبكى ٦٩، ٧٠، حسن المحاضرة ١/٤٢٦، الدارس ١/٢٥٣، الدرر الكامنة ٤/١٤٤، ذيول تذكرة الحفاظ ٥١ / ٥٢ ، ذيول العبر ٢٤١ ، السلوك : القسم الثالث من الجزء الثانى ٦٥٩ ، شذرات الذهب ٦ / ١٤١ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٧٤ ، مرآة الجنان ٤ / ٣٠٧ ، الوافى بالوفيات ٣ / ٢٨٤ — ٢٩٣ .

(١) فى أصول الطبقات: «المتقن» والمثبت من الطبقات الوسطى ، وسيأتى نظيره فى الصفحة التالية.

(٢) كذا فى المطبوعة ، ك . وفى ج : « العرافى » بالفاء . وقد راجعنا هذه النسبة فى تبصير المنتبه ١٠٠١ ، فلم نجده. وهو على بن عمر الوانى الآتى فى ١٦٩ . وانظر الدرر الكامنة ٣/١٦٣ ، ٤/١٤٤ ، ذيول العبر ١٥٢ ، ٢٤١ . والوانى: نسبة إلى وان ، وهى قلعة بين خِلاط ونواحى تفليس . معجم البلدان ٤/٨٩٥ .

(٣) فى المطبوعة : « الختى » . والتصحيح من : ج ، ك ، وتبصير المنتبه ٣٠٠ ، وشذرات الذهب ٦/٩٧ ، وذيول العبر ١٦٧ . وقد عرفنا بهذه النسبة من قبل . راجع فهارس الأجزاء السابقة .

(٤) فى المطبوعة : « يوسف » . والتصحيح من : ج ، ك ، وتبصير المنتبه ٥٦٨ .

(٥) فى المطبوعة : « الديانسى » . وقد أهمل النقط فى : ج ، ك ، فأثبتنا ما فى التبصير ، الموضع السابق . ويقال له أيضا : « الدبوسى » بفتح الدال ، وتشديد الباء مضمومة . وراجع ترجمته فى الدرر الكامنة ٥/٢٥٥ ، وذيول العبر ١٦١ ، ١٦٢ .

وأحمدَ بن إبراهيم بن محمد المَقْدِسىّ ، ويوسف بن مُظَفَّر بن كوركبك[1] .

وأجاز له فى سَنة مولدِه الحافظُ أبو محمد الدِّمْياطِىّ وغيرُه .

وحَدَّث وكَتَب بخَطِّه ، وقَرأ بنفسه ، وكان أستاذَ زمانِه فى حُسن قِراءةِ الحديث ، صِحَّةً وأداءً واستِرسالًا وبَيانًا ونَغْمةً .

وانتقَى على بعض شيوخِه ، وخَرَّج لعَمٍّ والِدِه جَدِّى ، رحمه الله ، مَشْيخةً سمعناها بقراءته .

وتفقَّه على جَدِّه الشيخ صَدر الدّين يحيى ، وعلَى الشيخِ الإمام الوالد ، وبه تخرَّج فى كلِّ فُنونه ، وعلَى الشيخ قُطْب الدِّين السُّنْباطِىّ .

وقرأ النحوَ علَى الشيخ أبى حَيَّان ، وكَمَّل عليه « التَّسهيل » ، وغيرَه ، وتَلا عليه بالسَّبع .

وكان الوالدُ رحمه الله كثيرَ المحبّةِ له ، والتعظيمِ لِدِينه وورعه وتَفَنُّنه فى العلوم .

دَرَّس بالقاهرة ، بالمدرسة السَّيفيّة ، وناب فى الحُكْم ، ثم انتقل إلى دمشق ، وناب فى القَضاء عن الوالد ، ودرَّس بالمدرسة الرُّكْنيّة[2] وخلَّفه صاحِبُ حِمص .

وقد ذَكره شيخُنا الذَّهبىُّ ، فى « المعجم المُختَصّ » وأثْنَى على عِلمه ودِينه .

مولده فى سابع عشر ربيع الآخر ، سنةَ خمس[3] وسبعمائة .

وتوفِّىَ فى ثانى عشر ذى القَعْدة ، سنةَ أربعٍ وأربعين وسبعمائة ، ودُفِن بقاسيُون .

أخبرنا الحافظ أبو الفتح محمد بن عبد اللَّطيف السُّبْكِىّ ، بقراءتى عليه مِن حِفظى ، بقرية يَلْدا[4] ، مِن دمشق ، أخبرنا أبو العباس الحَجَّار ، وسِتُّ الوزراء .

ح :

وكتب إلىَّ الحَجَّار ، قالا : أخبرنا ابنُ الزَّبَيْدِىّ ، أخبرنا أبو الوَقْت ، أخبرنا

---

(١) راجع الدرر الكامنة ٥ / ٢٥٤.

(٢) فى الطبقات الوسطى : « الركنية الجوانية ».

(٣) فى الطبقات الوسطى : « أربع ».

(٤) فى المطبوعة : « بلد » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وإن جاءت الكلمة فيهما من غير نقط . ويقال لها أيضا : « يلدان » . راجع معجم البلدان ٤ / ١٠٢٥.

الداوُدِىّ[1] ، أخبرنا الحَمُّوىّ[2] ، أخبرنا الفَرَبْرىّ ، [أنا : خ][3] حدَّثَنا[4] محمد ابن عبد الله الأنصارىّ ، أخبرنا حُميدٌ ، أن أنسًا رضى الله عنه ، حدَّثهم عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كِتَابُ اللهِ القِصَاصُ » انفرد بإخراجه [خ][5] من هذا الطريق ، فرواه فى الصُّلْح والتفسير والدِّيات ، مُطَوَّلًا ومختصَرًا .

أخبرنا الفقيه الأديب محمد بن عبد اللطيف ، بقراءتى عليه ، أخبرنا علىُّ بن عمر الوانِىّ ، وأبو الهُدى أحمد بن محمد العبّاسِىّ ، قراءةً عليهما ، قال الأول : أخبرنا عبد الرحمن بن مَكىّ الحاسبُ السِّبطُ ، وقال الثانى : أخبرنا عبد الوهَّاب بن ظافِر الأزدِىّ ، ابن رَواج ، قالا[6] : أخبرنا الحافظ أبو طاهر .

ح : وأخبرنا قاضى القضاة شرفُ الدِّين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغَنىّ المَقْدسىّ ، وزينبُ بنت الكَمال ، وغيرُهما ، كتابةً ، عن أبى القاسم السِّبط ، إذْنًا، أخبرنا السِّلَفِىُّ، أخبرنا مكّىُّ بن منصور بن محمد بن عَلّان، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحِيرِىّ الجرشى[7] ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا

---

(١) فى : ج ، ك : « أبو الداودى » ، والمثبت من المطبوعة . وانظر ترجمة « الداودى » فيما سلف ٥ / ١١٧.

(٢) هو : عبد الله بن أحمد بن حمويه . انظر ٥ / ١١٨.

(٣) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . وسيأتى نظيره قريبا ، ومعلوم أن « أنا » اختصار : أخبرنا ، أو أنبأنا . و « خ » رمز البخارى . و « الفربرى » السابق هو راوية صحيح البخارى عنه . واسمه : محمد ابن يوسف بن مطر . راجع اللباب ٢ / ٢٠٢.

(٤) فى المطبوعة : « أخبرنا » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . وهو لفظ البخارى . وسندل على موضعه فى التعليقات التالية.

(٥) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . و (خ) رمز البخارى . وقد أخرجه فى (باب الصلح فى الدية ، من كتاب الشهادات) ٣ / ٢٤٣ ، (وباب تفسير قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾ [البقرة ١٧٨] من كتاب التفسير) ٦ / ٢٩ . وراجع أيضا (باب : والجروح قصاص ، من تفسير سورة المائدة) ٦ / ٦٦.

(٦) فى المطبوعة : « قال » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٧) فى العبر ٣ / ١٤١ : « الحرشى » . وفى الشذرات ٣ / ٢١٧ : « الحرسى » . وقد تقدمت ترجمة المذكور فى الطبقات ٤ / ٦ ، ولم تذكر هناك هذه النسبة.

أبو يحيى زكريّا بن يحيى بن أسد المَرْوزِىّ ببغداد ، حدَّثنا[1] سُفيان بن عُيَيْنَة ، عن عاصم ، عن زِرِّ بن حُبَيشٍ ، عن صَفوان بن عَسَّال المُرادِىّ ، رضى الله عنه ، قال : قال رجلٌ : يارسولَ الله ، أرأيتَ رجلًا أحبَّ قومًا[2] ولم يَلْحَقْ بهم . قال : « هُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » أخرجه التِّرمِذِى[3] ، عن ابن عمر ، عن سُفيان ، فوقع لنا بَدَلًا عالِيًا .

وعن محمود بن غَيْلان ، عن يحيى بن آدم ، عن سُفيان ، فوقع لنا عالِيًا بدَرَجاتٍ ثلاث .

أنشدنى شيخُنا تقىُّ الدين أبو الفتح لنفسه ، بقراءتى عليه ، أرجوزتَه التى منها :

اسمَعْ أُخَىَّ وصيَّةً مِن ناصِحِ	مُناضِلٍ عن عِرضِهِ مُكادِحِ
لاتُقْصِيَنَّ ماحَيِيتَ صاحِبا	ولاقَرِيبًا بل ولا مُجانِبا[4]
ولا تُعَدِّدِ الكَلامَ فى أحَدْ	ولا تكُنْ لِلغَلَطاتِ بالرَّصَدْ
ولا تُؤاخِذْ مُذْنِبًا بِذَنْبِ	فتَغتَدِى فاقِدَ كُلِّ صَحْبِ
إجْرِ مع الناس علَى أخلاقِهِمْ	وصاحِبِ الخَلْقَ علَى وِفاقِهِمْ[5]
ولا تُقَطِّبْ إن أتاكَ سائِلُ	فذاك لِلسائِلِ داءٌ قاتِلُ
ولا تكُنْ علَى صَدِيقٍ مُكْثِرا	فإنّ صَفْوَ الوُدِّ يُضْحِى كَدِرا

---

(١) فى المطبوعة : هنا وفيما يأتى : « أخبرنا » ، والمثبت من : ج ، ك . وفيهما : « ثنا » وهو اختصار ماأثبتناه.

(٢) كذا فى المطبوعة ، ك . وفى ج : « ولما » . واللفظان واردان فى الحديث . راجع صحيح البخارى (باب علامة حب الله عز وجل . من كتاب الأدب) ٨ / ٤٩ ، والحاشية التالية.

(٣) فى الأصول : « الزبيدى » وهو خطأ . والحديث أخرجه الترمذى ، عن ابن أبى عمر ، فى (باب فضل التوبة والاستغفار ، وما ذكر من رحمة الله لعبادة . من كتاب الدعاء). صحيحه بشرح ابن العربى ١٣ / ٥٥ . وابن أبى عمر : هو محمد بن يحيى العدنى ، روى عن سفيان بن عيينة ، وروى عنه الترمذى . على ماذكر ابن حجر ، فى تهذيب ٩ / ٥١٨ .

والحديث أخرجه الترمذى أيضا ، عن محمود بن غيلان ، فى (باب ماجاء أن المرء مع من أحب . من كتاب الزهد) ٩ / ٢٣٣ . والرواية فى هذا الموضع والذى سبقه : « ولما يلحق » .

(٤) فى المطبوعة : « لاتغضبن » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « وصاحب الناس » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

ولا يَغُرَّنْكَ دَوامُ الصُّحْبَـهْ   فما يَعُودُ القَلْبُ إلّا قُلْبَـهْ
لا تَسْمَعَنْ فى صاحِبٍ كَلاما   لا تُلْقِيَـنْ لامْـرأةٍ زِمامـا

وهى طويلةٌ ، اقتصرنا منها على ماأوردناه .

وأنشدَنى لنفسه أيضًا ، وكتبت بها على « جُزءٍ » خرَّجتُه ، فى الكلام على حديث « المُتَبَايِعَيْنِ بِالْخِيارِ » .

يُصنِّفُ فى كُلِّ يومٍ كِتابًا   يُشابِهُ فى النُّورِ ضَوْءَ النَّهارْ
وأنتَ فمِنْ سادَةٍ يَنْتَمُـونَ   بأَنْسابِهِـم لِعَلِـىٍّ النَّجـارْ
فحُقَّ لمادِحِكُمْ أن يَقُـولَ   حديثُ الخِيارِ رَواهُ الخِيارْ

وأنشدَنى لنفسه أيضًا ، وكتبت بها على « الأربعين » التى خَرَّجتُها[1] زمن الشباب :

أَجَدْتَ الأربعين فدُمْتَ تاجًا   لأهلِ العِلْمِ ذا فَضْلٍ مُبينِ[2]
وأضْحَى الوالدُ النَّدْبُ المُرَجَّى   لما يَرْجُوه فِيكَ قَرِيرَ عَيْنِ
وأرجُو أن أراكَ رَفِيعَ قَدْرٍ   وقد جاوَزْتَ حَدَّ الأربَعِينِ[3]

وأنشدنى أيضا لنفسه [مِن لفظِه][4] تضمينًا للبيت الثالث :

عَرَف العاذِلُ وَجْدِى فَلاحَى   ورأى عَنِّى التَّسَلِّى فَلاحـا
عَن غَزالٍ فاقَ جِيدًا وطَرْفًا   وهِلالٍ رامَ قَتْلِـى فلاحـا
عَلِّمُونِى كيـف أسْلُـو وإلَّا   فاحْجُبُوا عَن مُقْلَتَىَّ المِلاحا[5]

---

(١) فى المطبوعة : « خرجها » ، وأثبتنا ما فى : ج ،ك .
(٢) فى المطبوعة: «أخذت الأربعين.... فضل متين»، والمثبت من: ج،ك.
(٣) مأخوذ من قول سحيم بن وثيل الرياحى – على اختلاف فى رواية البيت –:
وماذا يدرى الشعراء منى   وقد جاوزت حد الأربعين
راجع الأصمعيات ١٩
(٤) زيادة من : ج ،ك ، على ما فى المطبوعة .
(٥) هذا البيت المضمَّن لابن المعتز. وهو فى ديوانه ١/٤٦٦ (دار المعارف) برواية :
فخُذُوا من مُقْلتىّ السِّلاحا
وهو بروايتنا فى المنهل الصافى ١/٣٩٠ .

● وأنشدني أيضا لنفسه أبياتًا مفيدةً ، نظَمها في أسماءِ الخُلفاء ، وهي :

إذا رُمْتَ تَعْدادَ الخَلائِفِ عُدَّهُمْ ... كما قلته تُدْعَى اللَّبيبَ المُحَصِّلا[1]

عَتِيقٌ وفارُوقٌ وعُثمانُ بَعْدَهُ ... عليٌّ الرِّضا مِن بَعْدِه حَسَنٌ تَلا

مُعاوِيةٌ ثم ابْنُه وحَفِيدُهُ ... مُعاوِيةٌ وابنُ الزُّبَيرِ أخو العُلا

ومَرْوانُ يَتلُوه ابنُهُ ووَلِيدُهُ ... سُليمانُ وافَى بَعْدَه عُمَرٌ وِلا[2]

يَزِيدُ هِشامٌ والوَلِيدُ يَزِيدُهُمْ ... سَناهُم بإبراهِيمَ مَرْوانُ قَدْ عَلا

وسَفَّاحٌ المنصورُ مَهْدِىٌّ ابتَدِى ... وهادٍ رَشِيدٌ للأَمِينِ تكَفَّلا[3]

وأعْقَبَ بالمأمُونِ مُعْتَصِمٌ غَدا ... بِواثِقِهِ يَسْتَتْبِعُ المُتَوكِّلا

ومُنْتَصِرٌ والمُسْتَعِينُ وبَعْدَهُ ... لِمُعْتَزٍّ المَتْلُوِّ بالمُهْتَدِى انْقُلا

ومُعْتَمِدٌ يَقْفُوه مُعْتَضِدٌ وعَنْ ... سنا المُكْتَفِي يَتْلُوه مُقْتَدِرٌ سَلا

وبالقاهِرِ الرَّاضِى تَعَوَّضَ متَّقٍ ... وبالله مُسْتَكْفٍ مُطِيعٌ تَفَضَّلا[4]

وطائِعُهم لله بالله قادِرٌ ... وقائمُهم بالمُقْتَدِى اسْتَظْهَر العُلا[5]

ومُسْتَرْشِدٌ والراشِدُ المُقْتَفِي بِهِ ... ومُسْتَنْجِدٌ والمُسْتَضِى ناصِرٌ خَلا

وظاهِرُهُم مُسْتَنْصِرٌ قد تَكَمَّلُوا ... بمُسْتَعْصِمٍ في وَقْتِهِ ظَهَر البَلا

ومُسْتَنْصِرٌ أو حاكمٌ وابنهُ ولَمْ ... يَقُمْ واثِقٌ حتى أتى حاكِمُ المَلا[6]

فدُونَكَها مِنِّى بَدِيهًا نَظَمْتُها ... فإن آتِ تقصيرًا فكُنْ مُتطَوِّلا[7]

---

(١) في : ج ، ك : « أعداد الخلائف » ، والمثبت من : المطبوعة ، والطبقات الوسطى.

(٢) ولا : تسهيل « ولاء » أي : متابعة . يقال : والى موالاة وولاء : تابع.

(٣) في المطبوعة : « مهدى ابنه » ، وأثبتنا مافي : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وفيها : « بسفاح ».

(٤) في المطبوعة : « يعرض متق » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وفي : ج ، ك : « وثانيه مستكف » ، وأثبتنا مافي المطبوعة ، والطبقات الوسطى.

(٥) في المطبوعة : « وطائعهم لله هم بالله قادر » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٦) في المطبوعة : « أوحاكما » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٧) في المطبوعة : « فإن أتى تقصير » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

وأنشَدنى[1] شيخُ الإسلام [الوالد][2] رحمه الله ، عندَ سماعِه هذه الأبيات [مِنِّى][3] :

أَجَدْتَ تَقِىَّ الدِّينِ نَظْمًا ومِقْولَا ولم تُبْقِ شَأْوًا فى الفَضائِلِ والعُلا[4]
فمَنْ رامَ نَظمًا للأئمَّةِ بَعْدَها يَرُومُ مُحالًا خاسِئًا ومُجَهَّلا[5]

خَطرَ لى فى وقتٍ أن أنظِمَ فى الخُلفاء ، وأضُمَّ خُلفاءَ الفاطِميِّين وخُلفاءَ المغَارِبة ، فتذكَّرتُ قولَ الوالِدِ : إنّ مَن رامَ نظمًا لهم بعدَ أبى الفتح يكون خاسِئًا مُجَهّلا ، فقلت : رجُلٌ صالحٌ وقد أنطقه الله ، فأحجمتُ .

وكتب إليه الشيخُ الإمامُ [الوالد][6] رحمه الله ، وكنّا على شاطئ البحر ، وتأخَّر عنّا أبو الفتح بالقاهرة ؛ لاشتغالِه بوفاةِ والدته ، رحمها الله تعالى :

تَسَلَّ تَقِىَّ الدِّينِ عن فَقْدِ مَن أَوْدَى وأحرَقَ لِى قَلْبًا وشَيَّبَ لِى فَوْدَا
لقد بانَ عنّا مُذْ تَرَحَّلَ شَخْصُها سُرورٌ وآلَى لا يُواصِلُها عَوْدَا
سَقَى اللهُ تُرْبًا ضَمّها غَيثُ رَحْمَةٍ وجارَتها أُمِّى وأَوْلاهُمَا جَوْدَا[7]
ولو كان حُزْنٌ نافِعًا لجعَلْتُه شِعارِى عَسى أَفْدِى مُكَرَّمةً خَوْدَا[8]
ولم نزل قَصْدًا لشىءٍ سِواهُما ولا مَطْلَبًا أرجُوه كَلًّا ولا رَوْدَا[9]

---

(١) فى المطبوعة : « وأنشدنا » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.
(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك . وفى الطبقات الوسطى : « وأنشدنى والدى رضى الله عنه لنفسه ، مخاطبا أبا الفتح .. ».
(٣) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة ، والطبقات الوسطى.
(٤) فى المطبوعة : « ولم تبق شارا » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.
(٥) فى الطبقات الوسطى : « يؤم محالا ».
(٦) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.
(٧) فى المطبوعة : « وأولادهما » . والتصحيح من : ج ، ك . و « الجود » بفتح الجيم وسكون الواو : المطر الواسع الغزير.
(٨) لم يرد هذا البيت فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك : والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة.
(٩) صدر البيت مضطرب الوزن.

فراجِعْ وكُنْ بالصَّبْرِ والحُكْمِ والرِّضا ... عن اللهِ للبَلْوَى تَذُودُ به ذَوْدَا[1]

ولا تُبْدِ ضَعْفًا إنَّ عِلْمَكَ قُدْوَةٌ ... وكُنْ جَبَلًا ذا قُوَّةٍ شامِخًا طَوْدا

واقْـدَمْ إلينـا إنَّ أحمدَ قائـلٌ ... أرَى كُلَّ بَيْضا مِن بِعادِكَ لى سَوْدَا

أحمدُ المذكورُ هو الأخ شيخُنا شيخُ الإسلام أبو حامد أحمد ، وهذا النِّصْفُ[2] نَظْمُه .

فكتب الشيخُ أبو الفتح الجواب :

أيا مُحْسِنًا بَدْءًا ومُسْتَأْنِفًا عَـوْدَا ... ومَن حازَ مِن وَصْفِ العُلا سُؤْدَدًا عَوْدَا[3]

ومَن عِلْمُه بَحْـرٌ تَزايَـدَ مَـدُّه ... وفَيضُ نَدَى كَفَّيهِ عَمَّ الوَرَى جَوْدَا[4]

مَلكْتَ زِمامَ العِلْمِ فانقادَ طائِعًا ... وأَمَّكَ بالإذعانِ إذ قُدْتَه قَـوْدَا

وجارَيْتَ أربابَ البَدِيعِ بمَنْطِقٍ ... عَلَوْتَ به قُسًّا وَفُقْتَ به أَوْدَا[5]

وأرسَلْتَ سِحْرًا يُطْرِبُ السَّمْعَ نَفْثُهُ ... وخَمْرًا تَذُودُ الهَمَّ عن خاطِرِى ذَوْدَا

وسَلَّيْتَنِى عن ذاهِبٍ أَحْرَقَ الحَشا ... وأذهَبَ عن قَلْبِى المَسَرَّةَ إذ أَوْدَى

وغادَرَ مِنِّى أسوَدَ الشَّعْرِ أَبْيَضًا ... كما كُلُّ بَيْضا من تَنائِيه لِى سَوْدَا[6]

فبَرَّدْتَ نارَ الشَّوقِ إذْ زادَ وَقْدُها ... وخَفَّفْتَ حَمْلَ الوَجْدِ إذ آدَنِى أَوْدَا[7]

---

(١) فى المطبوعة : « تزود به زودا » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « التصنيف » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ويعنى نصف البيت.

(٣) بحاشية ج ، ك : « العود : الطريق القديم ، وربما قالوا : سؤددعود : أى قديم ».

(٤) شرحناه قريبا.

(٥) فى المطبوعة : « به ودا » ، والمثبت من : ج ، ك . وجاء بحاشيتهما : « أود بن صعب بن سعد العشيرة ابن مذحج ، ينسب إليه الأوديون » . وانظر جمهرة ابن حزم ٤١١.

(٦) فى المطبوعة : « ثنائيه » . وفى ج ، ك : « تآتيه » . ولعل ماأثبتناه صواب . ويقويه ماسبق من قول السبكى : « كل بيضا من بعادك » . والبعاد والتنائى بمعنى واحد .

وزدنا « لى » من ج ، ك ، وبها يستقيم الوزن.

(٧) فى المطبوعة : « آنى أودا » . والتصحيح من : ج ، ك . وفيهما : « أبو زيد : آدنى الحمل يؤودنى أودا : أثقلنى ».

وأفْرَحْتَنِى لمَّا دَعَوْتَ لَها فَفِى ... دُعائِكَ خَيرٌ لا أوارى به رَوْدَا[1]

وأذْكَرْتَنِى أُمَّا لَها الفَضْلُ ثابتٌ ... لِأَنْ تركَتْ مِنِ بَعْدِها جَبَلًا طَوْدا

فمِن [بَعْدِها] لاأُجِّجَتْ نارُ قَلْبِهِ ... ولا شَيَّبَ اللهُ الكَرِيمُ له فَوْدَا[2]

وعاشَ مُقِيمًا فى عُلًا وسَعادَةٍ ... قَعُودَ قَناةٍ كُلَّما بقيت عَوْدَا[3]

ومَتَّعَهُ بالسَّيِّدَيْنِ كِلَيْهما ... وثالثُهم لايخْتَشِى للرَّدَى كَوْدَا[4]

وعاشُوا لإنعامٍ يَقولُ حَسُودُهُم ... لِرُؤْيَتِهِ لا خَفَّفَ اللهُ لى فَوْدَا[5]

فخُذْها عَرُوسًا شُرِّفَتْ بمَحاسِنٍ ... لَدَيكُمْ فجاءَتْ تَنْجَلِى لَكُمُ خَوْدَا

عَلَى العَرَبِ العَرْباءِ تُبْدِى نَفاسَةً ... ولا وَطِئَتْ نَجْدًا ولا صاحَبَتْ سَوْدَا[6]

ولا يَنْبَغِى إلّا القَبولُ فإن يكُنْ ... فذلك قَصْدِى لا نُضارًا ولا ذَوْدَا[7]

---

(١) فى ج ، ك : « وأقرحتنى » بالقاف ، وأثبتناه بالفاء من المطبوعة . وفيها : « لاأوازى به زودا » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٢) مابين الحاصرتين ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من ج ، ك ، وبه يستقيم الوزن . وجاء فى المطبوعة : « فردا » . والتصحيح من : ج ، ك . وبحاشيتهما : « فود الرأس : جانبه ».

(٣) فى المطبوعة : « تعود فتاة » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . والقعود من الإبل : ما اتخذه الراعى للركوب وحمل الزاد والمتاع . والقناة : من قنوت الغنم : إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة . والعود : المسن من الإبل . راجع اللسان (عود ــ قعد ــ قنا).

(٤) بحاشية ج ، ك : « كاد يكود كودا : قارب ».

(٥) فى المطبوعة : « لاحقق الله لى قودا » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . وفى حاشية ج : « يقال : قعد بين الفودين : أى بين العدلين . جعل الذى يقلب الحاسد كالعدل المحمول ».

(٦) عجز البيت غير واضح النقط فى : ج ، ك . وأثبتناه هكذا من المطبوعة . وجاء بحاشية ج : « السود ، بفتح السين [فى] شعر خداش بن زهير العامرى ».

وقد رأيناه فى اللسان (س و د) قال : « والسود ، بفتح السين وسكون الواو ، فى شعر خداش بن زهير :

لهم حبق والسود بينى وبينهم ... يدى لكم والزائرات المحصبا

هو جبال قيس » .

وقال ياقوت فى معجمه ٣ / ١٨٣ : « السود ، بفتح أوله : جبل بنجد ، لبنى نصر بن معاوية . وقيل : السود : جبل بقرب حصن فى ديار جشم بن بكر » .

(٧) الذود : القطيع من الإبل.

وإن لم تَقَعْ بالمَوْقِعِ الرَّحْبِ مِنكُمُ ... فعَبدُكُمُ قد هادَ عن مِثْلِها هَوْدا[1]
وقد جَمَعَتْ كلَّ القَوافِي سِوى الذِى ... تَضمّنه التَّصرِيعُ مِن قولِه عَوْدا

وكتب إليه القاضى شِهابُ الدّين ابنُ فَضلِ الله ، يُعَزِّيه فيها ، أبياتًا ، منها :

مُصيبةُ الفاقِدِ فى فَقْدِهِ ... تَظْهَرُ للواحِدِ فى وَحْدِهِ[2]
وكُلُّ مَن طالَتْ بِه مُدَّةٌ ... فنَقْصُه فى مُنْتَهى حَدِّهِ
وما علَى المرءِ إذا لم يَمُتْ ... مِن مَيِّتٍ قد صارَ فى لَحْدِهِ
لو كان يُغْنِيه عليه البُكَا ... لكانَتِ الأنواءُ مِن مَدِّهِ
مِيعادُنا المَوْتُ فَما لامْرِئٍ ... يَفِرُّ فى المِيعادِ عن وَعْدِهِ
وإنّما الأيّامُ مَعْدُودَةٌ ... لايَغْلَطُ الإنسانُ فى عَدِّهِ
وكُلُّ مَن حامَ علَى مَوْرِدٍ ... مَصيرُه يأتِى إلى وِرْدِهِ
وسائِقُ المَوْتِ بِنا مُزْعِجٌ ... وكلُّ مَن يَسْعَى علَى جُهْدِهِ
كَم وَلَدٍ يَبْكِى علَى والِدٍ ... ووالِدٍ يَبْكِى على وُلْدِهِ
فَقدْ تَساوَى فى الثَّرى أوّلٌ ... وآخَرٌ قد جاء مِن بَعْدِهِ[3]
ليس بَيْنَ العَبْدِ مِن سَيِّدٍ ... كَلّا ولا السَّيِّدِ مِن عَبْدِهِ
مَن سَلَّمَ الأمرَ إلى رَبِّهِ ... فازَ بما يَرجُوه مِن قَصْدِهِ
كلُّ امْرِئٍ منّا سيَلْقَى الرَّدَى ... بِذَمِّهِ إن شاءَ أو حَمْدِهِ

---

(١) الهود : التوبة والرجوع . يقال : هاد يهود هودا.

(٢) قوله : « للواحد فى وحده » هو هكذا فى الأصول ، بالحاء المهملة . ونرى أن صوابها بالجيم ، فى الكلمتين . والوجد : مايجده الرجل فى قلبه من حزن أو طرب . وقد جاء هذا فى شعر أبى العلاء ، قال يرثى ، وهو مطلع قصيدة :

أحْسَنُ بالواجِدِ مِن وَجْدِهِ ... صَبْرٌ يُعِيدُ النارَ فى زَنْدِهِ

شروح سقط الزند ١٠٠٦ ، ويلاحظ تأثر ابن فضل الله أبا العلاء ، فى هذه القصيدة ، بحرا وقافية وموضوعا.

(٣) فى : ج ، ك : « فى الورى أول » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة.

فاسْمَعْ أبا الفتح وُقِيتَ الرَّدَى ولاتُثِيرُ النارَ مِنْ زَنْدِهِ[1]
مِثْلُكَ مَن يَلْقَى الرَّدَى صابرًا مُحتَسِبًا للأَجْرِ فى فَقْدِهِ[2]
فَقَدْتَ أمًّا بَرَّةً لم يَزَلْ كَوكَبُها المُشْرِقُ فى سَعْدِهِ[3]
ماتَتْ وأبْقَتْ مِنكَ فِينا فَتًى كمِثْلِ ماءِ الوَرْدِ مِن وِرْدِهِ

وهى طويلةٌ ، فأجابه بأبياتٍ مثلها :

للهِ دُرٌّ فاقَ فى عِقْدِهِ جاء مِن المولَى إلى عَبْدِهِ
أَرْبَى على الزَّهْرِ عُلُوًّا كَما عَلا شَذا الزَّهرِ شَذَا رَنْدِهِ
فأنْعَشَ الصَّبَّ وقد كادَ مِنْ أحزانِه يَهْلِكُ فى جِلْدِهِ
فأَىُّ فَضْلٍ جادَ فى وَبْلِهِ وأىُّ بَحْرٍ زادَ فى مَدِّهِ
من المَقَرِّ الأشْرَفِ المُرْتَضَى يَكْشِفُ صَعْبَ الأمرِ مِن شَدِّهِ
شِهابِ دِينِ اللهِ رَبِّ النَّدَا وجامِعِ الوَفْدِ علَى رِفْدِهِ
أحْمَدَ مَن عَمَّ الوَرَى فَضْلُهُ فأجْمَعَ الناسُ علَى حَمْدِهِ
ذِى القَلَمِ الأعْلَى الذى حَدُّهُ كصارِمٍ جُرِّدَ مِن غِمْدِهِ
يَصْنَعُ إنْ مَرَّ على طِرْسِهِ مايَصْنَعُ النَّاشِرُ فى بُرْدِهِ
أحْرُفُه إنْ بَرَزَتْ فى الدُّجا عادَ صَباحًا جُنْحُ مُسْوَدِّهِ

وكتب إليه القاضى صلاحُ الدِّين [الصَّفَدِىُّ][4] أبياتًا ، منها سؤال :

تَقَرَّرَ أنَّ فَعَّالًا فَعُولًا مُبالَغتان فى اسْمِ الفاعِلِيَّهْ
فكيف تَقولُ فيما صَحَّ مِنْهُ وما اللهُ بِظَلَّامِ البَرِيَّهْ

---

(١) فى المطبوعة : « ولاتستطرت النار » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) فى ج ، ك : « من ففده » ، والمثبت من المطبوعة.

(٣) فى ج : « المشرف » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، ك.

(٤) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة ، وانظر القصيدتين بتمامهما فى الوافى ٣ / ٢٨٥ ، ٢٨٦.

أَيُعْطِى القَولُ إن فَكَّرْتَ فيهِ   سِوَى نَفْيِ المُبالَغَةِ القَوِيَّهْ
وكيـف إذا توضَّأْنـا بماءٍ   طَهُورٍ وهْوَ رأىُ الشَّافِعيّهْ
أزَلْنا الوَصْفَ عنه بفَرْدِ فِعْلٍ   وذاك خِلافُ قَوْلِ المالِكيّهْ

فأجابه بأبياتٍ منها :

ومَن جاءَ الحُرُوبَ بلا سِلاحٍ   كمَنْ عَقَد الصَّلاةَ بغيرِ نِيّهْ
فــظَلّامٌ كَفَــــرَّارٍ وأيضًا   فقد يأتِى بمَعْنَى الظالِمِيّه[(١)]
وقد يُنْفَى القَلِيلُ لِقِلَّةٍ فى   فَوائـدِه بنَفْـيِ الأَكْثَرِيَّـــهْ[(٢)]
وقد يُنْحَى به التكثيرُ قَصْدًا   لكثرةِ مَن يُضامُ مِن البَرِيَّهْ
وأمَّا قولُـه مـاءٌ طَهُــورٌ   ونُصْرَتُـه لقَــولِ المالِكيّــهْ
فجاء علَى مُبالَغةٍ فَعُــولٌ   وساغَ مَجيئُـه للفاعِلِيّــهْ[(٣)]
وقد يُنْحَى به التَّكثيرُ قَصْدًا   لكَثْرةِ مَن يَرُومُ الطاهِرِيَّهْ[(٤)]

وقد سَمِعْنا من أبى الفتح ، خُطبتَه الفائقةَ التى ألقاها أولَ يومٍ تدريسِه بالرُّكْنِيّة ، لَمّا قدِم مصر ، ومطلعُها :

الحمدُ لله ناصر المَلِكِ الناصر للدِّين الحنيفىّ ، ومُمْضِى عَزائِمه ومُشَيِّد أركانِه ، القائم بالشَّرع المُحمّدِى ، ومُقَوِّى دَعائمِه ، ومُخَصِّص أهلِ التّقوى بعُلّى ماحَظِيَتْ[(٥)] أهلَ التَّقصير بمعَالِمه ، وجامعِ شَمْلِ المُتَّقين بمكارِمه ، وشامِلِ جَمْعِ المُوقِنين بمَراحِمه ، والمُتفضِّلِ

---

(١) فى المطبوعة : « فظلام كنزار » . وفى ك : « كبرار » ، وأثبتنا ماق : ج . ورواية الوافى : « كبزاز ».

(٢) الرواية فى الوافى : « لعلة فى » . وراجع الكلام فى هذه المسألة ، فى البحر المحيط ٣ / ١٣١ ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ سورة آل عمران ١٨٢.

(٣) فى الوافى : « وشاع ».

(٤) فى المطبوعة : « التكثير فضلا » ، والمثبت من : ج ، ك ، والوافى ، وفيه : « وقد ينوى به » . وهو أولى لما سبق من قوله : « ينحى » فى البيت الرابع.

(٥) فى المطبوعة : « ماخطب » ، وأثبتنا ماق : ج ، ك.

علَى مَن التجأ إليه ، واعتَمد فى أموره عليه ، بنُجْحٍ[1] ماأشْبَهَ أواخِرَه بأوائِله ، ورِبْحٍ ماأشْبَه فَواتِحَه بخَواتِمه .

أحمَدُه علَى مَنٍّ حَلَّى الأعناقَ بقَلائِده ، وجَلَّل الأيدِى بقَوائِمه ، وبَذْلٍ[2] ماأبداه نَظَرُ جَوْدِه بمُتراكمِه ، إلّا أعادَه بَحْرُ جُودِه بمُتلاطِمه، وفَضْلٍ أثارَ شَمسَه فى ظَهيرَةِ[3] الآمالِ فحقَّقها بقَواصِده ، وأطلَع قَمَره فى دُجُنَّة الأَوجال[4] ، فدَفَعها بقَواصِمِه .

وأشهدُ أن لاإلهَ إلّا الله ، وَحْدَه لاشَرِيكَ له ، شَهادةً يُعِينُها اليَقينُ بخَوافِيه ، والإخلاصُ بقَوادِمِه[5] ويُثَبِّتُها القَلْبُ ، فما اللائمُ فيها بمُلائِمه ، ولا السَّالى بمُسالِمه ، ويُقِرُّ بها اللِّسانُ على مَمَرِّ الأوقات فَيعْشُو إلى أنوارِها فى الليلِ بطارِقه ، ويَرنُو إلى أنوائها فى الصُّبح بسائِمه[6] .

وأشهدُ أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرسله والكُفرُ قد أطَلَّ بِتعاضُدِه[7] وتَعاظُمِه ، والباطِلُ قد أضَلَّ بتزاحُمِه[8] وتَلاحُمِه ، فلم يَزلْ ﷺ حتى أذهبَ جيشَ الباطِل بعواصِفِه وعَواصِمه ، ونَصَر جُنْدَ الحَقِّ بصَواهِله وصَوارِمه ، ﷺ ، وعلى آلِه وأصحابِه ، صلاةً يُربِى[9] نَشْرُها على المِسْكِ ولَطائِمه ، وتَجُرُّ[10] ذَيلًا على نَشْرِ الرَّوْضِ وباسِمه .

---

(١) فى المطبوعة : « تبجح » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة ، ك : « وبدل » بالدال المهملة ، وأثبتناه بالذال المعجمة من : ج.

(٣) فى : ج ، ك : « طهره » ، وأثبتنا مافى المطبوعة.

(٤) فى ج ، ك : « الأوحال » بالحاء المهملة ، وأثبتناه بالجيم من المطبوعة.

(٥) فى الأصول : « بحوافيه ... بفواديه » ، وهو خطأ . والقوادم : الريش فى مقدمة جناح الطائر . والخوافى : ضد القوادم.

(٦) فى المطبوعة : « بمشائمه » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٧) فى المطبوعة : « لتعاضده » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٨) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « بتراجمه ».

(٩) فى المطبوعة : « يربو » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك.

(١٠) فى المطبوعة : « ويجر » . والمثبت من : ج ، ك .

منها : أمّا بعدُ فإن غريبَ الدارِ وإن[1] نالَ مَناطَ الثُّريّا فيكْفِى أن يُقال : غَريب ، وَبعِيدَ المَزار ولو تَهيَّأ له ماتَهَيّا فما له فى الراحةِ منهم[2] نَصِيب ، ولِمشقَّةِ الغُرْبة ازدادت رُتْبةُ الهجرة فى العِبادة ، وشَرُفَت الوَفاةُ حتى جاء : « مَوتُ الغَرِيبِ شَهادَةٌ » والغُرْبَة كُرْبةٌ ولو كانت بينَ الأقارِب ، ومُفارَقةُ الأوطانِ صَعْبةٌ ولو عن سَمِّ العَقارِب ، وأنَّى يُقاسُ ببلادِ الغُرْبة وإن شَرُفَ قَدْرُها وعَذُبَ شَرابُها :

بلادٌ بها نِيطَتْ عَلَىَّ تَمائِمِى وأوَّلُ أرْضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرابُها[3]

والخطبةُ طَويلةٌ فائقة اقتصَرْنا منها على ماأوردناه .

● سمعتُ الشيخَ تقىَّ الدّين أبا الفتح يقول : اسمُ كِلاب بن مُرَّةَ جَدِّ النبىّ ﷺ : المُهَذَّب ، وعَزا ذلك لابن سَعد ، وهى فائدةٌ لم أجِدْها فى شىءٍ من كُتب السِّيَر .

● رأيت فى القِطعة التى عَمِلها شيخُنا تقىُّ الدِّين أبو الفتح شَرْحًا على « التنبيه » ، فى باب الزكاة أن السائمةَ إذا كانت عامِلةً فالذى يَظهَرُ عنده ماصَحَّحه البَغَوىُّ مِن وُجوبِ الزَّكاة فيها بحصُول الرِّفق بالإسامة وزِيادةِ فائدة الاستعمال ، خلافًا للرافعىّ والنَّووىّ ، حيث صَحَّحا أنه لازكاةَ فيها .

ثم تكلَّم أبو الفتح على مارواه الدارَقُطْنِىّ ، من حديث علىٍّ رضى الله عنه ، مرفوعا : « لَيْسَ فِى العَوامِلِ صَدَقَةٌ » وضعّفه وأجادَ فى تعليله .

و [هذا][4] الذى عَمِله أبو الفتح ، مِن « شَرْح التنبيه » ، حسنٌ جدًّا ، حافِلٌ جامِع ، مع غاية الاختصار ، وقد أكثر فيه النقلَ عن الشيخ الوالِدِ ، وزيَّنه بمَحاسنِ « شرح المِنهاج » وحيث[5] يقول فيه : قاله شيخُنا أبقاه الله ، يُشير إلى كلام الوالِدِ رحمه الله ، فى « شرح المنهاج » ، أو غيرِه من تصانيفه .

---

(١) فى المطبوعة : « ولو » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) كذا فى الأصول . ولعل الصواب : « من ».

(٣) يروى لجارية ، ولأبى النضير الأسدى ، ولرقاع بن قيس الأسدى . راجع اللسان (نوط ــ تمم) وسمط اللآلى ٢٧٢ ، ٢٧٣.

(٤) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٥) فى المطبوعة : « حيث » ، وزدنا الواو من : ج ، ك.

ومِن شِعر الشيخ تقىّ الدين أبى الفتح :

وافَتْكَ عن قُرْبٍ تَباشِيرُ الفَرَحْ ... وأَتَتْكَ مُسرِعةً مَباشِيرُ المِنَحْ

منها :

فارْجُ الإلهَ ولاتخَفْ مِن غيرِهِ ... تجدِ الإلهَ لضِيقِ صَدْرِكَ قد شَرَحْ
وارْغَبْ إليهِ بالنبىِّ المُصطَفَى ... فى كَشْفِ ضُرِّكَ عَلَّ يأْسُومااانجَرَحْ
تـالله مايَرْجُو نَـداهُ مُخْـلِصٌ ... لسُؤالِـهِ إلَّا تَهَلَّـلَ وانشَرَحْ[1]
فهُو النبىُّ الهاشِمىُّ ومَـن لَـهُ ... جاهٌ عَلا وعُلُوُّ قَدْرٍ قد رَجَحْ
وهُوَ النَّعيمُ لمَن تَوقَّى واتَّقَى ... وهُوَ الجَحِيمُ لمَن تكبَّر واتَّقَحْ[2]
هُوَ وابِلُ الدُّنيا إذا شَحَّ الحَيَا ... ومُشفَّعُ الأُخْرَى إذا عَرَقٌ رَشَحْ[3]
والشَّمسُ تَخْجَلُ مِن ضِياءِ جَبِينِهِ ... والبَدْرُ لوحاكاهُ فى الحُسْنِ افْتَضَحْ[4]
كم عَينِ ماءٍ من أصابِعِه جَرَتْ ... نَهَرًا وعَيْنٍ رَدَّها لَمَّـا مَسَحْ
ومَعِينِ فَضْلٍ مِن أيادِيـهِ بَـدَا ... ومَعِينِ دَمْعٍ مِن أعادِيه نَـزَحْ
ولَقَدْ دَعا الأشجارَ فانقادَتْ لَهُ ... والذئبُ لَمَّا جاء يَسْألُهُ مَنَحْ
وأبـادَ أنـواعَ الضَّلالِ بعُرْفِـهِ ... لَمَّـا دَنـا وبعَرْفِهِ لَمَّـا نَفَـحْ
مَن أُنزِلَ القُرآنُ فى أوصافِـهِ ... ماذا عَساىَ أقولُ فِيهِ مِن المِدَحْ
فعلَيه صلَّى اللهُ ماهَبَّتْ صَبَـا ... أو غَرَّدَ القُمْرِىُّ يومًا أو صَدَحْ
ثُمّ الرِّضا عن آلِـهِ وصِحابِـهِ ... وعَن الذى بوشاحِ عِلْمِهِمُ اتَّشَحْ
مِثْلِ البُخارِىِّ الإمام المُـرْتَضَى ... فهُوَ الذى اغْتَبَقَ الفَضائلَ واصْطَبَحْ
مَن فَضْلُهُ فى الناس بَحرٌ قَد طَمَا ... وعَرائِسٌ تُجْلَى وغَيْثٌ قد طَفَحْ[5]

---

(١) فى : ج ، ك : « مايرجى نداه مخلصا » ، وأثبتنا مافى المطبوعة.
(٢) فى المطبوعة : « واتشح » ، والمثبت من : ج ، ك . واتقح : من الوقاحة.
(٣) فى المطبوعة : « سح الحيا » ، والتصحيح من : ج ، ك.
(٤) فى المطبوعة : « لو جاراه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.
(٥) فى المطبوعة : « من بحره فى الناس » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

وكِتابُه كالغَيْثِ يُستَسْقَى بِـهِ فسِواهُ فى كُرُباتِنا لم يُستَنَحْ
وهُوَ المُجَرَّبُ فى الشَّدِيد وكَشْفِهِ أوَلَيْسَ فى غاراتِ أمْرٍ قد وَضَحْ[1]

وهذه قافِيَةٌ حُلوة ، أوَّلُ مَن بلَغَنى نَظَم فيها عبدُ الله بن المُعتزّ ، حيث يقول :

خَلِّ الزَّمانَ إذا تقاعَسَ أو جَمَحْ واشْكُ الهُمومَ إلى المُدامَةِ والقَدَحْ[2]
واحْفَظْ فُؤادَكَ إن شَرِبْتَ ثَلاثةً واحْذَرْ عَليهِ أن يَطِيرَ مِن الفَرَحْ

فى أبيات أُنْكِر عليه قولُه فيها :

وإذا تَمادَى فى العِتابِ قَطَعْتُهُ بالضَّمِّ والتَّقْبيل حتَّى نَصْطَلِحْ[3]

وقال مِهْيار :

ماكانَ سَهْمًا غارَ بَلْ ظَبْيًا سَنَحْ إن لم يكن قَتَل الفُؤادَ فقد جَرَحْ[4]
فى خَدِّهِ الكافُورِ سُبْحَةُ عَنْبَرٍ ماكان أغْفَلَنى الغَداةَ عَن السُّبَحْ[5]
وأمـا ومِشْيتِـه تَوقُّـرَ تـارةً صَلَفًا وأحيانًا يُجَنُّ من المَرَحْ[6]

فى أبياتٍ أُنْكِر عليه قولُه فيها : بَطَحْ[7] .

وقال ابنُ سَناء المُلْك ، يَمْدَح الفاضِلَ[8] :

ياقَلْبُ وَيْحَكَ إنّ ظَبْيَكَ قد سَنَحْ فَتَنَحَّ جُهْدَكَ عَن مَراتِعِه تَنَحْ
وأَرَدْتُ أَعْقِلُهُ ففَرَّ مِن الحَشَا طَرَبًا وأَحْبِسُهُ فَطارَ مِن الفَرَحْ[9]

---

(١) فى الأصول : « وهو المجرد » ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) ديوان ابن المعتز ٣ / ٣٣. وهذا الشعر ينسب لابن الرومى . ديوانه ٥٦٨/٢ .

(٣) فى أصول الطبقات : « يصطلح » . بالياء التحتية ، وأثبتناه بالنون من الديوان ، ومما يأتى فى شعر ابن سناء الملك ، والمصنف.

(٤) ديوان مهيار ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ . وفى الطبقات : « سهما عاد » ، وأثبتنا مافى الديوان.

(٥) رواية الديوان : « فى جيده الكافور .. أغفلنى وليس عن السبح ».

(٦) اضطرب رسم البيت فى أصول الطبقات . وأثبتناه كما ورد فى الديوان.

(٧) فى قوله :

طرف تعود أنه لو طارد الر يح الشمال عليه فارسه بطح

وجاء بحواشى الديوان : يريد بقوله : « بطح » : ألقى الريح على وجهها وتقدمها.

(٨) القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على . والأبيات من قصيدة طويلة فى ديوان ابن سناء الملك ٥٦ ــ ٥٩.

(٩) فى الديوان : « فأردت » . وفى أصول الطبقات : « هربا وأحبسه » . وأثبتنا رواية الديوان.

وأتى فظَلَّ صَرِيعَ هذاكَ اللَّمَى عَطَشًا وعاد قَتِيلَ هاتِيكَ المُلَحْ[١]
جَنَحَ الغَزالُ إلى قِتالِ جَوانِحِى فَغدَوْتُ أجْنَحُ مِنه لَمَّا أن جَنَحْ
ومِن العَجائِبِ أنه لَمَّا رَمَى بسهامِهِ قَتَلَ الفُؤادَ وماجَرَحْ
ولَمَّى صقيل فى مَراشِفِ شادِنٍ لو شِئتُ أَمْسَحُهُ بلَثْمِى لانْمَسَحْ[٢]

ومنها :

قَبَّلْتُه وقَبِلْتُ أَمْرَ صَبابَتِى ونَصحْتُ نَفسِى فى قَطِيعةِ مَن نَصَحْ
ورشَفْتُ رِيقَتَهُ علَى رَغْمِ الطِّلا مِن كَأْسِ مَرْشِفِه على غَيظِ القَدَحْ[٣]

ومنها :

لِى سُبْحةٌ مِن جَوْهَرٍ فى ثَغْرِها ففَضَلْتُ سائِرَ مَن يُسَبِّحُ بالسُّبَحْ[٤]
لِمَ لاتُصالِحُ قُبْلَتِى ياخَدَّها والماءُ فِيكَ مع اللَّهِيبِ قد اصْطَلَحْ
كم يَعْذِلُونَ ولستُ أسمَعُ قَولَهُمْ وأَنا وَهُمْ مِثلُ الأَصَمِّ مع الأَبَحْ[٥]
ليس العَذُولُ عليك إنسانًا هَذَى إنّ العَذُولَ عليك كَلْبٌ قد نَبَحْ

ومنها :

أضْحَتْ على مِهْيارَ قَبْلِى ناشِزًا إذ قالَ عن مَحْبُوبِهِ فيها بَطَحْ[٦]

---

(١) فى الأصول : « وأبى » ، وأثبتناه بالتاء الفوقية من الديوان.

(٢) سقط هذا البيت من : ج ، ك . وهو ثابت فى المطبوعة . وفيها : « لى صيقل من مراشف » . وأثبتنا الصواب من الديوان.

(٣) فى المطبوعة : « نمط القدح » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان.

(٤) فى المطبوعة : « فى سبحة ... فوصلت سائر » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان.

(٥) رواية الديوان : « أسمع منهم ... فأناوهم ».

(٦) فى أصول الطبقات :

* أصبحت عن مهيار قلبى ناشزا *

وأثبتنا الرواية الصحيحة من الديوان . والشاعر يصف قصيدته فى الممدوح ، فيقول :

ونظمتها والوزن منها فاتر فأتت كأن الجمر منها قد لفح
ضاقت قوافيها وصدرى ضيق فلو انها انفسحت كجودك لانفسح
أضحت على مهيار ... البيت .

وجاء فى الديوان : « فيها شطح » . وانظر بيت مهيار ، فيما تقدم قريبا .

وتَتابَعَتْ فَتَحاتُها فتنَزَّهَتْ عن قَوْلِ عَبدِ اللهِ حتى نَصْطَلِحْ[1]

ولقائل أن يقول : [إنَّ][2] ابن سَناء المُلْك قد وقَع فيما وقع فيه عبدُ الله ، حيث[3] حكَى قولَه ، وجعله قافيةً فى قصيدته ، وقد وَقَع هذا لكثيرٍ مِن شُعَراء العصر ، ونَظيرُه قول[4] مَن نَثَر فى خُطْبة « الأشباه والنَّظائر » : ليس له مِن ثان[5] ، ولا عنه من ثان ، ولا عليه إلّا مُثْنٍ[6] وقَضَى السَّجْعُ بأن أقول : ثان .

ثم إنه اعترضَ ابنَ المعتَزّ ومِهيارًا ، بما اعترضَهما ، ووَقَع هو فى واحدةٍ ، وهى قولُه : لانْمَسَحْ ، فإنها لَحْنٌ ، ولِى أبياتٌ منها :

إن كان عبدُ اللهِ أخطأ قَولَهُ بالضَّمِّ والتَّقْبيلِ حتّى نَصْطَلِحْ
وأَتَى بشىءٍ ليسَ يَحسُنُ ذِكْرُهُ مِهيارُ حيث يقولُ قافيةً بَطَحْ
فلقد لَحنْتَ وقلتَ فيما قُلْتَهُ لو شِئتُ أمْسَحُه بلَثْمِى لانْمَسَحْ

وقال كمالُ الدّين ابنُ النَّبيه[7] :

قُمْ ياغُلامُ ودَعْ نَصِيحةَ مَنْ نَصَحْ فالدِّيكُ قد صَدَعَ الدُّجَى لَمَّا صَدَحْ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « وتتابعت فيحاتها فترهبت » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان.
(٢) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.
(٣) فى المطبوعة : « حتى » ، والمثبت من : ج ، ك.
(٤) فى المطبوعة : « قوله » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والمصنف يعنى نفسه ، وكلامه هذا فى مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر » نسخة مصورة بمعهد المخطوطات ، بجامعة الدول العربية ، برقم (٢٠) فقه شافعى.
(٥) فى المطبوعة هنا وفى الموضعين التاليين : « بان » . وفى : ج ، ك : « باب » . وأثبتنا مافى الأشباه والنظائر . والمصنف يتكلم هناك على العز بن عبد السلام ، مادحا له . والعبارة فى الأشباه والنظائر : « أولا لا يحتاج إلى ثان ، ومكملا ليس عليه من ثان ، وموئلا للطلبة ليس عليه إلا مثن ، وقضى السجع بأن أقول : ثان ».
(٦) فى المطبوعة : « إلا متى » . وفى ج ، ك : « إلا متيقن » ، وأثبتنا الصواب من الأشباه والنظائر.
(٧) فى ديوانه ٢٦ ، ٢٧.
(٨) فى : ج ، ك : « قم يانديم » . وما فى المطبوعة مثله فى الديوان . وفيه : « ودع مقالة ».

خَفِيَتْ تَباشِيرُ الصَّباحِ فأسْقِنِى ... ماضَلَّ فى الظَّلْماءِ مَن قَدَحَ القَدَحْ[1]
صَهْباءَ مالَمَعتْ بكَفِّ مُدِيرِها ... لِمُقَطِّبٍ إلّا تَهَلَّلَ وانْشَرَحْ[2]
واللهِ مامَزَجَ المُدامَ بمائِها ... لكنَّهُ مَزَجَ المَسَرَّةَ بالفَرَحْ

وهذه قصيدةٌ مشهورة ، نظمها فى ديوانه .

وقال شهابُ الدِّين ابن التَّلَّعْفرِىّ :

ماء الغمامِة والمُدامة والقَدَحْ ... وابن الحَمامةِ فى الأَراكَةِ قَدْ صَدَحْ

وهى قصيدةٌ مليحة ، تضمَّنها ديوانُه .

وكان الشيخ أبو حَيَّان قد اقترح على شُعَراء العَصْر قصيدًا فى الشِّطْرَنْج ، على وَزْنِ مطلعِ قَصيدِة ابن حَزْمُون[3] :

إليكَ إمامَ العَصْرِ جُبْتُ المَفاوِزا ... وخَلَّفْتُ خَلْفِى صِبْيَةً وعَجائِزا[4]

فعَمِل الشيخُ الوالدُ قصيدًا ، بَلغتْ مائةً وخمسةً وأربعين[5] بيتًا ، جَوَّد فيها كُلَّ الإجادة .

وعَمِل الشيخُ تقىُّ الدِّين قصيدًا مَطْلَعُها :

بِنَفْسِى غَزَالٌ مَرَّ بالرَّمْلِ جائِزا ... فَصيّر قَلْبِى فى المَحبّةِ حائِزا
وفَوَّقَ سَهْمًا مِن لِحاظِ جُفُونِه ... فأَصْمَى وما ألْقَى عَن القَلْبِ حاجِزا[6]

---

(١) فى : ج ، ك : « فسقنى » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والديوان . وفيه : « ماضاء فى الظلماء » . وجاء بحاشيته : « قدح [بضم القاف وفتح الدال] جمع قدحة ، من قولهم : أعطنى قدحة من المرق : أى غرفة ».

(٢) فى : ج ، ك : « صهباء مالعبت » ، وأثبتنا رواية المطبوعة ، والديوان.

(٣) هو أبو الحسن على بن حزمون . انظر ترجمته فى : المعجب ٣٧٠ ، والمغرب ٢/٢١٤ .

(٤) سيعيد المصنف ذكر هذا البيت ، فى ترجمة والده « على بن عبد الكافى » . والرواية هناك : « إليك إمام الخلق ».

(٥) الذى ذكره المصنف فى ترجمة والده : « مائة واثنا عشر بيتا ».

(٦) فى المطبوعة : « ألفى » ، بالفاء ، وأثبتناه بالقاف من : ج ، ك.

تَبَدَّى فأبـدَى للنَّداوَةِ مَنْظَـرًا يَرُوقُ لِذِى لُبٍّ ويَكْمِدُ لامِـزا[1]
وماسَ فأَمْسَى الغُصْنُ يَهتزُّ مائِسًا وبـانَ فبـانَ البَـدْرُ يُشْرِقُ بـارِزا
ثَوَى فى حِمَى نَجْدٍ وليس بِمُنْجِدٍ وفَوَّزَ فاستَحْلَيتُ فيـه المَفـاوِزا

[ومنها][2] :

ويَسْبِى فُؤادِى مِنهُ واسِعُ طَرْفِهِ إذا ماانْثَنَى صَبْوُ المحاجِرِ عاجِزا[3]
تفرَّدَ بالحُسْنِ الغَرِيبِ وحُبُّـهُ غَرِيبٌ فأَضْحَى للغَرِيبَيْنِ حائِـزا
كما حازَتِ الشِّطْرَنْجُ جَيْشَيْن جَمّعا غَرِيبَيْن كُلٌّ حَـدَّهُ لَن يُجـاوِزا[4]

وجَوَّد فيها ، واختتمها بمَدْح الشيخ أبى حَيَّان رحمه الله .

وكتب أديبُ العَصر جمالُ الدين محمد بن محمد بن محمد بن نُباتة ، إلى الشيخ أبى الفتح رحمه الله ، استفتاءً صُورتُه :

ياإمامًـا قـال المُقَلِّـدُ والعـا لِـمُ فيـه بـواجِبِ التَّفْضيـلِ[5]
ماعلَى عاشِقٍ يقولُ علَى حُكْـ ـمِ التَّداوِى بالضَّمِّ والتَّقْبيـلِ
وافِرِ الدِّين مَعْ بَسِيط اقْتِـدارٍ حَذِرٍ مِن عِقابِ يومٍ طَوِيـلِ
لا كمَنْ دَأْبُه بمَحْبُوبه النَّحْـ ـوُ فمِن فاعـلٍ ومِـن مَفْعُـولِ[6]

فأجابه :

يامَلِيًّـا بكُـلِّ فَضْلٍ جَزِيـلِ وعَلِيًّـا بكُـلِّ وَصْفٍ جَمِيـلِ[7]

---

(١) فى المطبوعة : « يروق لراكب » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٣) فى ك : « إذا ماانطوى » ، والمثبت من : ج ، والمطبوعة . وفى المطبوعة : « ضيق المحاجر » . وأثبتنا مافى : ج ، ك . ولعل قوله : « الصبو » من « الصبى » بفتح الصاد ، وكسر الباء وتشديد الياء ، وهو ناظر العين . راجع اللسان (ص ب و).

(٤) فى : ج ،ك : « أن يجاوزا » والمثبت من المطبوعة .

(٥) الأبيات فى ديوانه ٤١٨ ، ماعدا البيت الثالث.

(٦) رواية الديوان : « لاكمن تنتحى بمعشوقه ».

(٧) فى المطبوعة : « يامليكا بكل فضل » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

وجَمالًا تَجَمّلَ العِلْمُ مِنْـهُ   بصِفاتِ زَيْنٍ بمَجْدٍ أثِيلِ[1]
جاءنى دُرُّك الذى قَلَّد النَّحْـ   ـرَ بعِقْدٍ مُنَضَّدِ التَّكْلِيلِ[2]
فتعجَّبتُ ثم قلتُ ومَن يَقْـ   ـذِفُ بالدُّرِّ غيرُ بَحْرٍ أصِيلِ[3]
جاء فى صُورَةِ السُّؤالِ فقُلْ فِى   سائلٍ فَضْلُهُ علَى المَسئُولِ
فتنسَّمْتُ منه رِيحَ شَمالٍ   وترشَّفْتُ منه طَعْمَ الشَّمُولِ[4]
وأتانِى وقد فَرَغْتُ عن الآ   دابِ والحُبِّ مِن زمانٍ طَوِيلِ
فتوقَّفْتُ عن جَوابٍ ولكنْ   أمْرُ مولاىَ واجِبٌ بالدَّلِيلِ
وجَوابُ الهَوَى التَّسامُحُ فى الأمْـ   ـرِ فقُلْ إن أجَبْتَ بالتَّسْهِيلِ
إنّ مَن يَدَّعِى الغَرامَ بظَبْيٍ   صادَ أهلَ الهَوى بطَرْفٍ كَحِيلِ
قد أسالَ الدُّمُوعَ مِنه عِذارٌ   سائلٌ فى رِياضِ خَدٍّ أسِيلِ
كامِلٌ قَدُّهُ بشَعْرٍ مَدِيدٍ   وافِرٌ رِدْفُهُ بِخَصْرٍ نَحِيلِ
لَجدِيرٌ بكُلِّ عُذْرٍ بَسِيطٍ   فى التَّداوِى بالضَّمِّ والتَّقْبِيلِ
مالِنارِ الهَوَى سِوَى بَرْدِ رِيقٍ   مِن لَماهُ فِيه شِفاءُ الغَلِيلِ
ولِقَلْبٍ يَعْتادُهُ خَفَقانٌ   غيرُ ضَمٍّ به دَواءُ العَلِيلِ
غُصَّةُ الحُبِّ لاتُقاسُ بشىءٍ   فَلْيُزِلْها مِن رِيقِه بِشَمُولِ
ذا جَوابُ الغَرامِ حَقًّا وعِنْدِى   مالَه غَيرُ صَبْرِهِ مِن سَبِيلِ

(١) فى المطبوعة : « وجمالا لا يحمل » . والتصحيح من : ج ، ك.
(٢) فى المطبوعة : « جاء فى ... النحو » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك.
(٣) فى المطبوعة : « بحر النيل » ، والمثبت من : ج ، ك.
(٤) فى ج : « ورشفت » ، وأثبتنا الصواب من المطبوعة ، ك . وبه يستقيم الوزن .

١٣٢٤

محمد بن علىّ بن عبد الكريم

أبو الفضائل القاضِى ، فخرُ الدِّين المِصْرِىّ *

نزِيل دمشق .

وُلِد سنةَ إحدى[١] وتسعين وستمائة .

وسَمِع[٢] مِن سِتِّ الوُزراء[٣] وغيرها .

وتفقَّه على الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكانِىّ ، والشيخ بُرْهان الدين[٤] .

وبرَع فى المَذْهَب ، ودَرَّس بالعادلِيّة الصُّغْرى ، والدَّوْلَعِيّة ، والرَّواحِيّة[٥] .

وشاع اسمُه وبَعُدَ صِيتُه ، وكان مِن أذكياء العالَم .

استخلفَه القاضى جلالُ الدِّين[٦] على الحُكْم بدمشق ، وحَجَّ وجاوَر غيرَ مَرَّة .

---

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١ / ٤٢٨ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٢٧٣ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٧٠ ، ١٧١ [ترجمة جيدة] ، ذيول العبر ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، السلوك ، القسم الثالث من الجزء الثانى ٨٣٣ ، شذرات الذهب ٦ / ١٧٠ ، ١٧١ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٤٦٨ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٥٠ ، الوافى بالوفيات ٤ / ٢٢٦ — ٢٢٨ .

وقد زاد المصنف فى الطبقات الوسطى ، فى اسم المترجم : « ابن تاج الدين الكاتب » .

وجاء فى الدرر والشذرات : « محمد بن على بن إبراهيم بن عبد الكريم » .

(١) فى الطبقات الوسطى : « اثنتين » . وقال ابن حجر فى الدرر : « ولد بمصر سنة ٦٩١ ، أو التى بعدها ».

(٢) ليست الواو فى المطبوعة ، وزدناها من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٣) الذى فى الطبقات الوسطى : « وسمع الحديث من ست الأهل بنت الناصح ، وست الوزراء ابنة المنجا ، وابن مكتوم ، وطائفة ، وقرأ بنفسه بعض الأجزاء ».

(٤) ابن الفركاح ، كما صرح ابن حجر ، فى الدرر.

(٥) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « وقرأ النحو بالقاهرة ، على شيخنا أبى حيان ، وأفتى وناظر ، وشغل الناس بالعلم مدة مديدة ، وحج غير مرة وجاور » . ذكره شيخنا الذهبى فى « المعجم المختص » ، وقال : « تفقه وبرع ، وكان من أذكياء زمانه ».

(٦) القزوينى ، كما فى الدرر.

ذكره القاضى شِهابُ الدين بن فَضل الله ، فى « مسالك الأبصار » ، فقال : المِصْرىّ الذى لايُسْمَحُ فيه بالمَثاقِيل ، ولايهُون ذِهنُه ، فيُشَبَّه به ذائِبُ[1] الأصِيل ، بل هو البحرُ المِصرِىّ لأنه ذو النُّون ، والقُطْبُ المِصرىّ بل صاحب[2] الإمام فخر الدين ، ومثلُه لايكون ، ذو العِلم المعروفِ الذى لايُنْكَر ، واللّفظِ الحُلو المِصرىّ السُّكَّر ، فاءَ علَى الإسلامِ ظِلًّا مَدِيدًا ، واستَطْرف[3] الأَنامَ فَضْلًا جَدِيدًا ، وهو إمام الشام وغَمامُ[4] العِلْم العام .

ثم قال[5] : وهو أفقه مَن هو بالشام موجُود ، وأشْبَهُ عالِمٍ بأصحاب إمامِه فى الوُجود .انتهى .

تُوفِّىَ القاضى فخرُ الدين بدمشق[6] سنةَ إحدى وخمسين وسبعمائة[7] رحمه الله .

---

(١) فى المطبوعة : « نابت » . وفى : ج ، ك : « ذايت » . ولعل الصواب ماأثبتناه.

(٢) فى المطبوعة : « صاحبه » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « واستطرق » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) فى المطبوعة : « وهمام » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « قام » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٦) فى الطبقات الوسطى : « صبيحة يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة » . وقد نقل هذا ابن حجر ، فى الدرر الكامنة ، عن السبكى . وننبه هنا إلى أن ترجمة « القاضى فخر الدين » هذه جاءت مستوفاة فى الدرر ، وقد نقل ابن حجر كثيرا من أحداث صاحب الترجمة ، عن السبكى ، مما لم يرد فى الطبقات الكبرى والوسطى.

(٧) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « بمنزله بالعادلية الصغيرة من دمشق ».

١٣٢٥

محمّد بن علىّ بن عبد الواحد بن عبد الكريم

قاضى القُضاة ، كمالُ الدّين بن الزَّمْلَكانىّ*

الإمامُ العَلَّامة المُناظر[١] ..

سَمِعَ من يوسُفَ[٢] بن المُجاوِر ، وأبى الغنائم بن عَلَّان[٣] ، وعِدَّةِ مَشايخ .

وطلَب الحديثَ بنفسِه ، وكتب الطِّباقَ بخَطِّه .

وقرأ الأصولَ على الشيخ صَفِىّ الدّين الهِنْدِىّ ، والنحوَ على الشيخ بدر الدين ابن مالك .

ووُلد فى شوّال سنةَ سبع وستين وستمائة .

ودرّس بالشامِيَّة البَرّانيّة ، والرَّواحِيّة ، والظاهِريّة الجَوَّانِيّة ، وغيرِها بدمشق .

ثم وَلِىَ قضاء حَلَب[٤] .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٣١ ، ١٣٢ ، تاج العروس (ز م ل ك) ٧ / ١٣٩ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٤٢٥ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٣١ — ٣٣ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٩٢ — ١٩٤ ، ذيول العبر ١٥٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٧٨ ، ٧٩ ، طبقات الإسنوى ٢ / ١٣ — ١٥ ، فوات الوفيات ٢ / ٤٩٤ — ٤٩٨ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٧٧ ، مفتاح السعادة ٢ / ٣٦١ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٧٠ ، ٢٧١ ، الوافى بالوفيات ٤ / ٢١٤ — ٢٢١

والزملكانى : نسبة إلى زملكا ، أو زملكان : قرية بدمشق . وقد ضبطها ياقوت وابن الأثير : بفتح الزاى وسكون الميم وفتح اللام ، وضبطها المجد بكسر فسكون فكسر ، راجع : معجم البلدان ٢ / ٩٤٤ ، واللباب ١ / ٥٠٧ ، والقاموس (ز م ل ك) .

(١) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « ذو الذهن الصحيح ».

(٢) فى المطبوعة : « يونس » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى . وهو : يوسف بن يعقوب ابن محمد ، ابن المجاور . العبر ٥ / ٣٧٠.

(٣) فى المطبوعة : « عدلان » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، وانظر فهارس الجزءين السابع والثامن.

(٤) قال فى الطبقات الوسطى : « تولاها فى أخريات عمره ، وكان قبل ذلك مقيما بوطنه دمشق ».

وصنَّف الردَّ على ابن تَيْميَّة ، فى مسئلتى الطَّلاق والزِّيارة ، و « كتابًا » فى تفضيل البَشَر على المَلَك ، جَوَّد فيه[1] ، وشَرح مِن « مِنهاج النَّووِىّ » قِطَعًا مُتفرِّقة[2] .

ذكره شيخُنا الذَّهبىّ فى « المُعجَم المُختصّ » ، فقال : شيخُنا عالِمُ العَصْر ، وكان مِن بقايا المجتهدين ، ومن أذكياء أهل زمانِه ، دَرَّس وأفتى وصنَّف ، وتخرَّج به الأصحاب . انتهى .

وذكره الشيخ جمالُ الدين بن نُباتة ، فى كتاب « سَجْع المُطَوَّق » ، فقال : أمَا[3] وغُصُونُ أقلامِه المُثمِرة بالهُدَى ، وسُطُورُ فتاويه المُوضِّحة للحقّ طَرائِق قِدَدا ، وخَواطِرُه التى تَولَّدت فكانت الأنْجُمُ مُهُودا ، ومَآثِرُه التى ضَرَبت رِواق العِزِّ وكانت المَجَرَّةُ طُنُبًا وكان الفَجرُ عَمُودا ، ومُناظَراتُه التى أسكتت المُناظِرين ، فكأنما ضَرَبت سُيوفُهم المُجرَّدة لألسنتهم قُيُودا .

إنّ الآدابَ لتُحرِّكُنى لمدحِه ، والأدبَ يَحُثُّنى على السُّكُون ، وإنى لأَعُقُّ مَحاسِنَه إذا أردتُ بِرَّها[4] بالوَصْف ، ومِن البِرِّ مايكون :

جَلَّ عَنْ مَذهَبِ المديحِ فَقَدْ كَا ... دَ يكونُ المديحُ فِيهِ هِجاءَ[5]

ثم قال : هو البحرُ وعلومُه دُرَرُه الفاخرة ، وفَتاوِيه المُتفرِّقَة فى الآفاق سُحُبُه السائرة ، والعَلَم إلّا أنه الذى لاتُجِنُّه الغَياهِب ، والطَّودُ إلا أنه [الذى][6] لايُحاوِلُه البَشَر ،

---

(١) بحاشية ج : « لم يجود فيه ، بل خالف أهل السنة ، ورجح الملك على البشر ؛ واحتج بكلام ابن العربى الصوفى ، والكتاب مشهور ، سماه : تحقيق الأولى فى الكلام على الرفيق الأعلى ».

(٢) قال فى الطبقات الوسطى : « ولم أقف على شيء منها إلى الآن . وله النظم والنثر ».

(٣) ليست الواو فى المطبوعة ، وزدناها من : ج ، ك ، وسجع المطوق ، مخطوطة الجامعة العربية ، برقم ٤٥٨ أدب . وفيها : « الموضحة إلى الحق ».

(٤) فى المطبوعة ، ك : « نشرها » ، والمثبت من : ج ، وسجع المطوق . ويؤكده مابعده.

(٥) جاء هذا البيت فى أصول الطبقات ، كلاما منثورا موصولا بما قبله ، وكتبه ابن نباتة فى سجع المطوق شعرا ، لكنه لم ينسبه ، وقد وجدناه للبحترى ، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الطائى . ديوانه ١/ ١٥ ، وجاء فى أصول الطبقات : « يكون فيه المديح » . وصححناه من سجع المطوق وديوان البحترى.

(٦) زيادة من المطبوعة وسجع المطوق ، على مافى : ج ، ك.

على أنه نَسْرُ[1] الكواكب ، والمُنفرد[2] الذى حَمَى بَيْضةَ الإسلام فى أعشاش أقلامِه ، والمُجتهدُ الذى لاغُبارَ على رأيه فى الدِّين ، وإن غَبَّر ففى وُجوهِ أعلامه .

ثم قال التَّفسيرُ لبَراعَته : قد حَكَم[3] بكتابِ اللهِ المُنَزَّل ، وقال الفِقْهُ لعِلْم فَتاوِيه : أنت الرامِحُ وكُلٌّ أَعْزَل ، وقال الحديثُ لتَنْقيحِه : هذا النَّظَرُ الذى لايُعْزَل ، وقال الإنشاء لِكتابه : لِيَهْنِكَ أنّ قَلَمَ كلِّ بليغٍ لَديك بخَطٍّ أو بغيرِ خَطٍّ مِغْزَل[4] ، وقال النَّحوُ[5] لتدقيقه : هذا ماجادَ زيدٌ وعمرٌو فيه ، وهذا العَرَبِىُّ الذى لو سَمِع الأعرابِىُّ نُطقَه لَصاح : ياأبتِ أدْرِك [فاهُ][6] غَلَبِنى فُوه ، لاطاقَةَ لى بفِيه ، وقال الوَصْفُ[7] وقال ، واستَقَى مِن مَوادِّه ولو تحقَّق غايةً لما استَقال .

فتباركَ مَن أطلَعَه فى هذه الآفاقِ شَمْسًا كأنَّ الشمسَ عندَه نِبْراس ، وأمطاه رُتَبًا كأنَّ الثُّرَيّا فيها خَدٌّ لقدَمِه علَى القِياس ، وخَصَّه بفُنون العِلم فَلَهُ[8] حَلْيُها النَّفيس ، ومالِغيرِهِ من الحَلْى سِوى الوَسْواس . انتهى .

وعليه تخَرَّج القاضى فخر الدين المِصرىّ ، والشيخ الحافِظ صلاح الدين العَلائِىّ ، وكان كثيرَ التعظيم له .

توفِّى سنةَ سبعٍ وعشرين وسبعمائة ، بمدينة بِلْبيس مِن أعمال مِصر ، كان قد طلبه

---

(١) فى المطبوعة : « نثر » . والتصحيح من : ج ، ك ، والسجع.

(٢) فى المطبوعة : « والمغرد » ، والمثبت من : ج ، ك . وفى السجع : « المتفرد ».

(٣) فى المطبوعة : « حكم لك بكتاب ... » ، والمثبت من : ج ، ك . وفى السجع : « قد حكم لك كتاب الله ».

(٤) فى المطبوعة : « معتزل » . والتصحيح من : ج ، ك . ولم ترد هذه الفقرة كلها فى السجع.

(٥) الذى فى السجع : « وقال النحو : هذا العربى الناطق فيه ، وهذا التدقيق الذى حار زيد وعمرو فيه ».

(٦) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . ولم ترد هذه الفقرة فى السجع.

(٧) فى الأصول : « وقال الوصف : استقى من مواد علومه ولو وجد غاية مااستقاك » . وفى المطبوعة : « الصرف » مكان « الوصف » ، وأثبتنا صواب الكلام من السجع.

(٨) فى الأصول : « فإنه » . والتصحيح من السجع.

السلطانُ[١] إلى مصر ، فمات بها قبلَ وصوله وحُمِل إلى القاهرة ، ودُفِن بجوار تُرْبَة[٢] الإمام الشافعيّ رضى الله عنه .

وقد أجاد فى وَصْفِه شاعِرُ الوقت جمالُ الدين بن نُباتة ، حيث يقول فيه من قصيدة [فائقة][٣] امتدَحه بها ، أوّلها[٤] :

قَضَى وماقُضِيَتْ مِنكُم لُباناتُ   مُتَيَّمٌ عَبَثَتْ فيه الصَّباباتُ[٥]
مافاضَ مِن جَفْنِه يومَ الرَّحِيلِ دَمٌ   إلّا وفى قَلْبه مِنكُم جِراحاتُ[٦]
أحبابَنا كلُّ عُضْوٍ فى مَحَبَّتِكُمْ   كَلِيمُ وَجْدٍ فهل للوَصْلِ مِيقاتُ[٧]
غِبْتُمْ فغابَتْ مَسرَّاتُ القُلوبِ فَما   أنتم بِرَغْمِى ولا تِلك المَسرَّاتُ[٨]
ياحَبّذا فى الصَّبا عَنكُمْ بقَاءُ هَوًى   وفى بُرُوقِ الغَضا منكم إناباتُ[٩]
وحَبّذا زَمَنُ اللَّهْوِ الذى انقَرَضتْ   أوقاتُه الغُرُّ والأعوامُ ساعاتُ[١٠]
أيّامَ ماشَعَر البَيْنُ المُشِتُّ بِنَا   ولاخَلَتْ مِن مَغانِى الأُنْسِ أبياتُ[١١]

---

(١) الناصر محمد بن قلاوون.

(٢) فى المطبوعة ، والبداية والشذرات : « قبة » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٣) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٤) القصيدة فى ديوانه ٦٧ — ٧١.

(٥) فى المطبوعة : « غيبت » . والنقط غير واضح فى : ج ، ك ، وأثبتنا مافى الديوان ، ولسنا على ثقة منه.

(٦) فى المطبوعة : « ماقضى من جفنه » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.

(٧) فى : ج ، ك : « كليم وجه » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والديوان.

(٨) جاء هذا البيت فى الديوان ، قبل سابقه ، والرواية فيه : « فلا أنتم بزعمى ».

(٩) رواية الديوان :

* ياحبذا فى الصبا عن حيكم خبر *

وجاء فى المطبوعة : « منكم إبانات » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ورواية الديوان : « إشارات ».

(١٠) رواية الديوان : « والأعمال نيات » .

(١١) فى أصول الطبقات : « معانى » بالعين المهملة ، وأثبتناه بالغين المعجمة من الديوان .

حيثُ الشَّبابُ قَضاياهُ مُنفَّذَةٌ وحيثُ لِى فى الَّذِى أَهْوَى وِلاياتُ[1]

ورُبَّ حانةِ خَمَّارٍ طَرَقْتُ بِها حانَتْ ولا طُرِقَتْ للقَصْفِ حاناتُ[2]

سَبقْتُ قاصِدَ مَغْناها وكنتُ فَتًى إلى المُدامِ له بالسَّبقِ عاداتُ

أَعْشُو إلى دَيْرِها الأَقْصَى وقد لَمعتْ تحتَ الدُّجى فكأَنَّ الدَّيرَ مِشكاةُ[3]

وأكشِفُ الحُجْبَ عنها وهْى صافِيَةٌ لم يَبْقَ فى دَنِّها إلّا صُباباتُ

راحٌ زَحَفْتُ على جَيشِ الهُمُومِ بِها حتَّى كأَنَّ سَنا الأكوابِ راياتُ

مَصُونَةُ السَّرْحِ باتَتْ دُونَ غايَتِها حاجاتُ قَومٍ وللحاجاتِ أوقاتُ[4]

تَجُولُ حَوْلَ أوانِيها أشِعَّتُها كأنَّما هِىَ للكاساتِ كاساتُ[5]

كأنَّها فى أَكُفِّ الطائِفينَ بِها نارٌ يطوفُ بها فى الأرضِ جِنَّاتُ[6]

مُبَلْبَلُ الصُّدْغِ طَوْعُ الوَصْلِ مُنْعَطِفٌ كأَنَّ أصداغَه للعَطفِ واواتُ[7]

تَرنَّحَتْ وهْىَ فى كَفَّيهِ مِن طَرَبٍ حتَّى لقَدْ رَقصَتْ تلكَ الزُّجاجاتُ

وقُمتُ أشربُ مِن فِيهِ وخَمْرَتِهِ شُرْبًا تُشَنُّ به فى العَقْلِ غاراتُ

ويَنْزِلُ اللَّثْمُ خَدَّيْهِ فيُنْشِدُها هِىَ المَنازِلُ لى فيها عَلاماتُ[8]

سَقْيًا لتلكَ اللُّيَيْلاتِ التى سَلَفتْ فإنَّما العُمرُ هاتِيكَ اللُّيَيْلاتُ

---

(١) فى الأصول : « وحيث ولى الدين أهوى » ، وأثبتنا الرواية الصحيحة من الديوان.

(٢) فى الديوان : « طرقت ولا » . وفى المطبوعة : « للقصب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان.

(٣) فى المطبوعة : « تحت الدياجى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.

(٤) رواية الديوان : « مصونة السرّ ماتت ».

(٥) فى أصول الطبقات : « تحول » بالحاء المهملة . وأثبتناه بالجيم من الديوان.

(٦) فى المطبوعة : « حيات » . وفى ك : « جلنات » ، والمثبت من : ج ، والديوان.

(٧) قبل هذا فى الديوان بيت وثيق الصلة به ، ولا يظهر المعنى دون ذكره :

من كلِّ أَغْيَدَ فى دينارِ وَجْنَتِه توزَّعَت من قلوبِ الناسِ حَبّاتُ

(٨) فى المطبوعة : « خديها » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان.

عَنَتْ لها كُلُّ أوقاتِ السُّرورِ كما عَنَتْ لفَضْلِ كمالِ الدِّين ساداتُ[1]
حَبْرٌ رأينا يَقينَ الجُودِ من يَدِهِ وأكثرُ الجُودِ فى الدُّنيا حِكاياتُ
سَما على الخَلْقِ واسْتَسْقَوْا مَواهِبَهُ لا غَرْوَ أن تَسْقِىَ الأرضَ السَّمواتُ[2]
واستأنفَ الناسُ للأيامِ طِيبَ ثَنا مِن بَعْدِ ما كَثُرتْ فيها الشَّكاياتُ[3]
لايَخْتشِى فَوْتَ جَدْوَى كفِّهِ بَشَرٌ كأنَّ جَدْواهُ أرْزاقٌ وأوقاتُ[4]
ولا تَزَحْزَحُ مِن فَضْلٍ شَمائِلُهُ كأنَّها لِبُدُورِ الفَضْلِ هالاتُ[5]
ياشاكِىَ الدَّهْرِ يَمِّمْهُ وقَدْ غُفِرَتْ مِن حَوْلِ أبوابِهِ للدَّهْرِ زَلَّاتُ[6]
ويا أخا السَّعْىِ فى عِلْمٍ وفى كَرَمٍ هَذِى الهَدَايا وهاتِيكَ الهَدِيَّاتُ
لاتَطْلُبَنَّ مِن الأيَّامِ مُشْبِهَهُ فَفِى طِلابِكَ للأيَّامِ إعْناتُ
ولاتُصِخْ لأحادِيثِ الذين مَضَوْا ألْوَى العِنانَ بما تُمْلِى الرِّواياتُ
طالِعْ فَتاوِيَهُ واسْتَنْزِلْ فُتُوَّتَهُ تَلْقَ الإفاداتِ تَتْلُوها الإفاداتُ
وحَبْرٍ الوَصْفَ فى فَضْلٍ لصاحِبِهِ يكادُ يَنْطِقُ بالوَصْفِ الجَمَاداتُ[7]

---

(١) فى : ج ، ك : « عنت بها » ، وأثبتنا مافى المطبوعة . ورواية الديوان :

تقاصَرَتْ عن مَعالِيها الدُّهورُ كَمَا تقاصَرَتْ عن كمالِ الدِّين ساداتُ

(٢) فى الديوان : « فاستسقوا ».

(٣) فى المطبوعة : « طيب سنا » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان.

(٤) فى : ج ، ك : « فوق جدوى » ، وأثبتنا مافى المطبوعة . ورواية الديوان :

لايَختَشِى موتَ نُعْمَى كفِّه بَشَرٌ كأنَّ أنعُمَه للخلقِ أوقاتُ

(٥) فى الديوان : « عن فضل » . وفى المطبوعة : « كأنها البدر الفضل » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.

(٦) فى : ج ، ك : « باب إلى الدهر يممه » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والديوان.

(٧) فى المطبوعة : « وجد بالوصف » . وفى ج ، ك : « وجز بالوصل » . وأثبتنا رواية الديوان . وفيه : « فى فضل بأيسره ».

حامِى الدِّيـارِ بأقـلامٍ لهَـا مَـدَدٌ ... مِن الهُدَى واسْمُه فى الطِّرْسِ مَدَّاتُ[1]

قَوِيمَةٌ تَمْنَعُ الإسلامَ مِن خَطَرٍ ... فاعجَبْ لها أَلِفاتٍ وَهْىَ لاماتُ

تَعَلَّمَتْ بأسَ آسادٍ وجَوْدَ حَيًا ... مُنْذُ اغتدَتْ وَهْىَ للآسادِ غاباتُ[2]

وعُوِّدَتْ قَتْلَ ذِى زَيْغٍ وذِى خَطَلٍ ... كأنَّها مِن كَسِيرِ الحَظِّ فَضْلاتُ[3]

وجاوَرَتْ لِلآلِى البَحْرِ فابتسَمتْ ... هنـالك الكَلِمـاتُ الجَوْهَرِيَّـاتُ[4]

أَغَرُّ يَهْوَى مُعادَ القَولِ فيه إذا ... قِيلَ المُعـاداتُ أخبـارٌ مُعـاداتُ[5]

فى كلِّ مَعْنًى دُرُوسٌ مِن فوائِدِهِ ... ومِـن بَـوادِرِ نُعمـاهُ إعـاداتُ[6]

صَلَّى وراءَ أيادِيـه الحَيَـا فعَلَـى ... تِلك الأيادِى مِن السُّحْبِ التَّحِيّاتُ

وصَدَّ عَمَّـا يَرُومُ اللَّـومَ نائِلُـهُ ... ولا يُفِيدُ ولا تُجْدِى الملامـاتُ[7]

يُـرامُ تأخِيـرُ جَـدْواهُ وهِمَّتُـهُ ... تَقـولُ إيهًـا وللتأخيـرِ آفـاتُ[8]

مِن مَعْشَرٍ نُجُبٍ ماتُوا وتحسَبُهمْ ... للمَكْرُماتِ وطِيبِ الذِّكْرِ ماماتُوا

مُمَدَّحِينَ لهُمْ فى كُـلِّ شارِقَـةٍ ... بِرٌّ وبَيْنَ خَبايا اللَّيـلِ إخْبـاتُ[9]

---

(١) هذا البيت مركب من بيتين وردا فى الديوان هكذا :

حامِى الدِّيـارِ بأقـلامٍ مُسدَّدَةٍ ... تأخَّـر الشَّكُّ عنها والغِوايـاتُ

حامِى الذِّمارِ بأقلامٍ لها مَـدَدٌ ... مِن الهُدَى واسمُه فى الطِّرْسِ مَدَّاتُ

(٢) فى الديوان : « وصوب حيا ».

(٣) فى المطبوعة : « كسير اللحظ » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان.

(٤) رواية الديوان : « وجاورت يد ذاك البحر ».

(٥) فى الديوان : « معاد الذكر عنه إذا » . وفى : ج ، ك : « قال المعادات » ، وفى المطبوعة : « قبل » ، وأثبتنا مافى الديوان.

(٦) رواية الديوان : « فى كل يوم ... ومن بوادئ نعماه » .

(٧) فى الديوان : « فما تفيد ».

(٨) فى المطبوعة : « رام تأخير » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، وفيه : « فللتأخير ».

(٩) فى المطبوعة ، ج ، « سارفة » . وأهمل النقط فى ك ، وأثبتنا مافى الديوان.

تَمّتْ أَئمّةُ أوصافِ الكَمالِ كَما تَمّتْ بقافِيَةِ المَنظُومِ أبيــاتُ[1]

مارَوضَةٌ قَلّدَتْ أجْيادَ سَوْسَنِها مِن السَّحابِ عُقُودٌ لُؤْلُئِيّـاتُ[2]

وخَطّت الرِّيحُ خطًّا فى مَناهِلِها كأنَّ قَطْرَ الغَوادِى فِيه جَرْياتُ[3]

يَرْقَى الحَمَامُ المُصَفَّى دَوْحَها فلَهَا خَلْفَ السُّتُورِ على العِيدانِ رَنّاتُ[4]

يَومًا بأهْيَجَ مِن أخلاقِهِ نَشَرًا أيّـامَ تُنْكَـرُ أخـلاقٌ سَرِيَّـاتُ[5]

ولا النُّجُومُ بِأنْأى مِن مَراتِبِهِ أيّامَ تَقْتَصِرُ الأيْدِى العَلِيّـاتُ[6]

قَدْرٌ عَلَا فَرأى فِى كلِّ شمسِ ضُحًى جَمَالَـه فكـأنَّ الشَّمسَ مِـرآةُ[7]

وهِمّـةٌ ذِكْرُهـا نـامٍ وأنْعُمُهـا فحيْثُ ماكنتَ أنهارٌ وجَنّـاتُ[8]

---

(١) رواية الديوان : « بيت أئمته أوصاف ».

(٢) فى الديوان : « قلدت إحياء » . والأجياد : جمع جيد ، وهو العنق.

(٣) فى الأصول : « جزمات » ، وأثبتنا مافى الديوان.

(٤) مكان هذا البيت فى الديوان :

وللجَداوِلِ تَصْفِيقٌ بساحَتِها والقَطْرُ رَوضٌ وللأطيارِ رَنّاتُ

(٥) قوله : « بأهيج » : من الهيج ، بمعنى الحركة ، يقال : هاج الشيء يهيج هيجا : أى تحرك وثار . وجاء فى الديوان : « بأبهج » .

وجاء فى المطبوعة : « بشرا » . وأهمل نقط الحرف الأول فى : ج ، ك . ولعل ماأثبتنا هو الصواب والنشر هنا : الريح الطيبة . وهو بهذا المعنى أوفق للهيج الذى فسرناه . ورواية الديوان : « نظرا » . وجاء فى المطبوعة : « شريات » . وفى : ج ، ك : « شربات » . ولم نجد لهما معنى مناسبا ، فأثبتنا ما فى الديوان . ويقال : رجل سرى : أى سخى فى مروءة .

(٦) فى الأصول : « بأنأى مواظبه » ، وأثبتنا مافى الديوان.

(٧) فى : ج ، ك : « فدر على مراق » وضبط فيهما بالقلم : بفتح الفاء وضم الدال وسكون الراء . وجاء فى المطبوعة : « قدر على فراق » وقد أثبتنا رواية الديوان.

وجاء فى : ج ، ك : « فكان للشمس مرات » . وأثبتنا مافى المطبوعة والديوان .

(٨) فى المطبوعة : « تحت ماكسبت » وفى : ج ، ك : « تحت ماكسبت أنهار وحيات » ، وأثبتنا مافى الديوان .

تأبى المَدائحُ أن يُمْدَحْ سِواكَ بِها فتِلكَ فِيهمْ عَـوارٍ مُستَـرَدَّاتُ[1]
اللهُ جارُكَ مِن عَيْنِ الزَّمانِ لَقدْ تجمّعتْ بالمَعالِى فِيك أشتـاتُ[2]
جاوَرْتُ بابَكَ فاستَصْلَحْتَ لى زَمَنِى حتَّى وَفَتْ وانْتَفَتْ تلك العَداواتُ[3]
ولاطَفَتْنِى اللَّيالِى فَهْىَ حِينئِذٍ مِن بَعْدِ أهْلِى عَمَّاتٌ وخالاتُ
ونَطَّقَتْنِى الأيادِى بالعُيُونِ ثَنًا فلِلكــواكِبِ كالآذانِ إنْصاتُ[4]
إلا ذَوِى كَلِمٍ لو أنَّ مُحتسِبًا تَكلَّمَتْ مِن جَميعِ القَومِ هاماتُ[5]
يُزاحِمُـونَ بأشعـارٍ مُلَفَّقـةٍ كأنَّهُمْ بينَ أهلِ الشِّعْرِ حَشْواتُ
ويَطْرَحُونَ على الأبوابِ مِن حُمُقٍ قَصائدًا هِىَ فى التَّحقيقِ باياتُ[6]
مِن كُلِّ أبْلَهَ لكِنْ مالِفطْنَتِهِ كالبُلْهِ فى هذه الدُّنيا إصابـاتُ
يُحَمُّ حِيـنَ يُعانِى نَظْـمَ قافِيَـةٍ عَجْزًا فتظْهَرُ هاتِيكَ الخُرافـاتُ[7]
ويَغْتَدِى فكرُه المكدودُ فى حُرَقٍ وقد أحاطَتْ بما قال البُروداتُ[8]

---

(١) فى الديوان :

* ياابن المدائح إن أمدح سواك بها *

(٢) فى الديوان : « ريب الزمان ... للمعالى ».

(٣) فى المطبوعة : « حتى رقت وانقضت » . وفى الديوان : « حتى صفا وانقضت » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٤) فى المطبوعة :

* ونطقتنى أيادى بالعيوب بنا *

وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان.

(٥) قبل هذا فى الديوان :

وبتُّ لاأشتكِى حالًا إذاشُكِيَتْ فى بابِ غيرِك أحوالٌ وحالاتُ

(٦) فى المطبوعة : « نايات » . وفى الديوان : « بابات » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ولم يظهر لنا وجهه.

(٧) فى الأصول : « حين تعادى » ، وأثبتنا مافى الديوان.

وفى المطبوعة والديوان : « فتظهرها تلك الخرافات » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٨) فى المطبوعة : « وتعترى » . وفى : ج ، ك : « وتعدى فكرته » ، والمثبت من الديوان.

وقَدْ يجيِءِ بشِعْرٍ بَعْدَ ذا حَسَنٍ	لكنْ على كَتِفَيْهِ منه كاراتُ[1]
أُعِيذُ مَجْدَكَ مِن ألفاظِها فَلَها	جَنىً كأنَّ معانِيَها جناياتُ[2]
إن لم يُفَرِّقْ بفَضْلٍ بَيْنَ نَظْمِهِمُ	وبَيْنَ نَظْمِى فما للفَضْلِ لَذَّاتُ[3]
خُذْها عَرُوسًا لَها فِي كُلِّ جارِحَةٍ	لَواحِظٌ وكُؤُوسٌ بابِلِيَّاتُ
أوْرَدْتُ سُؤْدَدَك الأَعلَى مَوارِدَها	وللسُّهَا فى بِحارِ الأُفْقِ عَبَّاتُ[4]
نِعْمَ الفَتَى أنت يُسْتَصْفَى الكَلامُ لهُ	حتى يَبِينَ له فى العَقْلِ سَوْراتُ[5]
ويَطْرَبُ المَدْحُ فيه حِينَ أذكُرُهُ	كأنّ مُنْتَصِبَ الأقلامِ ناياتُ[6]
مابَعْدَ غَيْثِكَ غَيْثٌ يُسْتَجادُ ولا	من بَعدِ إثباتِ قَوْلِى فيكَ إثباتُ[7]

---

(١) فى المطبوعة : « وقل يجىء » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان . وفيه : « يجىء بمعنى » . و « كارات » : جمع كارة : وهى مايحمل على الظهر . راجع اللسان (ك و ر).

(٢) فى الديوان : « من ألفاظهم » . وفى أصول الطبقات : « حسنى كأن » ، وأثبتنا مافى الديوان . وفى المطبوعة : « خبايات » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، وفيه : « معانيهم ».

(٣) فى المطبوعة : « وبين لفظى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.

(٤) فى أصول الطبقات :

* أوردت سؤرك إلا عن مواردها *

وأثبتنا رواية الديوان .

وجاء فى المطبوعة : « لكنها فى بحار » . وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان .

وفى : ج ، ك : « مجر الأفق » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان .

وجاء فى المطبوعة : « عيبات » . وفى ج ، ك : « غنات » ، وأثبتنا مافى الديوان.

(٥) فى المطبوعة : « يعين له » . وفى الديوان : « تسير » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٦) فى المطبوعة : « كأن فهمى للأقلام » . وفى : ج ، ك :

*فإن صمت فهى للأقلام بايات *

وأثبتنا رواية الديوان . وفيه : « حين أكتبه ».

(٧) فى أصول الطبقات :

مابعد غيثك غيث يستجاد وإن   تعد إثبات قول فيك إثبات

وأثبتنا مافى الديوان . وفيه : « يستفاد » مكان : « يستجاد ».

حُزْتَ المَحامِدَ حتَّى مالِذِى شَرَفٍ مِن صُورَةِ الحَمْدِ لا جِسْمٌ ولاذاتُ[1]

قلت : ولما قال ابنُ نُباتَةَ فى ابن الزَّمْلَكانِيّ هذه الكلمة[2] البديعة ، حاول أدباء عصرِه مُعارضتَه ، فما أحسنوا صُنْعَه[3] ، بل كُلٌّ قَصَّر ولم يَلْحَق ، وتأَخَّرَ وماجاء بحَقّ[4] .

وأنشدنى شمسُ الدين محمدُ بن يوسف ، المعروف بالخَيّاط الشاعر ، قصيدتَه التى عارَض بها هذه القصيدة ، فقلت : كيف رَضِىَ ابنُ الزَّمْلَكانِيّ بهذه عِراضًا [لتلك][5] فقال : أنا أنكرتُ على ابن نُباتَةَ تَغَزُّلَه ونَسِيبَه اللَّذَين جاء بهما على هذا الوجه وهو يَمتدِحُ عالِمًا من علماء المسلمين ، وكان من قوله :

ماشانَ مَدْحِى لَكُمْ ذِكْرُ المُدامِ ولا أضْحَتْ جَوامِعُ لَفْظِى وَهْىَ حاناتُ[6]
ولا طَرَقْتُ حِمَى خَمَّارةٍ سَحَـرًا ولا اكتَسَتْ لِى بكاسِ الرَّاحِ راحاتُ[7]
وإنَّما أُسْكِرُ الـجُلَّاسَ مِـن أدبٍ يَدُورُ منه على الأَكيـاسِ كاساتُ
عَن مَنْظَرِ الرَّوضِ يُغْنِينِى القَرِيضُ وعَنْ رَقْصِ الزُّجاجاتِ تُلْهِينِى الحَرازاتُ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « مأرى شرفا » . وفى ج ، ك : « مأرى شرف » ، وأثبتنا الصواب من الديوان . وننبه هنا إلى أن ابن نباته قد رثى كمال الدين الزملكانى ، بقصيدة أخرى لامية ، مطلعها :

بلغا القاصديـن أن الليـالى قبضت جملة العلا بالكمـال

راجع الديوان ٤٠٥ .

(٢) فى المطبوعة : « ولما قال ابن نباتة هذه القصيدة فى ابن الزملكانى البديعة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . وإطلاق « الكلمة » على القصيدة ، من فصيح الكلام.

(٣) فى المطبوعة : « صنيعه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٤) فى المطبوعة : « الحق » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٥) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك.

(٦) الأبيات ــ ماعدا الثالث ــ فى الدرر الكامنـة ٦٨/٥ ، فى ترجمة « الخياط » . والبيتان الأول والثانى فى البدر الطالع ٢ / ٢٨٧ ، فى ترجمته أيضا . وفيه : « ماشاب » . وفى مطبوعة الطبقات : « ماشاد » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والدرر . وراجع أيضا : غيث الأدب المسجم ، للصفدى ٢ / ٨٧.

(٧) فى المطبوعة : « بكاس الراس » . والتصحيح من : ج ، ك ، والدرر ، والبدر.

(٨) فى المطبوعة : « يقنعنى القريض » ، والمثبت من : ج ، ك ، والدرر . وفى الوافى بالوفيات ٢٨٨/٥ : « تُلهينى الجُزازاتُ » .

عَشَوْتُ مِنها إلى نُورِ الكَمالِ ولَمْ يَدُرْ علَى خاطِرِى دَيْرٌ ومِشكاةُ[1]

وأنشدَها أيضًا بدَرْس الشاميّة ، بينَ يدى الشيخ كمالِ الدين بن الزَّمْلكانِىّ .

ومَن أراد مِن أهل هذه المائة أن يَلحَق ابنَ نُباتةَ فى نَظمٍ أو نثرٍ أو خَطٍّ ، فقد أراد المُحال ، وحاوَل مالايَصِيرُ بِحال .

ويُعجِبنى على هذا الوزن والرَّوِىّ ، وإن لم يَلْحَق ابنَ نُباتة فى الصُّنع البَهِىّ ، قولُ ابنِ الدَّوالِيبىّ[2] ، متأخِّرٍ من العراق :

كَمْ قَدْ صَفَتْ لقُلُوبِ القَومِ أوقاتُ وكَمْ تَقَضَّتْ لَهُم باللَّيلِ لَذَّاتُ
واللَّيْلُ دَسْكَرةُ العُشَّاقِ يَجْمَعُهمْ ذِكْرُ الحَبِيبِ وصِرْفُ الدَّمعِ كاساتُ
ماتُوا فأحياهُمُ إحياءُ لَيْلِهِمُ ومَن سِواهُمْ أُناسٌ بالكَرَى ماتُوا
لَمَّا تَجلَّى لَهُمْ والحُجْبُ قد رُفِعَتْ تَهتَّكُوا وصَبَتْ مِنهُمْ صَباباتُ
وغَيَّبْتُهم عن الأكْوانِ فى حُجُبٍ وأظْهَرَتْ سِرَّ مَعْناهُم إشاراتُ
ساقِى القُلُوبِ هُوَ المحبُوبُ يَشْهَدُهُ صِيتٌ لَهُمْ بقيامِ اللَّيلِ عاداتُ[3]
إذا صَفا الوَقْتُ خافُوا مِن تَكَدُّرِهِ ولِلوِصالِ مِن الهِجْرانِ آفاتُ

(ومن فوائد الشيخ كمالِ الدِّين)

● فى تفسير قولِه تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾[4] الآية ، فى الجواب عن السؤال المشهور ، وهو أنه : كيف تُرِك العَطْفُ فى جَميعِ الصِّفات وعُطِفَ النَّهْىُ عن المنكَر على الأمر بالمعروف بالواو ؟

قال : عِندى فيه وَجهٌ حَسنٌ ، وهو أن الصِّفاتِ تارةً تُنْسَقُ بحرف العَطف ، وتارةً تُذكَر بغيره ، ولكُلِّ مقامٍ معنًى يناسبه ، فإذا كان المقَامُ مقَامَ تَعدادِ صِفاتٍ من غير

---

(١) فى المطبوعة : « يردعلى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والدرر.

(٢) هو : محمد بن عبد المحسن بن أبى الحسن البغدادى الحنبلى ، ويعرف أيضا بابن الخراط . انظر الدرر الكامنة ٤ / ١٤٦ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٣٨٤.

(٣) فى المطبوعة : « صب لهم » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) سورة التوبة ١١٢ . وقد ذكر السيوطىّ هذه الفائدة عن ابن الزملكانى ، بسياق ابن السُّبكىّ . راجع الأشباه والنظائر النحوية ١٢٤/٤ (طبعة دمشق) .

نَظرٍ إلى جَمْعٍ أو انفراد ، حَسُن إسقاطُ حرفِ العطف ، وإن أُريد الجمعُ بينَ الصِّفتين ، أو التنبيهُ على تَغايُرِهما ، عُطِف بالحَرف ، وكذلك إذا أُريد التنويعُ بعدَم اجتماعِهما ، أُتِيَ بالحرف أيضا ، وفى القرآن الكريم أمثلةٌ تُبيِّن ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[١] فأتى بالواو بين الوَصْفين الأخيرين ؛ لأن المقصودَ بالصّفات الأُوَلِ ذِكرُها مجتمعةً ، والواو قد تُوهِم التنويعَ ، فحُذِفت ، وأمّا الأبكارُ فلا يكُنَّ ثيِّباتٍ ، والثَّيِّبات لايكُنَّ أبكارًا ، فأتى بالواو لتضادِّ النَّوعين .

وقال تعالى : ﴿ حٰم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ ﴾[٢] فأتى بالواو فى الوصْفَين الأوَّلَين وحذفها فى الوصْفَين الأخيرين ، لأنّ غُفرانَ الذنبِ وقَبولَ التَّوبِ قد يُظَنُّ أنهما يَجرِيان مَجْرَى الواحد لتلازُمِهما ، فمن غفَر الذَّنبَ قَبِلَ التَّوْب ، فبيَّن الله سبحانه وتعالى بعطفِ أحدِهما على الآخَر أنهما مفهومان مُتَغايِران ، ووصفان مُختلِفان ، يجب أن يُعْطَى كلُّ واحد منهما حُكمَه ، وذلك مع العطفِ أَبْيَنُ وأوضح[٣] .

وأمّا شديدُ العقاب وذو الطَّوْل ، فهما كالمُتَضادَّين ، فإنّ شِدَّةَ العقاب تقتضى إيصالَ الضَّرر ، والاتِّصافَ بالطَّوْل يقتضى إيصالَ النَّفع ، فحذَف ليُعْرَفَ أنهما مجتمِعان فى ذاته ، وأنّ ذاتَه المقدَّسةَ موصوفةٌ بهما على الاجتماع ، فهو فى حالةِ اتِّصافِه بشديد العقاب : ذو الطَّوْل ، وفى حال اتِّصافه بذى الطَّوْل : شَدِيدُ العقاب ، فحَسُن تركُ العَطْف لهذا[٤] المعنى .

وفى هذه الآية التى نحن فيها يتَّضح معنى العَطْف وتَرْكِه ممّا ذكرناه ، لأنّ كلَّ صِفةٍ

---

(١) الآية الخامسة من سورة التحريم.

(٢) سورة غافر (المؤمن) ١ — ٣.

(٣) راجع تفسير القرطبى ٨ / ٢٧١ ، وتفسير أبى حيان ٥ / ١٠٤ ، وبدائع الفوائد ، لابن القيم ١ / ١٩٢.

(٤) فى أصول الطبقات الكبرى : « بهذا » ، والمثبت من الطبقات الوسطى.

ممّا لم يُنْسَق بالواو مُغايرةٌ للأخرى ، والغَرَضُ أنهما فى اجتماعهما كالوصفِ الواحد لموصوفٍ واحد ، فلم يُحْتَجْ إلى عطف ، فلمّا ذُكِر الأمرُ بالمعروف والنَّهىُ عن المنكَر ، وهما مُتلازِمان أو كالمتلازِمين ، مُستمدّان من مادّةٍ واحدة ، كغُفْران[1] الذنب وقَبُولِ التَّوب ، حَسُن العطفُ ، ليُبيِّن أن كلَّ واحدٍ مُعْتَدٌّ به على حِدَتِه ، قائمٌ بذاته ، لايكفِى منه مايحصُلُ فى ضِمن الآخَر ، بل لابُدَّ أن يَظهرَ أمرُه بالمعروف بصَرِيح الأمر ، ونَهْيهُ عن المنكَر بصريح النَّهى ، فاحتاج إلى العطف .

وأيضًا : فلمّا كان النَّهىُ والأمرُ ضِدَّينِ ؛ أحدُهما طَلَبُ الإيجادِ ، والآخَرُ طَلَبُ الإعدام [كانا][2] كالنّوعين المُتغايِرين فى قوله تعالى : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ فحَسُن العَطفُ بالواو .

● وقال فى قوله ﷺ : « لَا تُفَضِّلُونِى عَلَى يُونُسَ » : السَّببُ فى ذلك أن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ : ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾[3] ومن المقطوعِ به أنه امتثل هذا الأمرَ لِعصمتِه من المخالَفة ، فصار مقطوعًا بأفضليَّته عليه ، أو كالمقطوع به ، ومع ذلك نَهى عن تفضيِله عليه ؛ لما يقتضيه تواضُعه لله وكَرمُ خلائقه[4] ، أو غيرُ ذلك مما ذَكر .

قلت : فأين اللَّطِيفَةُ فى نهيه عن التفضيل؟

حاصِلُ هذا أنه قَرَّر عدمَ التفضيل مع القَطعِ بُوقوعه ، ونحن عارفون بذلك[5] ، إنما البَحْثُ عن الحكمة فيه .

وقوله : لِما يَقْتَضيه تواضُعه ، إلى آخرِه ، هو ماذكره غيرُه ، فلم يَزِدْ على الناس شيئًا .

---

(١) فى أصول الطبقات الكبرى : « لغفران » ، وأثبتنا مافى الطبقات الوسطى.

(٢) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٣) سورة القلم ٤٨.

(٤) فى المطبوعة : « أخلاقه » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « بوقوعه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

● وذكر قولَ [الفقيه][1] ناصر الدين ابن المُنيِّر ، فى « المُقْتَفَى »[2] فى حديث شاةِ أمّ مَعْبَد ، وأن فيه لَطِيفةً عجيبة ، وهو أن اللَّبَن المُحْتَلَب[3] من الشاة المذكورة لابُدَّ أن يُفْرَضَ مملوكًا ، والمِلْكُ هنا دائرٌ بينَ النبىِّ ﷺ ، وصاحبِ الشاة ، ولهذا قَسَم اللَّبَن ، وأشبهُ شيءٍ بذلك المُساقاةُ ، فإنها تلزَمُه للأصل وإصلاح بجزء من الثمرة ، وكذلك فَعَل ﷺ ؛ كَدَمَ الشاةَ وأصلَحها بجُزء من اللَّبنِ .

ويَحْتَمِلُ أن يُقال : إن اللَّبَن مملوكٌ للنبىّ ﷺ ، وسَقاها تَفضُّلًا ؛ لأنه ببركاته كان ، وعن دُعائه وُجِد ، والفِقهُ الأوّلُ أدَقُّ وألطَفُ . انتهى .

قال ابن الزَّمْلَكانِىّ : وكِلا الوجهين لاينفَكُّ عن نَظَر .

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ ذلك فى مَحلِّ المُسامَحةِ ، أو مأذونٌ [ذلك][4] فيه ، فى مثل هذا الحال ، لحاجتِهما إلى اللَّبن ، أو لوجُوب الضِّيافة ، أو لكون المالِك مُشترَكا . انتهى .

قلت : أمّا النَّظرُ فى وجهى ابن المُنَيِّر فحقٌّ ، فإن الأولَ لايتمّ ؛ لأنه لو تمَّ لَجاز مثلُ هذا النوعِ فى اللَّبن ، ولا مُساقاةَ فيه [5][ولكان وَقَع عَقْدٌ بينهما ، ولم يَقَعْ][5] ولكانت القيمةُ إمَّا نِصفين على السَّوِيَّة ، وإمّا على مايقع عليه الإنفاق[6] لو فُرِض ، ولم يُنقل واحدٌ منهما ، ولا وقع أيضًا .

والثانى : قد يقالُ عليه : لايلزَمُ مِن نُمُوِّ مالِ زيد بدعوةِ عمرٍو : أن يملك عمرٌو القَدْرَ النامى[7] .

والذى عندى فى هذا : أن اللَّبَن مِلكٌ للنبىِّ ﷺ ، وكذلك الشاةُ نفسُها ،

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٢) فى المطبوعة : « المصفى » . والتصحيح من : ج ، ك ، واسمه : « المقتفى فى آية الإسرا » قال عنه الداودى : « وهو كتاب نفيس ، فيه فوائد جليلة ، واستنباطات حسنة » طبقات المفسرين ١ / ٩٠.

(٣) فى المطبوعة : « المتحلب » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) زيادة من : ص ، ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٥) زيادة من : ص ، والمطبوعة ، على ماف : ج ، ك.

(٦) كذا فى المطبوعة . ولم ينقط فى سائر الأصول سوى الفاء ، ولعله : « الاتفاق ».

(٧) كذا فى ص ، والمطبوعة . وفى : ج ، ك : « الباقى ».

فالنبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهم[1] ، ولا يَحتاج إلى إذنٍ من أحد ، ومايلزَم على ذلك من اجتماع مالِكَيْن على مملوكٍ واحد لامَحذُورَ فيه ، كما قرَّرناه فى بعض تَعاليقِنا .

وهذا كما أنَّ الوجودَ بأسْرِه مِلْكٌ لله تعالى ، مِلكًا حقيقيًّا ، ومِلْكُ كُلِّ مالكٍ مامَلَّكه الله ، وهكذا نقول : إن الوجودَ بأسْرِه مِلْكُ محمدٍ ﷺ ، يتصرَّفُ فيه كيف يشاء ، وإذا ازدحم هو وبعضُ المُلَّاكِ فى شيءٍ كان أحقَّ ، لأنه مالكٌ مُطلَقٌ ، ولا كذلك غيرُه ، لأنّ كلَّ واحدٍ وإن مَلَك شيئًا فعليه فيه الحَجْرُ مِن بعضِ الوجُوه .

ولى أرجوزةٌ فى خصائِص النبيِّ ﷺ ومُعجزاتِه ، منها :

وهُوَ إذا احتاج إلى مالِ البَشَرْ أحَقُّ مِن مالِكِه بِلا نَظَرْ
لأنّـه أولَـى بذى الإيمانِ مِن نَفْسِه بالنَّصِّ فى القُرآنِ

● وذكر الشيخُ كمالُ الدِّين إشكالًا ذكره ابـن المُنَيِّـر ، فى حديث قتـل كَعْب ابن الأشرَف ، حاصله أن النَّيْلَ مِن عِرْضِ النبيِّ ﷺ ، كُفرٌ ، ولا تُباحُ كلمةُ الكفرِ إلا بالإكراه ، فكيف استأذنوه عليه السلامُ أن ينالوا منه بألسنتهم ، استدراجًا للعدُوِّ ، وأذِن لهم؟

وأجاب عنه : بأنّ كَعبًا كان يُحرِّضُ على قَتْل المسلمين ، وفى قتلِه خَلاصٌ من ذلك ، فكأنه أكره الناسَ على النُّطق بهذا الكلام ، بتعريضِه إيّاهم للقتل ، فدفَعُوا عن أنفسهم بألسنتهم . انتهى .

قال الشيخ كمالُ الدّين : فى هذا الجوابِ نظرٌ لايخْفَى ، ويَحْتَمِلُ أجوبةً ، منها : أنّ النَّيلَ لم يكن صريحًا فى الكُفر ، بل كان تعريضًا يُوهِمُ المخاطِبَ لهم فيه مَقاصدَ صحيحةً ، وذلك[2] فى الخديعة قد يجوز .

ومنهـا : أنـه كـان بإذنِـه ﷺ ، وهـو صاحـبُ الحقِّ ، [وقـد أذِن][3]

---

(١) راجع الآية السادسة من سورة الأحزاب.

(٢) قبل هذا فى المطبوعة : « وقد أذن » . وأسقطناها ، كما فى : ص ، ج ، ك.

(٣) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ص ، ج ، ك . وكأنه انتقل على يد الطابع إلى السطر الذى قبله . وانظر التعليق السابق.

فى حَقّه لمصلحةٍ شرعيّة ، ولا نُسلّمُ دخولَ هذه الصورةِ فيما يكون كفرًا ، انتهى .

قلت : النبى ﷺ لا يأذَنُ إلا فى جائز ، وسبُّه لايجوز أصلًا ، والواقعُ التعريضُ دونَ صريح السَّبِّ ، والحاملُ عليه المصلحةُ ، حيث اقتضاها الحالُ ، وكان فى المَعارِيض مَنْدُوحةٌ عن الكذِب .

● ومن فتاويه :

أفتى الشيخُ كمالُ الدين ببُطلانِ إجارة الجُندِىّ إقطاعَه ، وقد اتَّبع فى ذلك شيخَه الشيخَ تاجَ الدِّين بنَ الفِرْكاح ، والذى أفتى به النَّووِىُّ والشيخُ الإمامُ الوالد ، وغيرهما : الصِّحَّةُ ، وهو الوَجْهُ .

● سمعت الشيخَ جمالَ الدين ابن قاضى الزَّبَدانِىّ ، مَدَّ الله فى عمره ، يحكى عن الشيخ كمالِ الدين أنه كان يقول : إذا صَلَّى الإنسانُ ركعتى الاستِخارَة لأمرٍ ، فلْيفعلْ بعدَها مابدا له ، سواءٌ انشرحت نفسُه له أم لا ، فإنّ فيه الخيرَ ، وإن لم تنشرح له نفسُه ، قال : وليس فى الحديث اشتراطُ انشراحِ النفْسِ .

● رُفِع إلىَّ فى المُحاكَمات مسئلةٌ فى رجُلٍ وقَف على أولادِه الأشراف ؛ فلان وفلان ، وسَمَّى جماعةَ أولادِه ، للذَّكر مثلُ حَظِّ الأنثيَين ، ثم على أولادِهم مِن بعدِهم ، وعلى أولادِ أولادِهم ، وعلى أولادِ الأولاد مِن بعد آبائهم وأسْفَلَ[1] ذلك من أعقابهم وأنسابهم ، طبقةً بعدَ طبقة ، [وقَرْنًا][2] ...

---

(١) فى المطبوعة : « وانتقل » . والتصحيح من : ص ، ج ، ك.

(٢) زيادة من : ص ، ج ، ك ، على مافى المطبوعة . وقد وقف الكلام عند هذا الحد . وكتب فى الأصول : بياض.

وقد زاد المصنف ، فى ترجمة ابن الزملكانى ، فى الطبقات الوسطى ، قال :

« ومن شِعره ماكتب به إلى قاضى القضاة شرفِ الدين البارِزِىّ ، يطلب منه « تيسير الفتاوِى فى توضيح الحاوى » :

ياواحدَ العَصْرِ ثانِى البَدْرِ فى شَرَفٍ   وثالثَ العُمَرينِ السالِفَيْن هُدَى =

١٣٢٦

محمد بن علىّ بن وَهْب بن مُطِيع بن أبى الطاعة القُشَيْرِىّ

أبو الفتح تَقِىُّ الدين

وَلدُ الشيخِ الإمام القُدوة مجدِ الدين بن دَقِيق العِيد*

الشيخُ الإمام ، شيخُ الإسلام ، الحافِظ الزاهد الوَرِع الناسك ، المجتهد المُطلَق ، ذو الخِبرة التامّة بعلوم الشريعة ، الجامعُ بينَ العِلم والدين ، والسالِكُ سبيلَ السادةِ الأقدمين ، أكملُ المتأخّرين ، وبَحر العِلم الذى لاتُكدِّرُه الدِّلاء ، ومَعدِنُ الفضل الذى لقاصدِه منه مايشاء ، وإمامُ المتأخِّرين ، كلمةً لايَجحدُونها ، وشهادةً على أنفسهم يؤدُّونها ، معوَقارٍ عليه سِيما الجَلَال ، وهَيبةٍ لايقوم الضِّرغامُ عندَها لِنِزال ، هذا مع ماأُضِيف إليه من

=تيسيرُكَ الشامِلُ الحاوِى الوجيزُ لَهُ نهايةٌ لم تَنَلْها غايةٌ أبدَا

مُحرَّرٌ خُصَّ بالفَتْحِ العزيزِ فَفِى تَهْذِيبِه المَقْصِدُ الأَسْنَى لمن قَصَدَا

وقد سَمَتْ هِمّتِى أن أَصْطَفِيه لها وأن أُعَلِّمَه الأَهْلِينَ والوَلَدَا

فانْعِمْ بها نُسْخَةً صَحَّتْ مُقابَلَةً ولاحَ نُورُكَ فى أثنائها وبَدَا

لازِلْتَ بَحْرَ عُلُومٍ طاب مَوْرِدُهُ وكُلُّ ظَمْآنِ عِلْمٍ مِنه قد وَرَدَا »

وانظر القصيدة فى الوافى ، وطبقات الإسنوى ، الموضع المذكور فى صدر الترجمة .

*له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٢٧ ، البدر الطالع ٢ / ٢٢٩ ـــ ٢٣٢ ، تذكرة الحفاظ ١٤٨١ ـــ ١٤٨٣ ، حسن المحاضرة ١/٣١٧ – ٣٢٠ ، ٢/١٦٨ – ١٧١ ، الدرر الكامنة ٤/٢١٠ – ٢١٤ ، الديباج المذهب ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ذيول العبر ٢١ ، شذرات الذهب ٦ / ٥ ، ٦ ، الطالع السعيد ٣١٧ ـــ ٣٣٨ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٢٢٧ ـــ ٢٣٣ ، فوات الوفيات ٢ / ٤٨٤ ـــ ٤٩٢ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٣٦ ، مفتاح السعادة ٢ / ٣٦١ ـــ ٣٦٣ ، النجوم الزاهرة ٨/٢٠٦ ، ٢٠٧ ، الوافى بالوفيات ٤ / ١٩٣ ـــ ٢٠٩ ، ومن الدراسات الحديثة ، انظر « ابن دقيق العيد ـــ حياته وديوانه » للدكتور على صافى حسين .

هذا وقد ذكر الإدفوى ، فى ترجمة والد المذكور ، من الطالع السعيد ٢٣٧ ، قال : « وسبب تسمية جده ـــ دقيق العيد ـــ أنه كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض ، فقال بعضهم : كأنه دقيق العيد . فلقب به » .

أدبٍ أزْهَى من الأزهار ، وألعبَ بالعُقول ـــ لا أدرِى بينَ يدى هذا الشيخِ ماأقول ، أستغفرُ الله ـــ مِن العُقار .

قال أبو الفتح ابن سَيِّد الناس اليَعْمُرىّ الحافظ : لم أر مِثلَه فيمن رأيت ، ولا حملتُ عن أجَلَّ منه فيما رأيتُ ورَوَيْت ، وكان للعلوم جامِعا ، وفى فُنونها بارعا ، مقدَّمًا فى معرفة عِلَلِ الحديث على أقرانه ، منفردًا بهذا الفَنِّ النفيس فى زمانِه ، بَصيرًا بذلك ، سَدِيدَ النَّظر فى تلك المسالك ، أَذْكَى[١] أَلْمَعِيَّة ، وأزْكَى لَوْذَعِيّة[٢] ، لايُشَقُّ له غُبار ، ولا يَجرِى معه سِواه فى مِضْمار .

إذا قالَ لَم يترُكْ مَقالًا لقائلٍ   مُصِيبٍ ولم يَثْنِ اللِّسانَ عَلَى هُجْرِ[٣]

وكان حسنَ الاستنباطِ للأحكام والمعانى ؛ من السُّنَّة والكتاب ، بِلُبٍّ[٤] يَسْحَر الألباب ، وفِكْرٍ يَسْتَفْتِحُ[٥] له مايستَغْلِق على غيرِه من الأبواب ، مُستَعينًا[٦] على ذلك بما رواه مِن العلوم ، مُستَبينًا ماهنالك بما حواه من مَدارِك الفُهوم ، مُبَرَّزًا فى العلوم النَّقليّة والعقليّة ، والمَسالِك الأثريَّة والمَدارِك النَّظريّة .

وكان مِن العُلومِ بحيثُ يُقْضَى   لَهُ مِن كُلِّ عِلْمٍ بالجَمِيعِ[٧]

وسَمِع بمصرَ والشامِ والحِجاز ، على تَحرٍّ فى ذلكِ واحتِراز .

---

(١) فى المطبوعة : « ذكى » ، والمثبت من : ج ، ك . وفى الطالع السعيد ٣١٨ : « بأذكى » . ونشير هنا إلى أن ترجمة ابن دقيق العيد ، فى الطالع السعيد ، محررة ومستوفاة.

(٢) فى المطبوعة : « الوديعة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والطالع.

(٣) جاء هذا البيت منثورا فى أصول الطبقات ، وكتبناه شعرا من الطالع . والبيت مع بيت بعده ، فى العقد الفريد ٢ / ٢٧٠ ، لمعاوية بن أبى سفيان ، يمدح عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهم . والرواية فى العقد :

إذا قال لم يترُكْ مَقالًا ولم يَقِفْ   لِعِيٍّ ولم يَثْنِ اللِّسانَ علَى هُجْرِ

(٤) فى المطبوعة : « نكث » . وفى : ج ، ك : « بنكث » ، وأثبتنا مافى الطالع.

(٥) فى المطبوعة ، والطالع : « يفتح » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٦) فى المطبوعة : « مستعين ... مستبين ... مبرز » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطالع.

(٧) البيت فى الطالع ، وسبق فى الجزء الثامن ٣٨٠ ، وسينشده المصنف مرة ثالثة فى ترجمة والده . فى الجزء التالى.

ولم يَزَلْ حافِظًا للسانه ، مُقْبِلًا على شانِه ، وقف[1] نفسَه على العلوم وقَصَرها ، ولو شاء العادُّ أنْ يَحصُرَ[2] كلماتِه لَحصرَها ، ومع ذلك فلهُ[3] بالتَّجريد تَخلُّق ، وبكراماتِ الصالِحين تحقُّق ، وله مع ذلك فى الأدب باعٌ وَساع[4] ، وكَرَمُ طِباع ، لم يَخْلُ فى بعضِها من حُسْنِ انطباع ، حتى لقد كان الشِّهاب محمود الكاتب [المحمودُ][5] فى تلك المَذاهِب ، يقول : لم تَر عَينِى آدَبَ منه . انتهى .

قلت : ولم نُدْرِك أحدًا من مَشايخِنا يختلفُ فى أنَّ ابنَ دَقِيقِ العيد هو العالِمُ المبعوثُ على رأس السَّبعمائة ، المُشارُ إليه فى الحديث المُصْطفَوِىّ النَّبوىّ ، صلى الله عَلَى قائِله[6] وسلم ، وأنه أستاذُ زمانِه ؛ عِلْمًا ودِينًا .

سَمِع الحديثَ من والدِه ، وأبى الحسن بن الجُمّيْزِىّ الفقيه ، وعبدِ العظيم المُنْذِرِىّ الحافظ ، وجماعةٍ .

حدَّثنا عنه أبو عبد الله الحافظ ، ومحمد بن محمد بن الحسن بن نُباتة المُحدِّث ، وغيرُهما .

وُلِد فى البَحر المالِح ، وكان والدُه متوجِّهًا مِن قُوصَ إلى مكَّةَ للحَجِّ فى البحر ، فوُلِدَ له الشيخ تقىُّ الدِّين ، فى يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان ، سنةَ خمسٍ وعشرين وستمائة ، ولذلك رُبّما كتب بخَطِّه : الثَّبجِى[7] ، ثم أخذه والدُه على يدِه وطاف به بالكعبة ، وجعل يدعو الله أن يجعلَه عالِمًا عامِلا .

---

(١) فى المطبوعة : « ووقف » . وأسقطنا الواو ، كما فى : ج ، ك ، والطالع ٣١٩.

(٢) فى الطالع : « يعد ».

(٣) فى المطبوعة : « قلمه » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطالع.

(٤) وساع ، بفتح الواو : وهو الممتد الطويل.

(٥) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، والطالع.

(٦) فى المطبوعة : « ﷺ » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .

(٧) فى المطبوعة : « السحى » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والطالع ، وقال الإدفوى : « رأيته بخطه » . وقال الإسنوى : « والثبج ، بالثاء المثلثة والباء الموحدة ، والجيم : هو الوسط » . ويعنى أنه ولد فى وسط البحر . ثم ذكر الإدفوى والإسنوى أن الشيخ تقى الدين ولد بساحل « ينبع ».

ويحكى أنه قرأ على والدِه الحديثَ المُسَلْسَل ، يقول : وأنا دعوتُ فاستجيبَ لى ، فسُئِل : ما الذى دعوتَ به؟ فقال : أن يُنْشِئَ اللهُ ولدى محمدًا عالِمًا عامِلًا ، فنشأ الشيخُ بقُوصَ ، على أزكَى قَدَمٍ مِن العَفاف والمُواظَبة على الاشتغال ، والتحرُّزِ فى الأقوالِ والأفعال ، والتّشدُّدِ فى البُعْد عن النَّجاسة ، حتى حَكَتْ زوجةُ والدِه ، قالت : لمّا بَنَى علىَّ أبوه كان ابنَ عشرِ سنين ، فرأيته ومعه هاوُن وهو يَغْسِلُه مَرَّاتٍ زمنًا طويلا ، فقلت لأبيه : ماهذا الصَّغيرُ يفعل؟ فقال له : يامحمدُ ماتفعلُ؟ فقال : أريدُ أن أُرَكِّبَ حِبْرًا وأنا أغسِلُ هذا الهاوُنَ .

وكانت والدتُه بنتَ الشيخ المُقْتَرَح[1] ، ووالِدُه الشيخ البَرَكةُ مجدُ الدِّين ، فأَصْلاهُ كَرِيمان .

تفقّه بقُوصَ على والِده ، وكان والدُه مالكىَّ المَذهَب ، ثم تفقَّه على شيخِ الإسلام عِزِّ الدين بن عبد السلام ، فحَقّق المذهَبين ، ولذلك يقول فيه الإمامُ العَلّامة النَّظّار ، ركنُ الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن [التونُسىّ][2] المعروف بابن القَوْبَع[3] مِن قصيدة [4] :

صَبَا للعِلْمِ صَبًّا فى صِباهُ ... فأَعْلِ بِهمّةِ الصَّبِّ الصَّبِىِّ
وأَتْقَنَ والشَّبابُ له لِباسٌ ... أدِلَّـةَ مالكٍ والشافِعِـىِّ[5]

---

(١) فى الأصول : « المفرج » ، وهو خطأ ، أثبتنا صوابه من الطالع السعيد ، وطبقات الإسنوى . والشيخ المقترح : هو مظفر بن عبد الله بن على المصرى ، تقدمت ترجمته فى الجزء الثامن ٣٧٢ ، ونقلنا هناك من حواشى النسخة (ج) أنه جد ابن دقيق العيد ، لأمه.

(٢) سقط من : ج ، ك ، وأثبتناه من المطبوعة . والنسبة معروفة فى ترجمته . راجع الدرر ٤ / ٢٩٩.

(٣) ضبطنا هذا فيما تقدم من هذا الجزء صفحة ١٤٧.

(٤) انظرها فى الوافى بالوفيات ١ / ٢٣٨ — ٢٤٧ ، الدرر الكامنة ٤ / ٣٠١ ، فى ترجمة « ابن القويع » . والبيتان فى طبقات الإسنوى ٢ / ٢٢٨.

(٥) فى : ج ، ك : « له قياس » ، والمثبت من المطبوعة ، والطبقات الوسطى ، والمراجع المذكورة . قال الإسنوى : « قوله : فأعل : هو للتعجب ، أى : ماأعلاها ».

● ومِن كراماته : أنه لمّا جاءت التَّتارُ ، وَرَد مَرسُومُ السُّلطان[1] إلى القاهرة بعدَ خُروجِه منها للقائهم : على أهل مِصر ؛ أن يجتمع العلماءُ ويقرءوا « البُخارِىَّ » ، قال الحاكى : فقرأنا البُخارِىَّ إلى أن بَقِى مِيعادٌ ، وأخَّرناه لنَخْتِمَه يومَ الجُمعة ، فلما كان يومُ الجُمعة رأينا الشيخَ تقىَّ الدِّين فى الجامع ، فقال : مافعلتم ببُخارِيِّكم؟ فقلنا : بَقِى مِيعادٌ أخَّرناه لنختمَه اليومَ ، قال : انْفَصَل الحالُ مِن أمسِ العَصْرَ ، وبات المسلمون على كذا ، فقلنا : نُخْبِرُ عنك؟ فقال : نعم ، فجاء الخَبرُ بعد أيام بذلك ، وذلك فى سنة ثمانين ، عندَ دُخولِ التَّتارِ البِلاد .

وقال عن بعض الأُمراء[2] ، وقد خَرج من القاهرة : إنه لايَرْجِع ، فلم يَرْجِع .

وأساء شخصٌ[3] عليه الأدَب ، فقال له الشيخ : نُعِيتَ[4] لى فى هذا المجلس ، ثَلاثَ مَرّات ، فمات بعدَ ثلاثة أيام .

وتوجَّه فى شخصٍ آذى أخاه[5] ، فسَمِع الخِطابَ أنه يَهْلِك ، وكان كذلك ، وكراماتُه كثيرة .

وأما دَأْبُه فى اللَّيل عِلْمًا وعِبادةً ، فأمرٌ عُجاب ، رُبّما استوعبَ اللَّيلةَ فطالَع فيها المُجلَّدَ أو المجلَّدين ، ورُبّما تلا آيةً واحدة ، فكرَّرها إلى مَطْلَع الفجر ، استمع له بعضُ أصحابه[6] ليلةً وهو يقرأ ، فوصل إلى قوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[7] قال : فما زال يُكرِّرها إلى طُلوع الفجر[8] .

---

(١) الملك المنصور ، كما صرح الإسنوى ، فى الطبقات ٢ / ٢٣٠.

(٢) هو الأمير علم الدين الدوادارى ، على ماصرح الإدفوى فى الطالع ٣٢٤.

(٣) هو ابن القصرى ، كما فى الطالع.

(٤) فى المطبوعة : « تعبث » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا مافى الطبقات الوسطى ، والطالع ، وطبقات الإسنوى.

(٥) المراد : أخو تقى الدين بن دقيق العيد ، صاحب الترجمة . والشخص الوارد فى الحكاية هو : تقى الدين ابن بنت الأعز . والقصة مبسوطة فى الطالع السعيد ٣٢٥.

(٦) هو القاضى معين الدين أحمد بن نوح ، قاضى أسوان وإدفو . كما صرح به الإدفوى فى الطالع.

(٧) سورة المؤمنون ١٠١.

(٨) فى الطالع : « مطلع الشمس ».

وكان يقول : ماتكلمتُ كلمةً ، ولا فعلتُ فِعْلًا إلّا وأعددتُ له جَوابًا بينَ يدى اللهِ عزَّ وجلّ .

وكان يخاطِبُ عامّةَ الناس ، السُّلطانَ فمَن دُونَه بقوله : ياإنسانُ ، وإن كان المُخاطَب فقيهًا كبيرا قال : يافقيهُ ، وتلك كلمةٌ لايَسْمح بها إلا لابن الرِّفعة ونحوِهِ ، وكان يقول للشيخ علاء الدِّين الباجِىّ : ياإمامُ ، ويَخصُّه بها .

توفِّى فى حادِى عَشَر صَفر ، سنة اثنتين وسبعمائة .

ومن مصنَّفاته : كتاب « الإمام » فى الحديث ، وهو جليلٌ حافِلٌ ، لم يُصنَّف مِثلُه .

وكتابُ « الإلمام » ، وشَرْحُه ، ولم يُكْمِل شَرْحَه .

وأمْلَى « شرحًا » على « عُمْدَة » عبد الغَنّى المَقْدِسِىّ فى الحديث ، وعلَى « العُنْوان » ، فى أُصولِ الفقه .

وله « تصنيفٌ فى أُصولِ الدِّين » .

وشَرَح مُخْتَصَر ابنِ الحاجب ، فى فقه المالكيّة ، ولم يُكْمِلْه .

وعلَّق « شرحًا » على « مختصر التِّبْرِيزِىّ » ، فى فقه الشافعية .

ووَلِى قضاءَ القُضاةعلى مذهب الشافعىّ ، بعدَ إباءٍ شديد ، وعَزَل نفسَه غيرَ مرَّة ، ثم يُعاد .

وكان حافِظًا مكثِرًا ، إلّا أن الرِّوايةَ عَسُرَتْ[1] عليه ، لِقِلَّةِ تحديثِه ، فإنه كان شديدَ التَّحرِّى فى ذلك .

أخبرنا أبو عبد الله الحافِظ ، بقراءتى عليه ، حدَّثنى[2] محمد بن علىّ الحافظ ، أنه قرأ على أبى الحسن على بن هِبةِ الله الشافِعىّ ، أن أبا طاهِر السِّلَفِىّ أخبرهم ، أخبرنا[3] القاسم ابن الفَضل ، حدَّثنا علىُّ بن محمد ، أخبرنا إسماعيلُ الصَّفَّار ، حدّثنا محمد بن عبد الملك ،

---

(١)فى الطبقات الوسطى : « عزّت عنه » بتشديد الزاى.

(٢) فى المطبوعة : « حدثنا » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « أخبرهم أن أبا القاسم » . والتصحيح من : ج ، ك ـ وهذا : القاسم بن الفضل الثقفى . راجع الجزء السادس ٣٣.

حدَّثنا يزيدُ بن هارون ، أخبرنا عاصِمٌ ، قال : سألت أَنسًا : أَحَرَّمَ رسولُ الله ﷺ المدينة ؟ فقال : نعم ، هى حَرامٌ ، حَرَّمها الله ورسولُه ، لا يُخْتَلَى خَلاها[1] ، فمَن لم يعملْ بذلك فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين .

● سمعتُ الشيخَ عليًّا الهَجَّار[2] ، المكشوفَ الرأسِ ، وهو رجلٌ صالح ، يقول : مَرَّ أبو العباس المُرْسِىُّ رضى الله عنه فى القاهرة بأُناسٍ يزدحمون على دُكّان الخَبَّاز ، فى سنة الغلاء فَرَقَّ[3] عليهم ، فوقَع فى نفسِه : لو كان معى دَراهِمُ لآثرتُ هؤلاء بها ، فأَحَسَّ بِثِقَلٍ فى جُبَّته[4] ، فأدخل يدَه فوجَد دَراهِمَ جُملةً ، فدفَعها إلى الخَبَّاز ، وأخذ بها خُبزًا فَرَّقَه عليهم ، فلمّا انصرف وجَد الخبازُ الدراهمَ زُيُوفًا ، فاستغاث به فعادَ ، ووقَع فى نفسه أن ماوَقع فى نَفْسى[5] أوّلًا من الرِّقّة اعتراضٌ على الله ، وأنا أستغفرُ الله منه ، فلمّا عاد وجَد الخبازُ الدَّراهمَ جَيِّدةً ، فانصرف أبو العباس ، وجاء إلى الشيخ تقىّ الدّينِ ابن دَقِيق العِيد ، وحَكى له الحِكاية ، فقال ابن دَقِيق العِيد له : ياأستاذ أنتم إذا رَقِّيتُم[6] على أحدٍ تزنْدَقْتُم ، ونحن إذا لم نَرِقّ على الناس تَزَنْدَقْنا .

قلت : تأمَّلْ أيها المُستَرْشِدُ ماتحتَ هذا الجوابِ من المعنى الحقيقىّ ، فقد أشار الشيخُ به — والله أعلم — إلى أن الفقيرَ يَطَّلع على الأسرار ، فكيف يَرِقُّ ، ولايقع شىء فى الوُجود إلّا لحكمةٍ اقتضَتْه ، ومَن اطّلع على الذّنب لم يَرِقَّ للعُقوبة ، وقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللهِ﴾[7] والفقيهُ لااطِّلاعَ له على ذلك فيَرِقُّ دِيانةً ورأفةً ، ولهذا الكلامِ شَرْحٌ طويلٌ ليس هذا موضِعَه ، فلْنُمسِك العِنان .

---

(١) الخلا ، بالقصر : النبات الرطب الرقيق مادام رطبا . واختلاؤه : قطعه . وأخلت الأرض : كثر خلاها . فإذا يبس فهو حشيش . النهاية ٢ / ٧٥.

(٢) فى المطبوعة : « الحجار » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « فوقف » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وسيأتى نظيره.

(٤) فى المطبوعة : « جيبه » ، وأثبتنا ماف : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « نفسه » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٦) نطق عامى . والصواب : « رققتم » بفك المضعف.

(٧) الآية الثانية من سورة النور.

أنشدَنا أبو عبد الله الحافظ ، بقراءتى عليه ، أنشدنا شيخُ الإسلام تقىُّ الدِّين ، لنفسه إجازَةً :

تمنيَّتُ أنّ الشَّيْبَ عاجَلَ لِمتَّى وقَرَّبَ مِنِّى فى صِباىَ مَزارَهُ[١]
لآخُذَ مِن عَصْرِ الشَّبابِ نَشاطَهُ وآخُذَ مِن عَصْرِ المَشِيبِ وَقارَهُ

وبالسَّنَد المذكور :

كم لَيْلةٍ فيكَ وَصَلْنا السُّرى لانَعْرِفُ الغَمْضَ ولا نَسْتَرِيحْ[٢]
واختلفَ الأَصحابُ ماذا الَّذِى يُزِيلُ مِن شَكْواهُمُ أو يُرِيحْ
فقِيلَ تَعْرِيسُهُمْ ساعَةً وقِيلَ بل ذِكْراكَ وَهْوَ الصحِيحْ[٣]

وبه[٤] :

قالوا فُلانٌ عالِمٌ فاضِلٌ فأكرِمُوه مِثْلَ مايَرْتَضِى[٥]
فقلتُ لَمَّا لم يكُنْ ذا تُقى تَعارَضَ المانِعُ والمُقْتَضِى

وبه[٤] :

أتعَبْتَ نَفْسَكَ بينَ ذِلَّةِ كادِحٍ طَلَبَ الحياةَ وبينَ حِرْصِ مُؤمِّلِ[٦]
وأضَعْتَ نَفْسَكَ لاخَلاعَةَ ماجِنٍ حَصَّلْتَ فِيهِ ولا وَقارَ مُبَجَّلِ[٧]
وتَرَكْتَ حَظَّ النَّفْسِ فى الدُّنيا وفِى الْأُخْرَى ورُحْتَ عَنِ الجمِيعِ بِمعْزِلِ

---

(١) ديوانه ١٥٦.
(٢) ديوانه ١٦٠.
(٣) فى الديوان : « وقلت بل ذكراك » . وأشار محققه إلى رواية الطبقات.
(٤) فى المطبوعة : « وله » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ويريد : بالسند المذكور.
(٥) ديوانه ١٧٨.
(٦) ديوانه ١٥٧ ، ١٥٨.
(٧) فى الديوان : « وأضعت عمرك » واستصوبه ناشر الديوان ، لوجود « النفس » فى البيت التالى ، ولعدم تصور الظرفية فى النفس ، فى هذا المقام.

ومِن شِعرِ الشَّيخ ، ممَّا لارِوايةَ لى به بالسَّماع :

أهْلُ المَناصِب فى الدُّنيا ورِفْعَتِها أهلُ الفَضائِلِ مَرذُولُـونَ بَيْنَهُـمُ[1]
قد أنزلُونا لأنَّـا غَيْـرُ جِنْسِهِـمُ مَنازِلَ الوَحْشِ فى الإهمالِ عِندَهُمُ
فما لَهُمْ فى تَوَقِّى ضُرِّنا نَظَرٌ ولا لَهُمْ فى تَرَقِّى قَدْرِنا هِمَمُ[2]
فليتَنـا لـو قَدَرْنـا أن نُعَرِّفَهُـمْ مِقْدارَهُمْ عِندنَا أو لَوْ دَرُوهُ هُمُ
لَهُمْ مُرِيحانِ مِن جَهْلٍ وفَرْطِ غِنى وعِندَنا المُتْعِبانِ العِلْـمُ والعَـدَمُ

وقد ناقَضه الفَتْحُ البَقَقِى[3] المنسوبُ إلى الزَّنْدَقة [فقال][4] وأجاد :

أيـن المَـراتِبُ والدُّنيا ورِفْعَتُهـا عندَ الذى حازَ عِلْمًا ليس عِندَهُـمُ[5]
لاشَكَّ أنَّ لنا قَدْرًا رَأَوْهُ ومَا لِقَدْرِهِمْ عِندَنا قَـدْرٌ ولا لَهُـمُ[6]
هُم الوُحوشُ ونحن الإنسُ حِكْمَتُنا تَقُودُهُمْ حيث ماشِئنا وهُمْ نَعَمُ
وليس شىء سِوَى الإهمالِ يَقْطَعُنا عَنْهُـم لأنهُـمُ وِجْدانُهُـمْ عَـدَمُ
لَنا المُرِيحانِ مِن عِلْمٍ ومِن عَدَمٍ وفِيهِمُ المُتْعِبانِ الجَهْلُ والـحَشَمُ

---

(١) ديوانه ١٨٣ . وهذه القطعة ذكرها المصنف فى كتابه « معيد النعم ومبيد النقم » ١٥٤ ، ١٥٥ ، وذكرها أيضا الدلجى ، فى كتابه « الفلاكة والمفلوكين » ١٣٥ ، ولم ينسبها لقائل.

(٢) فى المطبوعة : « ضيرنا ... ومالهم » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، ومعيد النعم . وأشار ناشر الديوان إلى هذه الفروق.

(٣) فى المطبوعة ، ك ، والطبقات الوسطى : « الثقفى » . والتصحيح من : ج ، والمشتبه ٨٨ ، واسمه : أحمد ابن محمد ، فتح الدين البققى المصرى . راجع ترجمته مستوفاه ، فى الدرر الكامنة ١ / ٣٢٩ — ٣٣٣ ، وذكر ابن حجر أن نسبته إلى قرية « بققة » من حماة.

(٤) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٥) الأبيات فى : معيد النعم ١٥٥ ، والدرر ١ / ٣٣١ ، وفيهما : « فى الدنيا ».

(٦) الرواية فى الدرر.

وما * لمثلهم عندنا قدر ولاهم *

وقال بقيّة المجتهدين أبو الفتح القُشَيرىّ :

ذَرُوا فى السُّرَى نحوَ الجَنابِ المُمَنَّعِ لَذِيذَ الكَرَى واجفُوا له كُلَّ مَضْجَعِ [1]
واهدُوا إذا جئتُمْ إلى خَيْرِ مَرْبَعِ تَحيّةَ مُضْنًى هائِمِ القَلْبِ مُوجَعِ
سَرِيعٍ إلى داعِى الصَّبابةِ طَيِّعِ [2]

يَقومُ بأحكامِ الهَوَى ويُقِيمُها فكَم لَيلَةٍ قد نازَلَتْهُ هُمُومُها
يُسامِرُها حتَّى تَولَّتْ نُجومُها له فِكرَةٌ فيمَن يُحِبُّ نَدِيمُها [3]
وطَرْفٌ إلى اللُّقْيا كثيرُ التَّطَلُّعِ

وكَم ذاقَ فى أحوالِهِ طَعْمَ مِحْنَةٍ وكَم عارَضَتْهُ فى مَواقِفِ فِتْنَةٍ [4]
وكَم آيةٍ تأتِى له بَعْدَ آيةٍ تَنِمُّ على سِرٍّ لَهُ فى أكِنَّةٍ [5]
وتُخْبِرُ عن قَلْبٍ له مُتَقَطِّعِ [6]

وفى صَبْرِهِ شَوْقٌ أقام مُلازِمًا وحُبٌّ يُحاشِى أن يُطيعَ اللَّوائِمَا [7]

---

(١) فى المطبوعة : « نحو الجهاد » . والصحيح من : ج ، ك ، والديوان ١٤٧.
وفى المطبوعة أيضا : « يهوى له كل ... » . وفى : ج ، ك : « زهوا له كل » ، وأثبتنا مافى الديوان .
(٢) فى المطبوعة : « تبع » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.
(٣) فى المطبوعة : « يجيب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والرواية فيه : « فسامرها ».
(٤) فى الديوان :

* وكَم عاذَ مِنْهُ من مَواقِفِ فِتْنةٍ *

ومافى الطبقات مثله فى فوات الوفيات ٢ / ٤٨٩ ، وفيه : « من مواقف ».
(٥) الرواية فى الديوان ، والفوات :

* وكَم أنَّةٍ يأتِى بها بعدَ أنَّةٍ *

وهذه الرواية أدخل فى لغة الشعر ، وكلام الشعراء ، وتؤول رواية الطبقات إلى أن المراد : علائم الشوق وأماراته .
وجاء فى مطبوعة الطبقات : « تتم على أسؤلة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان.
(٦) فى المطبوعة : « ونحن على قلب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.
(٧) فى المطبوعة : « وفى صدره ... وحيث يحاشا » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ورواية الديوان :

* نَعَى صَبْرَه شوقٌ أقام ملازِما *

وفى الفوات : « ففى صبره ».

وجَفْنٌ يَرَى أن لا يُرَى الدَّهْرَ نائمَا وعَقْلٌ ثَوَى فى سَكْرةِ الحُبِّ دائمَا[1]

وأقْسَمَ أن لايَسْتَفِيقَ ولا يَعِى

أقامَ علَى بُعْدِ المَزارِ مُتَيَّمَا وأبكاهُ بَرْقٌ بالحجاز تَبَسَّمَا[2]

وشَوَّقَه أُحبابَه نَظَرُ الحِمَى دَعُوه لأمْرٍ دُونَهُ تَقْطُرُ الدِّمَا[3]

فياوَيْحَ نَفْسِ الصَّبِّ ماذا لَهُ دُعِى[4]

له عِندَ ذِكْرِ المُنْحَنَى سَفْحُ عَبْرَةٍ وبَيْنَ الرَّجا والخَوْفِ مَوقِفُ عِبْرَةٍ[5]

فحِينًا يُوافِيه النَّعِيمُ بنَظْرَةٍ وحِينًا تُرَى فى قَلْبِه نارُ حَسْرَةٍ

تَجىءُ له بالمَوْتِ مِن كُلِّ مَوْضِعِ[6]

سَلامٌ على صَفْوِ الحياةِ وطِيبِها إذا لم تَفُزْ عَيْنِى بلُقْيا حَبِيبِها[7]

---

(١) فى المطبوعة : « وجفن نرى » بالنون . وأهمل النقط فى : ج ، وأثبتناه بالياء التحتية من : ك ، والفوات . وجاء فى الديوان : « ترى » بالتاء الفوقية . ولمحققه عليه كلام ، انظره فى حواشيه.

(٢) فى الأصول :

* وإنكاره برق الحجاز تنسما *

وأثبتنا الرواية الصحيحة ، من الديوان ، والفوات.

(٣) فى الأصول :

* ومشوقه أحبابه بطر الحما *

وتصحيح الرواية من : الديوان ، والفوات.

(٤) فى المطبوعة : « مازانه دعى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والفوات . ورواية الديوان : « ماله دعى ».

(٥) فى المطبوعة : « موقف غيرة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان.

(٦) فى المطبوعة : « تخبى له الموت فى » ، والمثبت من : ج ، ك . ورواية الديوان : « يجىء إليه الموت ».

(٧) فى المطبوعة :

* إذا لم تر عين المحب حبيبها *

والرواية كذلك فى : ج ، ك ، لكن فيهما : « تفر » مكان « تر » ، وأثبتنا رواية الديوان ، والفوات.

ولم تحْظَ مِن إقبالِهِ بنَصيبِها ولا استَعْطَفَتْهُ مُقْلَتِى بِصَبِيبِها[(١)]
ولا وَقعتْ شَكْوایَ منه بمَوْقِعِ
مُوَكِّلُ طَرْفِى بالسُّهادِ المُـؤَرِّقِ ومُجرِىَ دَمْعِى كالْحَيا المُتَدفِّقِ[(٢)]
ومُلْهِبُ وَجْدٍ فى فُؤادِىَ مُحْرِقِ بعَيْنَيكَ مايَلْقَى الفُؤادُ ومالَقِى[(٣)]
وعندَكَ ماتحْوِى وتُخْفِيه أضْلُعِى
أضَرَّ بِىَ البَلْوَى وذُو الحُبِّ مُبْتَلَى يُعالِجُ داءً بينَ جَنْبَيْهِ مُـعْضِلَا[(٤)]
ويُثْقِلُـهُ مِـن وَجْـدِهِ مـاتحمّلَا وتَبعَثُه الشَّكْوَى فَيشتاقُ مَنْـزِلَا[(٥)]
به يَتَلَقَّى راحَةَ المُتَودِّعِ
مَحَلُّ الذى دَلَّ الأَنامَ بشَرْعِـهِ علَى أصْلِ دِينِ اللهِ حَقًّا وفَرْعِهِ[(٦)]
به انضَمَّ شَمْلُ الدِّينِ مِن بَعْدِ صَدْعِهِ لنا مَذْهَبُ العُشَّاقِ فى قَصْدِ رَبْعِهِ
نُقيمُ به رَسْمَ البُكا والتَّضَرُّعِ
مَحَلٌّ به الأَنْوارُ مِلْءَ رِحابِهِ ومُسْتَودَعُ الأَسرارِ عِندَ صِحابِهِ[(٧)]

---

(١) فى أصول الطبقات :

* وإلا أعطفته مقلتى بصيبها *

وأثبتنا الصواب من الديوان ، والفوات ، وفيه : « عبرتى » مكان « مقلتى ».

(٢) فى المطبوعة : « ويجرى أدمعى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان.

(٣) فى المطبوعة : « وملتهب » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان . وفى ج ، ك : « وجدى » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والديوان.

(٤) فى الديوان : « أضرت بى ».

(٥) فى المطبوعة : « وتنعشه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان ، والوفيات . وفى أصول الطبقات : « ويشتاق » بالواو ، وأثبتناه بالفاء — وهى أبلغ — من الديوان ، والوفيات.

(٦) فى الديوان ، والفوات : « مقر الذى ».

(٧) فى الديوان ، والفوات : « تحل به الأنوار ».

هِدايَةُ مَن يَخْتارُ تأمِيلُ بابِهِ وتَشْرِيفُ مَن يَخْتارُ قَصْدُ جَنابِهِ[1]
بتَقْبِيلِهِ وَجْهَ الثَّرى المُتَضَوِّعِ[2]
أقامَ لَنا شَرْعَ الهُدَى ومَنارَهُ وألْبسَنا ثَوْبَ التُّقى وشِعارَهُ
وجَنَّبنا جَوْرَ العَمَى وعِثارَهُ سَقَى اللهُ عَهْدَ الهاشِمِيِّ ودارَهُ
سَحابًا مِن الرِّضوانِ ليسَ بمُقْلِعِ
بَنى العِزَّ والتَّوحِيدَ مِن بَعْدِ هَدِّهِ وأوجَبَ ذُلَّ المُشْرِكِينَ بجِدِّهِ[3]
عَزِيزٌ قَضَى رَبُّ السّماءِ بسَعْدِهِ وأيَّدَهُ عِندَ اللِّقاءِ بجُنْدِهِ[4]
فأوْرَدَ نَصْرَ اللهِ أعْذَبَ مَشْرَعِ[5]
أقولُ لرَكْبٍ سائرِينَ لِيَثْرِبِ ظَفِرتُمْ بتَقْرِيبِ النَّبِيِّ المُقَرَّبِ
فبُثُّوا إليهِ كُلَّ شَكْوَى ومَتْعَبِ وقُصُّوا عليه كُلَّ سُؤْلٍ ومَطْلَبِ
وأنْتُمْ بمَرْأًى للرَّسُولِ ومَسْمَعِ[6]
سَتُحْمَوْن فى مَغْناهُ خَيْرَ حِمايَةِ وتُكْفَوْنَ ماتَخْشَوْن أيَّ كِفايَةِ[7]
وتَبْدُو لَكُمْ مِن عِندِهِ كُلُّ آيةِ فَحُلُّوا مِن التَّعْظِيمِ أبْعَدَ غايَةِ[8]
فحَقُّ رَسُولِ اللهِ أكْبَرُ مارُعِى[9]

---

(١) فى المطبوعة : « هداية من تختارنا ملء بابه » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان . وجاء فى ج ، ك ، والفوات : « يختار » وأثبتناه : « يحتار » من الديوان ، لأن الحيرة تناسب الهداية ، كما قال محقق الديوان . وأيضا : يستثقل مجىء « يختار » مرتين فى البيت.

(٢) فى المطبوعة : « بتقبيله رحب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والفوات.

(٣) فى الديوان ، والفوات : « للتوحيد ».

(٤) فى المطبوعة : « رب العباد » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان ، والفوات.

(٥) فى الديوان ، والفوات :

* فأورده للنصر أعذب مشرع *

(٦) فى الديوان ، والفوات : « فأنتم ».

(٧) فى المطبوعة : « أى عماية » . وفى : ج ، ك : « عقابة » ، وأثبتنا رواية الديوان . ولم يرد هذا المقطع فى الفوات.

(٨) فى الديوان : « وتبدو لكم من مجده ».

(٩) فى : ج ، ك : « أكثر مارعى » ، وأثبتنا مافى المطبوعة . ورواية الديوان : « آكد مارعى ».

أَمَا والَّذِى آتاهُ مَجْدًا مُـؤَثَّلا لقد قامَ كَهْفًا للعُفاةِ ومَعْقِـلا[1]
يُبَوِّئُهم سِتْرًا مِن الحِلْمِ مُسْبِلا ويُمْطِرُهُمْ عَيْنًا مِن الجُودِ سَلْسَلا[2]
ويُتْرِعُ فى إكرامِهِمْ كُلَّ مُتْرَعِ[3]

تَعِبْنا بعَيْشٍ ماهَنَـا فى وُرُودِهِ وضُرٍّ ثقيلِ الوَطْءِ فيه شَدِيدِهِ[4]
فَرُحْنا إلى رَبِّ النَّدَى وعَمِيدِهِ ولمَّا قَصَدْناهُ وَقَفْنا بِجُـودِهِ[5]
ولم نَخْشَ رَيْبَ الحادِثِ المُتَوَقَّعِ

لقد شَرَّف الدُّنيا قُدُومُ مُحمّدِ وأَبْقَى لها أنـوارَ حَـقٍّ مُؤَيَّـدِ[6]
تَزِينُ به وُرَّاثُـهُ كـلَّ مَشْهَـدِ فَهُمْ بَيْنَ هادٍ للأنامِ ومُهْتَـدِ[7]
ومُثْبِتِ أصْلٍ للهُدَى ومُفَرِّعِ[8]

سَلامٌ علَى مَن شَرَّفَ اللهُ قَدْرَهُ سَلامَ مُحِبٍّ عَمَّر الحُبُّ سِرَّهُ[9]

---

(١) فى : ج ، ك : « مجدا وموئلا » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان ، والفوات . والرواية فى هذين : « لقد كان كهفا ».

(٢) فى الديوان ، والفوات : « غيثا من الجود » . وفيهما وفى : ج ، ك : « من الجود مسبلا » ، وأثبتنا مافى المطبوعة وهو الأولى ، لتقدم « مسبلا » فى صدر البيت.

(٣) فى المطبوعة : « ويسرع .. كل مسرع » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . يقال : أترع الحوض : ملأه . وهذا يناسب ماتقدم من ذكر العين ، والسلسل . والرواية فى الديوان والفوات :

* وينزع فى إكرامه كل منزع *

(٤) فى المطبوعة : « بقينا بعيش » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا مافى الديوان ، ولم يرد هذا المقطع فى الفوات .

وجاء فى المطبوعة : « وصبر ... صديده » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان.

(٥) فى المطبوعة : « رب البرا ... وقفنا نجوده » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان.

(٦) فى الديوان ، والفوات : « وألقى بها أنوار ».

(٧) فى المطبوعة : « ندين به وادانه ... فهو بين » . وكذلك فى : ج ، ك ، لكن فيهما : « وزانه » مكان « وادانه » ، وأثبتنا الصواب من الديوان والفوات.

(٨) فى الديوان : « ومنبت » . وما فى الطبقات مثله فى الفوات.

(٩) فى الديوان والفوات : « عمر الدهر ».

لَه مَطْلَبٌ أفْنَى تَمَنِّيهِ عُمْرَهُ وحاجاتُ نَفْسٍ لاتُجاوِزُ صَدْرَهُ[1]
أعَدَّ لها جاهَ الشَّفِيعِ المُشَفَّعِ[2]

وقال :

لله دَرُّ الفِئَةِ الأَمْجادِ السَّالِكِينَ مَسالِكَ الأَفْرادِ[3]
عَرَفُوا وهُمْ بالغَوْرِ من وادى الغَضا أنْ رَحَلُوا لمَبارِكِ العُبَّادِ[4]
فَسَرَوْا لنَجْدٍ لايَمَلُّون السُّرى أو يَظْفَروا مِنها بكُلِّ مُرادِ
لايَقطَعُون مِن المَناهِلِ مَعْلَمًا إلّا ولاحَ سِواه بالمِرصادِ
لم يَثْنِهم طُولُ الطريقِ لَهُم ولا عَدَمُ الرَّفِيقِ ولا نَفادُ الزّادِ
سَقَّتْهُمُ مَسَّ النُّعاسِ جُفونُهُمْ كأسًا تُمِيلُهُمْ علَى الأعْوادِ[5]
وتكادُ أنفسُهُم تَفِيظُ وتَحْتَبِى بِنَسِيمِ نَجْدٍ أو غِناءِ الحادِى[5]
نادَتْهُمُ النُّجُبُ الرَّكائِبُ عِندَما أطَّتْ بوَقْعِ السَّوطِ والإِجْهادِ[7]
طِيبُ الحَياةِ بنَجْدٍ إلّا أنَّهُ مِن دُونِ ذاكَ تَفتُّتُ الأكْبادِ
فأجابهَا صِدْقُ العَزِيمَةِ إنَّما نحْنُ المَعالِى أنْفُسُ الأجْوادِ
لِلّهِ دَرُّهُمُ فقَدْ وَصَلُوا إلى ظِلِّ النَّعيمِ وبَرْدِ حَرِّ الصادِى

(١) فى المطبوعة : « يمنيه ... لاتجاوز صده » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والفوات.
(٢) فى : ج ، ك : « أعد عطفا جاه ... » ، وأثبتنا الصواب من المطبوعة ، والديوان ، والفوات.
(٣) ديوانه ١٧١ ، نقلا عن طبقات السبكى ، وحدها.
(٤) فى المطبوعة : « إذ رحلوا » ، والمثبت من : ج ، ك.
(٥) فى المطبوعة : « من النعاس » . والتصحيح من : ج ، ك . وننبه هنا إلى أن ناشر ديوان ابن دقيق العيد قد اعتمد فى إثبات هذه القصيدة على مطبوعة الطبقات وحدها ، فلم نر فائدة من ذكر رواية الديوان.
(٦) تفيظ : تموت . وقوله : « تحتبى » : هو هكذا فى المطبوعة . ولم يتضح الرسم فى : ج ، ك . فإن صح « تحتبى » فيفهم فى البيت على التعبير المجازى ، فإن الاحتباء هو : شد الساقين إلى الظهر بثوب أو بغيره.
(٧) أطت الإبل تئط أطيطا : أنت تعبا أو حنينا.

وَلَقَدْ يَعِزُّ عَلَىَّ أَنَّهُمُ غَدَوْا ... والدَّارُ قَفْرًا مِنْهُمُ بِبِعادِ
فَلَأَنْهَضَنَّ إلى الحِمَى مُتوجِّهًا ... بَيْنَ اعتِراضِ عَواتِقٍ وغَوادِى
ولَأَقْطَعَنَّ عَلَيهِ كُلَّ مَفازَةٍ ... تُدْنِى الهَلاكَ ولو عَدِمْتُ الهادِى

وقال :

يقولون لِى هَلَّا نَهضْتَ إلى العُلَا ... فما لَذَّ عَيشُ الصابرِ المُتَقنِّعِ[1]
وهَلَّا شَدَدْتَ العِيسَ حَتَّى تُحِلَّها ... بِمِصْرَ إلى ذاك الجَنابِ المُرَفَّعِ[2]
فَفيها مِن الأعيانِ مَنْ فَيْضُ كَفِّهِ ... إذا شاء رَوَّى سَيْلُه كُلَّ بَلْقَعِ
وفيها قُضاةٌ ليس يَخْفَى عَلَيْهِمُ ... تَعَيُّنُ كَوْنِ العِلْمِ غَيْرَ مُضَيَّعِ[3]
وفيها شُيوخُ الدِّينِ والفَضْلِ والأُلَى ... يُشِيرُ إليهم بالعُلَى كُلُّ أُصْبُعِ
وفيها وفيها والمَهانَةُ ذِلَّةٌ ... فقُمْ واسْعَ واقصِدْ بابَ رِزْقِكَ واقْرَعِ[4]
فقلتُ نعم أسْعَى إذا شئتُ أن أُرَى ... ذليلًا مُهانًا مُسْتَخَفًّا بمَوْضِعِى[5]
وأسْعَى إذا مالَذَّ لِى طُولُ مَوْقِفِى ... على بابِ مَحْجُوبِ اللِّقاءِ مُمَنَّعِ
وأسْعَى إذا كان النِّفاقُ طَرِيقتِى ... أروحُ وأغدُو فى ثِيابِ التَّصَنُّعِ
وأسْعَى إذا لم يَبْقَ فِىَّ بَقِيّةٌ ... أُراعِى بها حَقَّ التُّقَى والتَّوَرُّعِ
فكَمْ بينَ أربابِ الصُّدُورِ مَجالِسٍ ... يُشَبُّ لها نارُ الغَضا بينَ أضْلُعِى[6]
وكَم بينَ أربابِ العُلومِ وأهلِها ... إذا بَحثُوا فى المُشْكِلاتِ بمَجْمَعِ

---

(١) ديوانه ١٧٨ ، نقلا عن الطبقات ، ومعيد النعم للسبكى ٧٠ . وسبقت القصيدة فى ٤٦١/٣ .

(٢) فى معيد النعم : « إلى ظل الجناب ».

(٣) فى المطبوعة : « تيقن كون » ، والمثبت من : ج ، ك ، ومعيد النعم.

(٤) فى المطبوعة ، ك : « والمهابة » . والتصحيح من : ج ، ومعيد النعم.

(٥) فى المطبوعة : « مستحقا لموضع » وقد أهمل نقط مابعد الحاء فى : ج ، ك ، وأثبتنا مافى معيد النعم.

(٦) فى أصول الطبقات : « وكم » ، وأثبتناه بالفاء من معيد النعم ، وهو أدق وأبلغ . وفى المعيد : « مجالسا ».

مُناظَرَةٍ تَحْمِي النُّفُوسَ فتَنْتَهِــي   وقـد شَرَعُــوا فيها إلى شَرٍّ مَشْرَعِ[1]
مِن السَّفَهِ المُزْرِى بمَنْصِبِ أهلِهِ   أو الصَّمْتِ عَن حَقٍّ هناكَ مُضَيَّعِ[2]
فإمَّا تَوقِّى مَسْلكِ الدِّينِ والنُّهى   وإمَّا تَلَقِّـى غُصَّةِ المُتجَـرِّعِ[3]

وقال :

نَزِّهُونــا عــن استماعِ المَــلامِ   مالَنــا قَرْعَــةٌ لغَيــرِ الغَــرامِ[4]
ليس فى الوقتِ وُصْلَةٌ لحديثٍ   عن سِوَى رامَةٍ وأهلِ الخِيامِ
ياخَلِيلِــى دُعاءَ صَبٍّ قَرِيــحٍ   لــيس إسعــادُ مِثْلِــه بحَرَامِ[5]
لستُ أَقْوَى على النُّهوضِ بنَفْسِى   لِأرى بَرْقَ أرْضِهِم مِن قِيـامِ

وقال :

دَمْعُ عَيْنِى علَى الغَرامِ دَلِيلِـى   وسَبِيـلُ السُّلُـوِّ غَيـرُ سَبِيلِـى[6]
لاتَخافا عَلَىَّ مِن كُثْرِ عَذْلِـى   لـيس لِـىَ التفاتَــةٌ لِعَذُولِــى[7]
كلَّ ما لاحَ بارِقٌ ذُبْتُ شوقًـــا   نَحْوَ نَجْدٍ وهاجَ مِنِّى عَلِيلِى
وتَـرَدَّدتُ بيــنَ وَجْـدٍ جَدِيـدٍ   فَوْقَ وَجْدِى وبَين خَدٍّ عَسِيلِ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « مناظره يحمى النفوس فينتهى » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، ومعيد النعم . وقوله : « مناظرة » يقرأ بالجر ، على أنه تمييز « كم » الخبرية ، فى البيت السابق . وقوله : « تحمى » جاء بحواشى معيد النعم : أى تجعلها حامية متقدة من الغضب.

(٢) فى معيد النعم : « إلى السفه ».

(٣) فى معيد النعم : « الدين والتقى ».

(٤) ديوانه ١٨٢ ، نقلا عن طبقات السبكى وحدها.

(٥) فى الأصول : « ياخليلى دعا صب قريح » . ونرى الصواب ماأثبتنا ليستقيم الكلام وزنًا ومعنى . وقد كتبها ناشر الديوان : « دعا صبا قريحا » فغير مافى الطبقات ــ وهى مصدره الوحيد ــ ليعرب « صبا » مفعولا لدعا . ويلزم عليه أن يكون « خليلىّ » بتشديد الياء ، وهو مخل بوزن البيت وجاء فى المطبوعة : « إسعاف مثله » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٦) ديوانه ١٨٢ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٧) فى المطبوعة : « لاتخافى » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٨) فى ج : « وتردد بين » . والتصحيح من : ك ، والمطبوعة . وفى الديوان : « خد أسيل » . ولسنا ندرى من أين جاء ناشره بهذا ، فإنه ذكر أن مصدره الوحيد فى هذه القطعة : طبقات السبكى ، والرواية فيها ماتراه.

وقال :

دَقَّتْ مَعانِى حُسْنِكُم فى المِلاحْ عَن نَظَرِ الواشِى وفَهْمِ اللواحْ[1]
لِلّهِ أيامٌ مَضَتْ لِى بِكُم بَيْنَ رُبا نَجْدٍ وتلكَ البِطاحْ
أيامُ وَصْلٍ نِلْتُ فيها الذِى أهْوَى وأكثرتُ مِنَ الإقتراحْ
وقد بَقِيتُ اليومَ مِن بَعْدِها كطائرٍ قَدْ قُصَّ مِنهُ الجَناحْ
ماقُوَّةُ مَن [قد] طارَ مِن وَكْرِهِ ولا على مَن سَلا فاسْتَراحْ[2]
أبِيتُ أرْعَى مِن نجُومِ الدُّجا أسيرَ ليلٍ مالَهُ مِن بَراحْ
علمتُ ياظالمُ بعدَ اللِّقا وقَسوةِ القلبِ أخاكَ الصَّباحْ[3]

وقال[4] :

يَفْنَى الزَّمانُ ومِحْنَتِى بكَ كُلَّ يومٍ فى زِيادهْ
بالَغْتُ فى طَلَبى وِصا لَكَ لَوْ تُواتِينِى السَّعادهْ
تَنْأى وتَدْنُو دائمًا لم يَنْتَظِمْ لِى فِيكَ عادَهْ
أفْنَيْتُ عُمْرِى فى الجِها دِ وأرْتَجِى نَيْلَ الشَّهادهْ

وقال[5] :

سِرْ فَكَفِّى بفَيْضِ دَمْعِى تبلى وأحادِيثُ صَبْوَتِى فيكَ تُتْلَى[6]
أكْثَرَ العاذِلُونَ فيكَ ولكنْ لم يَجِدْ عَذْلُهُمْ بقَلْبى مَحَلَّا
وقَفَتْ هِمَّتِى عليكَ وُقوفًا ليس تَبْغِى سِواكَ فى الناسِ خِلَّا

---

(١) ديوانه ١٧٠ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٢) فى المطبوعة ، والديوان نقلا عنها : « ماقوت » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، وأثبتنا « قد » من الديوان ، وقد أحسن ناشره ، فبها يستقيم وزن البيت.

(٣) فى المطبوعة : « حال الصباح » ، وأثبتها ناشر الديوان : « حيال » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٤) ديوانه ١٦٩ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٥) ديوانه ١٨١ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٦) فى المطبوعة ، والديوان : « دمعى سلا ... فيك تبلى » ، والمثبت من : ج ، ك.

غِبْتَ عَنِّى فغابَ أُنْسِى ورُشْدِى وأَردتَ البِعادَ فـازْدَدْتُ ذُلَّا[1]
إنَّ صَبْرى يَلْقَى الشَّدائِدَ لكنْ حينَ لاقَى جَمالَكَ الفَرْدَ وَلَّى[2]

وقال [يستدعى من انبساط بعض إخوانه][3] :

طالَ عَهْدِى بِرُؤْيةِ الرَّوْضِ فابْعَثْ لِىَ رَوْحًا قد نَمَّقَتْهُ يَمِيـنُكْ[4]
أنت خِدْنُ العُلا فلا ذاقَ يَوْمًا مُرَّ طَعْمِ الفِراقِ منكَ خَدِينُكْ
قلتَ للمُقْسِمِ المؤكِّدِ للأيـْـ ـمانِ أنْ ليس فى البِلادِ قَرِينُكْ
قلتَ صِدْقًا وجِئتَ حقًّا ولو قلـْ ـتَ وكافى الدُّنْيا لبَرَّتْ يَمِينُكْ

وقال[5] :

يابَدِيـعَ الـحُسْنِ مـا أَحـْ ـلَـى بقَلْبـى خَطَـراتِكْ
فِـيكَ سِرٌّ سَحَـرَ الألْـ ـبـابَ فى استِـحسانِ ذاتِكْ
مافَهِمْنـا عَـنكَ إلَّا أنَّـه فى لَحظَـاتِكْ
أنـا أرجُـوكَ وأخشَى سَطْـوةً مِـن سَطَـواتِكْ[6]
فبِمـا فِـيكَ مِـن اللُّـطْـ ـفِ ومِـن حُسْنِ صِفـاتِكْ
لاتَـدَعْ هَجْـرَكَ لِـى تلـف رُوحِـى بحَيـاتِكْ[7]

---

(١) فى المطبوعة ، والديوان : « دلا » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة ، ج : « لكن صبرى » . ولم تظهر الكلمة الأولى فى ك ، فأثبتنا مافى الديوان.

(٣) مابين الحاصرتين سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . وكلمة : « انبساط » ليست واضحة فى المخطوطتين ، وأثبتناها اجتهادا . ولعلها : « أسباط » . وهو : جمع السبط ، نبات دون الذرة ، يستخرجه الناس ويأكلونه خبزا وطبخا . راجع اللسان (س ب ط) . والأبيات فى ديوانه ١٨٠ .

(٤) فى المطبوعة : « روحا قد نمقه » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٥) ديوانه ١٧٩ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٦) فى الأصول ، والديوان : « أنا أرجو أو أخشى » . واجتهدنا فى إثبات مايستقيم به الوزن.

(٧) قوله : « تلف روحى » هو هكذا فى الأصول والديوان ، ولا نطمئن له.

وقال[1] :

بالـــذى اسْتَعْبَــــد أَرْوا ... حَ المُحِـــبِّين لِـــــذاتِكْ
وبلُطْـــفٍ مِـــن مَعانيــــ ... ــكَ يُرَى مِـن حَـرَكاتِكْ
وبِنُـورِ الـحُسْنِ إذْ يَحْـــ ... ـوِيكَ مِن كـلِّ جِهـاتِكْ
وبسِرٍّ فَـــوقَ مايُـــدْ ... رَكُ مِن [حُسْنِ] صِفاتِكْ[2]
لاتُذِقْنِـــى المَـــوْتَ فى ... صَدِّكَ عَنِّـى بحَيـــاتِكْ

وقال[3] :

جَمالُكُـــمْ لايُـــحْصَرُ ... ومِثْلُكُـــمْ لايُهْجَـــرُ
وحُبُّكُـمْ بَيـنَ الـحَشَا ... مُسْتَـــوْدَعٌ لايَظْهَـــرُ
نـارِى بكُـمْ لاتَنْطَفِـــى ... ولَوْعَتِـــى لاتَفْتُـــرُ
إذا أتَـى اللَّيــلُ أتَى الْـ ... ـهَـمُّ بِكُـمْ والفِكَـــرُ
فـإن أكُـنْ وذِكْرَكُـمْ ... طـابَ ولَـذَّ السَّهَـــرُ
ولِـى عَـذُولٌ فِيكُـمُ ... يُقْلِقُنِـــى ويُكْثِـــرُ
يقـولُ لِـى تُقِـلُّ مِـن ... ذِكْرِهُـــمُ وتُـــقْصِرُ
وتَحمِـلُ الشَّوقَ الـــذى ... حملتَـــه وتَصبِـــرُ[4]
واللهِ ماأُطِيقُـــــــهُ ... هَـــلْ أنـــا إلا بَشَرُ[5]

---

(١) ديوانه ١٨٠ ، نقلا عن الطبقات وحدها . ويرى ناشر الديوان أن هذه القطعة والسابقة من قصيدة واحدة ، لاتحادهما فى الغرض ، والقافية والوزن.

(٢) مابين الحاصرتين زاده محقق الديوان ، وبمثله يستقيم الوزن.

(٣) ديوانه ١٧٣ ، حكاية عن الطبقات وحدها.

(٤) فى المطبوعة ، والديوان : « ويحمل ... ويصبر » . بالياء التحتية ، وأثبتناه بالتاء الفوقية من : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة ، والديوان : « وهل » . وأسقطنا الواو كما فى : ج ، ك ، وهو الصواب لاستقامة الوزن.

وقال[1] :

لقد بَعُدَتْ ليلَى وعَزَّ وِصالُها ... كما عَزَّ بينَ العالَمِينَ مِثالُها
فمَن لِى بِنُوقٍ لاتزالُ تَمُدُّها ... قُواها ولا يَدْنُو إليها كَلالُها[2]
ولكنَّها جِسْمٌ يَذُوبُ وصَبْرُهُ ... يَحولُ وأرواحٌ يُخافُ زَوالُها
لَعَمْرِى لقد كَلَّفتُها فى مَسيرِها ... بُلوغَ مَدًى قد قَلَّ فيه احتِمالُها
وتشكى لى التسويف والسَّوْط والبُرَى ... ولو خفّ من شوقى أُجيب سؤالُها[3]
وتسألُنِى رِفْقًا بِها وبضَعْفِها ... ولو خَفَّ مِن سَوقِى أُجيبَ سؤالُها[4]
وللعيسِ آمالٌ بليلَى تَعلَّقَتْ ... أخافُ المَنايا قبلَ كَوْنِى أنالُها[5]
يُقَرِّبُ عِنْدِى وَصْلَها حسنُ لُطْفِهَا ... ويُبْعِدُها استغناؤُها ودَلالُها[6]
وإنّى لأرضَى اليومَ بعدَ تَشَوُّقِى ... إلى أن أراها أن يَزُورَ خَيالُها
فبادِرْ إلى نَجْدٍ ولُذْ بنَسيمِها ... وبَرْدِ جَناها ثم طِيبِ ظِلالِها[7]
وفاحَ نسيمُ الرَّوْضِ حتَّى تعطَّرتْ ... رُباكَ برَيَّاهُ ورَقَّ جَمالُها
وغَنَّتْ لَكَ الأطيارُ مِن كُلِّ جانِبٍ ... فأطْرَبَ أهلَ الحَىِّ مِنها مآلُها[8]
فلا تَبْخَلِى أن تُرْسِلِى لِىَ نَسْمةً ... تَبُلُّ عليكَ الشوقَ مِنِّى بِلالُها[9]

---

(١) ديوانه ١٨٥ ، ١٨٦ ، عن الطبقات وحدها.

(٢) فى المطبوعة : « إلى كلالها » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك.

(٣) هذا البيت لم يرد فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك.

(٤) فى المطبوعة : « شوقى » بالشين المعجمة ، وأثبتناه بالسين المهملة من : ج ، ك ، وهو أولى ليخالف ماتقدم فى البيت السابق . على أن تكرير العجز فى البيتين غريب.

(٥) فى المطبوعة : « وللعيش » بالشين المعجمة ، وأثبتناه بالسين المهملة من : ج ، ك.

(٦) فى المطبوعة : « يقرب لى وصلها » . وفى : ج ، ك : « يقرب لعندى وصلها » . ولعل ماأثبتناه هو الصواب.

(٧) فى المطبوعة : « وبرد جناه » . وفى ج : « حياة » . وفى ك : « حيات » ، وأثبتنا مافى الديوان ، وهو اجتهاد من ناشره ، لما سبق أن مرجعه الوحيد فى هذه القصيدة طبقات الشافعية وحدها.

(٨) فى : ج ، ك : « وغنت بك » ، والمثبت من المطبوعة.

(٩) قوله : « عليك » هو هكذا فى الأصول ، ولعل صوابه : « عليل ».

فياحَبَّذا بَـرْقٌ بـأرضِ مَسرَّةٍ ... ونَفحةُ رِيحٍ من هناك انتقالُها[1]
عَقَدْتُ علَى حُبِّى لذِكْرِكِ عُقْدَةً ... عَسِيرٌ علَى مَرِّ الزَّمانِ انحِلالُها

وقال[2] :

أَلَا إنَّ بِنْتَ الكَرْمِ أُغْلِى مَهْرُها ... فياخُسْرَ مَن أضحَى لذلك باذِلا
تُزَوَّجُ بالعَقْلِ المُكرَّمِ عاجِلًا ... وبالنارِ والغِسْلِينِ والمُهْلِ آجِلا

وقال[3] :

بَـعْضُ أخِلَّاىَ صارَ مَيْتًـا ... وبَعْضُهُـم فى البَلاءِ غـائِبْ[4]
وبعضُهُـمْ حـاضِرٌ ولكـنْ ... يُحْصَى ويُقْصَى ولا يُقـارَبْ[5]
وصِرتُ بينَ الوَرَى وَحِيـدًا ... فـلا قَـرِيبٌ ولا مُنـاسِبْ
فـلا تَلُمْنِـى علَـى اكتئابِـى ... سُرورُ مِثْلِى من العَجـائِبْ

وقال[6] :

قـد جَرَّحتْنـا يَـدُ أَيَّامِنـا ... وليس غيرُ اللهِ مِـن آسِى[7]
فلا تُرَجِّ النـاسَ فى حاجَـةٍ ... لـيسوا بأهـلٍ لسِوَى اليـاسِ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « فياحمد برق » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . وفيهما : « بأرض تسره » ، وأثبتنا مافى المطبوعة . ورواية الديوان :

* فياحبذا برق فى أراضى مسرة *

وهو مضطرب الوزن .

(٢) ديوانه ١٨١ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٣) ديوانه ١٦٧ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٤) فى المطبوعة والديوان : « أخلائى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، وهو أضبط للوزن.

(٥) فى ك : « يحتفى ويقصى » . والكلمة الأولى غير واضحة فى ج ، ولعلها : « يجفى » . من الجفاء ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والديوان.

(٦) ديوانه ١٧٥ ، ١٧٦.

(٧) فى الأصول : « خرجتنا » . والتصحيح من الديوان.

(٨) فى الأصول : « فلا ترجو الناس » ، وأثبتنا رواية الديوان ، وبها يستقيم الوزن.

ولاتُـرِدْ شَكْـوى إليهمْ فَلَا مَعْنَى لشَكْـواكَ إلى قـاسٍ[1]
ولا تَـقِسْ بالعَقْـلِ أفعالَهُـمْ مامَـذْهَبُ القَـومِ بمُنْقـاسِ
لايَعْـدَمُ الآتِـى لأموالِهِـمْ مِن ذِلَّةِ الكَلْبِ سِوَى الحاسِ[2]
وإنْ تُجالِسْ مِنهُمُ مَـعْشَرًا هَوِيتَ فى الذَّنْبِ علَى الرّاسِ[3]
يأكُلُ بعضٌ لَحْمَ بَعْضٍ وَلا يَحْسِبُ فى الغِيبةِ مِنْ باسِ[4]
لا رَغْبَةٌ فى الدِّين تَحْمِيهِمُ عَنهُـم ولا حِشْمَـةُ جُلَّاسِ
فاهْرُبْ مِن الخَلْقِ إلى رَبِّهِمْ لاخَيْـرَ فى الخُلْطَـةِ بالنَّـاسِ

وقال[5] :

إذا كنتُ فى نجْدٍ وطِيبِ نَسِيمِها تذكَرْتُ أهلِى باللِّوَى فمُحَجَّرِ[6]
فإن كنتُ فيهم ذُبْتُ شَوقًا ولَوْعةً على ساكِنِى نَجْدٍ وعِيلَ تَصَبُّرِى[7]
وقد طالَ مابينَ الفَرِيقَيْنِ قِصَّتِى فمَن لِى بنَجْدٍ بينَ قومِى ومَعْشَرِى

وقال[8] :

فى أرضِ نَجْدٍ مَنزِلٌ لفؤادِى عَمَّـرتُه شَوْقِى وصِدْقَ وِدادِى
ماكان أقْرَبَهُ علَى مَن رامَـهُ بمسَرَّةٍ لـولا اعتـراضُ عَـوادِ
أصبُو إليه معَ الزَّمانِ فكيفَ لا أصبُو وتلكَ مَنازِلِى وبِـلادِى

---

(١) فى الديوان : « ولا تزد ».
(٢) فى الديوان : « الخاس ».
(٣) فى الديوان : « وإن تخالط ... هويت فى الدين ».
(٤) فى المطبوعة : « يخشى فى الغيبة » . وفى : ج ، ك : « يخش » ، وأثبتنا رواية الديوان . وراجع حواشيه.
(٥) ديوانه ١٧٣.
(٦) رواه المقرى فى نفح الطيب ١ / ٦٨ ، ٥ / ٢٥٦ : « فمحسر » . والموضعان معروفان . وقد ذكرهما البكرى فى معجمه ١١٨٨ ، ١١٩٠.
(٧) فى الديوان : « وإن كنت ... إلى ساكنى ».
(٨) ديوانه ١٧٢ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

أرضٌ بها الشَّرَفُ الرَّفيعُ وغايةُ الـ ـعِزِّ المَنيعِ ومَسكَنُ الأجْوادِ
أُوطِنْتُها فخرجتُ مِنها عَنْوَةً بمكائدِ الأعداءِ والحُسَّادِ

وقال[1] :

يامُنْيَتِي أَمَلِي ببابكَ واقِفٌ والجودُ يأْبَى أن يكونَ مُضاعَا
أشكُو إليكَ صَبابةً قد أَتْرَعَتْ لِي كأسَ وَجْدٍ في الهَوَى إتْراعَا[2]
ونِزاعَ شَوْقٍ لم تَزَلْ أيدِي النَّوَى تَنْمِي به حتى استحالَ نِزاعا[3]
لم يَبْقَ لي أملٌ سِواكَ فإن تَفُتْ ودَّعتُ أيامَ الحَياةِ وَداعَا[4]
لم أستَلِذَّ بغَيْرِ وَجْهِكَ مَنْظَرًا وسِوَى حَدِيثِكَ لاأُحِبُّ سَماعا[5]

وقال[6] :

مَن عَذِيرِى مِن مَعْشَرٍ هَجَرُوا العَقْـ ـلَ وحادُوا عن طُرْقِهِ المُستقيمَهْ
لايَرَوْن الإنسانَ قد نالَ حَظًّا مِن صَلاحٍ حتَّى يكونَ بَهِيمَهْ

فصل في شيء من نثره وهو كثير

وله ديوان خُطَب مفرَد معروف ، ونحن نذكر هنا ماهو بالغٌ فى الإجادة ، ممَّا خَرج عن ديوانه ، فمِن ذلك قولُه فى خُطبة شَرْح الإلمام :

أمَّا بعدَ [حمدِ الله][7] فإن الفقهَ فى الدِّين منزلةٌ لايخفَى شرفُها وعلاؤها[8]

---

(١) ديوانه ١٥٦.

(٢) رواية الديوان :

* لى فى الهوى كأس النوى إتراعا *

(٣) فى الأصول : « وفراغ شوق » . والتصحيح من الديوان . وجاء فى المطبوعة : « تراعا » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان.

(٤) فى الديوان : « يفت ».

(٥) فى الديوان : « لاأستلذ لغير ... لاأريد سماعا ».

(٦) ديوانه ١٦٩ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

(٧) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٨) فى المطبوعة : « علاها ... أضواها » ، والمثبت من : ج ، ك.

ولا تحتجبُ عن العقولِ طَوالِعُها وأضواؤها ، وأرفَعُها بعد فهمِ كتابِ الله المنزَّل : البحثُ عن معانِى حديثِ نبيِّه المرسَل ؛ إذ بذاك تَثبُت القواعدُ ويستقرُّ الأساس ، وعنه يقومُ الإجماعُ ويَصدُر القِياس ، وماتعيَّن شرْعًا تعيَّن تقديمُه شُروعًا ، ومايكون محمولًا على الرأسِ لايحسُن أن يُجعلَ موضوعًا ، لكنَّ شرْطَ ذلك عندنا أن يُحفظَ هذا النِّظام ، ويُجعلَ الرأىُ هو المأمومَ والنَّصُّ هو الإمام ، وتُردُّ المذاهبُ إليه ، وتَرِدُ الآراءُ المنتشرةُ حتى تقفَ بين يديه ، وأمّا أن يُجعلَ الفرعُ أصلًا ، ويُرَدَّ[1] النصُّ إليه بالتكلُّفِ والتحيُّل ، ويُحمَلَ على أبعدِ المَحامِلِ بلَطافة الوَهْم وسَعَة التَّخيُّل ، ويُرتكبَ فى تقريرِ الآراء الصَّعبُ والذَّلول ، ويُحْتَملَ مِن التأويلات ماتَنْفِرُ منه النّفوسُ وتستنكره العقول ، فذلك عندنا مِن أردإِ مَذْهب ، وأسوإِ طريقة ، ولا نعتقد أنه يحصُل معه النَّصيحةُ للدِّين على الحقيقة ، وكيف يقع أمرٌ مع رُجْحانِ مُنافِيه؟ وأنَّى يَصِحُّ الوزنُ بِميزانٍ مالَ أحدُ الجانِبيْن فيه؟ ومتى يُنْصِفُ حاكمٌ مَلكَتْه غَضَبيّةُ[2] العَصبيّة؟ وأين يقع الحقُّ مِن خاطر أخذتْه العِزَّةُ بالحميّة ؟

ثم أخذ فى ذلك إلى منتهى الخُطبة .

ومِن ذلك خُطبة شرح مختصر ابنِ الحاجب :

الحمدُ للهِ مُنَزِّلِ الكتاب ، ومُفصِّلِ الخِطاب ، وفاتح أبوابِ الصَّواب ، ومانحِ أسبابِ الثَّواب .

أحمَدُه وهِباتُه تَنْزِلُ[3] بغير حِساب ، وأعبُده وإليه المَرجِعُ والمآب ، وأرجوه وأخافه فبِيَده الثَّوابُ والعِقاب .

وأشهد أن لاإلَه إلّا اللهُ وحدَه لاشريكَ له ، شهادةً مُقدِّماتُ دلائِلها مُبيِّنةُ الأسباب ، ونتيجةُ اعتقادِها جَنَّةٌ مُفتَّحةُ الأبواب .

---

(١) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « برد ».

(٢) فى المطبوعة : « غضبة » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « وهبنا بره بغير حساب » ، وماأثبتنا هو اجتهادنا فى قراءة ماجاء فى ج ، ك ، حيث إن الحروف فيهما عارية من النقط.

وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرسله وقد طال زَمَنُ الفَتْرة ونُسِيت الآداب ، وبَعُد عهدُ النُّبوّة فزال الحقُّ وانْجاب ، فمنازِلُ الهُدَى خَراب ، ومَعاهِدُه لاتُعْتادُ ولا تُنْتاب ، وللناس بالشَّهوات والشُّبُهات إعجاب ، حتى أُفرِدَ النَّظَرُ بالدنيا ، وادُّعِيَ تَعدُّدُ الأرباب ، فاختار اللهُ محمدًا فى أشرفِ الأنساب وخِيرة الأحساب ، نذيرًا بينَ يَدَى العذاب ، وبَشيرًا لمَن أطاع الحقَّ وأجاب ، وأيَّده بمُعْجزاتٍ تدفَعُ عارِضَ الارتِياب ، وتكشفُ أنوارَ اليقين ليس دُونَها حِجاب ، وتَدَعُ القلوبَ مطمئنّةً لاترتاع من جانب الشُّبهات ولاترتاب ، فصلَّى اللهُ على سيّدنا محمدٍ صلاةً وسلامًا يدخُل فيهما الآلُ والأصحاب .

أمَّا بعدُ ، فإن التصنيفَ فى علم الأحكام وتَبيينِ الحَلال من الحرام ، وإن كانت شِدَّةُ الحاجةِ إليه تُوجِبُ وَقْفَ الهِمم عليه ، ووُقوفَ الإمكانِ بين يديه ، فإن شِدَّةَ خَطَرِه وعَظِيمَ غَرَرِه[1] ، ممّا يُوجِبُ مَهابَةَ الشُّروع فى تلك المَشارِع ، والتَّوقُّف عن الحُكْم على مَقاصِدِ الشارِع .

ماهى إلا أَعراضٌ تُنْهتك ، وأجسامٌ تُنتهَك ، وأعمالٌ يُتْعَب لها ويُنْصَب ، وأموالٌ يَثبُت مِلكُها ويُسْلَب ، ودماءٌ تُعْصَم وتُسْفَح ، وأَبْضاعٌ تُحَرَّم أو تُنْكَح .

هذا مع تَشَعُّبِ مَواقِعِ النَّظَر ، وتَعارُضِ مَسالِكِ العِبَر[2] ، ومَلالٍ يَعْتَرِى الأذهان ، وتَقصيرٍ جُبِلَ عليه طَبْعُ الإنسان .

فالطَّرِيقُ خَفِىُّ المَسارِب ، والغايةُ مَخُوفَةُ العواقِب ، وماقَلَّ[3] من ذلك يتقوى الخاطِر[4] الرادع ، ويتوقَّى[5] الرأى الخادع ، ويخاف الآمن[6] ويقْلَق[7] الرادع .

---

(١) فى المطبوعة : « وعظم غزره » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة ، ج : « العير » بالياء التحتية ، وقد أهمل النقط فى ك . ونرى صوابه « العبر » بالباء الموحدة ، وسيأتى نظيره فى الصفحة التالية.

(٣) كذا فى الأصول ، ولعل الصواب : « وبأقل ».

(٤) فى المطبوعة : « الخواطر » ، والمثبت من : ج ، ك . وسياق الكلام قلق.

(٥) فى : ج ، ك : « ويتقوى » ، والمثبت من المطبوعة.

(٦) فى المطبوعة : « الأمر » ، وأثبتنا مافى ج ، ك.

(٧) فى المطبوعة : « ويتعلق » ، والمثبت من : ج ، ك.

ولقد كان سَلَفُنا الصالح رِضوان الله عليهم ، لطريقِ هذا الخوفِ سالِكين ، ولأَزِمَّةِ الوَرَع والخَشْية مَالِكِين ، فتَدافَعُوا الفَتوَى لشِدَّة التَّقْوَى ، وأجابوا عن اليَسيرِ عندَما سُئلُوا عن الكثيرِ ، وأجْرَوا[1] الدُّموعَ فَرَقا ، وجَرَوْا إلى غايةِ التَّحرِّى طَلَقا .

ثم آل الأمرُ إلى التَّسامُح والتَّساهُل ، والغَفْلة والتَّغافُل ، فأُطلقَت أعِنَّةُ الأقلام ، وأرسِلَت بَوادِرُ الكَلام ، وطُوِىَ بِساطُ التَّورُّع راسًا ، وعُدَّ التَّوقُّف جَهالةً أو وَسْواسًا ، وتَوَهَّموا التَّسرُّعَ دليلًا على كثرة الحاصِل ، والإحجامَ علامةً على قِلَّةِ الواصِل ، وأحَدُ الأمرين لازِمٌ لهم! إمَّا أن يَدَّعُوا أنهم أعْلَمُ ممَّن سَبَق ، أو يُسلِّمُوا أنهم ماطَرَق قُلوبَهم مِن مَخافةِ الله ماألَمَّ بقُلوب العارِفين وطَرَق ، هذا مايتعلَّق بغُرور الأُخرى .

وأمّا فى الدّنيا وإن كان يَعُمُّ كلّ تصنيف ، فإن المرء يُتْعِبُ[2] أفكارَه ، ويَكِدّ ليلَه ونهارَه ، ويَقدَحُ زِنادَ القَريحة ، حتى يَرِىَ قَدْحُه ، ويَرقُب فجرَ الحقائق حتَّى يتبلَّجَ صُبحُه ، ويَرُوضُ مَصاعِبَ النَّظر حتى يُصْحِبَ[3] جامِحُها ، ويَستَدْنِى شَوارِدَ العِبَر[4] حتّى يَقْرُب نازِحُها ، فإذا يَنْجلى[5] له من ذلك نادِرَةٌ أبْداها ، وتأمَّل أن يُودِعَ بالفِكْر خاتِمتَها ، ويَتَلقَّى بالشُّكر مَبْداها ، قام الحاسدُ فقبَّح تلك الصُّورةَ الحسنةَ وشانها ، وحَقَّر تلك الجُملةَ الجميلةَ وشانها ، وقال بلسان الحال أو المقال[6] : لقد دَلَّاك أيها المصنِّفُ الغُرورُ واستهواك الغُرُور ، وخاب العَنا وصَفِرَ الإنا ، وطاشَ السَّهمُ وطال الوَهْم ، وطاح الفَهم ، فالرَّوضُ هَشِيم ، والمَرْتَعُ وَخِيم ، والمَوْرِدُ وَشَلٌ[7] وإن ظُنَّ أنه جَمِيم[8] ، إلى أمثال ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « فربما أجروا » ، وأثبتنا ماف : ج ، ك.

(٢) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « يبعث ».

(٣) فى المطبوعة : « يصعب » ، والمثبت من : ج ، ك . ويقال : أصحب البعير والدابة : انقادا ، وأصحب : ذل وانقاد بعد صعوبة . اللسان (ص ح ب).

(٤) فى المطبوعة : « الغير » ، والمثبت من : ج ، ك . وانظر حاشية (٢) فى الصفحة السابقة.

(٥) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « ينحل ».

(٦) فى المطبوعة : « والمقال » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٧) فى المطبوعة : « وسيل » . وفى ج ، ك : « وسل » . والصواب ماأثبتنا . وماء وشل : قليل.

(٨) فى الأصول : « حميم » بالحاء المهملة ، وصوابه بالجيم ، وهو بمعنى الكثير.

من أثر الحسد الذى يَدَعُ الخواطِرَ فى كَمَد ، والنُّفوسَ فى مُجاهَدتِها فى كَبَد ، ويَكسِفُ البالَ ويُقَلِّص الآمال ، ويُكدِّر مِن المَشرَب العَذْب الزُّلال ، ويُحَرِّم مِن الأحالة[1] السِّحرَ الحَلال ، ويُقبِّحُ من الإحسان أجملَ الجلال ، حتى إنّ الكتابَ الذى صنَّفه الإمام العَلّامة الأفضلُ أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر الدُّوِينى[2] الأصل الصَّعيدى المَولِد ، المعروف بابن الحاجِب ، رحمه الله ، وسَمَّاه : الجامع بين الأمّهات ، أتَى فيه بالعَجَب العُجاب ، ودَعا قَصىَّ الإجادة فكان المُجاب ، وراضَ عَصِىَّ المُراد فزالَ شِماسُه وانْجاب ، وأبدَى ماحَقُّه أن تُصْرَف أعِنَّةُ الشُّكرِ إليه ، وتُلْقى مَقالِيدُ الاستِحسان بينَ يَديه ، وأن يُبالَغَ فى استحسانه ، ويُشْكَرَ نَفحاتُ خاطِره ونَفَثاتُ لِسانه ، فإنه رحمه الله تيسَّرت له البلاغَةُ ، فتفيّأ ظِلَّها[3] الظَّليل ، وتفجَّرت ينابيعُ الحِكمة فكان خاطِرُه ببَطْنِ المَسِيل ، وقَرَّب المَرْمَى فخفَّف [الحِمْلَ][4] الثَّقيل ، وقام بوظيفة الإيجاز فناداه لِسانُ الإنصاف : ماعلَى المُحْسِنِين مِن سَبِيل[5] .

ومع ذلك فلم يَعْدَمِ الذَّامَ حَسْناؤه[6] ، ولا رُوعِىَ اجتهادُه فى خِدمة العِلم واعتناؤه ، بل أُنْحِىَ[7] علَى مَقاصِده فَذُمَّت[8] أنحاؤه ، وقُصِد أن يُسْتكفَأ[9] من الإحسان صحيفتُه

---

(١) هكذا فى الأصول . ولعلها : « الإجادة » . وسيأتى نظيرها.

(٢) انظر مأخذ هذه النسبة فيما سبق ٧ / ٣٢٢.

(٣) فى المطبوعة : « ظلالها » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٤) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٥) انظر الآية ٩١ من سورة التوبة.

(٦) فى الأصول : « حساده » . والصواب ماأثبتنا ، ليتفق مع المثل المعروف : « لاتعدم الحسناء ذاما » . وأيضا ليتم السجع المبنى على الهمزة المضمومة . والذام : العيب . راجع اللسان (ذ ى م) وذكر المثل . وانظره فى مجمع الأمثال ٢ / ٢١٣ (حرف اللام — باب لا).

(٧) فى المطبوعة : « انتحى » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٨) فى المطبوعة ، ك : « قدمت » . والتصحيح من : ج . وفى ج ، ك : « الجاوه » ، والمثبت من المطبوعة .

(٩) فى المطبوعة : « وقصد أن من يستكفئ » . وفى ج ، ك : « وقصد أن من أن يستكفأ » . ولعل ماأثبتناه هو الصواب.

وإناؤه ، فتارةً يُعابُ لفظُه بالتَّعقيد ، وطَوْرًا يقال : لقد رَمَى المعنى مِن أمدٍ بَعِيد ، ومَرَّةً يُنْسَبُ إلى السَّهو والغَلَط ، وأخرى رَجَّح غيرَ المشهور ، وذلك معدودٌ من السَّقَط ، وجُعِل ذلك ذَريعةً إلى التَّنفير عن كِتابه ، والتَّزهيد فيه ، والغَضِّ ممّن يتَّبع أثَرَ سُلوكِه ويَقْتفيه ، وهذا عندنا مِن الجَوْر البَيِّن ، والطريقِ الذى سُلوكُ سِواه والعُدولُ عنه مُتعيِّن .

فأمّا الاعتراضُ بالتَّعقيد والإغماض ، فرُبّما كان سببُه بُعْدَ الفَهم ، ويُعَدُّ الذَّنبُ هناك للطَّرْف لاللنَّجْم ، وإنما وُضِعت هذه المختصَرات لقَرائحَ غيرِ قَرائح ، وخَواطِرَ إذا استُسْقِيَت كانت مَواطِر ، وأذهانٍ يَتَّقِدُ أُوارُها ، وأفكارٍ إذا رامَت الغايةَ قَصَّر مِضمارُها ، فرُبّما أخذها القاصِرُ ذِهنا ، فما فكَّ لها لَفظًا ولاطَرَق مَعْنى ، فإن وَقَف هناك وسَلَّم سَلِم ، وإن أَنِف بالنِّسبة إلى التقصيرِ فأطلقَ لِسانَه أَثِم ، وهو مخطئٌ فى أوّلِ سُلوكِ الطريق ، وظالِمٌ لنفسِه حيث حَمَّلها مالا تُطِيق .

وسَبِيلُ هذه الطبقة أن تَطلُبَ المَبسُوطاتِ التى تَفرَّدت فى إيضاحها ، وأبْرزَت معانيَها سافِرةً عن نِقابها ، مشهُورةً بغُررِها[1] وأوضاحِها .

والحكيمُ مَن يُقِرُّ الأمورَ فى نِصابها ، ويُعطِى كلَّ طبقةٍ مالا يَليقُ إلّا بها .

وأمّا السَّهوُ والغَلطُ ، فما أمكنَ تأويلُه على شيءٍ يُتأَوَّل ، وماوُجِد سبيلٌ واضحٌ إلى توجيهِه[2] حُمِلَ على أحسَنِ مَحْمِل ، وما استَدَّتْ[3] فيه الطرقُ الواضِحة ، وتُؤمِّلَتْ أسبابُ حُسْنِه أو صِحَّتِه[4] فلم تكُنْ لائحة ، فلسنا نَدَّعى لغير مَعْصُوم عِصْمَه ، ولا نتكلَّفُ تقديرَ مانعتقده غلطًا بأن ذلك أبهَجُ[5] وَصْمَه ، فالحقُّ أولَى مارُفِع عَلَمُه ، ورُوعِيَت ذِمَمُه ، ووُفِّيَت من العِناية قِسَمُه ، وأقسم المحقِّقُ أن لايعافه فَبَرَّ قَسَمُه ، وعَزَم النَّظرُ أن يلزَمَ مَوقِفَه فثَبَتَتْ قَدَمُه .

---

(١) فى الأصول : « بعذرها » . خطأ . والغرر : جمع « الغرة » ، وهى بياض فى الجبهة . والأوضاح : جمع« الوضح » بفتحتين ، وهو بمعنى الغرة . والمراد هنا : الوضوح والجلاء.

(٢) كذا فى المطبوعة . وفى ج ، ك : « **توجهه** » .

(٣) فى المطبوعة : « اسندت » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٤) فى الأصول : « أوضحته » . ولعل ماأثبتناه هو الصواب.

(٥) كذا فى المطبوعة . وقد أهمل النقط فى : ج ، ك ، ولا يظهر لنا وجهه.

ولكن لانجعلُ ذلك ذَرِيعةً إلى ترك الصَّواب الجَمّ ، ولا نَستحِلُّ أن نُقيمَ فى حَقِّ المصنِّفِ شيئًا إلى[1] ارتكاب مَرْكِب الذَّمّ ، والذَّنبُ الواحدُ لايُهْجَرُ له الحَبِيب ، والرَّوضةُ الحَسْناءُ لاتُتْرَكُ لمَوضِعِ قَبْرٍ جَدِيب[2] ، والحسناتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات ، وتـركُ المَصالـحِ الـراجِحة للمَفاسِدِ المَرْجُوحةِ مِن أعظـم المَبـآت[3] ، والكلامُ يَحْمِلُ بعضُه بَعْضا ، ومَن أسْخَطه[4] تقصيرٌ يَسِير ، فسَيَقِفُ على إحسانٍ كبيرٍ فَيَرْضَى .

ولو ذَهَبْنا نتركُ كلَّ كتابٍ وَقَع فيه غَلَط ، أو فَرَط مِن مُصنِّفه سَهْوٌ أو سَقَط ، لضاقَ علينا المجال ، وقَصر السِّجال ، وجَحَدْنا فضائلَ الرجال ، وفاتَنا فوائدُ تُكاثِرُ عَدِيدَ الحَصا ، وفقَدْنا عَوائدَ هى أجْدَى علينا مِن تَفارِيقِ العَصا[5] .

ولقد نَفع اللهُ الأُمَّةَ بكتُبٍ طارَت كلَّ المَطار ، وجازَت أجوازَ[6] الفَلَوات وأَثْباجَ البِحار ، ومافيها إلَّا ماوَقَع فيه عَيب ، وعُرِف منه غَلَطٌ بغيرِ شَكٍّ ولا رَيْب[7] ، ولم يجعلْه الناسُ سَبَبًا لرَفْضِها وهَجْرِها ، ولا تَوقَّفُوا عن الاستِضاءة بأنوارِ الهداية مِن أُفُقِ فَجْرِها .

---

(١) فى المطبوعة : « إلا » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « حديث » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٣) فى ج ، ك : « المثاب » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، وبه يتم السجع فى الفقرة ، وكأنه جمع : « المباءة » بمعنى المرجع ، ويكون المراد : « من أعظم مايرجع إليه ».

(٤) فى المطبوعة : « انحطه » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٥) هذا مثل يضرب فيمن نفعه أعم من نفع غيره ، فيقال : إنك خير من تفاريق العصا ، وأبقى من تفاريق العصا . وذلك أن العصا تقطع فتصير ساجورا ـــ وهو خشبة تجعل فى عنق الكلب ـــ ويقطع الساجور فيصير أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد فتصير كل قطعة شظاظا ـــ وهو العود الذى يدخل فى عروة الجوالق ـــ ثم تقطع الشظاظ مهارا ، وهو العود يجعل فى فم الفصيل لئلا يرضع أمه . إلى فوائد أخرى كثيرة . راجع مجمع الأمثال ١ / ٣٧ (باب الهمزة) وثمار القلوب ٦٢٨ ، واللسان (فرق).

(٦) فى الأصول : « حارت أحوار » بالحاء المهملة والراء ، وصوابه بالجيم والزاى . وجازت : عبرت وقطعت وسارت . والأجواز : الأوساط ، وجوز كل شيء : وسطه . اللسان (جوز).

(٧) فى المطبوعة : « ريق » . والتصحيح من : ج ، ك.

وسَلَكْنا عندَ الإنصافِ تلك السَّبيل ، ولا بِدْعَ فى أن يُعْطَى الشخصُ حُكْمَ السغب والتبتيل[1] .

يابنَ الأعارِب ماعلينا بـاسُ   لَم نَـأْبَ إلَّا ماأَباهُ النـاسُ[2]

على أنه لمَّا طالَ الزمانُ قليلا ، عاد جدّ ذلك السغب قليلا ، فحَفِظ هذا الكتابَ الحُفَّاظ ، واعتُنِيَ منه بالمَعانِي والأَلفاظ ، وشُدَّت عليه يَدُ الضَّنانة[3] والحِفاظ ، وقامتْ له سُوقٌ لايدَّعيها[4] ذو المَجاز ولا عُكاظ ، فوُكِّلَت به الأسماعُ والأبصار ، وكثُرت له الأعوانُ والأنصار ، وسَكَنت الدَّهماءُ فحُمِدَ ذلك النَّقْع المُثار ، وأُسِّسَ بناء[5] الإنصاف علَى التَّقْوى فُهدِم مَسجدُ الضِّرار ، فابيضَّتْ تلك اللَّيالِي السُّود ، ومات الحسدُ أو مات المحسود ، فكان كما قلتُ[6] :

ادأبْ علَى جَمْعِ الفَضائلِ جاهِدًا   وأَدِمْ لها تَعَبَ القَريحةِ والجَسَدْ
واقصِدْ بها وَجْهَ الإلهِ ونَفْعَ مَنْ   بَلَغتْه مِمَّنْ جَدَّ فيها واجْتَهَدْ
واتْرُكْ كلامَ الحاسِدِينَ وبَغْيَهُمْ   هَمَلًا فبَعْدَ المَوتِ يَنقَطِعُ الحَسَدْ

فقد آن إذَن وحُقَّ أن نَشرحَ هذا الكتابَ شرحًا يُعينُ الناظِرَ فيه ، على فَكِّ لفظِه وفَهمِ مَعانِيه ، على وجهٍ يُسَهِّلُ للماهِرِ مَساغَه وذَوْقَه ، ويَرفَعُ القاصِدَ فيلحِقُهُ بدَرجةِ مَن هو فَوْقَه ، ويسلكُ سبيلَ مَعرفتِه ذُلُلا ، ويُدرِكُ به ناظِرُه من وضوحِه أَملًا .

---

(١) كذا فى المطبوعة . وفى ج ، ك : « والنبيل » . ولم يظهر لنا صواب الكلمة . وكذلك « السغب » جاءت هكذا فى المطبوعة ، وأهمل النقط فى : ج ، ك ، ولم نعرف صوابها.

(٢) جاء هذا البيت فى الأصول منثورا متصلا بما قبله وبما بعده . وجاء عجز البيت هكذا : « لمن تاب إلا ماأباه الناس » . ولعل اجتهادنا فيه صواب.

(٣) فى الأصول : « الصبابة » . وهو خطأ .

(٤) فى المطبوعة : « لايدعها » . والمثبت من : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « بها » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٦) ديوانه ١٧٢ ، نقلا عن الطبقات وحدها.

فاستخرتُ اللهَ تَعَالَى فى وَضعِ هذا الشَّرح ، قاصدًا فيه لعشرةِ أمور :

الأول : التعرُّضُ لبَسْطِ ألفاظِه المُقْفَلَة ، وإيضاح مَعانيه المُشكِلة ، وإظهارِ مُضمَراتِه المُهْمَلة ، فأذكُر المسائلَ أو المسئلة ، أبسُطُ العِبارةَ فيهَا ، وأقتصرُ على ذلك إن رأيتُ أنه يَكفِيها ، وإلَّا رَجعتُ إلى تنزيلِ ألفاظِ الكتاب على ذلك الذى بَسطتُه مَوْضِعًا موضِعا ، لأجمعَ بين البيانِ الإجمالىّ والتَّفصيلىّ[1] مَعا ، اللهمّ إلا مَواضِعَ يسيرةً أَخذَ الإشكالُ بخَنَقِها ، ورامَت الأذهانُ الرائقةُ سُلوكَها فالتبس عليها جميعُ طُرقِها ، فإنَّا نَطْوِى تلك على غَرِّها[2] ، ونَرْبأ بأنفسِنا عن رُكوبِ مَراكِبِ العَسْف مُستعيذين باللهِ مِن شَرِّها ، والعاقلُ يختارُ السكوتَ على التَّخلِيط ، وإذا لم يكن بُدٌّ من أحد الحَمْلَين فجىء هذا بالبَسِيط .

علَى أنّى لاأجزِمُ بالصِّحّة لتلك المَواضِع ، ولا أعتقدُ العِصْمةَ إلَّا لمَن يَشهدُ له بها القَواطِع ، ولقد سمعتُ أبى رحمه الله ، يحكى مامعناه أو قريب منه : أن المصنِّف سُئل عن شىءٍ من هذا الكتاب ، فلم يأتِ منه بجَواب ، وذكر أنه إنما وضعه على الصِّحّة .

الثانى : تفسيرُ ألفاظِه الغَرِيبة واللُّغويّة ، وكيفيّةِ النُّطْق بها على مُقتضَى العربيّة ، وذِكرُ شىءٍ من الاشتقاقات الأدبيَّة ، والتحرُّزُ ممّا يُعَدُّ مِن لَحْن العَوامّ ، والتّحفُّظُ مِن التَّصحِيف[3] الذى هو إحدَى القوام[4] ، ولقد بُلِىَ بذلك[5] مِن ضَعَفةِ الفُقَهاء مَن

---

(١) فى المطبوعة : « والتفصيل » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٢) يقال : طويت الثوب على غره : أى على كسره الأول . وكل كسر متثن فى ثوب أو جلد : غر ، بفتح الغين . اللسان (غ ر ر).

(٣) فى المطبوعة : « التصنيف » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك.

(٤) هكذا فى الأصول . ولم نجد له معنى إلا ماذكروه من « القوام » بضم القاف ، وهو داء فى قوائم الشاء . ولعل الصواب : « الطوام » جمع « طامة » بتشديد الميم . وقوله : « إحدى » صوابه : « أحد ».

(٥) فى المطبوعة : « من ذلك » ، والمثبت من : ج ، ك.

صَفِرَ[1] مِن الأدبِ مَزادُه[2] ، وقَلَّ فى طريق العربيَّة زادُه ، وخَفَّت[3] عن تلك اللطائف طِباعُه ، وتناءَتْ عن تلك المَناهِل رِباعُه .

الثالث : أَنسُبُ الأقوالَ المُهْمَلة[4] إلى أربابها إذا أُطلِقَت ، وأَمِيزُ أقوالَ الإمامِ مِن أقوالِ الصَّحابة[5] إذا عُلِمَت المُخالَفةُ بينهم وتحقَّقَت ، وأُبَيِّنُ الأصحَّ مِن القولَيْن إذا لم يُبيِّن ، وأعيِّنُ الأشهَرَ مِن الخِلاف إذا لم يُعيِّن ، كلُّ ذلك بحَسَب ما انتهى عِلمِى إليه ، ووَقَف بَحثِى بحَسَب الحالِ الحاضرِ عليه .

الرابع : أُراعِى فى المسائل المَذهبيَّة التوجيهَ والتَّعليل ، ولا أدَعُها تَتردَّدُ بين أَنحاءِ التَّعليل[6] ، فما قَوِيَتْ فى الاعتبارِ مُنَّتُه ومبانيه[7] ، ورَجَحتْ عندَ النُّظّار رُتْبَتُه ودِرايَتُه[8] ، أوضحتُ الطريقَ إليه أيَّ إيضاح ، وجَلوتُ الحَقَّ هنالك كالقَمَر اللَّياح ، وما ضَعُفَت مِن القواعِدِ مادَّتُه ، وخَفِيَت على التَّحقيق جادَّتُه ، اكتفيتُ فيه[9] بالمَيسُور مِن التعليل ، أو أخذتُ على غيرِى فحَكَيتُ ما قِيل ، فما كُلُّ مَسْكٍ[10] يَصلُح وِعاءً للمِسْك ، ولا كلُّ ضَعِيفٍ يُوسَمُ بسِمَةِ التَّرْك .

---

(1) فى المطبوعة : « صغر » بالغين المعجمة ، وأثبتناه بالفاء من : ج ، ك ، يقال :صفر الإناء من الطعام ، والشراب : خلا .

(2) فى الأصول : « مراده » بالراء ، ولعل صوابه بالزاى ، كما أثبتنا ، ويكون جمع مزادة ، وهى التى يحمل فيها الماء ، ويناسبه ما تقدم من قوله : « صفر » ، وما يأتى من قوله : « زاده » . لمكان الزاى .

(3) فى المطبوعة : « وضعفت » ، والمثبت من : ج ، ك .

(4) فى المطبوعة : « المهمة » . والتصحيح من : ج ، ك .

(5) فى المطبوعة : « أصحابه » ، والمثبت من : ج ، ك .

(6) فى المطبوعة : « التضليل » ، والمثبت من : ج ، ك . والتعليل هنا ، من « العلة » بمعنى الداء والمرض .

(7) فى المطبوعة : « ومبايته » . ولا معنى له ، والمثبت من : ج ، ك .

(8) **هكذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « ودرايه » بنقطتين من تحت قبل الهاء فقط ، ولم نعرف صوابه .**

(9) فى المطبوعة : « به » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(10) فى المطبوعة : « نسيك » . والتصحيح من : ج ، ك . والمسك : الإهاب ، لأنه يمسك فيه الشىء إذا جعل سقاء . مقاييس اللغة ٣٢١/٥ .

الخامس : أُحْكِمُ مِن صناعةِ الحديثِ ماأُورِدُه ، وأُتْقِنُ ماأُنصُّ فيه وأَسْرُدُه ، فإن حَكمتُ بصِحَّةِ حديثٍ بإسنادِ ذلك إليَّ ، فبَعد أن أنزِعَ رِداءَ التّعصُّبِ عن مَنْكِبيّ ، وأؤدِّى حَقَّ النَّصيحةِ للسُّنَّة كما يَتعيَّن ، وأحترِزُ مِن المَيلِ إلى نَصرِ مذهبٍ مُعَيَّن ، فإن وَجَد المُستدِلُّ مطلوبَه ، بَنَى على أوثقِ أساس ، وإلّا فَلْيعدِل[1] إلى غير النّصِّ مِن أنواعِ الاستدلالِ والقِياس .

وإن حكيتُ الصحَّةَ عن غيرِى فعن حَقٍّ[2] لاتمتدُّ يدُ الشكِّ إلى لَبْسِه ، وقد قيل : مَن أحال على غيرِه فقد احتاطَ لنَفْسِه ، وماعَزَوْتُه إلى الكتبِ المشهورة ، فهو فيها عندَ المراجعةِ مَوجود ، فإن وُجِد فى مَظِنَّتِه وإلّا فعندَ التَّتبُّع يحصُلُ المقصود .

وقد وقَع لجماعةٍ مِن الفقهاء وغيرِهم فى ذلك خَلَل ، وأقدَم بعضُهم على أمرٍ ليتَه عنه نَكَل .

وقد حكيتُ فى هذا الكتابِ مِن غرائبِ الأخبارِ ، وشَوارِدِ الآثار ، مايَعِزُّ وجودُه عندَ الفقهاء الذين خَصُّوا الفقهَ بالعِناية ، وحَصُّوا[3] جَناحَ المسيرِ إلى الرِّواية .

السادس : ماجَزمتُ بنقلِه عن أئمّة الاجتهاد ، تحرَّيتُ فيه ، ومنحتُه من طريقِ الاحتياطِ مايكفِيه ، فإن كان مِن أحدِ المذاهب الأربعة نقلتُه من كتُبِ أصحابه ، وأخذتُه عن المَتْن فأتيتُ الأمرَ مِن بابه ، ولم أعتبر حكايةَ الغَير عنهم ، فإنه طريقٌ وقَع فيه الخَلَل ، وتعدَّدَ من جماعةٍ مِن النَّقَلة فيه الزَّلَل ، وحكى المخالِفون للمذاهبِ عنها ماليس منها .

وماكان مِن الأقوال للمتقدِّمين[4] للصَّحابة ومَن شذَّ عمَّن ذكرناه من المخالِفين ، فاعتمادِى فيه على كتاب الإشراف[5] ، للحافظ أبى بكر بن المُنذِر رحمه الله ، فبأنواره اهتدَيت ، وبطريقهِ

---

(١) فى المطبوعة : « فليعد إلى » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « فقدحى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « وقصوا » ، والمثبت من : ج ، ك . والحص : حلق الشعر ، ويقال : طائر أحص الجناح : أى، قليل شعره . القاموس (ح ص ص) .

(٤) كانت فى ج: «للمتقدمين من الصحابة»، ثم ضرب الناسخ على «مِن» وجعل الألف لامًا، ثم وصلها باللام الأخرى.

(٥) فى المطبوعة : « الإشراق » . وفى ج : « الأسرار » ، وأثبتنا الصواب من : ك ، وسبق فى ١٠٢/٣ .

إلى تلك الغاية اقتَدَيت ، فإن لم يكن فيه ذلك النَّقلُ و لم أرَه فيه ، نقلتُ من غيرِه بعبارة مُلَخَّصة[1] ، فقلت : وحُكِيَ عن فلانٍ كذا ، أو عن فلانٍ كذا ، إلّا ماجزمتُ بصِحَّتِه ، فإنّى أقطَعُ القولَ بنسبتِه إليه .

ولمّا كنتُ لاأرى لأحدٍ قولًا إلّا مانَصَّ عليه ، وتعذَّر علىَّ فى كثير من المسائل معرفةُ نَصِّ صاحبِ المذهب ؛ لكون المسئلة متَّفقًا عليها عند ناقِلته[2] ، رأيت أن أقول فى مثل ذلك : قالت الحنفيّةُ أو الشافعيّةُ أو الحنبليّة ، أو قال الحنفىُّ أو الحنبلىُّ ، وماقلت[3] : فقد نُقِل عن فلان ، أو اشتهر عنه ، فلا ألزَمُ نَقْلَه عن كتب أصحاب ذلك الإمام ، لصِدْقِ اللفظِ المذكور ، وإن لم يُنْقَلْ من كُتبهم .

السابع : أذكر فى المسائل الخلافيّة المعروفة بمسائلِ الطَّريقة مَوادَّ أصلِ الاجتهاد ، فإن تعدَّدَت اخترتُ الأمتَنَ ، وقصدْتُ الأحسن ، لاعلى وَجهِ الإطالة المُوجِبة للمَلالَة ، ولا على طريقةِ الإجمالِ المُفْضِى إلى الإخلال .

ثم إنّ لأهلِ عصرِنا وما واتاه نُكتًا رشيقة ، وطُرُقًا[4] روضاتُها أنيقة ، أخذوا فيها مَأخَذَ الإعراب ، وأبْدَوا[5] عرائسَها كالكَواعِب[6] الأتْراب ، وأمَّلُوا الإبداع فأدركوا التَّأمِيل ، وظَفِروا فيه بالمُعَلَّى[7] لمّا أرسلوا أقداح المُجِيل[8] ، إلّا أنّ أكثرَهم أُولِعَ

---

(١) فى المطبوعة : « مخلصة » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « عندنا رأيت » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٣) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « وأما قلت ».

(٤) فى المطبوعة : « طرفا » بالفاء ، وأثبتناه بالقاف من : ج ، ك.

(٥) فى ج ، ك : « وافدوا » ، والمثبت من المطبوعة ، وفيها : « عرابها » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٦) فى : ج ، ك : « كالكواكب » ، والمثبت من المطبوعة.

(٧) فى المطبوعة : « بالمعنى » . والتصحيح من : ج ، ك . والمعلى : سابع سهام الميسر.

(٨) فى الأصول : « المحيل » بالحاء المهملة ، وصوابه بالجيم ، والمجيل : هو الذى يحرك السهام بين القوم ، ويفضى بها فى القسمة.

مِن تعبيرِ[1] المُبين ، وبالَغ فى إغلاقِها[2] حتى لاتكاد تَبين ، إنما هو جِدالٌ كالجِلاد ، وخَيال[3] تُزَخْرِفُه الأَلسنةُ الحِداد ، فلم أرَ إخلاءَ هذا الكتاب عن شىءٍ منها ، ولا استحسنتُ مع ظِرافها أن أُعْرِضَ بالكُلِّية عنها ، فكسوتُ بعضَ المسائل الفقهيّة ذلك الوَشْىَ المَرقُوم ، وأنِفْتُ[4] أن يُضحى[5] صاحِبُ هذه الصَّنعة[6] بأثرٍ[7] من رِزْقها مَحروم ، ولم أبالِغ فى الإغلاق والإبهام ، ولا أكثرتُ مِن هذا النَّوع ، فإنه خُروجٌ عن المُصطَلَح فى كتب الأحكام .

الثامن : ماأسلُكه[8] من الطُّرُق فى الحِجاج لاأرُوغُ فيه رَوَغانَ الثعالِب ، ولا أرجِّحُ من جانبٍ ماضعّفتُه فى جانب ، ولا ألتزِم فَسادَ الذَّمّ عندَ المخالَفة بمثِله ، ولا أضَعُ شخصًا تقدَّم منّى ذِكرُ فضلِه ، ولا أسلُك طريقَ اليمن[9] ، فإن رَضِيتُ مَدحْتُ ، وإن سَخِطتُ قَدَحْت ، ولا أَتهافَتُ[10] ، فإن فعلتُ فما أنصفتُ نفسى ولا نَصحْت ، فلقد فَعل ذلك قومٌ أوجَبُوا السَّبيلَ إلى ذَمِّهم ، فأقَرُّوا عندَ ذكرِ العُيوب عَينَ خَصمِهم ، فأطالَ عليهم فى التشنيع ، وبَدَّد بسُوءِ ذلك الصَّنيع ، ونَسب إليهم مجاولة[11] تغليط الناظر ، وتَوهَّم فيهم أن المقصودَ المُغالَبةُ فى الوقت الحاضر ، ولا ضرورةَ تدعو إلى ذلك ، ولاحاجةَ إلى سُلوكِ هذه المسالك .

---

(١) هكذا فى الأصول.

(٢) هكذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « أعمالها ».

(٣) فى المطبوعة : « وخلل » ، وأثبتنا مافى : ك ، والكلمة فى ج بهذا الرسم من غير نقط.

(٤) فى المطبوعة : « وأبيت » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « يصغى » . وبهذا الرسم فى : ج ، ك ، من غير نقط ، ولعل ماأثبتناه هو الصواب ، على أنا لانطمئن لسياق هذا الكلام كله.

(٦) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « الصيغة ».

(٧) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « يأتى » . ولسنا نطمئن لشىء من هذا ألبتة.

(٨) فى المطبوعة : « أسلك » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٩) كذا فى الأصول.

(١٠) فى المطبوعة : « ولاتهافت » ، والمثبت من : ج ، ك .

(١١) كذا بالجيم فى المطبوعة ، ك . وفى ج بالحاء المهملة .

التاسع : لستُ بالراغِب فى جَلْب زوائدِ الفُروع المَسطُورة ، وحَصْرِ شَوارِد المسائل المذكورة ، مالم يتضمّنْه هذا المجمُوع ، ولا رُفِع ذِكرُ هذا الموضوع ، فإن المقصودَ إنما هو الشَّرح ، فلْيتوقَّف الغَرضُ عليه ، ولْتتوجَّه الدَّواعى والهِممُ إليه ، واللائق بذلك الغرضِ كُتُبُ المسائلِ التى قُصِد إلى جمعها ، واستقلَّ أصحابُ التصانيف بوضعِها ، ولكلِّ غايةٍ طريقٌ قاصدٌ يُناسِبها ، ولكلِّ عَزْمةٍ مَأخَذٌ من نحو مايُصاحِبُها .

فأمّا الأقوالُ المتصلةُ بما وضَعه[١] المصنِّف وذكره ، والفُروعُ المقارِنة لما نظمه وسَطَّره ، فإنى أمنحها طَرَفًا من العناية ، وأُولِيها جانبَ الولاية .

العاشر : أذكُر الاستشكالاتِ[٢] فى مَباحِثَ أُنبِّه[٣] فيها فَهمَ الباحث وأُرسلها إرسالا ، ولا أَدَعُها تسير أرسالا ، وأُوسِع للناظر فيه مجالا ، حتى إذا خَرج من السَّعة للضّيق ، وتبارَز فى ميدان التسابُق فُرْسانُ التحقيق ، وأُخرِجت أحكامُ النفوس مِن السير[٤] ، وكان الطريقُ مِيتاءً[٥] ينفذها البصر ، ويستسير فيها العير[٦] ، وسَلِمت المَمادِحُ من القَوادِح ووقع الإنصاف ، فربّما فَضَل الجَذَعُ على القارِح[٧] ، فهناك تنكشف الأستارُ عن الحقائق ، وتَبِين الفضيلة لسيل[٨] الوَجِيه[٩] ولاحق .

---

(١) فى المطبوعة : « وضع » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « الإشكالات » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) فى المطبوعة : « أنبذ فيها فهم المباحث » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٤) هكذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « البين » . ولم نعرف صوابه.

(٥) الميتاء بكسر الميم : الطريق العامر المسلوك ، مفعال من الإتيان ، والميم زائدة . وفى الحديث : « ماوجدت فى طريق ميتاء فعرفه سنة » . الغريبين ١ / ١٣.

(٦) هكذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « العين » . ولم نعرف صوابه.

(٧) الجذع فى الخيل : أن يستتم الفرس سنتين ويدخل فى الثالثة . والقارح من الخيل : هو الذى دخل فى السنة الخامسة . راجع اللسان (قرح ـــ جذع).

(٨) هكذا فى المطبوعة . وفى ج ، ك : « ليسل ».

(٩) فى الأصول : « الوجه » خطأ . والوجيه ولاحق : فرسان معروفان . راجع أنساب الخيل ، لابن الكلبى ٢٢ ، ٣٢.

فهذه الطُّرقُ التى أقصِدُها ، والأنحاء التى أعتَمِدها ، ومن الله أعتمِدُ العون ، ومِن الخَسارة فيما نرجو رِبْحَه أسأله الصَّون ، فبه القُوّة والحول ، ومنه الإحسان والطَّول ، فإن لم تَفِض مِن رحمته سِجال ، ويتَّسعْ لمُسامحتِه مَجال ، فالتَّباب والخَسار ، والتَّنائى عن مَنازِل الأبرار ، ونعوذ بالله من عُمرٍ وعَملٍ تقتحمهما النار . وهذا حِينَ الشروع فى المراد ، والله ولىُّ التوفيق والإرشاد ، إنه على مايشاء قدير ، وبالإجابة جدير . آخر الخطبة المشار إليها ، فرحم الله مُنشِيها ، والحمد لله رب العالمين .

فوائد الشيخ تقى الدين ومباحثه

أكثَرُ مِن أن تُحْصَر[1] ، ولكنها غالبًا متعلِّقة بالعِلم من حيث هو ؛ حديثًا وأُصولًا وقواعِدَ كلّية ، كما يراها الناظرُ فى مصنَّفاته ، ولا سِيّما فقهُ الحديث والاستنباطُ منه ، فقد كان إمامَ الدنيا فى ذلك ، فلا معنى للتطويل بذكرها ، ولكنّا نذكر بعض مابَلَغنا عنه مما هو مختصٌّ[2] بالمذهب :

● خيارُ التَّصْرِيـة ، هل مُستَنَدُه التَّدليسُ الصادرُ مِن البائع ، أو الضَّررُ الحاصل للمشترِى ؟ وقد يُعبّر بعبارة أُخرى ، فيقال : هل مُستَنَدُه التَّغرير أو الغرور ؟ [فيه][3] وجهان مشهوران ، ينبَنِى عليهما مالو تَحفَّلتْ بنفسِها ، بأن تَرك الحِلابَ أيامًا ناسيًا لشُغْلٍ عَرَض ، أو صَرَّاها غيرُه بغير إذنه ، والأصحُّ عندَ صاحبِ التهذيب ، وبه قطع القاضى الحسين ، ثُبوتُ[4] الخِيار ، خلافا للغَزَّالىّ .

ولو صَرَّاها لا لأجلِ الخديعة ثم نسيها ، فقد حكى ابنُ دَقِيق العِيد عن أصحابنا فيه خلافًا ، ولم نر ذلك فى كلامهم صريحًا ، لكنه يَتخرَّج على أن المأْخذَ التَّدليسُ أو ظَنُّ المشترِى ، فعلى الأول لايثبُت ؛ لأنه لم يَقصِد الخديعة ، وعلى الثانى يثبُت ؛ لحصول الظَّنّ .

---

(١) فى المطبوعة : « تحصى » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) فى المطبوعة : « مختصر » . والتصحيح من : ج ، ك.

(٣) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٤) فى : ج ، ك : « بثبوت » ، وأثبتنا مافى المطبوعة.

ولو شَدَّ أَخْلافَها قصدًا لصيانة لَبَنِها عن ولدها فقط ، قال ابنُ الرِّفعة : فهو كما لو تحفَّلَت بنفسِها .

قلت : وهى كالمسئلة التى حكاها الشيخ تقىُّ الدين ؛ لكن[1] فى تلك زِيادةُ النِّسيان ، وهو ليس بشرط ، فإنه إذا كان القصدُ صحيحًا لم يحصل تدليسٌ وخديعة ، وليس لقائلٍ أن يقول : إن التدليسَ حاصلٌ بعد تبيينه وقتَ البيع وهو عالمٌ به ؛ لأن هذا المعنى حاصلٌ فيما إذا تحفَّلتْ بنفسها وباعَها وهو عالمٌ بالحال .

وابنُ[2] الرِّفْعة سَقط عليه من كلامِ الشيخِ تقىِّ الدين لفظةُ « لا » فنقل المسئلة عنه على أنه صَرَّاها لأجل الخديعة ثم نسيَها ، ثم اعترض بأنه ينبغى أن تكونَ هذه من صُوَر الوِفاق ، وهذا اعتراضٌ صحيح ، لو[3] كان الأمر كما نقله ؛ لأنه حينئذٍ يكون قد حصل التَّدليسُ والظَّنُّ ؛ ولا يُفيدُ توسُّطُ النِّسيان .

فإذًا المسئلةُ التى ذكرها ابنُ الرِّفعة وخَرَّجها على ماإذا تحفَّلتْ بنفسها ، هى مسئلة الشيخ تقىِّ الدين ، والمسئلةُ التى نقلها ابنُ الرِّفعة عن الشيخ بحَسَب النُّسخة التى وقعت له غلطًا ، مسئلةٌ أخرى ينبغى الجَزمُ فيها بالخِيار ، نَبَّه على ذلك والدى ، أطال الله بقاه فى « شرح المهذَّب » .

● صَحَّح الشيخ تقىُّ الدين حديثَ القُلَّتين ، واختار تَرْكَ العمل به ، لا لمُعارِضٍ أرجَحَ ، بل لأنه لم يثبُت عندَه بطريقٍ يجب الرجوعُ إليه شرعًا تعيينٌ لمِقدار[4] القُلَّتين .

● قال الشيخ تقىُّ الدين : ذكر بعضُهم أن المسئلةَ السُّرَيجيّة إذا عُكِست انحلَّت ، وتقريرها[5] : أن صورةَ المسئلة : متى وَقَع عليكِ طلاقِى فأنتِ طالقٌ قبلَه ثلاثا ، أو متى

---

(1) فى المطبوعة : « لأنه » . والتصحيح من : ج ، ك.

(2) فى المطبوعة : « قال ابن الرفعة » ، والتصحيح من : ج ، ك.

(3) فى المطبوعة : « ولو » . والصواب إسقاط الواو ، كما فى ج ، ك.

(4) فى المطبوعة : « مقدار » ، والمثبت من : ج ، ك.

(5) فى المطبوعة : « نحلت وتقريره » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

طلَّقتُك . فوَجْهُ الدَّوْرِ أنه متى طلَّقها الآن وقع قبلَه ثلاثا ، ومتى وقَع قبله ثلاثا لم يَقع ، فيؤدِّى إثباتُه إلى نَفيه فانتفى ، وعَكسُ هذا أن يقول : متى طلَّقتُك أو متى أوقِعُ طلاق عليك فلم يقع فأنت طالق قبلَه[1] ثلاثا ، فحينئذٍ متى طلَّقها وجب أن يقعَ الثَّلاثُ القبليَّة ؛ لأنه حينئذٍ يكون الطَّلاقُ القبلىُّ بائنًا على النَّقيضين ، أعنى وُقُوعَ المُنَجَّز وعدمَ وقوعِه ، ومايثبُت على النقيضَيْن فهو ثابتٌ فى الواقع قطعًا ، لأن أحدَهما وَقع[2] قطعًا ، فالمعلَّقُ به واقعٌ قطعًا . وهذه مُقدِّمةٌ ضروريَّة عقليَّة ، لاتَقبلُ المنعَ بوجهٍ من الوجوه ، وأصل المسئلة الوَكالَة .

قال والدى رحمه الله : وهذا فيه نَظرٌ ، وإنما يلزَمُ وقوعُ الطلاقِ المعلَّق بالنَّقيضَين المذكورَين لو قال : إن طلَّقتُك فوقَع عليكِ طلاق أو لم يقع فأنت طالقٌ قبلَه ثلاثا ، ثم يقول لها : أنت طالق ، فحينئذ يُحكَم بأنها طُلِّقت قبل ذلك التَّطليق ، ثلاثًا ، عملًا بالشرط الثانى ، وهو عدمُ الوقوعِ ؛ لأن الطلاقَ المعلَّقَ مشروطٌ بأحد أمرين : إمَّا الوقوعُ وإمّا عَدمُه فى زمنٍ واحدٍ مستندٍ إلى زمنٍ قَبلِىٍّ ، ولا يمكنُ الحكمُ بالوقوع القَبْلىِّ استنادًا إلى الشرط الأوّل ، وهو الوقوع ، للزُومِ الدَّوْر .

وأمّا الوقوعُ فى ذلك الزَّمن القَبْلىِّ مستندًا إلى عدم الوقوع ، فلا مَجال فيه ؛ لأنه لايمكن أن يقال : لو وَقَع فيه لوقع قبلَه ؛ لأنه إمّا أن يُحملَ القَبْليَّة على القَبْليّة المتَّسِعة التى أوّلُها عَقِبَ التَّعليق ، أو على القَبْليّة التى تَستعقِبُ التَّطليق ؛ فإن كان الأوُل لم يمكن وقوعُ الطَّلاقِ قبلَه ؛ لأنه يكون سابقًا على التَّعليق ، وحكمُ التعليق لايسْبِقُه ، وهذا فائدةُ فَرْضِنا التَّعليق على[3] .

واعلم أن الشيخَ تقىَّ الدّين رضى الله عنه توفِّى ولَم يُبيِّض كتابَه « الإلمام » فلذلك وقعت فيه أماكنُ على وَجْه الوَهَم وسَبْقِ الكلام .

---

(١) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « فيه » .

(٢) فى المطبوعة : « واقع » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٣) هكذا فى الأصول ، وفى النسخة ج إشارة فوق « على » وكتب إزاءها فى الهامش « ط » . ويعنى : طبق الأصل.

منها[١] : قال فى حديث مُطَرِّف ، عن أبيه : « رأيتُ النبيَّ ﷺ يُصلى وفى صدرِه أَزيزٌ كأَزيزِ المِرْجَلِ مِن البُكاء » إن مسلمًا أخرجه ، وليس هو فى مسلم ، وإنما أخرجه النَّسائىُّ[٢] ، والتِّرمِذِىُّ فى « الشمائل » ولأبى داود[٣] : « كأَزِيزِ الرَّحَى » .

ومنها : قال فى باب صفة الصلاة : وعن وائِلِ بن حُجْر ، قال : « صلَّيتُ مع النبىِّ ﷺ ، فكان يُسلِّم عن يمينه : السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته ، حتَّى يُرَى بَياضُ خَدِّه الأيمن ، وعن يسارِه : السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ، حتَّى يُرَى بَياضُ خَدِّه الأيسر » : إن أبا داود خَرَّجه ، وليس فى كتاب أبى داود ، ولا فى شىءٍ من الكتب السِّتَّة هذه الزيادةُ ، من طريق وائل ، وهى[٤] : « حتَّى يُرَى بَياضُ خَدِّه الأيمن ، وحتَّى يُرَى بَياضُ خَدِّه الأيسر » وهو[٥] من طريق ابن مسعود فى النَّسائىّ[٦] ، وفى أبى داود[٧] ، وليس عنده « الأيمنُ والأَيسرُ » .

ومنها : فى حديث ابن مسعود فى السَّهو : جعل لفظَ مسلم لفظَ أبى داود ، ولفظَ أبى داود لفظَ مسلم .

ومنها : فى صلاة العِيدَين ، عن عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جَدِّه : « أن النبىَّ ﷺ كَبَّر فى العِيدَين ، فى الأولى سَبْعًا » الحديث ، ذكر أن التِّرمِذِىَّ أخرجه ، وهذا الحديث إنما يرويه كثير بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، وهو فى التِّرمِذِىّ[٨] هكذا .

---

(١) فى المطبوعة : « ومنها » . والصواب حذف الواو ، كما فى : ج ، ك.

(٢) سنن النسائى (باب البكاء فى الصلاة من كتاب السهو) ٣ / ١٣.

(٣) سنن أبى داود (باب البكاء فى الصلاة ، من كتاب الصلاة) ١ / ٣٢٩.

(٤) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « وهو » .

(٥) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « وهى » .

(٦) سنن النسائى (باب كيف السلام على اليمين ، من كتاب الصلاة) ٣ / ٦٢.

(٧) سنن أبى داود (باب فى السلام ، من كتاب الصلاة) ١ / ٣٥٩.

(٨) سنن الترمذى (باب ماجاء فى التكبير فى العيدين ، من كتاب الصلاة) ٣ / ٧.

ومنها : فى الكَفَن : ورَوى النَّسائىُّ ، عن أبى سَعيدٍ الخُدْرِىّ حديثًا فيه ، وقال رسول الله ﷺ : « إِذَا وَلِىَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَه » ثم قال : وأخرجه أبو داود . وهذا الحديثُ ليس هو عن أبى سعيد ، ولا أخرج هذا أبو داود ، من حديث أبى سعيد ، وإنما هذا اللفظُ فى التِّرمذِىّ[1] ، من حديث أبى قَتادَةَ ، والذى فى أبى داود[2] من حديث جابر ، ولفظه : « إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ » ونحو هذا اللفظ فى مسلم[3] ، والنَّسائىّ[4] من حديث جابر ، لا من حديث أبى سعيد .

ومنها : فى فصل فى حَمْل الجَنازة : وعن عائشةَ عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا » ذكر أن مسلمًا خَرَّجه ، وإنما خَرَّجه أبو داود[5] .

ومنها : حديث بَهْزِ بن حَكيم ، عن أبيه ، عن جَدِّه فى السائِمة فى الزَّكاة ، وذكر أن التِّرمِذِىَّ خَرَّجه ، وليس فيه .

ومنها : فى أواخر فصل فى شُروط الصَّوم : أخرجه الأربعة ، وهذا لفظ التِّرمِذِىّ ، ثم قال : حَسَنٌ غَرِيب ، ثم قال : ولا أُراه محفوظًا ، وهذا يقتضى أن قولَه : « ولا أُراه محفوظًا » مِن كلام التِّرمِذِىّ ، والذى فى التِّرمِذِىّ[6] ، وقال محمد : ولا أُراه محفوظًا .

ومنها : حديث الصَّعْب بن جَثَّامة : « لَا حِمَى إِلَّا للهِ وَلِرَسُولِهِ » ذكر أنه مُتَّفَق عليه ، وليس هو فى مسلم ، وإنما هو من أفراد البُخارِىّ[7] .

---

(١) فى المطبوعة : « للترمذى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . والحديث بالطريق الذى ذكره المصنف ، فى سنن الترمذى (باب مايستحب من الأكفان ، من كتاب الجنائز) ٤ / ٢١٧.

(٢) سنن أبى داود (باب فى الكفن ، من كتاب الجنائز) ٣ / ٢٦٩.

(٣) صحيح مسلم (باب فى تحسين كفن الميت ، من كتاب الجنائز) ٢ / ٦٥١ ، ولفظه لفظ أبى داود.

(٤) سنن النسائى (باب الأمر بتحسين كفن الميت ، من كتاب الجنائز) ٤ / ٣٣ ، ولفظه لفظ أبى داود.

(٥) سنن أبى داود (باب فى الحفار يجد العظم ، من كتاب الجنائز) ٣ / ٢٨٨.

(٦) راجع سنن الترمذى (باب ماجاء فيمن استقاء عمدًا ، من كتاب الصوم) ٣ / ٢٤٤ ، والحديث : « عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : من ذرعه القىء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض ».

(٧) صحيحه (باب لاحمى إلا لله ولرسوله ، من أبواب الشرب ، من كتاب البيوع) ٣ / ١٤٨ ، وأخرجه أيضا ، فى : (باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذرارى ، من كتاب الجهاد) ٤ / ٧٤.

ومنها : فى باب الوَلِىِّ : ذكر أن رِوايةَ زِياد بن سعد ، عن عبد الله ، عن الدارَقُطْنِىّ : « الثَّيِّبُ أَحَقُّ بنَفْسِها » ورواية زياد بن سعد ، عن عبد الله ، فى مسلم[1] ، بهذا اللَّفظ ، فإضافته[2] إلى مسلم أولى ، وهذا ليس باعتراض ، ولكنه فائدةٌ جليلة .

ومنها : مَواضِعُ كثيرة ، نَبَّه عليها الحافظ قُطْب الدِّين أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحَلَبى[3] ، رحمه الله ، ولَخَّص كتاب « الإِلمام » فى كتاب ، سماه : « الاهتِمام » حسَنٌ خالٍ عن الاعتراضات الواردة على « الإِلمام » مع الإثبات لما فيه[4] .

١٣٢٧

محمد بن علىّ البارِنْبارِى[5]
الملقَّب طُوَيْر اللَّيل . الشيخ تاج الدِّين*

أحدُ أذكياءِ الزمان ، بَرع فقهًا وعِلْمًا وأُصُولًا ومَنطِقا .

وقرأ المَعقُولاتِ على شارِح « المحصول » الشيخ شمس الدين الأَصبَهانىّ .

---

(١) صحيحه (باب استئذان الثيب فى النكاح بالنطق ، والبكر بالسكوت ، من كتاب النكاح) ٢ / ١٠٣٧ ، وعبد الله فى السند ، هو : عبد الله بن الفضل.

(٢) فى المطبوعة : « وإضافته » ، وأثبتناه بالفاء من : ج ، ك.

(٣) هذه النسبة فى المطبوعة ، ومكانها فى ج ، ك : « الحنفى » وقد أجمع كل من ترجم لقطب الدين أنه كان حلبيا ، راجع ذيول العبر ١٨٦ ، وحواشيه ، وذكر بعضهم أنه كان حنفى المذهب . وانظر تاج التراجم ٣٨.

(٤) جاء بحاشية ج : « هنا انتهى الجزء الرابع عشر ، بلغ مقابلة على خط المصنف ».

(٥) فى المطبوعة ، هنا وفيما يأتى : « البازنبارى » بالزاى قبل النون ، وصوابه بالراء ، كما فى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، ومصادر الترجمة الآتية . قال ياقوت : « بارنبار ، الباء موحدة وألف وراء ، هكذا يتلفظ به عوامّ مصر ، وتكتب فى الدواوين : بيورنبارة . وهى بلدة قرب دمياط ، على خليج أشموم والبسراط » . معجم البلدان ١ / ٤٦٥ ، وذكرها السيوطى فى حسن المحاضرة ١ / ٢٨ : « بارنبالة » . وقال الزبيدى فى التاج (ب ر ن ل) ٧ / ٢٢٦ : « وأما برنبال ، بالكسر ، للكورة المشهورة بمصر ، فصوابه : بارنبار ».

*له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١ / ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢١٨ ، شذرات الذهب ٦ / ٤٥ ، طبقات الإسنوى ١ / ٢٨٨ ، مفتاح السعادة ٢ / ٣٦٣ ، الوافى بالوفيات ٤ / ٢٢٢ .

مولدُه سنةَ أربعٍ وخمسين وستمائة .

سمعتُ الشيخَ الإمام الوالدَ رحمه الله يقول : قال لى ابنُ الرِّفعة : مَنْ عِندَكم مِن الفُضلاء فى دَرْس الظاهِريَّة؟ فقلت له : قُطبُ الدِّين السُّنباطِىّ ، وفُلانٌ[1] وفُلانٌ ، حتى انتهيت إلى ذكر البارِنْبارِىّ ، فقال : مافى مَن ذكرتَ مثلُه .

توفِّى سنةَ سبعَ عشرةَ وسبعمائة ، بالقاهرة .

● **ومن مباحثه ، فى السؤال الذى يُورَدُ فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[2]** وتقرير أن السِّنَةَ أعمُّ من النَّوم ، ويَلْزَم مِن نَفْى العامِّ نَفْىُ الخاصِّ ، فكيف قال : ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ﴾ .

وقد أجاب الناسُ عن هذا بأجوبةٍ كثيرة ، ومن أحسنها مانَحاه هذا الرجلُ ، فإنه قال : الأمرُ فى الآيةِ على خلافِ مافُهِم ، والمَنفىُّ أوّلًا إنما هو الخاصُّ ، وثانيا : العامُّ ، ويُعرَف ذلك من قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ ﴾ أى لاتَغلِبُه ، ولا يَلزَمُ مِن عدمِ أَخْذِ السِّنَة [له][3] ، التى هى قليلٌ من نومٍ أو نُعاسٍ ، عَدَمُ أخذ النَّومِ له ، فقال : ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وعلى هذا فالسؤالُ مُنْتَفٍ ، وإنما يَصِحُّ إيرادُه أن لو قِيل : لايحصلُ له سِنَةٌ ولا نَوْمٌ .

هذا جوابه ، وهو[4] بليغٌ ، إلا أن لك أن تقول : فلِمَ لا اكتفى بنفيِ أَخْذِ النَّومِ ، على هذا التقرير الذى قَرَّرتَ ، وما الفائدةُ حينئذٍ فى ذِكر السِّنَة؟

● **ومن سؤالاته فى الفقه قولُه : سَوَّى الأصحابُ بينَ المانِعِ الحِسِّىّ والشَّرعِىّ ؛ فيما** إذا باع جاريةً حاملًا بحُرٍّ ، أو باع جاريةً إلا حَمْلَها ، فإن الصَّحيح فيهما[5] البُطلان ،

---

(١) فى ج ، ك : « وفلان ابن فلان » ، وأثبتنا الصواب من المطبوعة ، والطبقات الوسطى ، وفيها زيادة : « وعددت ».

(٢) سورة البقرة ٢٥٥.

(٣) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة ، والطبقات الوسطى.

(٤) فى المطبوعة : « وهذا » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

(٥) فى المطبوعة : « فيها » ، والمثبت من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.

ولم يفعلوا ذلك فيما إذا باع دارًا مستأجَرَة ، فإن الصَّحيحَ الصِّحَّةُ فيها ، والبُطلانُ فيما إذا باع دارًا واستثنى منفعتَها شهرًا .

● وأجاب وقد سُئل : كيف يقول الغَزَّالِيُّ إن النيّةَ فى الصلاة بالشرُّوط أشْبَهُ ، وهو[1] شَرَط أن تكون مُقارَنةً بالتكبير[2] ، والتكبيرُ ركنٌ ، فيتَّحِدُ زمانُ الرُّكنِ والشَّرط ، مع كونِ الرُّكْنِ لابُدَّ أن يكونَ داخلَ الماهِيّة ، والشَّرطِ خارجًا : بأن المرادَ بالداخل ماتَتَقَوَّمُ به الماهِيَّةُ ، ولا تَصْدُقُ بدُونهِ ، وبالخارج ماليس كذلك ، سواء أقارَن[3] الداخلَ فى الزمان أم لا ، فالترتيب ليس فى الزمان ، والنّيّةُ لاتَتَقَوَّم بها الصلاة ، لجواز أن توجَدَ بلا نيّة ، وتكونَ صلاةً فاسدة ، وكذلك تَرْكُ الأفعالِ الكثيرةِ فى الصلاة ، فإنه شَرْطٌ مع كونه لايوجدُ إلا داخلَ الصَّلاة ، وكذلك استقبالُ القِبلة ، بخلاف التكبير ، فإنه متى انتفى انتفت حقيقةُ الصلاة .

هذا جوابه ، وهو على حُسْنِه قد يُقال عليه : هذا إنما يتمُّ إذا قلنا إن الصلاةَ موضوعةٌ لما هو أعمُّ من الصحيحِ والفاسد ، لتصدُقَ[4] صلاةٌ صحيحة وصلاةٌ فاسدة ، أمّا إذا قلنا : إنها [إنما][5] هى موضوعةٌ للصحيح فقط ، فحيث انتفى شرطُها لاتكون موجودة .

وقد حكى الرافعيُّ الخلافَ فى أن لفظَ العبادات هل هو موضوعٌ لما هو أعمُّ من الصحيح والفاسد ، أو مختصٌّ بالصحيح؟ حيث قال فى كتاب الأَيمان : وسيأتى خلافٌ فى أنّ لفظَ العبادات ، هل هو موضوعٌ لما هو أعمُّ من الصحيح والفاسد ، أو مختصٌّ بالصحيح؟ وإن كان لم يَفِ بما وَعَد ، إذ لم يحكِه بعدُ ، على مارأيناه ، وسيأتى فى ترجمة الشيخ الإمام ، مافيه مَزيدُ تحقيقٍ عن السؤال .

---

(١) فى الطبقات الوسطى : « وهى يشترط ».
(٢) فى الطبقات الوسطى : « للتكبير ».
(٣) فى أصول الطبقات الكبرى : « قارن » ، وأثبتنا مافى الطبقات الوسطى.
(٤) فى المطبوعة : « لصدق » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.
(٥) ساقط من : ج ، ك ، وأثبتناه من المطبوعة ، والطبقات الوسطى.

١٣٢٨

محمد بن عَقِيل بن أبى الحسن البالِسِىّ ثم المصرىّ *

الشيخ نجمُ الدِّين ، شارح « التنبيه » .

وصنَّف أيضًا فى الفقه « مختصرًا » لخَّص فيه كتاب « المُعِين » ، واختصر « كتاب التِّرمِذِىّ » فى الحديث .

وكان أحدَ أعيان[1] الشافعيّة ، دِينًا ووَرَعًا .

سمع بدمشق من ابن البُخارىّ[2] ، وغيرِه ، وبالقاهرة من ابن دَقِيق العِيد[3] ، وغيرِه .

ووَلِىَ القضاء بدِمْياط وبِلْبِيس وأُشْمُوم[4] وغيرِها .

مولده سنةَ ستين وستمائة .

ومات بمصرَ فى رابع عشر المحرَّم ، سنةَ تسع وعشرين وسبعمائة[5] .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٤٤ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٥ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٦٩ ، ذيول العبر ١٥٩ ، ١٦٠ ، شذرات الذهب ٦ / ٩١ ، طبقات الإسنوى ١ / ٢٩٠ ، ٢٩١ ، النجوم الزاهرة ٢٨٠/٩ ، الوافى بالوفيات ٩٨/٤ . وحق هذه الترجمة أن تتقدم ، لمكان « عقيل » .

(١) فى المطبوعة : « أعلام » ، والمثبت من : ج ، ك.

(٢) هو الفخر ، كما صرح به فى بعض مراجع الترجمة.

(٣) وناب فى الحكم عنه ، كما فى الطبقات الوسطى ، وبعض مراجع الترجمة.

(٤) أشموم ، بضم الهمزة والميم ، وهى هنا : بلد بمصر قرب دمياط . معجم البلدان ١ / ٢٨٢.

(٥) فى طبقات الإسنوى زيادات طيبة فى الترجمة ، فانظرها.

١٣٢٩

محمد بن عمر بن مَكِّىّ بن عبد الصَّمد

الشيخ الإمام صَدْرُ الدِّين بن المُرَحِّل*

تفقَّه على والِدِه [وعلَى][1] الشيخ شرفِ الدِّين المَقْدِسِىّ .

وسمع الحديثَ من القاسم الإرْبِلِّى ، والمُسْلِم بن عَلّان ، وطائفة .

وقعَتْ لنا عنه أناشِيدُ من نظمه ، ولم يَقَع لنا حديثُه .

كان إمامًا كبيرًا ، بارِعًا فى المذهب والأصلَين ، يُضرَب المثلُ باسمِه ، فارسًا فى البحث ، نَظَّارًا ، مفرِط الذكاء ، عجيبَ الحافِظة ، كثيرَ الاشتغال ، حسنَ العقيدة فى الفقراء ، مليحَ النَّظم ، جَيِّدَ المحاضرة .

وُلِد بدمشق ، ونشأ بها ، وانتقل إلى القاهرة ، وبها تُوُفِّى ، وتنقَّلَت[2] به الأحوال .

وله مع ابن تَيْمِيّةَ المناظراتُ الحسَنَةُ ، وبها[3] حصل عليه التَّعَصُّبُ مِن أتباعِ ابن تَيْمِيّة ، وقيل فيه ماهو بعيدٌ عنه ، وكثر القائلُ فارتاب العاقل .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٨٠ ، ٨١ البدر الطالع ٢ / ٢٣٤ ــ ٢٣٦ ، حسن المحاضرة ١ / ٤١٩ ، ٤٢٠ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٢٧ ــ ٣١ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢٣٤ ــ ٢٤١ ، ذيول العبر ٩٠ ، السلوك ، القسم الأول من الجزء الثانى ١٦٧ ، شذرات الذهب ٦ / ٤٠ ــ ٤٢ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٤٥٩ ــ ٤٦١ ، فوات الوفيات ٢ / ٥٠٠ ــ ٥١٣ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٣٣ ــ ٢٣٥ ، الوافى بالوفيات ٤ / ٢٦٤ ــ ٢٨٤ .

ويعرف صاحب الترجمة أيضا : بابن الوكيل ، على ماجاء فى بعض مراجع ترجمته . قال الصفدى فى الوافى : « ويعرف فى الشام : بابن وكيل بيت المال » .

والمرحل ، بكسر الحاء المشددة ، على مافى تبصير المنتبه ١٢٧٥ .

(١) ساقط من أصول الطبقات الكبرى ، وأثبتناه من الطبقات الوسطى ، وتقدمت ترجمة والد المترجم فى ٣٤٢/٨ ، وشرف الدين المقدسى فى ١٥/٨ .

(٢) فى المطبوعة : « وتقلبت » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . وقال الصفدى فى الوافى : « وجرت له أمور وتنقلات » .

(٣) فى المطبوعة : « وبه » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .

كان الوالدُ رحمه الله ، يعظِّمُ الشيخَ صدرَ الدين ويحبُّه ، ويُثنى عليه بالعِلم وحسن العقيدة ومعرفةِ الكلامِ على مذهب الأشعرىّ .

درَّس بدمشق بالشامِيَّتين والعَذْراوِيَّة .

ووَلِىَ مشيخةَ دارِ الحديثِ الأشْرَفِيَّة[١] ، وباشَرَها مدَّةً ، ثم دَرَّس [فى][٢] آخرِ عمرِه بالقاهرة ، بزاوية الشافعىّ ، والمَشْهَدِ الحُسينىّ ، وهو أوَّلُ من دَرَّس بالمدرسة الناصِرِيّة بها .

ذكره القاضى شِهابُ الدّين بنُ فَضل الله فى « تاريخه » ، فقال : إمامٌ له نَسَبٌ فى قُرَيش أعْرَق ، وحَسَبٌ فى بنى عَبدِ شَمس مِثْل الشمس أشْرَق ، وعِلْمٌ لو أن البحرَ شَطَأَ[٣] شِبهَه لأغْرَق ، وفَهْمٌ لو أن الفَجرَ سَطَع نظيرَه لأَحْرَق .

وثَبْتٌ طَنَّب على المَجَرَّة ، ومَدَّ رِواقَه فتلألأ بالمَسَرَّة ، ونَشَرَ رايتَه البيضاء الأُمويّة[٤] وحولَها ثُغُورُ الكواكِبِ المنيرة ، وارْتَفَع أن يُقاسَ بنَظِير ، واتَّضَعَ والثُّريّا تاجٌ فوقَ مَفْرِقِه والجَوزاءُ تحتَه سَرِير .

وهِمَّةٌ دُونَ السما لايُقَصِّرها[٥] ، وحِكمةٌ عن سَبْق القُدَما[٦] لا يُؤَخِّرُها .

مع جَبينٍ وَضَّاح ، ويَمينٍ منها الكَرَمُ يُستَماح ، وأدَبٍ أشْهَى مِن رَشْفِ الرُّضاب ، وأحْلَى من رِضا الحَبائِب الغِضاب ، وخُلُقٍ شَرَح الله صدرَه ، ومِنَحُ فَضْلِه أنْدَت الرِّياضَ المُخْضَرَّة [انتهى][٧] .

---

(١) بدمشق ، كما صرح المصنف فى الطبقات الوسطى.

(٢) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٣) فى المطبوعة : « سطا » بالسين المهملة ، وأثبتناه بالشين المعجمة ، من : ج ، ك ، لكن فيهما « شطا » بالألف وصوابه الهمز ، ومعناه : أخرج . راجع اللسان (شطأ).

(٤) فى المطبوعة : « الأمدية » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.

(٥) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « لاتقصرها » . وأهمل النقط فى : ك.

(٦) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « القدر مالايؤخرها ».

(٧) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

● وللشيخ صدرِ الدين كتاب « الأشباه والنَّظائر » ، ومات ولم يُحَرِّرْه ، فلذلك رُبَّما وقعت فيه مَواضِعُ على وجهِ الغَلَط ، مثل حكايته عن بعضِ الأئمة وَجْهين فيما إذا كَشَف عورتَه فى الخلاء زائدًا على القَدْرِ المُحتاج[١] ، هل يَأْثَمُ على كشفِ الجميع ، أو على القَدْر الزائد؟ وهذا لم أَرَه فى كِتاب[٢] .

وذكره شيخُ الأدباء القاضى صلاحُ الدِّين الصَّفَدِىّ ، فقال : أمَّا التفسيرُ فابنُ عَطِيَّةَ عندَه مُبَخَّل[٣] ، والواحِدِىُّ شارَكَ العِىُّ لفظَه فتَخَيَّل .

وأمّا الحديثُ فلو رآه ابنُ عساكرَ لانْهَزَم ، وانْضَمَّ فى زوايا « تاريخه » وانحزم .
وأمّا الفقهُ فلو أبصره المحامِلِىُّ ماتَحَمَّلَ[٤] مِن غرائب قاضى[٥] النقل عنه ومانَصَب ، ورَجَع عمّا قال به مِن استحباب الوضوءِ مِن الغِيبة وعندَ الغَضَب .

وأمّا الأصولُ فلو رآه ابن فُورَك لفَرَكَ عن طريقته ، وقال بعَدَمِ المجاز إلى حَقيقتِه .
وأمّا النحوُ فلو عاصَرَه عَنْبَسَةُ الفِيل لكان مِثلَ ابنِ عُصْفُور ، أو أبو الأَسْوَد لكان ظالِمًا[٦] وذَنْبُه غيرُ مَغْفُور .

وأمّا الأدب فلو عايَنَه الجاحِظُ لأمسَى لهذا الفَنِّ وهو جاحِد ، أو الثَّعالبىُّ لَراغَ عن تصانيفِه وماَاعتَرَف منها بواحِد .
وأمّا الطِّبُّ فلو شاهَده ابنُ سينا لمَا أطرَب قانُونُه ، أو ابنُ النَّفِيس لَعادَ نَفِيسًا[٧] قد ذهبت[٨] نُونُه .

---

(١) بعد هذا فى المطبوعة : « إليه » . وليس فى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى.
(٢) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : « ويشبه أن يكون زلة قلم ، إلى غير ذلك ».
(٣) فى المطبوعة : « منجل » . وفى : ك : « مبجل » ، وأثبتنا الصواب من : ج.
(٤) فى المطبوعة : « محا مايحمل » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك.
(٥) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ،ك : « ماض » . ولم نعرف صوابه .
(٦) إشارة إلى اسم أبى الأسود ، وهو : ظالم بن عمرو.
(٧) كذا فى المطبوعة ، وفى ج ، ك : « لعاد سين » .
(٨) فى المطبوعة : « ذهب » ، والمثبت من : ج ، ك.

وأمَّا الحِكمةُ فالنَّصِيرُ الطُّوسِيُّ عندَه مَخْذُول ، والكاتِبِيُّ دَبيران[1] أدْبَرَ عنه وحَدُّه مَفْلُول .

وأما الشّعْرُ فلو حاذاه[2] ابنُ سَناء المُلْك فَنِيَتْ ذخيرةُ مجازاتِه وحَقائِقِه ، أو ابنُ الساعاتِيّ ماوَصَل إلى دَرجتِه ، ولا انتهى إلى دَقائقِه .

وأمَّا المُوشَّحات فلو وَصَل خَبَرُه إلى المَوْصِلِيّ لأصبحَ مَقْطُوعَ الذَّنَب ، أو ابنُ زُهْر[3] لمَا رأى [له][4] السماء نَجْمًا إلّا هَوَى ، ولا بُرْجًا إلّا انْقَلَب .

وأمَّا البَلاليقُ[5] فابنُ كلفة عندَه يَتكلَّف ، وابنُ مُدْغَلِّيس[6] يَغْلِس للسعى فى رِكابه ومايتخلَّف . انتهى قليلٌ ممّا ذكره القاضى صلاحُ الدِّين بلَفظه .

وكانت للشيخ صدرِ الدين صَدَقاتٌ دارَّةٌ ، ومَكارِمُ حاتِمِيَّةٌ ماأشكُّ أنها كانت دافِعة لكثير[7] من السُّوءِ عنه ، فلطالَما دخَل فى مَضايِق ونجا منها .

---

(١) فى المطبوعة : « والكياسي ديوان » ، ورسم الكلمتين غير واضح فى : ج ، ك . والصواب ماأثبتنا ، وهو : على بن عمر بن على ، نجم الدين الكاتبى القزوينى ، وشهرته « دبيران » قال ابن شاكر : « بفتح الدال المهملة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء ، وبعدها راء وألف ونون » ، وكان مشتغلا بالمنطق والحكمة ، وهو من تلاميذ نصير الدين الطوسى . راجع فوات الوفيات ٢ / ١٣٤ ، والأعلام ٥ / ١٣١.

وبهذه النسبة « الكاتبى » يصحح ماسبق فى صفحة ١٦١ ، السطر الخامس ، حيث ورد : « الكايسى » ، والكلام هنا وهناك ، من إنشاء الصفدى .

(٢) فى المطبوعة : « جازاه » . وأهمل النقط فى : ك ، وأثبتنا ما فى : ج.

(٣) فى المطبوعة : « زهير » . والتصحيح من : ج ، ك . وهو : محمد بن عبد الملك بن زهر الإشبيلى ، من أشهر الوشاحين . انظر معجم الأدباء ١٨ / ٢١٦ ، المغرب ١ / ٢٧١ ، وحواشيه.

(٤) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٥) البلاليق : جمع بليقة ، وهو لون من ألوان الشعر الشعبى كالزجل ، وهو فن مصرى ، أكثر مايدور فى الهزل والخلاعة والمجون ، وتسميته ترجع إلى « البليق » وهو طائر جميل الشكل ، حسن المنظر . راجع كتاب « ابن دقيق العيد » للدكتور على صافى حسين ١١٩ ، ١٢٠.

(٦) كذا فى الأصول . والذى وجدناه : أبو عبد الله ، أحمد بن الحاج ، المعروف بمدغليس ، وكان وشاحا زجالا . راجع المغرب ٢ / ٢١٤ ، نفح الطيب ٢ / ٤٨٦ ، وانظر فهارسه.

(٧) فى المطبوعة : « لمكر » . وأثبتنا مافى : ج ، ك . لكن سقط فيهما : « من ».

ومِن أحسنِ مابَلَغنِى عنه مِن صَدقاتِه : ماحكاه صاحبُه الحافظ شِهابُ الدِّين العَسْجَدِىّ ، قال : كنت معه ليلةَ عيدٍ ، فوقف له فقيرٌ استَجْداه ، فقال لى : أَيْشَ معك؟ فقلت : مائَتا[1] دِرهم ، فقال : ادْفَعْها إلى هذا الفقير ، فقلت له : ياسَيِّدى ، الليلة[2] العِيد ، وما مَعنا مانُنفِقه غدًا ، فقال لى : امْضِ إلى القاضى كريم الدّين الكبير ، وقل له : الشيخُ يُهَنِّئُك بهذا العيد .

فلمّا رآنى كريمُ الدِّين قلت [له][3] ماقاله [لى][4] الشيخ ، قال : كأنَّ الشيخَ يَعُوز نَفَقةً فى هذا العِيد ، ودَفَع إلىَّ ألفَىْ دِرْهم ، وقال : هذه للشيخ ، ولك أنت ثلاثُمائةِ درهم .

فلمَّا حضرتُ بالدَّراهم إلى الشيخ ، قال : صَدَق رسولُ الله ﷺ : « الحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِها »[5] هذه مائتان بألفَين .

وُلِد الشيخُ صدرُ الدِّين سنةَ خمسٍ وستين وستمائة .

وتُوُفِّى بالقاهرة فى سنة سِتَّ عشرة وسبعمائة .

أنشدَنا الحافظُ أبو العباس أحمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد المُحسِنِ العَسْجَدىّ ، بقراءتى عليه ، قال : أنشدَنا الشيخُ صدرُ الدِّين بن المُرحِّل ، لنفسه مِن لفظِه[6] :

---

(١) فى المطبوعة : « مائة » ، وأثبتنا الصواب ، من : ج ، ك ، وبعض مصادر الترجمة التى ذكرت القصة ، ويؤيده مابعده.

(٢) فى المطبوعة : « الليلة ليلة العيد » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمصادر المذكورة.

(٣) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة.

(٤) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك.

(٥) فى المطبوعة : « الحسنة أمثالها بعشرة » . وفى : ج ، ك ، والوافى : « الحسنة بعشرة » ، وأثبتنا مافى الدرر الكامنة ، والبدر الطالع . وهو فى صحيح البخارى (باب حسن إسلام المرء ، من كتاب الإيمان) ١ / ١٧.

(٦) القصيدة فى الوافى ، والفوات ، والشذرات ، ووردت من غير نسبة فى حلبة الكميت ١٢٧ ، وورد البيتان السادس والسابع فى الغيث الذى انسجم ، شرح لامية العجم ١ / ١٨.

لِيذْهَبُوا فى مَلامِى أَيَّةَ ذَهَبُوا فى الخَمْرِ لا فِضَّةٌ تَبْقَى ولا ذَهَبُ[1]

والمالُ أجْمَلُ وَجْهٍ فِيه تُنفِقُهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وراحٍ فى الدُّجا لَهَبُ

لا تأسَفَنَّ علَى مالٍ تُمزِّقُهُ أَيْدِى سُقاة الطِّلا والخُرَّدُ العُرُبُ

فما كَسَوْا راحَتِى مِن راحِها حُلَلًا إلَّا وعَرَّوْا فؤادِى الهَمّ واسْتَلَبُوا

رَاحٌ بها راحَتِى فى راحَتِى حَصَلَتْ فتَمَّ عُجْبى بها وازْدادَ لِى العَجَبُ

ومنها :

وليسَتِ الكِيمِيا فى غَيْرِها وُجِدَتْ وكلُّ مَا قِيلَ فى أبوابها كَذِبُ

قِيراطُ خَمْرٍ علَى القِنطارِ مِن حَزَنٍ يُعيدُ ذلك أفراحًا ويَنقَلِبُ

عَناصِرٌ أرْبَعٌ فى الكأس قد جُمِعَتْ وفَوقَها الفَلَكُ السَّيَّارُ والشُّهُبُ

ماءٌ ونارٌ هَواءٌ أرْضُها قَدَحٌ وطَوْقُها فَلَكٌ والأنْجُمُ الحَبَبُ

ما الكأسُ عِندِى بأطْرافِ الأنامِلِ بَلْ بالخَمْسِ تُقْبَضُ لا يحلو بها الهَرَبُ[2]

شَجَجْتُ بالماءِ منها الرأسَ مُوضِحَةً فحِينَ أُعْقِلُها بالخَمْسِ لا عَجَبُ

صَفْراءُ فاقِعَةٌ فى الكأسِ ساطِعَةٌ كالتِّبْرِ لامِعَةٌ كاساتُها سُحُبُ

وإن أُقَطِّب وَجْهِى حِينَ تَبْسِمُ لِى فعندَ بَسْطِ المَوالِى يُحْفَظُ الأَدَبُ

وهى طويلةٌ أنشدَها العَسْجِدِىُّ بجُملَتِها ، وقد اقتصرْنا على ما انتقَيناه منها .

وانظر هذا الفقيهَ ما أحلى قولَه : « شَجَجْتُ بالماء » البيتَ ، وما أحسنَ استحضارَه لمُشكِلاتِ الفقه فى هذا المقام ، وأحسَبُه قصدَ بهذا القصيد مُعارَضةَ ابنِ الخيمى[3] ، فى قصيدته الغَزليَّة التى ادَّعاها ابن إسرائيل ، وهى قصيدةٌ بديعةٌ غَرَّاءُ ، مطلعُها :

---

(١) فى أصول الطبقات : « لتذهبوا ... إنهم ذهبوا » ، وأثبتنا الصواب من المراجع المذكورة .

(٢) فى المراجع المذكورة : « لها الهرب » .

(٣) هو : محمد بن عبد المنعم بن محمد ، شهاب الدين المصرى ، المتوفى بالقاهرة سنة (٦٨٥) ، وقد أورد الصفدى وابن شاكر قصيدته ، وقضية معارضة ابن إسرائيل . راجع الوافى ٥١/٤ ، والفوات ٤٥٩/٢ ، وانظر أيضا الغيث الذى انسجم ١٨٠/١ ، ٣٥٣ .

يامَطْلبًا ليس لِى فى غَيرِه أَرَبُ	إليكَ آلَ التَّقَضِّى وانْتهَى الطَّلَبُ[1]
وما طَمحْتُ لمَرْأى أو لمُسْتَمَعٍ	إلَّا لِمَعْنًى إلى عَلْياكَ يَنْتَسِبُ[2]
وما أرانِىَ أهلًا أن تُواصِلَنِى	حَسْبِى عُلُوًّا بأنِّى فيك مُكتَئِبُ[3]
لكن ينازِعُ شوقى تارةً أدَبِى	فأطلب الوصلَ لمّا يضعُفُ الأدبُ[4]
ولستُ أبرَحُ فى الحالَيْنِ ذا قَلَقٍ	بادٍ وشَوْقٍ له فى أضْلُعِى لَهَبُ[5]
ومَدْمَعٍ كُلَّما كَفْكَفْتُ أدمُعَهُ	صَوْنًا لِذكْرِكَ يَعْصينِى ويَنْسَكِبُ[6]
ويَدَّعِى فى الهَوَى دَمْعى مُقاسَمَتِى	وَجْدِى وحُزْنِى وَيَجْرِى وَهْوَ مُخْتَضَبُ[7]
كالطَّرْفِ يَزْعُم تَوْحِيدَ الحَبِيب ولا	يَزالُ فى لَيلِه للنّجمِ يَرْتَقِبُ

وأنشدَنا الحافِظُ أبو العباس العَسْجدِىُّ ، بقراءتى عليه ، قال : أنشدَنا الشيخُ صدرُ الدِّين مِن لفظِه لنفسِه[8] :

يارَبِّ جَفْنِى قد جَفاهُ هُجُوعُهُ	والوَجْدُ يَعْصِى مُهْجَتِى ويُطِيعُهُ[9]
يارَبِّ قَلْبِى قد تَصدَّعَ بالنَّوَى	فإلى متَى هذا البِعادُ يَرُوعُهُ
يارَبِّ بَدْرُ الحَىِّ غابَ عن الحِمَى	فَمَتى يكونُ على الخِيامِ طُلوعُهُ

---

(١) فى الوافى والفوات : « التقصى » .

(٢) فى المطبوعة : « وماطمحت لراء » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والوافى . ولم يرد البيت فى الفوات .

(٣) فى الأصول : « ومأرانى أهل » . والتصحيح من الوافى ، والفوات . وجاء فى مطبوعة الطبقات :

* حسى علوا مابى فيك مكتسب *

وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(٤) لم يرد هذا البيت فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(٥) فى الوافى والفوات : « نام وشوق » .

(٦) فى الفوات : « كفكفت صبيه » .

(٧) فى أصول الطبقات : « ونحرى وهو مختضب » ، وأثبتنا الصواب من الفوات . وفى الوافى : « فيجرى » .

(٨) القصيدة فى طبقات الإسنوى .

(٩) فى المطبوعة : « يعصى مقلتى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، وطبقات الإسنوى .

يارَبِّ فى الأَظْعانِ سار فُؤادُهُ وبِوُدِّه لو كان سارَ جميعُــهُ[1]
يارَبِّ لا أَدَعُ البُكَا فى حُبِّهِمْ مِن بَعدِهِمْ جُهْدُ المُقِلِّ دُمُوعُهُ
يارَبِّ هَبْ قَلْبَ الكَئيبِ تَجلُّدًا عَمَّنْ يُحِبُّ فقد دنا تَودِيعُهُ
يــارَبِّ هــذا بَيْنُــهُ وبِعــادُهُ فمتَى يكونُ إيابُهُ ورُجُوعُــهُ
[يارَبِّ أهلًا ماقضيتَ وإنّمــا أدعو بعَوْدِهِمُ وأنت سميعُهُ][2]

ومِن مُوشَّحاتِه :

دَمْعِـــى رَوَى مُسَلْسَلا بالسَّنَـــدِ عن بَصَرِى[3] أَحْزانِى
لَمَّا جَفا مَن قَـد بَـلا بالرَّمَــدِ والسَّهَـرِ أَجْفانِــى
غَــزالُ أُنْسٍ نافِـــرْ نِيـطَتْ بـه التَّمائِــمْ
وغُصْنُ بــانٍ نــاضِرْ أزْهــارُهُ المَبـــاسِمْ
قَلْبِــى عليـه طائِـــرْ تَبْكِــى لـه الحمائِــمْ
وإن غابَ فَهْوَ حاضِرْ بالفِكْـرِ لِــى مُــلازِمْ
كَم قَدْ لَوَى على الوِلا مِن مَوْعِدِ لم يُفَكِّرْ فى عانِى
وقــد كَفَــى ماقـد بَــلا بالكَمَــدِ والفِكْرِ ذا الجانِى[4]
أَزْرَى بِغِزْلانِ النَّقَــا وبانِـــه وحِقْفِـــهِ[5]
كَم حَلَّ مِن عَقْدِ تُقَى بطَرْفـــهِ وظَرْفِـــهِ
لم أنْسَهُ لَمَّـا سَقَــا مِـــن ثَغْــرِهِ لإلفِـــهِ
سُلافَ رِيـقٍ رَوَّقــا فى ثَغْــرِه لِرشْفِـــهِ[6]

---

(١) فى طبقات الإسنوى : « ياليته لو كان » .
(٢) زيادة من الطبقات الوسطى وطبقات الإسنوى . وفى الوسطى : « هلا » بتشديد اللام .
(٣) فى المطبوعة : « بصر » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .
(٤) فى المطبوعة : « الجانبى » . والتصحيح من : ج ، ك .
(٥) فى المطبوعة : « وحققا » . وفى : ك : « وجفنه » ، والمثبت من : ج .
(٦) فى المطبوعة : « أرشفه » . والتصحيح من : ج ، ك .

قَـدِ احْتَـوَى علَـى طِـلا وسُهْـدِ   ودُرَرِ مَرْجـــــانِ
ورَصَّعـــــا وكَلَّـــــلا بالبَـــــرَدِ   والزَّهْـــرِ للحـــانِ

أمالَـهُ سُكْـرُ الصبّـا   مَيْـلَ الصَّبـا بقَـــدِّهِ
وفَكَّ أزْرارَ القَبـــــا   وحَـلَّ عَقْـدَ بَنْـــدِهِ
وسدنه[1] زَهْرُ الرُّبـا   وساعِـدِى لسعـــدِهِ[2]
وبِتُّ أرْعَـى زَغَبـــا   مِن فَوْقِ وَرْدِ خَـدِّهِ

مِثْلُ[3] الهَوَى هَبَّ علَى رَوْضٍ نَـدِ   مِن طُـرَرِ رَيحانِـى
قـد لَطُفـا حتَّـــى علَا مُـــوَرَّدِ   مُزْهِــرِ نُعْمانِـــى[4]

خَـدٌّ بـه خَـدّ البُكَـا   فى صحنِ خَدِّى[5] غُدُرا
ورَدٌّ لَمَّـا أن شَكَـــا   سائِـلَ دَمْعِـى نَهَـــرَا
كَمْ مُغْرَمٍ قـد تَرَكَـا   بَيـنَ البَرايــا عِبَـــرا
يا مَن إليهِ المُشْتَكَـى   الحالُ[6] يُغْنِـى النَّظَـــرا

وإذا[7] الهوى فانْهَـــملَا دَمْعِـــى الصَّدِى   كالمَطَـــرِ هَتَّانِــــى
ومــا انْطَفَــا واشْتَــعلَا فى كَبِـــدى   كالشَّرَرِ نيرانِـــــى

يافَرْحَـــةَ المَحْــــزُونِ   وفَرْحَـــهُ لِمــن يَــرَى
إن صُلْتَ بالجُفُـــونِ   وصِدْتَ مِن جَفْنِى الكَرا

(١) هكذا فى الأصول ، ولم نعرف صوابه .
(٢) فى المطبوعة : « بسعده » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٣) فى المطبوعة : « من » . والتصحيح من : ج ، ك .
(٤) فى المطبوعة : « من هز نعمان » . والتصحيح من : ج ، ك .
(٥) فى المطبوعة : « خد » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . وجاء فى المطبوعة : « عذرا » . وفى : ج : « غذرا » ، وأثبتنا مافى : ك . والغدر ، جمع الغدير ، وهو : القطعة من الماء يغادرها السيل .
(٦) فى المطبوعة : « والحال » . وأسقطنا الواو ، كما فى : ج ، ك .
(٧) فى المطبوعة : « واد الهوى » ، والمثبت من : ج ، ك .

فليس مَن[1] يَحْمِينِي ... سِوَى الذى فاقَ الوَرَى
شَمْسِ العُلا والدِّينِ ... أبى سَعِيدٍ سُنْقُرَا
مَوْلًى حَوَى كُلَّ العُلا[2] وسُؤْدَدٍ ... مِن مَعْشَرٍ فُرْسانِ
وقد صَفَا ثُمَّ حَلَا فى المَوْرِدِ ... للمُعْسِرِ والعانِى

ومنها[3] :

غَدا مُنادِينا[4] مُحكَّمًا فِينا ... يَقْضِى علينا الأَسَى لولا تأسِّينا
بَحْرُ الهَوَى يُغْرِقْ ... مَن فيه جَهْلًا عامْ[5]
ونارُه تُحْرِقْ ... مَن هَمَّ أوقَد هامْ
ورُبَّما يُقْلِقْ ... فَتًى عليهِ نامْ
قد غَيَّرَ الأجسامْ وصَيَّرَ الأيّامْ ... سودًا وكانت بكُمْ بيضًا ليالِينا
ياصاحبَ النَّجْوَى ... قِفْ واستَمِعْ مِنِّى
إيَّاكَ أن تَهْوَى ... إنَّ الهَوَى يُضْنِى
لا تَقْرَبِ البَلْوَى[6] ... اسمَعْ وقُلْ عنِّى
بِحارُهُ مُرَّهْ خُضْنا على غِرَّهْ ... حِينًا فقام بها للنَّعْيِ ناعِينَا
مَن هامَ بالغِيدِ ... لاقَى بِهِمْ هَمًّا

---

(١) فى : ج ، ك : « لمن » ، والمثبت من المطبوعة .
(٢) فى المطبوعة : « علا » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٣) مستخدما نونية ابن زيدون الشهيرة ، التى مطلعها :
أضحى التنائى بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لُقيانا تَجافِينا
والموشحة فى نفح الطيب ١ / ٦٣٢ ــ ٦٣٤ .
(٤) فى المطبوعة : « مناديا » . والتصحيح من : ج ، ك ، والنفح .
(٥) فى النفح : « جهده عام » .
(٦) فى المطبوعة : « السلوى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والنفح .

بذلــــتُ مَجْهُـــودِى   لأَحْـــوَرٍ أَلْمَـــى
فهَـــمَّ[1] بالجُـــودِ   ورَدَّ مـاهَمَّـــا
وعندما قد جادْ بالوَصْلِ أو قد كادْ   أضْحَى التَّنائِى بَدِيلًا مِن تَدانِينا

بحَـــقِّ مابَيْنِـــى   وبَيْنَكـــم إلَّا
أقرَرْتُـــمُ عَيْنِـــى   فتجمعُـــوا الشَّمْـــلا
فالعَيْـــشُ[2] بالبَيْـــنِ   بفَقْدِكُـــم أَبْلَـــى
جَديدَ[3] ماقد كانْ بالأهلِ والإخوانْ   ومَوْرِدِ اللَّهْوِ صافٍ من تَصافِينا

ياجِيـــرَةً بانَـــتْ[4]   عـن مُغْـرَمٍ صَبِّ
لعَهْـــدِهِ خانَـــتْ   مِن غيـرِ ماذَنْـــبِ
ما هكـــذا كانَـــتْ   عَوائِـــدُ العُـــرْبِ
لاتَحسَبُوا البُعْدا يُغيِّرُ العَهْدَا   إذ طالَما غَيّر النَّأْىُ المُحِبِّينا

يانـــازِلًا بالبـــانْ   بالشَّفْـــعِ والوَتْـــرِ
والنَّمْـــلِ والفُرقـــانْ   واللَّيـلِ آذا يَسْـــرِى
وسُـــورةِ الرحمـــنْ   والنَّحْـــلِ والحِجْـــرِ
هَل حَلَّ فى الأديانْ أن يَقْتُلَ الظَّمآنْ   مَن كان صِرفَ الهوى والوُدِّ يَسْقِينا

ياسائـــلَ[5] القَطْـــرِ   عَـرِّجْ علَى الـوادِى
مِـن ساكِنِى بَـدْرِ   وقِـفْ بهـم نـادِى
عسَى صَبًا تَسْـرِى   لمُغْـرَمٍ صـادِى

---

(١) فى النفح : « يهم » .

(٢) فى النفح : « فالعين » .

(٣) فى المطبوعة : « من » . والتصحيح من : ج ، ك ، والنفح .

(٤) فى المطبوعة : « نامت » . والتصحيح من : ج ، ك ، والنفح .

(٥) فى أصول الطبقات : « ياسائلى » ، وأثبتنا الصواب من النفح .

إن شئتَ تحيينا بَلِّغْ تحايينا مَن لو على البُعْدِ حَيّا كان يُحْيِينا

وافَتْ لنا أيَّامْ كأنَّها أعوامْ

وكان لِى أعوامْ كأنَّها أيّامْ

تَمُرُّ كالأحلامْ بالوصلِ لِى لودامْ

والكأسُ مُتْرعة حُثَّتْ مُشَعْشَعة فينا الشَّمُول وغنَّانا مُغَنِّينا

ومنها[1] :

ماأخجلَ قَدُّه غُصونَ[2] البانِ بين الوَرَقِ

إلّا سَلَب المَهَا مع الغِزْلانِ سُودَ[3] الحَدَقِ

قاسُوا غَلَطًا مَن حاز حُسْنَ البَشَرِ

بالبدرِ[4] يلوحُ فى دَياجِى الشَّعَرِ

لا كيدَ ولا كرامةً للقَمَرِ

الحبُّ جمالُه مدَى الأزمانِ معناه بَقِى

وازدادسَنًا[5] وخُصَّ بالنُّقصانِ بدرُ الأُفُقِ

الصِّحّةُ والسَّقامُ فى مُقْلَتِهِ

والجَنَّةُ والجحيمُ فى وَجْنَتِهِ

مَن شاهدَه يقولُ مِن دَهْشَتِهِ

هذا وأبيك فَرَّ مِن رضوانِ تحت الغَسَقِ

للأرضِ يُعيذُه من الشَّيطانِ رَبُّ الفَلَقِ[6]

---

(1) يعارض السراج المحار ، وهو عمر بن مسعود الحلبى . راجع ترجمته فى فوات الوفيات ٢ / ٢١٩ . والموشحتان فى الوافى ٤ / ٢٧٨ — ٢٨١ ، والفوات ٢ / ٥٠٦ — ٥٠٩ ، وانظر النجوم الزاهرة ٩ / ٢٣٤ .

(2) فى المطبوعة : « قد غصن » . والتصحيح من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(3) فى الوافى والفوات : « حسن » .

(4) فى أصول الطبقات : « كالبدر » ، وأثبتنا مافى الوافى ، والفوات . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « دياجين الشعر » . وصححناه من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(5) فى المطبوعة : « حسا » . والتصحيح من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(6) فى أصول الطبقات : « الأرض تعيذه » ، وأثبتنا مافى الوافى ، والفوات . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « برب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

قد أنبته اللهُ نباتًا حَسَنا
وازداد علَى المدى سَناءً وسَنا
مَن جادَ له برُوحِه ماغُبِنا

قد زَيَّن حُسنَه[١] مع الإحسانِ حُسْنُ الخُلُقِ
لو رُمْتَ لحُسنِه مَليحًا[٢] ثانِ لم يتَّفِقِ

فى نرجسِ لحظِه وزَهْرِ الثَّغرِ[٣]
روضٌ نَضِرٌ قِطافُه بالنَّظَرِ[٥]
قد دَبَّجَ خَدَّه نَباتُ الشَّعَرِ[٥]

فالوردُ حواهُ ناعِمُ الرَّيحانِ بالطَّلِّ سُقِى
والقَدُّ يميلُ مَيْلَةَ الأغصانِ للمُعْتَنِقِ

أحيا وأموتُ فى هواهُ كَمَدا
مَن مات جَوًى فى حُبِّه قد سُعِدا
ياعاذِلُ لاأتركُ وَجْدِى أبدًا[٦]

لا تعذِلَنِّى فكُلَّما تَلْحانِى زادَتْ حُرَقِى
يستأهِلُ مَن يَهُمُّ بالسُّلوانِ ضَرْبَ العُنُقِ

القَدُّ وطَرْفُه قَناةٌ وحُسامْ
والحاجبُ واللِّحاظُ قِسِىٌّ وسِهامْ[٧]
والثَّغْرُ مع الرِّضاب كأسٌ ومُدامْ

والدُّرُّ مُنظَّمٌ مع المَرْجانِ فى فِيه نَقِى
قد رُصِّع فوقَه عَقِيقٌ قانِ نَظْمَ النَّسَقِ[٨]

---

(١) فى : ج ، ك : « جسمه » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والوافى ، والفوات .

(٢) فى الوافى ، والفوات : « شبيها » .

(٣) فى المطبوعة : « الشعر » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(٤) فى المطبوعة : « روض نضير وطافه بالنظر » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(٥) فى الوافى ، والفوات : « بنبت الشعر » .

(٦) فى المطبوعة : « ياعاذلى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(٧) فى الوافى ، والفوات : « قوس وسهام » .

(٨) فى : ج ، ك : « نسق » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، والوافى ، والفوات .

ومنها :

قالُـــوا سَلَا واسْتَـــرد مُضْنَـــاهُ قَلْبًـــا أُخِـــذا
لا والَّـــذى لاإلَـــهَ إلَّا هُـــو مـــا كان كَـــذا

عشِقتُه كوكبًا مِن الصِّغَرْ أأترك الوَجْدَ وهْو كالقَمَرْ
دَبَّـج دِيباجَتَـه بالشَّعَـرْ بَدَتْ طِرازًا كالرَّقْمِ بالإبَرْ[1]

لا والَّـــذى زانَـــه فأعطَـــاهُ[2] حُسْنًـــا وشَذَا
علَـــى البَرايـــا إنَّـــهُ اللهُ مـــا كان كَـــذا

ولو تُقاسُ الكئوسُ بالثَّغَرْ وبالثَّنايا الحبَابُ كالـدُّرَرْ
لـفَضَل الثغْرُ صِحَّةَ النَّظَـرْ والصرِّفَ فى مَطْعَمٍ وفى عَطِرْ[3]

لـو قِيسَ مافـاقَ مِـن حُمَيّـاهُ أو مانَبـــذَا
إلى رِضابٍ حَوَتْـــه عينـــاهُ مـــا كان كَـــذا

كُلُّ دمِ الناسِ فوقَ وَجْنَتِهْ قد سفكتْها سِهامُ مُقْلَتِـهْ
العَفـوُ مِـن نَبْلِهـا وحِدَّتِـهْ لو صَبَّ بَهْرامُ كلَّ جَعْبَتِهْ[4]

واختـــار مِـــن نَبْلِهـــا ونَقَّـــاهُ سَهْمًـــا نَفَـــذا
فى الأرضِ مِـن حُرْقـةِ رمايـــاهُ مـــا كان كَـــذا

وسودها ياحليمُ خُذْ بيَـدِى أمضَى مِن البِيضِ مَعْ بنى أسَدِ
لو قِيسَ مافكّ مُحكَم الزَّرَدِ مِن كلِّ ماضى القُرُونِ غيرِ صَدِ[5]

إلى حُسامٍ نَضَتْـــه عَينـــاهُ مـــاضٍ شَحَـــذا[6]
علَـــى مسَنٍّ أبدَتْـــه صُدْغـــاهُ[7] مـــا كان كَـــذا

قد سَبَى الظَّبَى حُسْنُ لَفْتَتِهْ[8] كما سَبَى الغُصْنَ حُسْنُ خطْرتِهْ

---

(١) فى المطبوعة : « وبدت » . وأسقطنا الواو كما فى : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « وأعطاه » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « والظرف فى معصم » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٤) هو : بهرام الملك ، يضرب به المثل فى إحكام الرمى ، فيقال : « رمى بهرام » لأنه لم يكن فى العجم أرمى منه . وله فى ذلك قصص وحكايات . راجع ثمار القلوب ١٧٩ .

(٥) فى المطبوعة : « ماضى الحروب عنه » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . والقرون : جمع « قرن » وهو هنا : حد السيف والنصل .

(٦) فى المطبوعة : « ما من شحذاته » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٧) فى المطبوعة : « على من أبدى صدغاه » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٨) فى المطبوعة : « سلب الظبى » ، والمثبت من : ج ، ك .

والشَّمسُ تَخجَلى مِن حُسْنِ طَلعتِهْ[1]   والبَدرُ فى حُسنِه وبَهْجتِهْ
لــو قِــيسَ أيضًا إلى مُحَيّــاهُ   فى الحُســْنِ إذا
حَــفَّتْ بــه هالَــةُ عِــذاراهُ   مــا كــان كَـذا

١٣٣٠

محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد الله

القاضى نَجْمُ الدِّين أبو حامد بن جمالِ الدّين ابن الشيخ مُحِبِّ الدِّين الطَّبَرِىّ الآمُلِىّ*

قاضى مكَّةَ شرَّفها الله .
وُلِد سنةَ ثمانٍ وخمسين وستمائة .
وسمع مِن عَمِّ جَدِّه يعقوبَ بن أبى بكر الطَّبَرِىّ ، ومِن جَدِّه ، وغيرِهما .
وله إجازةٌ من الحافظ أبى بكر بن مَسْدِىّ[2] .
كان فقيهًا شاعِرًا .
توفِّى سنةَ ثلاثين وسبعمائة .
ومن شعره[3] :

أشَبِيهَةَ البَدْرِ التَّمامِ إذا بَـدَا   حُسْنًا وليس البَدْرُ مِن أشْباهِكِ
مَأْسُورُ حُسْنِك إن يكن مُتَشفِّعًا   فإليكِ فى الحُسْنِ البَدِيعِ بِجاهِكِ[4]

---

(١) فى : ج ، ك : « والشمس تخجل » ، وأثبتنا مافى المطبوعة .

* له ترجمة فى : الدرر الكامنة ٤ / ٢٨٠ ، ذيول العبر ١٦٥ ، شذرات الذهب ٦ / ٩٤ ، طبقات الإسنوى ٢ / ١٨٠ ، ١٨١ ، العقد الثمين ٢ / ٢٧١ ـــ ٢٧٦ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٠١ ، الوافى بالوفيات ٢٢٨/١ – ٢٣٠ .

(٢) فى المطبوعة : « بن منده » . والتصحيح من : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، ومصادر الترجمة .

(٣) فى زوجته خديجة بنت إبراهيم بن محمد الطبرى . كما فى العقد الثمين ٨ / ٢٠٩ ، والأبيات ، فيه ، وفى الموضع المذكور قبل ، وفى طبقات الإسنوى ، والفوات ، والوافى .

(٤) فى الطبقات الوسطى ، والفوات : « مأسور حبك » .

أَشْفَى أسًى أَعْيا الأُساةَ دَواؤُهُ وشِفاهُ يحصُلُ بارْتِشافِ شِفاهِكِ[1]
فَصِليهِ واغْتَنِمى بَقاءَ حياتِه لا تَقْطَعِيهِ جَفًا بحَقِّ إلاهِكِ[2]

١٣٣١

محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد الله [بن محمد][3]
ابن يحيى بن سَيِّدِ الناس*

الحافِظ الأديب فَتح الدين أبو الفَتح بن الفقيه أبى عمرو[4] بن الحافظ أبى بكر اليَعْمُرِىّ الأندلُسىّ الأشْبِيلِىّ ثم المِصرىّ .

أجاز له النَّجيبُ الحَرَّانىّ ، وحَضر على الشيخ شمس الدين بن العِمَاد الحَنْبلىّ .

وسَمِع من قُطب الدين بن القَسْطَلّانىّ ، ومِن غازِى الحَلَاوِىّ ، وابنِ خَطِيب المِزَّة وخَلْقٍ .

---

(١) فى المطبوعة : « أشقى » بالقاف ، وهو خطأ . وضبطت الفاء فى : ج ، بالكسر ، كأنه فعل أمر من الشفاء . قال الإسنوى : « وقوله : أشفى أسى ، أى : قارب الموت لأجل الحزن ، يقال : أشفى فلان على الموت : إذا أشرف عليه » .
والرواية فى فوات الوفيات :

* وأساه قد أعيا الأساة دواؤه *

(٢) فى المطبوعة ، ج : « بقاء خمرته » . وفى ك : « حمرته » ، وأثبتنا الصواب من الطبقات الوسطى ، والمراجع المذكورة .

(٣) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، ومصادر الترجمة الآتية .

*له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٦٩ ، البدر الطالع ٢ / ٢٤٩ ـــ ٢٥١ ، تاريخ ابن الوردى ٢ / ٣٠٥ ، تذكرة الحفاظ ١٥٠٣ ، حسن المحاضرة ١ /٣٥٨ ، الدرر الكامنة ٤ / ٣٣٠ ـــ ٣٣٥ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١٦ /١٧ ، ٣٥٠ ، ذيول العبر ١٨٢ ، السلوك القسم الأول من الجزء الثانى ٣٧٦ ، شذرات الذهب ٦ /١٠٨ ، ١٠٩ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٥١٠ ، ٥١١ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٤٤ ـــ ٣٤٩ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٩١ ، مفتاح السعادة ٢ / ٣٦٣ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، الوافى بالوفيات ١ / ٢٨٩ – ٣١١ .

(٤) فى المطبوعة : « عمر » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، وكثير من مصادر الترجمة . وانظر ترجمة « أبى عمرو » هذا فى الدرر ٤ / ٢٧٩ .

قال شيخُنا الذَّهبيُّ : كان صَدُوقًا فى الحديث ، حُجَّةً فيما يَنقُله ، له بَصرٌ نافِذٌ[1] بالفَنّ ، وخِبرةٌ بالرِّجال وطبقاتِهم ، ومعرفةٌ بالاختلاف .

وقال الشيخ عَلَمُ الدين البِرْزالِيّ : كان أحدَ الأعيان ، معرفةً وإتقانًا وحِفظًا وضبطًا للحديث ، وتَفهُّمًا فى عِلَلِه وأسانيدِه ، عالمًا بصَحِيحه وسَقِيمه ، مستحضرًا للسِّيرة ، له حظٌّ [وافِرٌ][2] من العربيّة ، وله الشِّعرُ الرائق والنَّثرُ الفائق .

وقال ابنُ فَضل الله ، فى مَسالِك الأَبْصارِ : أحدُ أعلامِ الحفَّاظ ، وإمامُ أهلِ الحديثِ الواقِفين فيه بعُكاظ ، البَحْرُ المِكْثار ، والحَبْر فى نَقلِ الآثار ، وله أدبٌ أسلَسُ قِيادًا مِن الغَمام بأيدى الرِّياح ، وأَسْلَمُ مُرادًا مِن الشمس فى ضَمِير الصَّباح .

وقال الشيخ صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ : كان حافظًا بارِعًا ، متوغِّلًا هَضَباتِ[3] الأدب ، [عارِفًا][4] متفنِّنًا بليغًا فى إنشائه ، ناظمًا ناثرًا مترسِّلًا ، لم يَضُمَّ الزمانُ مثلَه فى أحْشائه ، خَطُّه أبهَجُ من حدائق الأزهار ، وآنَقُ مِن صَفَحات الخُدُود المُطَّرزِ وَردُها بآسِ العِذار .

قلت : مولدُه فى ذى الحِجَّة ، سنةَ إحدى وسبعين وستمائة .

وكان[5] مِن بيت رياسةٍ وعِلم ، ولجَدِّه « مُصنَّفٌ فى مَنعِ بيع أمَّهات الأولاد » فى مجلَّد ضخم ، يدلُّ على عِلمٍ عظيم .

وصنَّف الشيخُ فتحُ الدين كتابًا فى المَغازِى والسِّيَر ، سمّاه : « عُيُون الأَثَر » ، أحسن فيه ماشاء .

---

(١) فى المطبوعة ، ك : « ناقد » ، والمثبت من : ج .

(٢) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك . وقد نقل ابن حجر فى الدرر كلام البرزالى هذا ، ولم ترد عنده هذه الزيادة .

(٣) فى المطبوعة : « متوغلا بهضاب » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . ويقال : توعلت الجبل : أى علوته .

(٤) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « وقد كان » ، والمثبت من : ج ، ك .

وشَرَح من « التِّرمِذِىّ » قطعةً[1] ، وله تَصانيفُ أُخَرُ ، ونَظْمٌ كثيرٌ[2] .

ولمّا شَغَرتْ مَشيخةُ الحديثِ بالظاهِريّة بالقاهرة وَلِيها الشيخُ الوالد ، ودَرَّس بها ، فسعَى فيها الشيخُ فتح الدين ، وساعده نائبُ السَّلْطنة إذ ذاك ، ثم لم يَتجاسَرُوا على الشيخ ، فأرسل الشيخُ فَتحُ الدين إلى الشيخ ، يقول له : أنت تصلُح لكلِّ مَنْصِب فى كلّ عِلم ، وأنا إن لم يحصُل لى تدريسُ حديثٍ ، ففى أىِّ علم يحصُل لى التدريس ؟ فَرقّ عليه الوالدُ وتَركَها له ، فاستمرَّ بها إلى أن مات فى حادى عشر شعبان ، سنةَ أربعٍ وثلاثين وسبعمائة .

ومن شِعره[3] :

يا كاتمَ الشَّوقِ إنَّ الدَّمعَ مُبْدِيهِ	حتَّى يُعِيدَ زمانَ الوَصْلِ مُبْدِيهِ
أَصْبُو إلى البانِ بانَتْ عنه هاجِرَتِى	تَعلُّلًا بلَيالِى وَصْلِها فِيهِ[4]
عَصْرٌ مضَى وجَلابِيبُ الصِّبا قُشُبٌ	لم يَبْقَ مِن طِيبِه إلَّا تَمنِّيهِ[5]
لَو دامَ عَهدُ اللِّوَى لم تَلْوِ ماطِلَتى	دَيْنًا تَقَضَّى زَمانِى فى تَقاضِيهِ[6]

ومنه[7] :

عَهْدِى به والبَيْنُ ليس يَرُوعُهُ	صَبٌّ بَراهُ نُحولُهُ ودُمُوعُهُ[8]

---

(1) اسم هذا الشرح : « النفح الشذى فى شرح الترمذى » قال ابن شاكر فى الفوات : ولم يكمل . وقال ابن حجر ، فى الدرر : « وشرع لشرح الترمذى ، ولو اقتصر فيه على فن الحديث من الكلام على الأسانيد ، لكمل ، لكنه قصد أن يتبع شيخه ابن دقيق العيد ، فوقف دون مايريد » .

(2) فى المطبوعة : « كثيرا » ، والمثبت من : ج ، ك . وقد أورد الصفدى وابن شاكر كثيرا من هذا الشعر ، فى الوافى والفوات .

(3) الأبيات الثلاثة الأولى فى الغيث الذى انسجم ٢ / ٨ ، وفوات الوفيات ٢ / ٣٤٨ .

(4) فى المطبوعة : « مالت عنه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والفوات . والرواية فى الغيث :

أصبو إلى البان لما بان ساكنه تعللا بليالى وصلنا فيه

(5) فى المطبوعة : « من طيه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والغيث ، والفوات .

(6) فى المطبوعة : « ماطلبى ... زمن تقضى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، وفيهما وفى المطبوعة : « يلو » بالياء التحتية ، ورأينا أنه بالتاء الفوقية .

(7) القصيدة فى : الوافى ، والفوات ، والنجوم . المواضع المذكورة فى صدر الترجمة .

(8) فى الفوات والنجوم : « صبا براه » . ومافى الطبقات مثله فى الوافى .

لاتَطلُبوا فى الحُبِّ ثَأرَ مُتَيَّمٍ فالموتُ مِن شَرْعِ الغَرامِ شُرُوعُهُ
عَن ساكِنِ الوادِى سَقَتْهُ مَدامِعِى حَدِّثْ حديثًا طابَ لِى مَسْمُوعُهُ
أَفْدِى الذى عَنَتِ البُدورُ لوَجْهِهِ إذْ حَلَّ مَعْنَى الحُسْنِ فيه جَمِيعهُ[1]
البَدْرُ مِن كَلَفٍ بِهِ كَلِفٌ بِهِ والغُصْنُ مِن عَطْفٍ عليه خُضُوعُهُ[2]
لِلهِ مَعْسُولُ المَراشِفِ واللَّمَى حُلْوُ الحدِيث ظَرِيفُهُ مَطْبُوعُـهُ[3]
دارَتْ رَحِيقُ سُلافِهِ فَلَنا بِها سُكْرٌ يَجِلُّ عَن المَدامِ صَنِيعُهُ[4]
يَجْنِى فأُضْمِرُ عَتْبَهُ فإذا بَدَا فَجمالُـهُ مِمَّـا جَنـاهُ شَفِيعُـهُ[5]

ومنه[6] :

قَضَى ولم يَقْضِ مِن أحبابِهِ أَرَبَا صَبٌّ إذا مَرَّ خَفَّاقُ النَّسِيمِ صَبَا[7]
راضٍ بما صَنَعتْ أيدِى الغَرامِ بِهِ فَحَسْبُهُ الحُبُّ ماأعْطَى وما سَلَبَا
ماماتَ مَن مات فى أحْبابِهِ كَلَفًا ولا قَضَى بَلْ قَضَـى الحَقَّ الذى وَجَبَا
فالسُّحْبُ تَبْكِيه بَلْ تَسْقِيه هامِيَةً وكيفَ تَبْكى مُحِبًّا نالَ ماطَلَبَا[8]

---

(١) فى الفوات وحده : « عنت الوجوه لحبه » .

(٢) الكلف الأول : الحب الشديد ، والكلف الثانى : بثر فى الوجه ، يشبه حب السمسم ، أو هو السواد . عن حواشى الفوات ، والنجوم .

(٣) فى النجوم : « لله حلوى المراشف » . وفى الفوات : « أهواه معسول المراشف » . ورواية الطبقات مثلها فى الوافى .

(٤) فى الوافى ، والفوات ، والنجوم : « رحيق لحاظه » . وفى : ج : « فلنا به » ، وأثبتنا رواية المطبوعة ، ك ، والمراجع الثلاثة .

(٥) فى المطبوعة : « يحيى فأضمر عينه » ، وكذلك فى : ج ، ك . لكن أهمل فيهما نقط « يحيى » ، وأثبتنا الصواب من المراجع الثلاثة المذكورة .

(٦) القصيدة فى الوافى ، والفوات .

(٧) فى أصول الطبقات : « مضى ولم يقض » ، وأثبتنا رواية الوافى ، والفوات . وسيأتى نظيرها فى البيت الثالث .

(٨) فى أصول الطبقات : « بل يسقيه هامته » . وصححنا الرواية من الوافى ، الفوات .

والغُصْنُ نَشْوانُ يَثْنِيه الغَرامُ بِهِ ... كأنَّه مِن حُمَيًّا وَجْدِه شَرِبَـا[1]
وطَوَّقَتْ جِيدَها الوَرْقاءُ واخْتَضَبَتْ ... لَهُ وغَنَّتْ علَى أعوادِها طَرَبَا[2]
ومالَت الدَّوْحَةُ الغَنَّاءُ راقِصةً ... تَصْبُو وتَنْثُرُ مِن أوراقِها ذَهَبَا[3]
والرَّوضُ حَمَّلَ أنفاسَ النَّسيمِ شَذَا ... أزهارِهِ راجيًا مِن قُرْبِهِ سَبَبَـا[4]
فراقَهُ الوَرْدُ فاستَغْنَى به وثَنَى ... عِطْفًا عليه ومِن رَجْعِ الجوابِ أَبَى[5]
ففارقَتْ روضَها الأزهارُ واتَّخذَتْ ... نحوَ الرَّسُولِ سَبِيلًا وابتَغَتْ سَرَبَا[6]

منها :

لو لم يكُنْ بابِلِيَّ الرِّيقِ مَبْسِمُهُ ... لَما اكْتَسَى ثَغْرُه مِن دَرِّهِ حَبَبَا
لِلأُقْحُوانةِ مِمَّا فِيهِ مَنظَرُهـا ... ولم تَنَلْ مِثْلَهُ عَرْفًا ولا ضَرَبا[7]
والبَرْقُ يَخْفِقُ لَمَّا شامَ بارِقَهُ ... فالمُزْنُ تَبْكِي له إذ أَعْوَزَ الشَّنَبا[8]
مَن لِي وللكَبِدِ الحَرَّى وللمُقْلَةِ الـ ... ـعَبْرَى استَهلَّتْ وسَحَّتْ دَمْعَها سُحُبَا[9]
ومَن لِمُضْنًى إذا لَجَّ السَّقامُ بِهِ ... والحُبُّ لم يَلْقَ إلّا رُوحَهُ سَلَبَا

---

(١) فى المطبوعة : « حميا وجهه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والوافى ، والفوات .

(٢) فى الوافى : « وطوقت جيبها » .

(٣) فى الفوات : « الروضة الغناء » .

(٤) فى أصول الطبقات : « من فوقه شنبا » ، وأثبتنا مافى الوافى والفوات . والشنب ، وهو الرقة والبياض فى الأسنان ، لامعنى له هنا .

(٥) فى أصول الطبقات : « فرامه الورد » ، وأثبتنا مافى الوافى والفوات ، وفيهما : « عطفا إليه » .

(٦) فى الفوات : « وابتغت سببا » . ورواية الطبقات مثلها فى الوافى ، وهى توافق الآية الكريمة : « فاتخذ سبيله فى البحر سربا » الكهف ٦١ ، وانظر أيضا الآية ٢٧ من سورة الفرقان .

(٧) فى الأصول : « ولم تنل ميله عرفا ولا طربا » ، وأثبتنا ما فى الفوات . والضرب ، بالتحريك: العسل الأبيض . ولم يرد هذا البيت فى الوافى .

(٨) فى المطبوعة : « إذا عوز القشبا »، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والفوات ، ولم يرد البيت فى الوافى . و « الشنب » شرحناه قريبا .

(٩) فى الفوات : « ومقلتى الضرا استهلت » . ولم يرد البيت فى الوافى .

١٣٣٢

مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن [بن أحمد][(١)] بن نُباتَة*

أديب العصر ، الشيخ جمالُ الدّين ابن شيخِنا الشيخ شمسِ الدّين المُحدِّثِ .

حامِلُ لواءِ الشُّعراء فى زمانه ، مارأينا أشعَرَ منه ولا أحسَنَ نَثْرًا ، ولا أبْدَعَ خَطًّا ، له فُنونٌ ثلاثةٌ لم نَرَ مَن لَحِقَه[(٢)] ولا قارَبه فيها : سَبَق الناسَ إلى حُسنِ النَّظم ، فما لَحِقه لاحِقٌ فى شىءٍ منه ، وإلى أنواع النَّثرِ ، فما قارَبه مُقارِبٌ إلى ذَرَّةٍ منه ، وإلى بَراعةِ الخطِّ ، فما قَدَر مُعارِضٌ على أن يحكىَ له[(٣)] خطًّا أو يجارِيَه[(٤)] فى أصول كتابته وإسْجَامِها[(٥)] وجَرَيانها[(٦)] .

مولده بالقاهرة ، سنةَ ستٍّ وثمانين وستمائة ، ومات بها سنةَ ثمان وستين وسبعمائة .

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة . ومكانها فى بعض المصادر الآتية : « أبى الحسن » .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٣٢٢ ، البدر الطالع ٢ / ٢٥٢ ــ ٢٥٤ ، حسن المحاضرة ١ / ٥٧١ ، الدرر الكامنة ٤/ ٣٣٩/ ٣٤٠ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١٥٣ ، شذرات الذهب ٦ / ٢١٢ ، النجوم الزاهرة ٩٥/١١ - ٩٧ ، الوافى بالوفيات ٣١١/١ - ٣٣١ ، ترجمة حافلة ضمنها الصفدى كثيرا من المراسلات بينه وبين المترجم .

والأشهر فى نون « نباتة » الضم ، لكن حكى الزبيدى قولا أنها بالفتح . انظر تاج العروس (ن ب ت) ٥ / ١١٦ (طبعة الكويت) .

(٢) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « يلحقه » .

(٣) كذا فى المطبوعة . والذى فى : ج ، ك : « حمله » بغير نقط .

(٤) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « أو يجاريه به فى » .

(٥) فى المطبوعة : « وأسمانها » . وفى : ج ، ك : « واسحامها » . ولعل ما أثبتناه هو الصواب . واشتقاقه من السجم : وهو قطران الدمع وسيلانه . ويقال : أسجمت السحابة : دام مطرها . والمراد هنا وصف الكتابة بالسيولة والانسياب ، كما يدل عليه قوله بعد : « وجريانها » .

(٦) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « وجريانه » .

١٣٣٣

محمّد بن محمّد بن محمّد
الشيخ فَخْرُ الدِّين الصَّقِلِّيّ*

مصنِّف « التَّنجيز » فى الفقه ، وهو « التعجيز »[١] إلّا أنه يَزِيدُ فيه تصحيحَ الخِلاف ، وبعضَ قُيود[٢] .

كان فقيهًا دَيِّنًا وَرِعًا ، تفقَّه على الشيخ قُطب الدِّين السُّنباطِيّ .

ووَلِىَ القضاءَ ببعض جَوانب القاهرة .

ومات فى خامس عشر ذى القَعدة ، سنةَ سبعٍ وعشرين وسبعمائة .

١٣٣٤

محمّد بن محمّد الرازِىّ
الشيخ العَلَّامة قُطْب الدّين المعروف بالتَّحْتانِىّ**

إمامٌ مُبرِّزٌ فى المعقولات ، اشتهر اسمُه وبَعُد صِيتُه .

---

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١ / ٤٢٤ ، الدرر الكامنة ٤ / ٣٥٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٧٩ ، ٨٠ ، طبقات الإسنوى ٢ / ١٤٨ .

(١) لابن يونس ، راجع ماسبق ٨ / ١٩١ .

(٢) عبارة الإسنوى : « إلا أنه يزيد فيه التصحيح على طريقة النووى ، ويشير إلى تصحيح الرافعى بالرموز » .

** له ترجمة فى : بغية الوعاة ٢ / ٢٨١ ، الدرر الكامنة ٥ / ١٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٠٧ ، طبقات الإسنوى ١ / ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، مفتاح السعادة ١ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، النجوم الزاهرة ١١ / ٨٧ ، ٨٨ .

وقد ورد اسم المترجم فى بعض هذه المراجع : « محمود » . قال ابن حجر فى الدرر ٥ / ١٠٧ بعد أن أورده فى « المحمودين » : « ويقال : اسمه محمد ، وبه جزم ابن كثير وابن رافع وابن حبيب ، وبالأول جزم الإسنوى » .

هذا ولم نجد لصاحب الترجمة ذكرا فى البداية والنهاية ، لابن كثير ، فى وفيات سنة (٧٦٦) .

و « التحتانى » تمييز للمترجم ، عن عالم آخر ، يلقب بالقطب أيضا ، كان ساكنا معه فى أعلى المدرسة الظاهرية بدمشق . راجع طبقات الإسنوى وحواشيها .

وَرَد إلى دِمشق فى سنة ثلاث وستّين وسبعمائة . وبحَثْنا معه فوجَدْناه إمامًا فى المنطِق والحكمة ، عارِفًا بالتفسير والمعانى والبيان ، مشارِكًا فى النحو ، يَتوقَّدُ ذكاءً .

وله على « الكَشَّاف » حَواشٍ[1] مَشهُورة ، وشرح « الشَّمْسِيَّة » فى المنطِق .

توفّى فى سادس [عَشر][2] ذى القَعْدة ، سنةَ ستٍّ وستين وسبعمائة ، بظاهر دمشق ، عن نحو أربعٍ وسبعين سنة .

١٣٣٥

محمد بن يوسُف بن عبد الله بن محمود الجَزَرِىّ ثم المِصْرِىّ أبو عبد الله*

الخطِيب بالجامع الصالِحىّ بمِصر ، ثم بالجامع الطُّولُونىّ .

سمِع من أبى المعالى أحمدَ بن إسحاق الأَبَرْقُوهِىّ .

وكان إمامًا فى الأصلَيْن والفقهِ والنّحو والمنطِق والبيان والطبّ .

دَرَّس بالمُعِزّيّة بمصر ، والشَّرِيفيّة بالقاهرة .

وشرح « مِنهاج البَيْضاوِىّ » فى أصول الفقه ، وشرح أسْوِلَة[3] القاضى سراج الدين فى « التحصيل » ، وتكلَّم عليها .

قرأ عليه الشيخُ الإمامُ الوالدُ ، رحمه الله ، علمَ الكلام .

---

(١) وصل فيها إلى سورة طه . على ماذكر الإسنوى .

(٢) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، ويؤكده قول الإسنوى : « فى أواخر ذى القعدة » .

* له ترجمة فى : بغية الوعاة ١ / ٢٧٨ ، حسن المحاضرة ١ / ٥٤٤ ، الدرر الكامنة ٥ / ٦٧ ، ٦٨ ، ذيول العبر ٦٣ ، السلوك ، القسم الأول من الجزء الثانى ١١٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٤٢ ، طبقات الإسنوى ١ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٢١ ، الوافى بالوفيات ٥ / ٢٦٣ .

(٣) فى المطبوعة : « أسئلة » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والطبقات الوسطى ، وطبقات الإسنوى . والأسولة ، والأسئلة بمعنى واحد . وهذه الأسئلة اعترض بها سراج الدين الأرموى ، على « المحصول » للإمام فخر الدين الرازى . راجع حواشى طبقات الإسنوى ، وماتقدم فى الطبقات ٨ / ٣٧١ .

مولده بجزيرة ابن عُمر ، فى سنة سبعٍ وثلاثين وستمائة .

وتوفّى بمصرَ فى سادس ذى القَعدة ، سنةَ إحدى عشرةَ وسبعمائة[1] .

١٣٣٦

محمد بن يوسُف بن علىّ بن يوسُف بن حَيَّانَ النِّفْزِىّ

الأندلُسىّ الجَيَّانِىّ الأصل ، الغَرْناطِىّ المولِد والمَنْشأ ، المِصرىّ الدار
شيخُنا وأستاذُنا أبو حَيّان*

شيخُ النُّحاة ، العَلَمُ الفَرْدُ ، والبَحْرُ الذى لم يَعرِف الجَزْرَ ، بلِ المَدّ ، سِيبَوَيْه الزَّمان ، والمُبَرِّدُ إذا حَمِى الوَطِيس بتَشاجُرِ الأَقْران .

وإمامُ النَّحو الذى لِقاصِدِه منه مايشاء ، ولسانُ العَرَب الذى لِكُلٍّ[2] سَمْعٍ لَدَيه الإصْغاء .

كَعْبةُ عِلْمٍ تُحَجُّ ولا تَحُجّ ، ويُقْصَد مِن كُلِّ فَجّ .

تَضْرِبُ إليه الإبلُ آباطَها ، وتَفِد عليه كُلُّ طائفةٍ ؛ سَفَرًا لا يَعرِف إلّا نَمارِقُ[3] البِيدِ بِساطَها .

---

(١) انفرد صاحب الشذرات ، فذكره فى وفيات سنة (٧١٦) ، وقال : « على خلاف فى ذلك » .

* له ترجمة فى : البدر الطالع ٢ / ٢٨٨ ـــ ٢٩١ ، بغية الوعاة ١ / ٢٨٠ ـــ ٢٨٥ ، البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، تاريخ ابن الوردى ٢ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، حسن المحاضرة ١ / ٥٣٤ ـــ ٥٣٦ ، الدرر الكامنة ٥ / ٧٠ ـــ ٧٦ ، ذيول تذكرة الحفاظ ٢٣ ـــ ٢٦ ، ذيول العبر ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، شذرات الذهب ٦ / ١٤٥ ـــ ١٤٧ ، طبقات الإسنوى ١ / ٤٥٧ ـــ ٤٥٩ ، طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، طبقات القراء للذهبى ٢ / ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، طبقات المفسرين ، للداودى ٢ / ٢٨٦ ـــ ٢٩١ ، فهرس الفهارس ، للكتانى ١ / ١٠٨ ، ١٠٩ ، فوات الوفيات ٢ / ٥٥٥ ـــ ٥٦٢ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ١١١ ـــ ١١٥ ، نفح الطيب ٢ / ٥٣٥ ـــ ٥٨٤ [ترجمة حافلة جيدة] ، نكت الهميان ٢٨٠ ـــ ٢٨٦ ، الوافى بالوفيات ٥ / ٢٦٧ ـــ ٢٨٣ .

ومن الدراسات الحديثة : « أبو حيان النحوى » للدكتورة خديجة الحديثى . بغداد ١٩٦٦ ، على مافى حواشى طبقات الإسنوى .

(٢) فى المطبوعة : « بكل » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « بارق » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

وكان عَذْبًا مَنْهَلا ، وسَيْلًا يَسبِقُ ارتِدادَ الطَّرْف وإن جاء مُنْهَمِلا .
يَعُمّ[1] المَسيرُ إليه الغُدُوَّ والرَّواح ، ويَتنافَسُ على أَرَجِ ثَنائِه مِسكُ اللَّيلِ وكافورُ الصَّباح .

ولقد كان أرَقَّ مِن النَّسيم نَفَسا ، وأعْذَبَ ممّا فى الكؤوسِ لَعَسا .

طَلَعت شَمسُه مِن مَغرِبِها ، واقْتَعد مِصرَ فكان نِهايةَ مَطْلَبِها .
وجَلَس بها ، فما طافَ على مِثلِه سُورُها ، ولا طارَ إلّا إليه مِن طَلَبة العِلم قَشاعِمُها ونُسورُها .

وازْدَهَت به ولا ازدِهاءَها بالنِّيل وقد رَواها ، وافتَخرَتْ[2] به حتى لقد لَعِبت بأغصانِ البانِ مَهابُّ[3] صَباها .

مَولِده بِمَطَخْشارَشَ ، وهى مدينةٌ[4] مُسوَّرةٌ من أعمال غَرناطة ، فى أخريات شوّال سنةَ أربع وخمسين وستمائة .

ونشأ بغَرناطة ، وقرأ بها القِراآتِ والنَّحوَ واللغةَ ، وجال فى بلادِ المَغرِب ، ثم قدِم مصر قبلَ سنةِ ثمانين وستمائة .

وسمع الكثيرَ [سَمِع][5] بغَرناطة : الأستاذَ أبا جعفر[6] بن الزُّبير ،

---

(١) فى المطبوعة : « فعم » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٢) كذا فى المطبوعة . وفى : ج : « واقصرت » . وفى : ك « واقصدت » .
(٣) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « مهات » .
(٤) علق المقرى على قول الصفدى إن أبا حيان ولد بمدينة مطخشارش ، فقال : « فيه نظر ؛ لأنه يقتضى أنها مدينة ، وليس كذلك ، وإنما هى موضع بغرناطة ، ولذا قال الرعينى : إن مولد أبى حيان بمطخشارش من غرناطة ، ونحوه لابن جماعة . انتهى ، وهو صريح فى المراد ، وصاحب البيت أدرى ، على أنه يمكن أن يرد كلام الصفدى لذاك ، والله تعالى أعلم » . نفح الطيب ٢ / ٥٥٩ .
(٥) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة .
(٦) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى ، كما فى الوافى ٥ / ٢٨٠ ، هذا وقد أورد الصفدى طائفة كثيرة من شيوخ أبى حيان ، وكان الصفدى قد أرسل إلى أبى حيان رسالة يستدعى فيها إجازته بمروياته وشيوخه ، وتصانيفه ، فأجابه إلى ذلك بما تراه فى الوافى ٥ / ٢٧٦ ــ ٢٨١ ، والنفح ٢ / ٥٤٨ ــ ٥٥٣ ، حكاية عن أعيان العصر وأعوان النصر ، للصفدى .

وأبا جعفر[1] بن بَشِير ، وأبا جعفر[2] بن الطَّبّاع ، وأبا علىّ[3] بن أبى الأحوَص ، وغيرَهم.

وبمالَقةَ : أبا عبد الله محمد بن عباس القُرْطُبىّ ، وببَجايَةَ : أبا عبد الله محمد بن صالح الكنانىّ[4] ، وبتُونُس : أبا محمد عبد الله بن هارُون ، وغيرَه ، وبالأسكندريّة : عبدَ الوَهّاب ابن حسن بن الفُرات، وبمكّة : أبا الحسن علىّ بن صالح الحُسَيْنىّ ، وبمِصر : عبدَ العزيز[5] الحَرّانىّ ، وابنَ خطيبِ[6] المِزّة ، وغازِى الحَلاوِىّ[7] ، وخَلْقًا .

ولازَم الحافظَ أبا محمد الدِّمياطِىّ ، وانْتَقَى على بعض شيوخِه ، وخَرَّج ، وشَغل الناسَ بالنحو والقِراآت .

سَمِع عليه الجَمُّ الغَفِير .

وأخذ عنه غالِبُ مَشْيختِنا وأقرانِنا ، منهم الشيخُ الإمامُ الوالد ، وناهِيكَ بها لأبى حَيَّانَ مَنْقَبةً ، وكان يُعظِّمُه كثيرًا ، وتصانيفُه مَشْحونةٌ بالنَّقْل عنه .

ولمّا توَجَّهْنا من دِمشقَ إلى القاهرة ، فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، ثم أمَرَنا السُّلطانُ بالعَوْدِ إلى الشام ، لانِقضاء ما كُنّا توجَّهْنا لأجلِه ، اسْتَمْهله الوالِدُ أيّامًا لأجلِى ، فمكَث حتى أكملتُ على أبى حَيّان ما كنتُ أقرؤه عليه ، وقال لى : يا بُنَىَّ هو غنيمةٌ ، ولعلَّك لا تجِدهُ مِن[8] سَفْرةٍ أخرى ، وكان كذلك .

---

(١) هو المقرئ أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصارى، كما فى الطبقات الوسطى، والوافى، والنفح .

(٢) لم يرد هذا فى الوافى ، والنفح ، وهو : أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن الطباع . طبقات القراء ، لابن الجزرى ١/٨٧ ، ٢/٢٨٥ .

(٣) هو أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الأحوص القرشى ، كما فى الطبقات الوسطى ، والوافى ، والنفح .

(٤) كذا فى المطبوعة ، بنونين ، وأهمل النقط فى ج ، ك . وجاء فى نفح الطيب ٤/٣١٦ ، بنونين ، كما فى مطبوعة الطبقات ، وكذا فى ٥/٤٦٩ ، لكن جاء فى ٤/٣٤٠ : « الكتانى » بتاء فوقية بعد الكاف .

(٥) عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن الصيقل الحرانى ، على ما فى الطبقات الوسطى ، والوافى ، والنفح .

(٦) هو : عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى ، يعرف بابن خطيب المزة ، كما فى المراجع المذكورة .

(٧) زاد المصنف فى الطبقات الوسطى ، من شيوخ أبى حيان : « إسحاق بن عبد الرحيم بن محمد ابن عبد الملك بن درباس ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى السكرى » . وهما فى الوافى ، والنفح .

(٨) فى المطبوعة : « فى » ، والمثبت من : ج ، ك .

وكان الشيخُ أبو حَيَّان إمامًا مُنتَفَعًا به ، اتَّفق أهلُ العصرِ علَى تقديمِه وإمامتِه ، ونشأت أولادُهم على حِفظ مُختصراتِه ، وآباؤُهم على النَّظَر فى مَبسوطاتِه ، وضُرِبت الأمثالُ باسمِه ، مع صِدق اللَّهجة وكثرةِ الإتقان والتَّحرِّى .

وشَدا[1] طَرَفًا صالِحًا من الفِقه ، واختصر « منهاج[2] النَّوَوِىّ » ، وصنَّف التصانيفَ السائرة : البَحْرَ المُحِيط فى التفسير ، وشَرْحَ[3] التَّسهيل ، والارتِشافَ[4] ، وتجريدَ أحكامِ سِيبَوَيْه ، والتَّذكرةَ ، والغايَة[5] ، والتَّقريبَ ، والمُبْدِع[6] ، واللَّمْحَة[7] ، وغيرَ ذلك .

وله فى القِراآت : عِقْدُ اللَّآلى[8] .

وله نَظْمٌ كثيرٌ ، ومُوشَّحاتُه أجْوَدُ مِن شِعرِه .

توفِّى عشىَّ يوم السَّبت الثامنَ والعِشرين مِن صفر ، سنةَ خمسٍ وأربعين وسبعمائة ، بمنزله بظاهرِ القاهرة ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيّة[9] .

(ومن الرِّوايةِ عنه)

أخبرنا شيخُنا أبو حَيّان ، بقراءتِى عليه ، فى يوم الخميس سابعَ عِشْرِى شوَّال ، سنةَ اثنتين وأربعين وسبعمائة ، بالمدرسة الصالحيّة بالقاهرة ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد

---

(١) فى الأصول : « سدا » بالسين المهملة .

(٢) سماه : « الوهاج فى اختصار المنهاج » كما فى الوافى ، والنكت ، والنفح .

(٣) اسمه : « التذييل والتكميل فى شرح التسهيل » وله أيضا : « التنخيل الملخص من شرح التسهيل » و « التسهيل » لابن مالك . كما فى المراجع المذكورة .

(٤) اسمه : « ارتشاف الضرب من لسان العرب » .

(٥) اسمه : « غاية الإحسان » . وله أيضا : « غاية المطلوب فى قراءة يعقوب » ، قصيدة .

(٦) فى التصريف ، كما ذكر الصفدى .

(٧) اسمه : « اللمحة البدرية فى نحو علم العربية » ولابن هشام شرح عليه . راجع فهرس المخطوطات المصورة ، بمعهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ١ / ٣٨٩ ، ٣٩٤ .

(٨) قال ابن الجزرى فى الطبقات ٢ / ٢٨٦ : « نظم القرآآت السبع فى قصيدة لامية ، سماها عقد اللآلى ، خالية من الرموز ، وجعل عليها نكتا مفيدة » .

(٩) انظر شيئًا فى رثائه فى ١٠/ ٣٩٤ .

ابن محمد بن المؤيَّد الهَمَذانِيّ ، بقراءتى [عليه][1] أخبرنا أسعدُ بن أبى الفُتوح بن رَوْح ، وعَفِيفةُ بنت أحمد بن عبد الله ، فى كتابيهما ، قالا : أخبرتْنا فاطمةُ الجُوزْدانِيّة ، أخبرنا ابن رِيذة[2] ، أخبرنا الطَّبَرانىُّ ، حدَّثنا جعفر بن حُمَيد بن عبد الكريم بن فَرُّوخ بن دِيزَج بن بلال بن سَعْد[3] الأنصارىّ الدِّمشقىّ ، حدَّثنى جَدِّى لأُمِّى عمر[4] بن أبان بن مفضل[5] المَدِينىّ ، قال : أرانى أنسُ بن مالك الوُضوءَ: أخذ رَكْوَة فوضَعها عن يسارِه ، وصَبَّ على يدِه اليُمْنى ، فغَسلها ثلاثًا ، ثم أدار الرَّكْوة على يدِه اليُمنى ، [وصَبَّ على يدِه اليُسْرى][6] ، فغَسلها ثلاثًا[7] ، ومَسح برأسِه ثلاثًا فتوضّأ ، وأخذ ماءً جديدًا لِصِماخِه ، فمسَح صِماخَه ، فقلت له : قد[8] مَسحتَ أُذنيك ، فقال : ياغُلامُ ، إنهما مِن الرأس ، ليس هُما مِن الوَجه ، ثم قال : ياغُلامُ ، هل رأيتَ وفَهِمتَ ، أو أُعِيدُ عليك ؟ فقلت : قد كَفانِى وقد فَهِمتُ ، قال : فكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضأ .

فى إسنادِه شيخُ الطَّبرانىّ ، وشيخُه عمر بن أبان ، وهما مجهولان[9] .

ولو صَحَّ لكان بتصريحه أنهما من الرأس أقوَى دليلٍ على ذلك .

● قال أستاذُنا أبو حَيّان : قولُ أنس : « ليس هُما من الوَجْه » وَجْهُ الكلام أن يقول : [ليستا مِن الوجه ، لكنه جَعل « ليس » مثل « ما » فلم يُعْمِلْها ، وذلك

---

(١) زيادة مِن المطبوعة ، وليست فى : ج . وقد كتبت فى : ك ، ثم شطب عليها .

(٢) فى المطبوعة : « زيدة » ، بالزاى ، وأهمل النقط فى : ج ، ك . وصوابه بالراء . راجع ماتقدم فى ٧ / ١٤٩ .

(٣) فى المطبوعة : « سعيد » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، وميزان الاعتدال ١ / ٤٠٥ .

(٤) فى المطبوعة : « عمرو » ، وأثبتنا مافى ج ، ك ، والميزان .

(٥) فى الميزان : « معقل » . وراجع لسان الميزان ٢ / ١١٤ ، ٤ / ٢٨٢ .

(٦) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .

(٧) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « ثلاثا وثلاثا » .

(٨) فى المطبوعة : « لقد » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٩) أورد الذهبى فى الميزان جزءا من هذا الحديث ، ثم قال : « وعمران [كذا] بن أبان ، لايدرى من هو ، والحديث إنما دلنا على ضعفه » .

فى لُغة تَمِيم ، يقولون][1] ليس الطِّيبُ إلا المِسكُ . وقد أشار لذلك سِيبَويه فى « كتابه »[2] ونَصَّ عليه أبو عمرو بن العَلاء ، فى حكايةٍ طويلة جَرتْ بينَه وبينَ عيسى بن عمر الثَّقفىّ[3] .

وقال النَّحويُّون : قِياسُ مَن لم يُعْمِل « ليس » وجَعلها كما : أن يَفصِلَ الضميرَ معها ، فيقول : ليس أنا قائمٌ ، كما تقول : ما أنا قائمٌ ، فعلى هذا جاز : ليس هما من الوَجْه ، كأنه قال : ماهُما من الوَجه .

قلت : صورةُ الحكاية : أن عيسى قال لأبى عمرو : ماشيءٌ بلغَنِى عنك ؟

قال : ماهو ؟

قال : زعمتَ أن العربَ تقول : ليس الطِّيبُ إلَّا المِسكُ ، فتَرفَع .

فقال أبو عمرو[4] : ليس فى الأرضِ تَمِيمىٌّ إلَّا وهو يَرفَع ، ولا حِجازِىٌّ إلّا وهو يَنصِب .

ثم بعَث معه خَلَفًا الأحمَر واليَزِيدىَّ ، فجاءا إلى حِجازِىّ ، فَجَهِدا به على أن يَرفَع ، فلم يَفعل ، وجاءا إلى رجل تَميمىٌّ ، فَجهِدا به على أن يَنصِب ، فلم يفعل ، وقال : ليس هذا بلَحْن[5] قَوْمِى .

فجاء عيسى إلى أبى عمرو ، فقال : بهذا فُقْتَ الناسَ ، واللهِ لاخالفتُك بعدَها .

وقولُ الشيخ أبى حَيّان : إن أنسًا جعل « ليس » مثل « ما » قال الشيخُ جمالُ الدين عبد الله بن هِشام ، نَحوىُّ هذا الوقتِ ، أبقاه الله تعالى : ليس ذلك مُتعيِّنًا ، بل يجوز أن يكونَ أضمر فى « ليس » [ضميرَ][6] الشأنِ والحديث ، وحينئذ فنقول : « هُما من الوجه » : مُبتدأٌ ، وخبرٌ ، والجملة خبر « ليس » ، وفَصْلُ الضَّمير واجبٌ لأنه حينئذٍ معمولٌ للابتداء ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ج ، ك ، وأثبتناه من المطبوعة .

(٢) الكتاب ١٤٧/١ .

(٣) انظر الحكاية فى مغنى اللبيب ١ / ٣٢٥ (مبحث ليس)، ومجالس العلماء للزجاجى ١ ــ ٤ ، وفى حواشيه مراجع أخرى للحكاية .

(٤) فى الأصول : « أبو على » ، خطأ .

(٥) فى المطبوعة : « بنحو » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، وشبيه به مافى مجالس الزجاجى .

(٦) ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

كما أنه فى تخريج أبى حَيَّان كذلك ، والتخريج الذى ذكرتُه أولَى ؛ لأن فيه إبقاءَ « ليس » على إعمالها ، والوجهان مذكوران فى قوله :

* وليس مِنْها شِفاءُ النَّفْس مَبْذُولُ[1] *

وقولُ أبى حَيّان إن ذلك لُغةُ بنى تَمِيم ، وإشارتُه إلى الحكاية ليس بجَيِّد ، فإن تلك اللُّغةَ والحكايةَ إنما هما[2] فيما إذا انتقَض النفىُ بإلّا ، نحو : ليس الطِّيبُ إلا المسكُ ، وإنما مسئلتنا هذه أنّ مِن العَرب مَن يقول : ليس زيدٌ قائمٌ ، فيُبطِلُ عملَها مع بقاءِ النَّفى ، وهذا الذى يَتَخرَّجُ عليه قولُ أنس رضى الله عنه ، وقد مَرَّ بى فى « شرح التصريف المُلُوكِىّ »[3] ليَعِيش ، بيَتٌ نظيرُ قولِ أنس رضى الله عنه ، وهو :

أَبوكَ يَزِيدُ بنُ الوَلِيدِ ومَن يَكُنْ   هُمـا أبـواه لايَـذِلُّ ويُكْرَمـا[4]

فهنا يتعيّن أن تكون « كان » شَأنيّة ، والجملة بعدَها خبرٌ ، وأن تكونَ مهملةً ومابعدَها مبتدأ وخَبرٌ ، ولا يكون قوله : « هما » اسمًا ليَكُنْ ؛ لأنه قد فَصلَه ، ولأن بعدَه « أبواه » بالألف ، وقد يُجابُ عن هذا بأنه يَحْتَمِلُ أن يكون على لُغة : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[5] .

● قرأتُ على الأستاذ أبى حَيَّان : أخبركم القاضى أبو على الحسن[6] بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص ، عن قاضى الجماعة أبى القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد

---

(١) قائله هشام بن عقبة ، أخو ذى الرمة . الكتاب لسيبويه ١/ ٧١ ، ١٤٧ ، وانظر المقتضب ٤/ ١٠١ ، ومغنى اللبيب ، الموضع المذكور قبل . وصدر البيت :

* هى الشفاء لدائى لو ظفرت بها*

(٢) فى المطبوعة : « هو » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « الملكى » . والتصحيح من : ج ، ك . وهذا « التصريف الملوكى » لابن جنى .

(٤) فى المطبوعة : « يزيد والوليد » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . والبيت من غير نسبة فى شرح الملوكى فى التصريف لابن يعيش ٢٣٥ (حلب ١٩٧٣ م) ، وشرح المفصل ، له ٨٩/٩ .

(٥) سورة طه ٦٣ ، وانظر للكلام على هذه اللغة : إتحاف فضلاء البشر ٣٠٤ ، البيان فى غريب إعراب القرآن ٢ / ١٤٤ ، البحر المحيط ٦ / ٢٥٥ ، وقد تكلم ابن هشام على هذه اللغة كلاما جيدا ، انظره فى شذور الذهب ٤٦ ــ ٥٢ .

(٦) فى الأصول : « الحسين » . وتقدم قريبا ، فى عداد شيوخ أبى حيان .

ابن محمد بن أحمد [بن مَخْلَد][1] بن عبد الرحمن بن أحمد بن بَقِىّ[2] بن مَخْلَد ابن يزيد القُرْطُبىّ ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه[3] ، الإمام أبى عبدِ الرحمن بَقِىّ بن مَخْلَد ، عن أبى بكر المُقَدَّمِىّ ، عن عمرَ بن على ، وعبدِ الله بن يزيد[4] ، عن عبد الرحمن بن زِياد ، عن عبد الرحمن بن رافِع ، عن عبد الله بن عمرو[5] : أنّ النَّبىَّ ﷺ ، مَرَّ بمجلِسَيْن ، أحَدِ المجلِسين يَدْعُون الله ، ويَرغَبُون[6] إليه ، والآخر يتعلَّمُون العِلْمَ ويُعَلِّمُونه ، فقال : « كُلُّ المَجْلِسَيْنِ خَيْرٌ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الآخَرِ ، أَمَّا هَؤُلاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ ويُعَلِّمُونَ الجَاهِلَ ، فَهُمْ أَفْضَلُ ، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَيَدْعُونَ اللهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْه إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا » ثم جلَس معهم .

قلت[7] : لاأعرفُ حديثًا اجتمع فيه رِوايةُ الأبناء عن الآباء بعَدَدِ مااجتمع فى هذا ، إلَّا ما أخبرنا به أبو الحسن محمّدُ بن محمّد بن الحسن بن نُباتَةَ الفارِقِىُّ المِصرىُّ المحدِّث ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو المعالى أحمد بن إسحاق الأَبَرْقُوهِىّ ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابُور القَلانِسىّ ، أخبرنا أبو المُبارَك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشِّيرازىّ ، أخبرنا رِزقُ اللهِ بن عبد الوَهَّاب التَّمِيمِىّ ، إملاءً ، سمعت أبى أبا الفرج عبدَ الوهَّاب يقول : سمعت أبى [8] أبا الحسن عبدَ العزيز يقول : سمعت أبى أبا بكر الحارث يقول : سمعت أبى [8] أَسَدًا يقول : سمعت أبى اللَّيثَ ، يقول : سمعت أبى سُليمانَ ، يقول : سمعت أبى[9] الأسودَ ،

---

(1) تكملة من نفح الطيب ٢ / ٥٧٥ .
(2) فى أصول الطبقات : « أحمد بقى » . والتصحيح من نفح الطيب .
(3) فى المطبوعة بعد هذا زيادة : « عن أبيه » . وأسقطناها كما فى : ج ، ك ، ونفح الطيب .
(4) فى : ج ، ك : « زيد » ، وأثبتنا مافى المطبوعة ، ونفح الطيب ، وسنن ابن ماجه (باب فضل العلماء ، والحث على طلب العلم . من المقدمة) ١ / ٨٣ ، وذكر الحديث . وفيه اختلاف فى السند عما هنا .
(5) فى المطبوعة : « عمر » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، ونفح الطيب ، وسنن ابن ماجه .
(6) فى نفح الطيب : « ويدعون » . وفى سنن ابن ماجه : « يقرأون القرآن ويدعون الله » .
(7) القائل : هو أبو حيان ، كما صرح فى نفح الطيب .
(8) مابين الحاصرتين سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، ونفح الطيب .
(9) فى أصول الطبقات : « أبا » ، وأثبتنا مافى نفح الطيب .

يقول[1] : سمعتُ أبى سُفيّانَ ، يقول : سمعت أبى يزيدَ ، يقول : سمعت أبى أَكْتَمةَ[2] ، يقول : سمعت أبى الْهَيثَمَ[3] ، يقول : سمعت أبى عبدَ الله ، يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ، يقول : « مَااجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ اللهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ » .

أخبرنا أبو حَيَّان ، بقراءتى [عليه][4] عن القاضى الأُصُولِىّ المتكلِّمِ على مذهب الأشعرىّ ، أبى الحسين[5] محمد بن أبى عامر بن أبى الحسين[6] القُرْطُبىّ ، عن أبى الحسن[7] علىّ[8] بن أحمد الغافِقِىّ الشَّقُورِىّ ، عن القاضى أبىْ الحسن شُرَيح بن محمد بن شُرَيح ، قال : كتب إلىَّ الحافظ أبو محمد علىّ بن أحمد بن حَزْم الظاهِرِىّ ، وأنشد لنفسِه [هذا][9] :

---

(١)فى المطبوعة : « يقول : سمعت أبى أبا بكر الحارث يقول سمعت أبى سفيان » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، ونفح الطيب . وبعض هذه الزيادة فى المطبوعة ، تقدم قريبا .

(٢) فى المطبوعة : « كتمة » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك . وفى نفح الطيب : « أكيمة » ولم نجد له ترجمة . وقال المقرى فى آخر هذا الحديث : « ورأيت بخط بعض الحفاظ على قول أبى أكيمة ، ماصورته : صوابه أكينة . انتهى . فليحرر » .

(٣) فى نفح الطيب : « الهشيم » . ولم نعرفه .

(٤) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك .

(٥) فى المطبوعة ، ك : « الحسن » ، وأثبتنا مافى : ج ، والوافى ٥ / ٢٧٨ ، ونفح الطيب ٢ / ٥٥٠ ، ٥٧٦ ، وتمام اسمه : محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى القرطبى ، وقد وجدنا له ترجمة فى : ذيول العبر ١٠٨ ، الدرر الكامنة ٥ / ٥١ ، شذرات الذهب ٦ / ٥٢ ، لكن كنيته فى هذه المراجع الثلاثة : « أبو عبد الله » .

(٦) فى المطبوعة : « الحسن » ، والمثبت من : ج ، ك ، ولم ترد هذه الكنية فى : الوافى ، والنفح .

(٧) فى : ج ، ك : « عن أبى الحسن على بن أبى الحسين القرطبى ، عن أبى الحسن على بن أحمد ... » وأثبتنا مافى المطبوعة ، وما فى : ج ، ك زيادة مقحمة .

هذا وقد ذكر المقرى فى النفح ٢ / ٥٧٦ حديثا مسندا لأبى حيان ، لم يرد فيه أحد بين أبى الحسين القرطبى وبين أبى الحسن الغافقى ، الواردين فى قصتنا . وقد وجدنا أبا حيان يروى عن ابن حزم تصانيفه وليس بينهما فى سلسلة السند أكثر من ثلاثة رجال [كما هو الحال فى الرواية هنا] . انظر مقدمة جوامع السيرة لابن حزم .

(٨) فى نفح الطيب : « أحمد بن على » .

(٩) زيادة من : ج ، ك ، على مافى المطبوعة . والأبيات فى الوافى ١/ ٣١١ (فى أثناء ترجمة ابن سيد الناس) ، وغيث الأدب ١ / ٥٥ .

مَنْ عَذِيرِى مِن أُناس جَهِلُوا ... ثم ظَنُّوا أَنَّهُمْ أهلُ النَّظَرْ
رَكِبُوا الرَّأْىَ عِنادًا فَسَرَوْا ... فى ظَلامٍ تاهَ فِيهِ مَن عَبَرْ[1]
وطَرِيقُ الحَقِّ نَهْجٌ مَهْيَعٌ ... مِثْلَ ماأَبصَرتَ فى الأُفْقِ القَمَرْ[2]
فَهْوَ للإِجْماعِ والنَّصِّ الذِى ... ليس إلّا فى كِتابٍ أو أَثَرْ[3]

أنشدنى شيخُنا أبو حَيَّانَ لنفسه ، بقراءتى عليه[4] :

عِداتِى لَهُم فَضْلٌ عَلَىَّ ومِنَّةٌ ... فلا أَذْهَبَ الرحمنُ عَنِّى الأعادِيا
هُمُ بَحثُوا عن زَلَّتِى فاجْتَنَبْتُها ... وهُمْ نافَسُونِى فاكتَسَبْتُ المَعالِيا

وأنشدَنى لنفسِه ، بقراءتى عليه أيضًا[5] :

راضَ حَبِيبى عارِضٌ قَد بَدَا ... ياحُسْنَه مِن عارِضٍ رائِضِ
وظَنَّ قومٌ أنّ قَلْبِى سَلا ... والأصلُ لايُعْتَدُّ بالعارِضِ

وأيضًا[6] :

سَبَقَ الدَّمْعُ بالمَسِيرِ المَطايَا ... إذْ نَوى مَن أُحِبُّ عَنِّى نُقْلَهْ[7]
وأجادَ السُّطُورَ فى صَفْحَةِ الخَـ ... ـدِّ ولِمْ لايُجِيدُ وَهْوَ ابنُ مُقْلَهْ[8]

---

(١) فى الوافى : « غبر » بالغين المعجمة .

(٢) فى المطبوعة : « فطريق » ، وأثبتناه بالواو من : ج ، ك ، والوافى ، والغيث .

(٣) فى الوافى ، والغيث : « وهو الإجماع » .

(٤) ديوان أبى حيان ٤١٥ .

(٥) ديوانه ٢٥٢ .

(٦) تكملة ديوانه ٤٧٣ .

(٧) فى الديوان : « بالمسيل » . وما فى الطبقات مثله فى الوافى ١ / ٢٦٩ ، والنفح ٢ / ٥٤٦ ، وجاء فى الطبقات : « إذ تولى » ، وأثبتنا مافى الديوان ، والوافى ، والنفح . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « عنى مقلة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وماذكرنا .

(٨) ابن مقلة : هو أبو على محمد بن على بن الحسين ، من الوزراء الشعراء الأدباء ، وكان خطاطا بارعا ، يضرب بحسن خطه المثل . انظر ثمار القلوب ٢١٠ .

وأيضًا[1] :

يَظُنُّ الغُمْرُ أنَّ الكُتْبَ تُجْدِى ... أخا ذِهْنٍ لإدْراكِ العُلُومِ[2]
ومايَدْرِى الجَهُولُ بأنَّ فِيها ... غَوامِضَ حَيّرتْ عَقْلَ الفَهِيمِ[3]
إذا رُمْتَ العُلُومَ بغَيرِ شَيخٍ ... ضَلَلْتَ عَنِ الصِّراطِ المُستَقِيمِ[4]
وتَلْتَبِسُ الأُمورُ عليكَ حتَّى ... تَصِيرَ أضَلَّ مِن تُومَا الحَكِيمِ

وأيضًا[5] :

قَدْ سبَانِى مِن بَنِى التُّرْكِ رَشَا ... جَوْهَرِىُّ الثَّغْرِ مِسْكِىُّ النَّفَسْ
ناظِرِى للوَرْدِ مِنْهُ غارِسٌ ... مالَهُ لايَجْتَنِى مِمَّا غَرَسْ
قَدْ حَكَى شَمْسًا وغُصْنًا ونَقًا ... فى انْبلاجٍ وارْتِجاجٍ ومَيَسْ[6]
ضَيِّقُ العَيْنَيْنِ تُرْكِيُّهُما ... واسِعُ الوَجْنةِ خَزِّىُّ المَجَسّْ
أصْبَحتْ عَقْرَبُ خَدَّيْه مَعًا ... لِجَنِىِّ الوَرْدِ فى الخَدِّ حَرَسْ[7]
وغَدَا ثُعْبانُ دَبُّوقَتِهِ ... جائِلًا فى عِطْفِهِ مَهْما ارْتَجَسْ[8]
لستُ أَخْشَى سَيْفَهُ أو رُمْحَهُ ... إنَّما أَرْهَبُ لَحْظًا قَدْ نَعَسْ
اخْتَلَسْنا بَعْدَ هَجْرٍ وَصْلَهُ ... إنَّ أَهْنَى الوَصْلِ ماكانَ خُلَسْ
لستُ أَنْساهُ وقَدْ أطْلَعَ مِنْ ... راحِهِ شَمْسًا أضاءتْ فى الغَلَسْ

---

(١) ديوانه ٣٧٤ .

(٢) الغمر ، بضم الغين : الذى لم يجرب الأمور . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « الكتب تهدى » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان .

(٣) رواية الديوان : « الحليم » .

(٤) فى المطبوعة : « الطريق المستقيم » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك ، والديوان .

(٥) ديوانه ٢٣٢ ، والبيت الثانى هنا هو الرابع فى الديوان .

(٦) رواية الديوان :

قد حكى غصنا وبدرا ونقا ... فى ارتجاج وانبلاج وميس

(٧) رواية الديوان : « عقرب صدغيه » .

(٨) الدبوقة : الشعر المضفور أو الذؤابة . وهى لفظة مولدة . القاموس ، وشفاء الغليل ١٠١ ، وأنشد الخفاجى شعر أبى حيان هذا .

وَرَمَى العِمّةَ فالتاجَ لَنا فَرْقَ شَعْرٍ دَقَّ مُبْدٍ ماالتَبَسْ[1]
لَمَس الكَأْسَ لكى يَشْرَبَها وتَحَسَّى الكأْسَ فى فَرْدِ نَفَسْ[2]
وغَدَا يَمْسَحُ بالمِنْدِيلِ مَا أبْقَتِ الخَمْرَةُ فى ذاكَ اللَّعَسْ
عَجَبًا مِنْها ومِنْهُ قَهْقَهَتْ إذْ حَساهَا وهْوَ مِنْها قَدْ عَبَسْ

فهذه نُبْذَةٌ مِن مَقْرُوآتِى[3] على شيخِنا أبى حَيَّان .

وأنشدَنا لنفسِه مامَدَحنِى بهما ، وأنا ابنُ ثلاثِ سِنين ، وهما عِندى بخطِّه ، وعليهما خَطُّ الوالدِ ، رحمه الله[4] :

أَلَا إنَّ تاجَ الدِّين تاجُ مَعارِفٍ وبَدْرُ هُدًى تُجْلَى به ظُلَمُ الدَّهْرِ[5]
سَلِيلُ إمامٍ قَلَّ فى الناسِ مِثْلُهُ فَضائِلُه تَرْبُو على الزُّهْرِ والزَّهْرِ[6]

وأنشدَنا لنفسِه إجازةً إن لم يكن سماعا ، قصيدتَه التى امتدَح بها الشافعىَّ ، رضى الله عنه ، ومطلعها[7] :

غُذِيتُ بعِلْمِ النَّحْوِ إذ دَرَّ لِى ثَدْيَا فجِسْمِى به يَنْمِى ورُوحِى به تَحْيَا
وقد طالَ تَضْرابِى لزَيدٍ وعَمْرِهِ وما اقْتَرَفا ذَنْبًا ولا تَبِعَا غَيَّا
وما نِلْتُ مِن ضَرْبِيهِما غيرَ شُهْرَةٍ بفَنٍّ وما يُجْدِى اشْتِهارِى به شَيَّا
أَلَا إنَّ عِلْمَ النَّحْوِ قَدْ بادَ أَهْلُهُ فما إنْ تَرَى فى الحَىِّ مِن بَعْدِهِمْ حَيَّا

---

(١) فى الديوان : « والتاج » . وفى المطبوعة ، ج : « صرف شعر » ، وأثبتنا مافى : ك ، والديوان .

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين وردا فى الديوان هكذا :

لمس الكأس لكى يشربها فاعترته هزة مما لمس
ثم أدنى جوهرا من جوهر وتحسى الكأس فى فرد نفس

وجاء فى مطبوعة الطبقات : « ويحيى الكأس » . وفى : ج ، ك : « وتحثى » ، وأثبتنا رواية الديوان . وفى المطبوعة أيضا : « فرد نعس » . وصححناه من : ج ، ك ، والديوان .

(٣) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « مفرداتى » .

(٤) تكملة الديوان ٤٤٩ ، نقلا عن مطبوعة الطبقات وحدها .

(٥) فى المطبوعة : « تجلى بها » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٦) قوله : « تربو » ، الأفصح فيه : « تربى »بضم التاء ، لأنه من الرباعى .

(٧) تكملة الديوان ٤٨٤ ، نقلا عن مطبوعة الطبقات وحدها .

سأترُكُهُ تَرْكَ الغَزالِ لظِلِّهِ وأُتْبِعُهُ هَجْرًا وأُوسِعُهُ نَأْيا[1]
وأسْمُو إلى الفِقْهِ المُبارَكِ إنَّهُ لَيُرْضِيكَ فى الأُخْرَى ويُحْظِيكَ فى الدُّنْيا
هَلِ الفِقهُ إلَّا أصْلُ دِينِ مُحمَّدٍ فجَرِّدْ له عَزْمًا وجَدِّدْ لَهُ سَعْيا[2]
وكُنْ تابِعًا للشافِعِىِّ وسالِكًا طَرِيقَتَهُ تَبْلُغْ به الغايةَ القُصْيا
ألَا بابْنِ إدْرِيسٍ قدِ اتَّضَحَ الهُدَى وكم غامِضٍ أبْدَا وكَمْ دارِسٍ أحْيَا[3]
سَمِىُّ الرَّسُولِ المُصْطَفَى وابنُ عَمِّهِ فناهِيكَ مَجْدًا قَد سَما الرُّتبةَ العُليا
هُوَ اسْتَنْبَطَ الفَنَّ الأُصُولِىَّ فاكتَسَى بِه الفِقْهُ مِن دِيباجِ إنشائِهِ وَشْيَا[4]

وهى قصيدةٌ مُطوَّلة .

وقصيدتُه التى امتدح بها البُخارِىَّ ، رضى الله عنه [ومطلعها][5] :

أسامِعَ أخبارِ الرَّسُولِ لكَ البُشْرَى لقد سُدْتَ فى الدُّنْيا وقد فُزْتَ بالأُخْرَى

وأنشدَنا لنفسِه إجازةً ، قصيدتَه التى عارَضَ بها « بانت سعاد » ومطلعها[6] :

لاتَعْذِلاهُ فما ذُو الحُبِّ مَعْذُولُ العَقْلُ مُخْتَبَلٌ والقَلْبُ مَتْبُولُ
هَزَّتْ لَهُ أسْمَرًا مِن خُوطِ قامَتِها فما انْثَنَى الصَّبُّ إلَّا وَهْوَ مَقْتُولُ[7]

---

(١) فى : ج ، ك : « الغزال مظله » ، وأثبتنا مافى المطبوعة . وفى المثل : « ترك الظبى ظله » . والظل هنا : الكناس الذى يستظل به الظبى فى شدة الحر ، فيأتيه الصائد فيثيره فلا يعود إليه ، فيقال : « ترك الظبى ظله » أى موضع ظله . ويضرب هذا المثل لمن نفر من شىء ، فتركه تركا لايعود إليه ، ويضرب فى هجر الرجل صاحبه . مجمع الأمثال ١٢١/١ (حرف التاء) .

(٢) فى المطبوعة : « وما الفقه » ، وأثبتنا مافى : ج ، ك .

(٣) فى أصول الطبقات : « ألا ياابن إدريس » . ونرى الصواب ماأثبتناه .

(٤) فى المطبوعة :

* هو استنبط الأصول فاكتسى *

والتصحيح من : ج ، ك .

(٥) زيادة من المطبوعة ، على مافى : ج ، ك . والقصيدة فى تكملة الديوان ٤٥٢ .

(٦) تكملة الديوان ٤٦١ .

(٧) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .

جَمِيلَةٌ فُصِّلَ الحُسْنُ البَدِيعُ لَها … فكَمْ لَها جُمَلٌ مِنْه وتَفْصِيلُ[1]
فالنَّحْرُ مَرْمَرَةٌ والنَّشْرُ عَنْبَرَةٌ … والثَّغْرُ جوهَرَةٌ والرِّيقُ مَعْسُولُ[2]
والطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ والعَرْفُ ذو أَرَجٍ … والخَصْرُ مُخْتَطَفٌ والمَتْنُ مَجْدُولُ[3]
هيفاء يَنْبِسُ فى الخَصْرِ الوِشاحُ لَها … دَرْماءُ يَخْرَسُ فى الساقِ الخَلاخِيلُ[4]
مِنَ اللَّواتِى عَلاهُنَّ النَّعِيمُ فَمَا … يَشْقَيْنَ ، آباؤها الصِّيدُ البَهالِيلُ[5]

ومنها :

نُزْرُ الكلامِ عَيِيَّاتُ الجَوابِ إذا … يُسْأَلْنَ رقدُ الضُّحَى خُصْرٌ مَكاسِيلُ[6]
فشَقَّ حَيْزُومَ هذا الليلِ مُمْتَطِيًا … أخا حِزامٍ به قد يُبْلَغُ السُّولُ
أَقَبَّ أَقْوَدَ يُعْزَى للوَجِيه ، لَهُ … وَجْهٌ أغرُّ وفى الرِّجلين تَحْجِيلُ[7]

منها :

جُفْرٌ حَوافِرُه مُعْرٌ قَوائِمُهُ … ضُمْرٌ أياطِلُهُ والذَّيْلُ عُثْكُولُ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « البديع بها » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .
(٢) فى : ج ، ك : « فالسحر مرمرة » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان .
(٣) فى أصول الطبقات : « مجزول » ، وأثبتنا رواية الديوان .
(٤) فى المطبوعة : « هيفاء يسلس ... درماء يجرس » . وصححنا الرواية من : ج ، ك ، والديوان . وامرأة درماء : لا تستبين كعوبها ولا مرافقها ، من السمن .
(٥) فى الديوان : « غذاهن النعيم » .
(٦) جاءت كلمات البيت مصحفة ومحرفة فى المطبوعة ، وصححناها من : ج ، ك ، والديوان .
(٧) فى المطبوعة : « متى أقود » . وفى : ج ، ك : « أق » من غير نقط ، وأثبتنا ما فى الديوان . و « أقب » من القبب : وهو دقة الخصر وضمور البطن . و « الوجيه » : فرس معروف لغنى بن أعصر . انظر الخيل لابن الكلبى ٢٢ ، والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس كلها .
(٨) فى المطبوعة : « عسلول » . وفى : ج ، ك : « عثلول » ، وأثبتنا الصواب من الديوان . و « العثكول » : العذق أو الشمراخ . وقوله : « جفر » : يعنى استدارة الحافر ، من الجفرة : وهى الحفرة الواسعة المستديرة ، وهم يشبهون الحافر بالقعب -وهو القدح- لاستدارته . راجع اللسان (قعب - جفر) . و « المعر » سقوط الشعر . و « الأياطل » : جمع الأيطل : وهو الخاصرة .

منها :

واصِلْ سُراكَ بسَيرٍ يا ابنَ أندَلُسٍ … والطِّرْفُ أدهَمُ بالأَشْطانِ مَغْلُولُ[1]

يُلاطِمُ الرِّيحَ منه أبيضٌ يَقَـقٌ … لَه من السَّحَر المُرْبَدِّ إكلِيـلُ[2]

يعلو خُضارةَ منه شامِخٌ جَلَلٌ … سامٍ طَفا وهْو بالنَّكباءِ مَحمولُ[3]

كأنَّما هو فى طَخْيـاءِ لُجَّتِـهِ … أَيْمٌ يُفرِّى أدِيمَ الماءِ شِمْلِيـلُ[4]

منها :

فللرَّسولِ انشقاقُ البَدرِ يشهدُهُ … كما لِموسى انفلاقُ البحرِ مَنقولُ[5]

ومن مُوَشَّحاته[6] :

إن كان ليلٌ داجْ وخانَنا الإصباحْ[7] … فنُورُها الوهَّاجْ يُغنِى عن المِصباحْ

سُلافَــةٌ تَبـــدُو … كالكوكبِ الأزهَرْ

مِزاجُها شَهْــدُ … وعَرْفُهـا عَنْبَــرْ

يا حبَّذا الـوَرْدُ … مِنها وإن أسكَرْ

قلبى بها قد هاجْ فما تَرانِى صاحْ … عن ذلك المِنهاجْ وعن هوًى ياصاحْ

وبى رَشًا أهْيَفْ … قد لَجَّ فى بُعْدِى

بَدْرٌ فلا يُخْسَفْ … منه سنَا الخَـدِّ

بلَحْظِهِ المُرْهَـفْ … يَسْطُو على الأُسْدِ

---

(١) الأشطان : جمع شطن ، بالتحريك : وهو الحبل الطويل الشديد الفتل .

(٢) فى المطبوعة : « أبيض لقف » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان . يقال : أبيض يقق : أى شديد البياض ناصعه .

وجاء فى المطبوعة ، والديوان : « من السحب » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والسحر هنا : البياض يعلو السواد . ويقال بالسين والصاد . راجع اللسان (سحر) .

(٣) فى الأصول : « يعلو خطارة » ، وأثبتنا ما فى الديوان . و « خضارة » بالضم : البحر .

(٤) الأيم : الحية . وقيل : الأيم والأين والثعبان : الذكران من الحيات . و « الشمليل » بالكسر : الخفيفة السريعة .

(٥) فى الديوان : « نشهده » بالنون .

(٦) تكملة ديوانه ٤٩١ .

(٧) فى الأصول : « المصباح » ، وأثبتنا ما فى الديوان .

كسَطْوةِ الحَجَّاجْ فى الناسِ والسَّفّاحْ   فما تَرَى مِن ناجْ مِن لَحظِه السَّفّاحْ

عَلَّل بالـمُسْكِ[1]   قَلْبِى رَشا أحـوَرْ

مُنَعَّـمُ الـمَسْكِ   ذو[2] مَبْسِمٍ أعطَرْ

ريَّـاه كالـمِسْكِ   وريقُـه كوثَـرْ

غُصنٌ على رَجْراجْ طاعَت له الأرواحْ   فحبّذا الآراجْ[3] إن هَبّت الأرواحْ

مَهْلًا أبا القـاسِمْ   علـى أبى حَيّـانْ

ما إن له عـاصِمْ   مِن لحظِك الفَتّانْ

وهَجرُكَ الدائـمْ   قد طال بالهَيْمانْ

فدمْعُـه أمـواجْ وسِرُّه قـد لاحْ   لكنه ما عـاجْ ولا أطـاعَ اللّاحْ[4]

يارُبَّ ذِى بُهْتـانْ   يَعْذِلُ فى الـرّاحِ

وفى[5] هَوَى الغِزلانْ   دافَعْتُ بالـرَّاحِ[6]

وقلتُ لا سُلْوانْ   عن ذاك يا لاحِى

سَبْعُ الوُجوهْ والتاجْ[7] هى مُنْيَةُ الأفراحْ   فاختَرْلى يازَجَّاجْ قمصالْ[8] وزُوجْ أقداحْ

---

(١) فى الأصول : « عذاره المسكى » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والوافى ٥ / ٢٧٠ ، والفوات ٢ / ٥٥٨ ، والنجوم ١٠ / ١١٣ ، والنفح ٢ / ٥٥٨ ، والمسك ، بالضم : ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب . وبالفتح : الجلد والإهاب . وبالكسر : هذا الطيب المعروف ، وقد استعمل الشاعر الثلاثة . راجع شرح مثلثات قطرب ١٧٣ .

(٢) فى الأصول : « ذى » ، وأثبتنا ما فى الديوان .

(٣) فى المطبوعة : « الأرواج » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .

(٤) فى المطبوعة : « أطال » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

(٥) فى : ج ، ك : « ومن » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان .

(٦) فى : ج ، ك : « فى الراح » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان .

(٧) سبع الوجوه والتاج : من متنزهات القاهرة قديما . راجع تحديدها قديما وحديثا فى حواشى النجوم الزاهرة ١٠ / ١١٤ .

(٨) فى المطبوعة : « ممصال » . وفى : ج ، ك : « ممضاك » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والمراجع المذكورة قريبا . وفى حواشى النجوم ، والفوات : « القمصال : كلمة مغربية ، لاتينية الأصل ، معناها : وعاء كان يستعمل فى الأندلس والمغرب ، للشرب » .

غيره[1] :

عاذِلـــى فى الأَهْيـــفِ الأنسِ لـــو رآه كان قـــد عَـــذَرا
رَشَأٌ قد زانه الحَوَرُ غُصُنٌ مِن فوقِه قَمَرُ
قَمَرٌ مِن سُحْبه الشَّعَرُ ثَغرٌ فى فِيه أم دُرَرُ
حـــالَ بين الـــدُّرِّ واللَّـــعَسِ خَمْـــرةٌ مَـــن ذاقهـــا سَكِـــرا
رَجَّةٌ[2] بالرِّدْفِ أم كَسَلُ رِيقَةٌ بالثَّغرِ أم عَسَلُ
وَرْدةٌ بالخَدِّ أم خَجَلُ كَحَلٌ بالعَيْنِ[3] أم كُحُلُ
يالَهـــا مِـــن أعيُـــنٍ نُـــعُسِ جَلَـــبتْ لناظِـــرِى سَهـــرَا
مُذْ نأى عن مُقلتىَّ سَنِى ما أُذِيقا[4] لذَّةَ الوَسَنِ
طالَ ما ألقاه مِن شَجَنِ عَجَبًا ضِدَّان فى بَدَنِ[5]
بفُـــؤادِى جَـــذْوةُ[6] القَـــبَسِ وبعَينِـــــى الماءُ مُنفجِـــــرا
قد أتانِى[7] اللهُ بالفَرَجِ إذ دَنا مِنّى أبو الفَرَجِ
قَمَرٌ قد حَلَّ فى المُهَجِ كيف لا يُخْشَى من الوَهَجِ
غيـــرُه[8] لـــو صابَـــهُ نَـــفَسِى ظَنَّـــهُ مِـــن حَـــرِّه شَرَرا
نَصَبَ العَيْنَيْن لى شَرَكا فانثنى والقَلْبَ قد مَلَكا

---

(١) تكملة الديوان ٤٩٥ ، والشاعر يعارض موشحة شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى .
(٢) فى : ج ، ك : « رقة » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان .
(٣) فى المطبوعة : « بالعينين » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .
(٤) فى المطبوعة : « ما أذيق » ، والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .
(٥) فى : ج ، ك ، والوافى ٥ / ٢٧١ : « شجنى ... بدنى » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان ، والفوات ٢ / ٥٥٩ ، والنفح ٢ / ٥٥٦ .
(٦) فى المطبوعة : « جودة » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .
(٧) فى المطبوعة : « أتانا » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .
(٨) فى المطبوعة : « غرة » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

قَمَرٌ أضحَى لـه فَلكـا ... قال لى يومًا وقد ضَحِكا
أنت جئتَ من أرض أندلُسٍ[1] ... نحوَ مِصرٍ تعشَقُ القَمَـرا

ومن المسائل عنه

● مَنَع الشيخُ أبو حَيَّان أن يقال : ما أعْظَمَ اللهَ ، وما أحْلَمَ اللهَ ، ونحو ذلك ، ونقلَ هذا عن أبى الحسن ابن عُصْفُور ، احتجاجًا بأنَّ معناه : شَىءٌ عَظَّمَه ، أو حَلَّمه .

وجَوَّزه الإمامُ الوالِد ، محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾[2] والضَّميرُ فى ﴿ بِهِ ﴾ عائدٌ على الله : أى ما أبْصَرَهُ وأسْمَعَهُ ! فدلَّ على جَوازِ التعجُّب فى ذلك .

وللوالد تصنيفٌ فى تجويز ذلك ، أحْسَنَ القولَ فيه .

قلت : وفى « شرح ألفيّة ابن مُعْطِى » لأبى عبد الله محمد بن إلياس النَّحوِىّ ، وهو متأخِّرٌ من أهلِ حَماة : سأل الزَّجّاجُ المُبرِّدَ[3] ، فقال : كيف تقول : ما أحْلَمَ اللهَ ، وما أعْظَمَ اللهَ ؟

فقال : كما قُلتَ .

فقال الزَّجَّاجُ : وهل يكونُ شيءٌ حَلَّمَ اللهَ ، أو عَظَّمَهُ ؟

فقال المُبرِّدُ : إنّ هذا الكلامَ يقال عند ما يَظْهَرُ مِن اتِّصافِه تعالى بالحِلْم والعَظَمة ، وعندَ الشيءِ يُصادَفُ مِن تَفَضّلِه[4] ، فالمُتعجِّب[5] هو الذاكِرُ له بالحِلم [والعظمة][6] عند رؤيَتِه إيَّاهما[7] عِيانًا .

---

(١) كذا جاءت الرواية فى أصول الطبقات . ومثلها فى الوافى ٥ / ٢٧٢ ، والذى فى الديوان والفوات ٢ / ٥٦٠ ، والنفح ٢ / ٥٥٦ .

* أتجى من أرض أندلس *

(٢) سورة الكهف ٢٦ .

(٣) هذه المسألة ذكرها الزجاجي فى مجالس العلماء ١٦٧ ، وراجع أيضا تفسير القرطبى ١٠ / ٣٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١١٧ ، فى تفسير الآية الكريمة . وذكرها تقىّ الدين السّبكى فى فتاويه ٢/ ٣٢٠ .

(٤) فى المطبوعة : « فضله » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، ومجالس العلماء .

(٥) فى المطبوعة : « والمتعجب » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٦) تكملة يلتئم بها الكلام . والسياق فى مجالس العلماء مختلف عما يذكره السبكى .

(٧) فى المطبوعة : « إياها » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

وقد نقَل الوالدُ معنى هذه الحكايةِ فى تصنيفه ، عن كتاب « الإنصاف » لابن[1] الأنبارِىّ ، وذَكر مِن التأويل أن يَعنِىَ بالشىء نفسَه : أى إنه عَظَّمَ نفسَه ، أو إنه عظيمٌ بنفسِه ، لا شىء جَعَله عظيمًا .

ومن الفوائد عنه

● أفادَنا شيخُنا أبو حَيَّان أن أبا الحسن حازِمَ[2] بن أبى عبد الله بن حازِم ، كان نحويًّا أديبًا بارِعًا ، شاعِرًا مُفلِقًا ، امتدح بعضَ خُلَفاء[3] الغرب الذين مَلكوا مدينة تُونُس ، بقصيدةٍ طَنَّانة ، ضَمّنَها عِلم[4] النَّحو ، أولها[5] :

الحمدُ لِلهِ مُعْلِى قَدْرَ مَن عَلِمَا ... وجاعِلِ العَقْلِ فى سُبُلِ الهُدَى عَلَمَا

ثم الصَّلاةُ علَى الهادِى لسُنَّتِهِ ... محمّدٍ خيرِ مَبْعُوثٍ به اعتُصِما[6]

منها يمتدح الخليفة :

مُرْدِى العِداةِ بسَهْمٍ مِن عَزائمِهِ ... كأنَّه كَوْكَبٌ للقَذْفِ قد رَجَمَا[7]

أدامَ قولَ نَعَمْ حَتَّى إذا اطَّرَدَتْ ... نُعماهُ مِن غَيْرِ وَعْدٍ لم يَقُلْ نَعَمَا

منها :

إنَّ اللَّيالِى والأَيَّامَ مُذْ خَدَمَتْ ... بالسَّعْدِ مُلْكَكَ أضْحَتْ أَعْبُدًا وإمَا

لقَدْ رَفَعْتَ عِمادًا لِلعُلَا فَغَدا ... يَعْلُو قِيامًا ويَعْلُو قَدْرُهُ قِيمـا[8]

---

(١) الإنصاف ١ / ١٢٨ (مسألة القول فى « أفعل » فى التعجب ، اسم هو أو فعل) .

(٢) هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم القرطاجنى . انظر ترجمته فى بغية الوعاة ١ / ٤٩١ ، وشذرات الذهب ٥ / ٣٨٧ (وفيات سنة ٦٨٤) ، ونفح الطيب ٢ / ٥٨٤ .

(٣) هو المستنصر الحفصى ، أبو عبد الله محمد بن يحيى . كما فى الشذرات .

(٤) فى المطبوعة : « علوم » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) القصيدة ملحقة بديوان حازم ١٢٣ - ١٣٣ .

(٦) فى الديوان : « اتسما » .

(٧) فى الديوان : « يردى العداة » .

(٨) فى المطبوعة : « يعلو قيما ويغلو » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

أَقَمتُمُ وَزْنَ عدل الشَّمْسِ فاعْتَدَلَتْ ... فلَم يَدَعْ نُورُها ظُلْمًا ولا ظُلَمَا[1]

منها يذكُر تُونُسَ :

كأنَّما الصُّبْحُ منها ثَغْرُ مُبْتَسِمٍ ... وحُوَّةُ اللَّيْلِ فِيها حُوَّةٌ ولَمَـى[2]

منها :

أبدَلْتُ تَقْفِيةً مِن بَيْتِ مُمْتَدِحٍ ... أورَدْتُهُ مَثَلًا فى رَعْيِكَ الأُمَمَا[3]

« وكَّلْتَ بالدَّهْرِ عَيْنًا غيرَ غافِلةٍ ... من جُودِ كَفِّك تأْسُو كُلَّ مَنْ كُلِمَا »

منها ، من باب المتعدّى لاثنين :

فبابُ أعطَى كَسَا مِنْه ومِنْه سَقَى ... كما تقولُ : سَقاكَ اللهُ صَوْبَ سَمَا

ومِنْه أَوْلَى وآتَى مِثْلَ قَولِهِـمُ ... أولاكَ رَبِّى نَعيمَ العَيْشِ والنِّعَمَا[4]

من باب المتعدِّى لثلاثة[5] :

وقاسَ بالهَمْزةِ النَّقْلَ ابنُ مَسْعَدَةٍ ... فى بابِ ظَنَّ وفِيها خالَفَ القُدُمَا[6]

[من باب كان وأخواتها][7] :

تقولُ ما زِلتَ مِفْضالًا وما بَـرِحَتْ ... مِنكَ السَّجايا تُوالِى الجُودَ والكَرَمَا[8]

من باب الاستثناء :

والقولُ فى بابِ الاسْتِثْناءِ مُـتَّسِعٌ ... وقَد يُخالِفُ فيـه جِلَّـةُ الزُّعَمَـا[9]

---

(١) فى الديوان : « وزن شمس العدل » .

(٢) حوة الليل : سواده . والحوة فى الشفاه : سمرة ، مثل اللمى .

(٣) فى المطبوعة : «أبديت منقبة » . والتصحيح من : ج ، ك . ورواية الديوان : « أبدلت قافية » .

(٤) فى الأصول : « آوى وآتى » . والتصحيح من الديوان .

(٥) فى المطبوعة : « من باب كان وأخواتها » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وهو الواضح من سياق الأبيات فى الديوان

(٦) فى الديوان : « وفيه خالف » . وابن مسعدة : هو الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة .

(٧) ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

(٨) فى المطبوعة : « لازلت » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .

(٩) رواية الديوان :

* وقد تخالف فيه الجلة الزعما *

وقد تَبَلَّهَ قَومٌ فِيه لا سِيَمَا مَن عَدَّ بَلْهَ فى الاستِثْنا وَلا سِيَمَا

[من نواصب الفعل][1] :

واعدُدْ لِكَيْلَا وكيلا ثم كَىْ ولِكَى وليس يَمْنَعُ مِن نَصْبٍ زِيادَةُ مَا

منها :

والعُرْبُ قد تَحْذِفُ الأخبارَ بَعْدَإذا إذا عَنَتْ فَجأَةَ الأمرِ الذى دَهَمَا[2]

ورُبَّما نَصَبُوا بالحالِ بعدَ إذا وربّما رَفَعُوا مِن بَعْدِها رُبَمَا[3]

فإن تَلاها ضَمِيرانِ اكْتَسَى بِهِمَا وَجْهُ الحَقِيقَةِ مِن إشكاله غَمَما[4]

لِذاكَ أعْيَتْ عَلَى الأَفْهام مَسْأَلَةٌ أَهْدَتْ إلى سِيبَوَيْهِ الهَمَّ والغُمَمَا

قد كانَتِ العَقْرَبُ العَوْجاءُ أحْسَبُها قِدْمًا أشَدَّ مِنَ الزُّنْبُورِ وَقْعَ حُمَا[5]

وفى الجَوابِ عليها هَلْ إذا هُوَ هِى أو هَلْ إذا هو إيَّاهَا قَدِ اخْتُصِمَا

وخطَّأَ ابنُ زِيادٍ وابنُ حمْزَةَ فِى ما قالَ فِيها أبا بِشْرٍ وقد ظَلَمَا[6]

---

(١) ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

(٢) لم ترد « إذا » الثانية فى أصول الطبقات ، وأثبتناها من الديوان ، ومغنى اللبيب ١ / ٩٤ (مبحث إذا) وفيه مختارات من هذه القصيدة . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « غدت فجأة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان ، والمغنى .

(٣) فى أصول الطبقات : « وبعد ما رفعوا » ، وأثبتنا رواية الديوان ، ومغنى اللبيب .

(٤) فى : ج ، ك ، والديوان والمغنى : « فإن توالى ضميران » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، وسيأتى معادا فى شرح المصنف ، ولم تختلف فيه أصول الطبقات كلها ، وقال ابن هشام : « غمما ، بفتح الغين : كناية عن الإشكال والخفاء » .

(٥) فى المطبوعة : « العقرب العرجاء » . وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمغنى ، وفى الديوان : « الهوجاء » .

(٦) فى المطبوعة : « أبو بشر » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان . و « أبو بشر » : هو سيبويه ، إمام النحاة واسمه : عمرو بن عثمان بن قنبر . و « ابن حمزة » : هو الكسائى ، على بن حمزة . و « ابن زياد » : هو الفراء ، يحيى بن زياد . وقال ابن هشام فى المغنى ١ / ٩٥ : « وألف « ظلما » للتثنية ، إن بنيته للفاعل ، وللإطلاق ، إن بنيته للمفعول » . وهذه المسألة التى اختلفوا فيها : هى المعروفة بالمسألة الزنبورية ، وقد استفاضت بها كتب الأدب والنحو ، وتراجم النحاة . راجع مجالس العلماء ، للزجاجى ٨ – ١٠ .

وغَاظَ عَمْرًا علىٌّ فى حُكُومَتِهِ ... ياليتَه لم يكُنْ فى مِثلِها حَكَمَا

[كغَيْظِ عمرٍو عليًّا فى حُكومتهِ ... ياليته لم يكن فى أمرِه حَكَما[1]

وفَجَّع ابنُ زيادٍ كلَّ مُنْتَحِبٍ ... مِن أهلِه إذْ غدا منه يفيض دَمَا][1]

كفَجْعةِ ابنِ زِيادٍ كلَّ مُنتَحِبٍ ... مِن أهلِه إذْ غَدَا مِنْهُ يَفِيضُ دَمَا[2]

فَظلَّ بالكَرْب مَكْظُومًا وقد كَرَبتْ ... بالنَّفْسِ أنفاسُهُ أن تَبْلُغَ الكَظَما[3]

قَضَتْ عَلَيْهِ بغَيْرِ الحَقِّ طائفةٌ ... حتَّى قَضَى هَدَرًا ما بَيْنَهُمْ هَدَما[4]

مِن كُلِّ أجْوَرَ حُكْمًا مِن سَدُومَ قَضَى ... عَمرُو بنُ عُثْمانَ مِمَّا قد قَضَى سَدَما[5]

حُسَّادُهُ فى الوَرَى صَمَّتْ فكُلُّهُمُ ... تُلْفِيه مُنْتَقِدًا للقَوْلِ مُنتَقِمَا[6]

فَمَا النُّهَى ذِمَمًا فِيهِمْ معارِفُهَا ... وما المَعَارِفُ فى أَهْلِ النُّهَى ذِمَمَا[7]

فأصبحت بعدَه الأنفاسُ كابيةً ... فى كلّ صَدْرٍ كأن قد كُظَّ أو كُظِما[8]

---

(١) سقط هذان البيتان من المطبوعة ، وأثبتناهما من : ج ، ك ، والديوان ، ويدل على ثبوتهما شرح المصنف الآتى .

وجاء فى الديوان والمغنى : « منتخب » بالخاء المعجمة ، فى الموضعين .

(٢) زياد هنا : هو زياد بن أبيه ، وابنه المشار إليه هو : ابن مرجانة المرسل فى قتلة الحسين رضى الله عنه . قاله ابن هشام فى المغنى .

(٣) الكظم ، بفتحتين : مخرج النفس .

(٤) فى الديوان : « هدما ما بينهم هدما » .

(٥) السدم ، بفتحتين : هم مع ندم ، وقيل غيظ مع حزن . وقوله : « أجور حكما من سدوم » : قال الثعالبى : سدوم كان ملكا فى الزمن الأول ، جائرا ، وله قاض أجور منه ، يضرب به المثل ، فيقال : أجور من قاضى سدوم . ثمار القلوب ٨٣ ، والدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ١ / ١١٩ .

(٦) فى الديوان : « فى الورى عمت » . ولعل « صمت » فى رواية الطبقات : من قولهم صمت الفتنة : أى اشتدت . أو من قولهم : رجل أصم : لا يطمع فيه ولا يرد عن هواه ، كأنه ينادى فلا يسمع .

(٧) فى الديوان : « ولا المعارف » .

(٨) لم يرد هذا البيت فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والديوان . وفى : ج ، ك : « كامنة » ، وأثبتنا رواية الديوان . وهو من قولهم : كبا الزند : إذا لم يخرج ناره .

وأصبـحَتْ بَعـدَهُ الأنفـاسُ نادِبَـةً   فى كُلِّ طِرْسٍ كدَمْعٍ سَحَّ وانْسَجَمَا[1]

وليس يَخْلُو امرُؤٌ مِن حاسِدٍ أَضِمٍ   لولا التَّنافُسُ فى الدُّنْيا لَمَا أَضِمَا[2]

فكَمْ مُصِيبٍ عزا مَن لم يُصِبْ خَطَأً   لَهُ وكَمْ ظالِمٍ تَلْقاهُ مُظَّلَمَـا[3]

والغَبْنُ فى العِلْمِ أَشْجَى مِحْنَةٍ عُلِمَتْ   وأَبْرَحُ النَّاسِ شَجْوًا عالِمٌ هُضِمَا

● توضيح هذه الأبيات : قولُه « والعُرْبُ قد تحذف الأخبارَ بعد إذا » البيت : يعنى أن العربَ قد تحذِفُ خبَر المبتدأ الواقعِ بعد إذا الفُجائيّة ، تقول : خرجتُ فإذا الأسَدُ : أى حاضرٌ ، والغالبُ أن يُذكَرَ الخبرُ بعدَها ، حتى إنه لم يقع فى كتاب الله إلّا مذكورا ، نحو : ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ ﴾[4] ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴾[5] ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[6] ﴿ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[7] وهو كثيرٌ .

وقوله : « إذا عَنَتْ[8] فجأة » البيت : أى إذا كانت إذا الفُجائِيَّة لا الشَّرطيّة ، فإنّ الشَّرطيةَ لا تدخلُ إلّا علَى الجملِ الفعليّة ، بخلاف الفُجائيّة ، فإنها تختصُّ بالاسميّة ، وقد اجتمعتا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[9] الأولى شرطيّة ، والثانية فُجائيّة .

---

(١) فى المطبوعة : « فأصبحت » ، وأثبتناه بالواو ، من : ج ، ك ، والديوان . وجاء فى المطبوعة : « الأنفاس » بالفاء ، وأهمل النقط فى : ج ، ك . وصوابه بالقاف ، كما أثبتناه من الديوان ، والمغنى . والأنقاس : جمع نقس ، بكسر النون ، وهو المداد الذى يكتب به . ورواية الديوان والمغنى : « باكية » مكان « نادبة » .

(٢) الأضم : الحقد والحسد والغضب .

(٣) فى المطبوعة : « فكم مصيب غد لم يصب » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .

(٤) سورة الأنبياء ٩٧ .

(٥) الآية العشرون من سورة طه .

(٦) سورة الأعراف ١٠٨ ، والشعراء ٣٣ .

(٧) سورة يس ٥٣ .

(٨) فى المطبوعة : « إذا غدا » . وفى : ج ، ك : « إذا عنوا » ، وأثبتنا ما سبق فى نص البيت .

(٩) سورة الروم ٢٥ .

قوله : « فإن تلاها ضميران » أى إن وَقع بعدَ الفُجائيّة ضميران ، نحو قولك : فإذا هُوَ هِيَ ، الأصل : فإذا هو مِثلُها ، فهو : مبتدأً ، ومِثْل : خَبَر ، وها : مضافٌ إليه ، ثم حُذِف المضاف وأُقِيم المضافُ إليه مُقامَه ، فارتفع وانفصل[1] وصار : فإذا هُوَ هِيَ .

ومن قال : فإذا هو إيَّاها ، فالأصل : فإذا هو يُشبهُها ، فهو : مبتدأ ، ويشبهها : فِعلٌ وفاعِل ومفعول ، والجملة : خَبَرٌ ، ثم حُذِف الفِعلُ والفاعل ، وبَقِىَ المفعول ، فانفصل فصارَ : فإذا هو إيَّاها ، ونظيره فى حذفِ الخبرِ وبقاءِ معموله ، قراءةُ علىٍّ رضى الله عنه : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةً ﴾[2] : أى ونحن نُوجَدُ عُصْبَةً ، وقولُ النابغة الجَعْدِىّ[3] :

وحَلَّتْ سَوادَ القَلْبِ لا أَنا باغِيًا ... سِواهَا ولا فِى حُبِّها مُتَراخِيَا[4]

التقدير : لا أنا أُوجَدُ باغِيًا .

قوله : « وغاظَ عَمْرًا علىٌّ » يريد بعمرٍو : سِيبَوَيه ، وبعَلِىٍّ : الكسائىَّ رحمهما الله .

قوله : « كغَيْظِ عمرٍو عليًّا » يريد بعمرو : عمرَو بنَ العاص وبعلىٍّ : علىَّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، مشيرا بذلك إلى ما وقع فى مسئلة التحكيم ، فى قِصَّة[5] علىٍّ ومعاويةَ رضى الله عنهما ، وابتلاؤهما[6] فى ذلك ، وما اتَّفق مِن عمرو بن العاص ، فى قوله : أقررتُ مُعاويةَ ، بعد أن استنزلَ أبا موسى ، حتى فَصَلَ عليًّا ، مشهورٌ .

وليس قوله : « حَكَمَا » فى هذا البيت بعد قوله : « حَكَما » إيطاءً ، فإنّ القافيتين ليستا مُتوافِقتَين ، بل إحداهما[7] : حكم ، اسمٌ ، والأخرى : حَكَم ، فعلٌ ماضٍ .

---

(١) فى : ج ، ك : « واستتر » ، وأثبتنا الصواب من المطبوعة .

(٢) سورة يوسف ١٤ .

(٣) فى الأصول : « الذبيانى » . والصواب ما أثبتنا . والبيت فى ديوان النابغة الجعدى ١٧١ ، وهذا البيت من الشواهد النحوية الذائعة . راجع الخزانة ٣٣٧/٣ .

(٤) رواية الديوان : « عن حبها » .

(٥) فى المطبوعة : « قضية » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٦) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « وساوهما » من غير نقط .

(٧) هذا كلام ابن هشام . راجعه فى المغنى ٩٥/١ .

وقد أخذ شاعرُ عصرِنا الشيخُ جمالُ الدين ابن نُبَاتَةَ ، أكثَر أبياتِ « مُلْحَة الإعراب » للحَرِيرىّ ، فضمَّنها[١] وجعلها قصيدةً امتدح بها الشيخَ الإمامَ الوالِد ، وهى[٢] :

صَرَّفْتُ فِعْلِى فى الأسَى وقَوْلِى ... بحَمْدِ ذِى الطَّوْلِ الشَّدِيدِ الحَوْلِ

يـا لائِمًـا مَلامُـهُ يَطُـولُ ... اسْمَعْ هُدِيتَ الرُّشْدَ ما أَقُولُ

كلامَكَ الفاسِدَ لستُ أتَّبِعْ ... حدُّ الكَلامِ ما أفادَ المُسْتَمِعْ

أَفْدِى غَـزالًا مَثَّلُوا جَمالَـهْ ... فى مِثْلِ قَد أَقْبَلَتِ الغَزالَـهْ

ما قالَ مُذْ مُلِّكَ قَلْبى واسْتَرَقّ ... كقولِهِم رُبَّ غُلامٍ لِى أَبَقْ[٣]

لِلقَمَرَيْـنِ وَجْهُــهُ مُطالِـعُ ... فَهْىَ ثَلاثٌ ما لَهُنَّ رابِـعُ

لِأَحْرُفِ الحُسْنِ على خَدَّيْه خَطّ ... وقالَ قَوْمٌ إنَّها اللَّامُ فَقَـطْ

دانِى المَزارِ يَحذَرُ الضَّنِيـنْ ... عليه مِثْلُ بـانَ أو يَبِيـنْ[٤]

كَتَمْتُه فالحُسْنُ لَيسَ يُجْتَلَى ... والاسْمُ ما يَدْخُلُهُ مِنْ وإلَى[٥]

مُنْفَرِدٌ بالوَصْلِ فى دارِ الهَنَا ... مِثالُـهُ الـدَّارُ وزَيْـدٌ وأنَـا[٦]

لا يَخْتَشِى تَلاعُبَ الظُّنُـونِ ... والأَمْرُ مَبْنِىٌّ علَى السُّكُونِ[٧]

فى خَدِّهِ التِّبْرِىِّ هانَ نَشَبِى ... وقِيمَةُ الفِضَّةِ دُونَ الـذَّهَبِ[٨]

---

(١) فى المطبوعة : « فصنفها » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) ديوانه ٥٨٢ – ٥٨٥ ، ولن نشير إلى مكان التضمين ، فى « الملحة » إلا عند اختلاف الرواية .

(٣) فى المطبوعة : « ما قال قد » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .

(٤) لم يرد هذا البيت فى المطبوعة ، وترك له بياض بين سابقه ولاحقه . وقد أثبتناه من : ج ، ك ، والديوان ، وملحة الإعراب ٣ (البيت الثانى ، باب الفعل) .

(٥) فى الديوان : « لا يدخله » خطأ . وما فى أصول الطبقات مثله فى الملحة ٣ (باب الاسم) .

(٦) رواية الديوان : « منفرد بالحب » .

(٧) فى الأصول : « لا تختشى » ، وأثبتنا رواية الديوان ، وفيه : « ملاعب » .

(٨) فى الأصول : « خده اليسرى » . وصححناه بما فى الديوان . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « اليسرى هذا أبى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

فاصْرِفْ عَلَيْهِ ثروةً تُسْتَامُ فَمَا عَلَى صَارِفِهَا مَلَامُ[1]

وإن رأيتَ قَدَّهُ العالِى فَصِفْ وقِفْ عَلَى المَنصُوبِ مِنهُ بالأَلِفْ[2]

والعارِضُ النُّونِىُّ ما أَنْصَفْتَهُ وإن تَكُنْ باللَّامِ قَدْ عَرَّفْتَهُ[3]

وَاهًا لَهُ بِحَرْفِ نُونٍ قَدْ عُرِفْ كمِثْلِ ما تَكْتُبُه لا يَخْتَلِفْ

يأتى بِنَقْطِ الخالِ فى إعْجامِ وتارَةً يأتى بِمَعْنَى اللَّامِ[4]

دُونكَ إن عَشِقْتَهُ بينَ الوَرَى مُعَظِّمًا لِقَدْرِهِ مُكَبِّرَا[5]

وإن تُرِد وَجْنَتَهُ المُنِيرَهْ فصَغِّرِ النَّارَ عَلَى نُوَيرَهْ

كَمْ ومَتَى جادَلْتُ فِيهِ مَنْ عَذَلْ ولَا وحَتَّى ثُمَّ أَوْ وأَمْ وبَلْ[6]

لِلَحْظِهِ المُسْكِرِ فِعْلٌ مُطْرِبُ مَفْعُولُهُ مِثْلُ سَقَى ويَشْرَبُ[7]

فَلَا تَلُمْ عُوَيْشِقًا فِيهِ تَلِفْ ولا سُكَيْرانَ الَّذِى لا يَنْصَرِفْ

لا تَلْحَ قَلْبِى فى الهَوَى فَتَتْعَبَا وما عَلَيكَ عَتْبُهُ فَتُعْتَبَا

جِسْمِى وذاكَ الخَصْرُ والجَفْنُ الدَّنِفْ هُنَّ حُروفُ الاعتلالِ المُكْتَنِفْ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « برده تستام » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

(٢) فى المطبوعة : « منها بالألف » . وأثبتنا ما فى ج ، ك ، والديوان ، والملحة ٧ (باب إعراب الاسم المفرد المنصرف) .

(٣) فى المطبوعة : « النون » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان ، والذى فى الملحة ٧ (باب إعراب الاسم المفرد المنصرف) :

* أو إن تكن باللام قد عرفته *

وقبله :

* وتسقط التنوين إن أضفته *

(٤) فى الأصول : « يأتى سمط الخال » ، وأثبتنا رواية الديوان .

(٥) فى المطبوعة : « دون الورى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .

(٦) فى المطبوعة : « كم عنى » . والرسم غير واضح فى : ج ، ك ، وأثبتنا رواية الديوان .

(٧) فى المطبوعة : « مفعوله متى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والملحة ١٧ (باب ظننت وأخواتها) .

(٨) فى المطبوعة ، والديوان : « حروف الاعتدال » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والملحة ٨ (باب حروف العلة) .

فَيا مَلِيحًا عَنْهُ أَخَّرْتُ القَمَرْ ... إمَّا لِتَهْوانٍ وإمَّا لِصِغَرْ[1]

كَرِّرْ فَما أَحْلَى لِسَمْعِ السَّامِى ... قَوْلَكَ يا غُلامُ يا غُلامِى[2]

وارْفُقْ بمُضْناكَ فما سِوى اسمِهِ ... ولا تُغَيِّرْ ما بَقِى مِن رَسْمِهِ[3]

وقَدْ حَكى العِذارَ فى الوُقُوفِ ... فاعْطِفْ علَى سائِلِكَ الضَّعِيفِ[4]

أَفْقَرتَ فى الحُسْنِ الغَوانِى مِثْلَ ما ... قالُوا حَذامِ وقَطامِ فى الدُّمَا[5]

فَافْخَرْ بمَعْنَى لَحْظِكَ المَعْشُوقِ ... فى كُلِّ ما تأنِيثُهُ حَقِيقِى[6]

يالَكَ لَحْظًا بِسُعادَ أَزْرَى ... وجاءَ فى الوَزْنِ مِثالَ سَكْرَى

حَتَّى اسْمُها مُسْتَنْقَصٌ لِمَنْ وَعَا ... كما تقولُ فى سُعادَ يا سُعَا[7]

يا ناصِبًا أَوْصافَ ذَيَّاكَ الصِّبَا ... تَمَّ الكَلامُ عِنْدَهُ فَلْيُنْصَبَا[8]

---

(١) فى الأصول : « إما لا هوان » ، والمثبت من الديوان ، والملحة ٣١ (باب التصغير) .

(٢) قوله : « السامى » . يعنى : « السامع » . والحذف فى هذا الموضع جائز ، كقولهم : « خامى » فى خامس ، و « سادى » فى سادس . انظر إصلاح المنطق ٣٠١ ، واللسان (خمس – سدس) .

(٣) فى الأصول : « وساوى اسمه » ، وأثبتنا ما فى الديوان . وفيه : « ولا لغير ما بقى » . وما فى الطبقات مثله فى الملحة ٣٠ (باب الترخيم) وهو الصواب .

(٤) فى الديوان : « فقد حكى العداة » . وفى : ج ، ك : « سافكك الضعيف » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان ، والملحة ٣٥ (باب التوابع) .

(٥) فى المطبوعة : « أبصرت فى الحسن » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان . وفى أصول الطبقات : « العوالى نسيل ما » . وصححنا الرواية من الديوان . وبعض البيت الأول فى الملحة ٤٧ (باب البناء) .

(٦) فى الملحة ١٥ (باب توحيد الفعل) : « بكل ما تأنيثه » .

(٧) رواية الديوان : « حتى اسمه منتقص » . وفيه أيضا : « كما يقال » . وما فى أصول الطبقات مثله فى الملحة ٣٠ (باب الترخيم) .

(٨) فى المطبوعة : « عندهم » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والملحة ٢٣ (باب الاستثناء) . وروايته :

* تم الكلام عنده فلينصب *

لأن قبله :

* وكل ما استثنيته من موجب *

هَيْهاتَ بَلْ دَعْ عنكَ ما أضْنَى وما   وعاصِ أَسْبابَ الهَوَى لِتَسْلَمَا[1]

وحَبِّرِ الأَمْداحَ فِى علِىِّ   قاضِى القُضاةِ الطَّاهِرِ النَّقِىِّ[2]

بِكُلِّ مَعْنًى قَدْ تَناهَى واسْتَوَى   فى كَلِمٍ شَتَّى رَواهَا مَنْ رَوَى[3]

باكِرْ إِلَى ذاكَ الحِمَى العالِى وَصِفْ   إذا اندرَجْتَ قائلًا ولا تَقِفْ[4]

دُونَك والمَدْحَ زكِيًّا مُعجِبا   مِثْلَ لقيتُ القاضِىَ المُهذَّبا

ذو الجُودِ والعِلْمُ عليه أرْسَى   وهكذا أصبَحَ ثمّ أمسَى[5]

فاضرَعْ إلى قارٍ لِقاهُ نافِعُ   وافزَعْ إلى حامٍ حِماهُ مانعُ[6]

يقول للضَّيفِ قِراه حب و حُلّْ   ومثله ادخُلْ وانبسِطْ واشرَبْ وكُلْ[7]

إذا ظفرتَ عِندَه بمَوْعِدِ   يقول كم مالٍ أفادتْه يَدِى

له يَراعٌ كم له مِن خَطْرَهْ   جُمانَةٌ مَنْظُومةٌ مَعْ دُرَّهْ[8]

شِمْ فِعْلَه عندَ النَّدَى والبأسِ   فإنّه ماضٍ بغيرِ لَبْسِ[9]

---

(١) فى الأصول : « دع عندما أحيا وما » . وصححناه من الديوان .

(٢) فى الأصول : « وخير الأمداح » ، وأثبتنا الصواب من الديوان .

(٣) فى المطبوعة : « بأى معنى » . وفى : ج ، ك : « بل معنى » ، وأثبتنا ما فى الديوان .

(٤) رواية الديوان :

* إذا درجت قائلا ولم تقف *

وكذلك فى الملحة ٧ (باب إعراب الاسم المفرد المنصرف) .

(٥) فى الأصول : « عليه راسى » . والتصحيح من الديوان .

(٦) فى الأصول : « فاسرع إلى ما زلفاه نافع » ، وأثبتنا ما فى الديوان . ولعل الشاعر يقصد المناسبة بين « قار » و « نافع » أحد القراء السبعة .

(٧) فى الديوان : « للضيف نداه حب وهل » . وفى مطبوعة الطبقات : « ومثله انبسط واشرب وكل » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والديوان ، والملحة ٣ (باب الفعل) .

(٨) فى الأصول : « له نزاع ... حماية سطوته » ،وأثبتنا الصواب من الديوان ، والملحة ٤٠ (باب العدد) وروايتها : « منظومة ودرة » .

(٩) فى الديوان : « شم حده » وهو أنسب ، لقوله فى البيت الثانى : « ماض » .

لله ما أَلْيَنهُ عندَ العَطا ... وما أحَدَّ سَيْفَه حِينَ سَطَا[1]

نَدْبٌ له يَثْنِى الثَّناءُ قَصْدَهُ ... وخَلْفَه وإثْرَه وعِندَهُ[2]

إن قال قولًا بَيَّن الغرائِبا ... وقام قُسٌّ فى عُكاظَ خاطِبا

وإن سَخا أَتَى على ذِى العَدَدِ ... والكيلِ والوزنِ ومَذْرُوعِ اليدِ

حِفْظَكَ للسَّمْعِ عن العُذَّالِ ... فمالَهُ مُغَيِّرٌ بحالِ[3]

للفضل جنسٌ بيتُه المُهَنَّى ... ونَوعُه الذى عليه يُبْنَى[4]

سامِ به أهلَ العُلا جميعا ... ولا تَخفْ ردًّا ولا تَقْرِيعا[5]

وإن ذكرتَ أفقَ بيتٍ قد نَما ... فانصِبْ وقُلْ كم كوكبًا تحوِى السَّما[6]

بيتٌ نظيمُ المَجْدِ والعَلاءِ ... عندَ جميعِ العَرَبِ العَرْباءِ[7]

---

(١) فى المطبوعة : « لله ما أثبته » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان . وفى : ج ، ك : « وما أحد حده عند » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان ، والملحة ٢٥ (باب التعجب) لكن فى الديوان : « السطا » .

(٢) فى المطبوعة : « يدب ثم يثنى الينا قصده » ، وأثبتنا « ندب » من : ج ، ك . وبقية الكلمات فيهما غير معجمة ، فأثبتنا ما فى الديوان . ويقال : رجل ندب : أى خفيف فى الحاجة سريع ظريف نجيب .

(٣) فى الديوان : « معطل السمع من العذال » . وورد البيت الثانى فيه : « فحاله » وما فى الطبقات مثله فى الملحة ٤٧ (باب البناء) .

(٤) فى الديوان : « الفضل جنسه » .

(٥) فى الديوان :

« وادفع ولا ردا ولا تفريعا »

وكذا فى : ج ، ك ، لكن فيهما : « ولا تريعا » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والملحة ٢٥ (باب لا النافية) .

(٦) فى المطبوعة : « وإن ذكر زينب قد يمما » . وفى : ج ، ك : « وإن ذكرت زينب قدنما » بغير نقط لما بعد « قد » وأثبتنا ما فى الديوان .

وفى : ج ، ك : « فانصب وليك كوكبا نحو السما » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان ، والملحة ٢٢ (باب كم الاستفهامية) .

(٧) فى أصول الطبقات : « وعن جميع » ، والمثبت من الديوان ، والملحة ١٠ (باب إعراب جمع التصحيح) .

يقرّ مَن يأتى له أو اقتربْ	وكلُّ منسوبٍ إلى اسمٍ فى العَرَبْ[١]
تقولُ مِصرُ مِن عُلاه الواجِبَهْ	كقولِ سُكّانِ الحِجازِ قاطِبَهْ[٢]
أسَّسَهُ الأنصارُ طُلّاعُ القُنَنْ	وزادَ مَبْنَى حُسْنِه أبو الحَسَنْ[٣]
جارٌ إذا ما امتدَّتِ الآسادُ	تقولُ هذا طَلْحةُ الجَوادُ[٤]
إذا اجتليتَ فى الخُطا جَبِينَهُ	أو اشتريتَ فى الرَّجا ثَمِينَهُ[٥]
تقولُ أبصرتُ الهِلالَ لائِحا	وقد وجدتُ المستشارَ ناصِحا[٦]
كم بالغِنَى مِنهُ تولَّى راحِلُ	وواقفًا بالبابِ أضحَى السائلُ[٧]
فَيّاضُ سَيْبٍ فى الوَرَى فلم يَقُلْ	فى هِبَةٍ ياهِبَ مَن هذا الرَّجُلْ[٨]
قال له الحُكْمُ امضِ ما تُحاوِلُهْ	واقضِ قَضاءً لا يُرَدُّ قائلُهْ[٩]
وأنت يا قاصِدَهُ سِرْ فى جَدَدْ	واسْعَ إلى الخيراتِ لُقِّيتَ الرَّشَدْ

(١) فى المطبوعة : « أقرب من دنا له واقترب » . وفى : ج ، ك : « أقرب من دناى له أو اقترب » ، وأثبتنا ما فى الديوان .

(٢) فى الديوان : « فى علاه » .

(٣) فى : ج ، ك : « أشبيه الأنصار » . وفى الديوان : « أبنية الأنصار » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة . وفيها : « وزاد من حسنه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان . ولم نجد شيئا من هذين البيتين فى الملحة .

(٤) فى أصول الطبقات : « حاز إذا امتدت » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، وفيه : « امتدت الأيادى » ، لكن قافية البيت الثانى مضمومة ، كما فى الملحة ٣٧ (باب ما لا ينصرف) .

(٥) رواية الديوان :

إذا اجتليت فى العطا جبينه ... أو استشرت للرجا يمينه

ولم يرد شىء من هذين البيتين فى الملحة .

(٦) فى الديوان : « تقول قد خلت الهلال لائحا » . وكذا فى الملحة ١٧ (باب ظننت وأخواتها) .

(٧) فى المطبوعة ، والديوان : « بالغنى عنه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وفيهما وفى الديوان :« وواقف بالباب »، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والملحة ٢٨ (باب كان وأخواتها) .

(٨) فى أصول الطبقات : « فغاض سب » ، وأثبتنا ما فى الديوان . وفى المطبوعة : « فى هبة يهب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والملحة ٣١ (باب الترخيم) .

(٩) فى الديوان : « قال له الشرع » . وفى أصول الطبقات : « لا يرد نابله » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والملحة ١٦ (باب ما لم يسم فاعله) .

فاخِرْ بهِ سُحْبَ الحَيا إن صابا　　واستوتِ المِياهُ والأخْشابا[1]

ولا تقُلْ كان غَمامًا ورَحَلْ　　كان وما انفكَّ الفَتَى ولم يَزَلْ

بابَ سِواهُ اهجُرْ عَداكَ عَيْبُ　　وصَغِّرِ البابَ فقُلْ بُوَيْبُ[2]

جُودٌ به أَنْسَى أحاديثَ المَطَرْ　　فليس يُحتاجُ لها إلى خَبَرْ[3]

مِثْلُ الهَبَا فِيهِ كلامُ العُذَّلِ　　والرِّيحِ تِلقاءَ الحَيا المُنْهَلِّ[4]

يارُبَّ بَحْرٍ عُمْتُه للشِّعْرِ　　وغُصْتُ فى البحرِ ابتغاءَ الدُّرِّ[5]

حتَّى ملا عينى نَداهُ عَيْنا　　وطِبتُ نَفْسًا إذْ قَضيتُ الدَّيْنا[6]

دُونَكَها مَعسُولَةَ الآدابِ　　حلاوةً فى مُلْحَةِ الإعرابِ[7]

مَضَى بها الليلُ بَهِيَّ الأنجُمِ　　وبات زيدٌ ساهِرًا لم يَنَمِ[8]

---

(١) فى : ج ، ك : « فاخبر به » . وفى الديوان : « فافخر به » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة .

(٢) فى أصول الطبقات :

* بات سواه اهجر عدا الرعيب *

وأثبتنا الصواب من الديوان .

(٣) فى أصول الطبقات : « جود به أمسى » ، وأثبتنا ما فى الديوان . ورواية البيت الثانى فى الملحة ٢٨ (باب كان وأخواتها) : « فلست تحتاج » .

(٤) فى المطبوعة : « مثل الهنافة » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا رواية الديوان . وفى أصول الطبقات : « والريح يلقاه » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والملحة ٢٢ (باب الظرف) ، وفيها : « والزرع تلقاء » .

(٥) رواية الديوان :

وبحر شعر خضته لذكره　　وغصت فى البحر ابتغاء دره

ورواية الطبقات للبيت الثانى موافقة لما فى الملحة ١٩ (باب المفعول له) .

(٦) فى أصول الطبقات : « عينى يداه » ، وأثبتنا ما فى الديوان . وفى أصول الطبقات : « وقضيت » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والملحة ٢٢ (باب فى منصوب أفعال المدح والذم ، من باب التمييز) لكن فى الديوان : « دينا » .

(٧) رواية الديوان : « ممزوحة بملحة الإعراب » .

(٨) فى المطبوعة : « قضى بها » . والنقط غير واضح فى : ج ، ك ، وأثبتنا ما فى الديوان ، وفيه : « مضى الأنجم » .

فافتَحْ لها بابَ قَبُولٍ يُجْتَلَى   وإن تَجِدْ عَيبًا فسُدَّ الخَلَلا
لا زلتَ مسموعَ الثنا ذا مِنَنٍ   جائلةٍ دائــرةٍ فى الألْسُنِ[(١)]
مــا لِعِــداكَ رايــةٌ تُقــامُ   فليس غيرُ الكَسْرِ والسَّلَامُ[(٢)]

١٣٣٧

محمّد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن[(٣)] بن محمد بن حَمدان*

شيخُنا قاضى القضاة شمس الدين بن النَّقِيب .

الحاكم بحِمْص ثم طَرابُلُس ثم حَلَب ، ثم مدرِّس الشامِيّة البَرّانيّة ، وصاحِبُ النَّوَوِىّ ، وأعظِمْ بتلك الصُّحبة رُتْبةً عَليَّةً .

وله الدِّيانةُ والعفَّة ، والوَرع الذى طَرَد به الشيطانَ وأرغَم أنفَه .

وكان مِن أساطين المذهب ، وجَمْرَةَ نارٍ ذكاءً إلّا أنها لا تَتلهَّب[(٤)] .

سمع مِن أحمد بن أبى بكر بن الحَمَوِىّ ، وأبى الحسن بن البُخارِىّ ، وأبى حامد ابن الصابُونىّ ، وأحمدَ بنِ شَيبان ، وزينبَ بنت مَكّىّ ، وغيرِهم .

مولدُه تقريبًا فى سنة اثنتين وستين وستمائة .

---

(١) فى المطبوعة : « الثناء الأمتن » ، والمثبت من : ج ، ك ، والديوان .

(٢) فى المطبوعة : « ما معذلك راسه مقام » . وفى : ج ، ك : « ما لعذلك راية تقام » ، وأثبتنا ما فى الديوان . وفى المطبوعة : « غير الكسب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان ، والملحة ٤٤ (فصل الجوازم) .

(٣) فى المطبوعة : « عبد الله » ، والمثبت من : ج ، ك ، وبعض مصادر الترجمة الآتية ، والبعض الآخر لم يزد فى النسب على « إبراهيم » .

* له ترجمة فى : الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٣٧ ، الدرر الكامنة ٤ / ١٩ ، ذيول تذكرة الحفاظ ٢٨ ، ذيول العبر ٢٤٨ ، السلوك ، القسم الثالث من الجزء الثانى ٦٧٦ ، شذرات الذهب ٦ / ١٤٤ ، طبقات الإسنوى ٢ / ٥١٢ ، مفتاح السعادة ٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) فى المطبوعة : « أنه لا تلتهب » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، ومفتاح السعادة ، نقلا عن السبكى .

سمعتُه يقول : قال لى النَّوَوِىُّ : يا قاضِى شمسَ الدّين ، لابُدَّ أن تَلِىَ تدريسَ الشاميّة ، فوَلِىَ[1] القضاء ثم الشامِيّة .

وكان ابنُ النَّقيب يقول : إنه ما يموتُ إلّا ليلةَ الجمعة ، [2]فكان كذلك[2] ، ووافق ثانى عشر ذى القَعْدة[3] سنةَ خمس وأربعين وسبعمائة ، بالمدرسة الشامِيَّة ، ودُفِن بقاسِيُون[4] .

أخبرنا محمدُ بن أبى بكر الفقيهُ ، سَماعًا عليه ، أخبرنا أبو الحسن بن البُخارِىّ ، أخبرنا حَنْبلُ بن عبد الله ، أخبرنا هِبةُ الله بن محمد الشَّيْبانىّ ، أخبرنا الحسنُ بن علىّ ابن المذهب ، أخبرنا أبو بكر بن حَمدان ، أخبرنا عبدُ الله بن أحمد ، حدَّثنى أبى ، حدَّثنا محمّدُ بن جعفر ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن عبد الملك بن عُمَير ، قال : سمعت عمرو[5] بن حُرَيْث ، قال : سمعت سعيدَ بنَ زيد رضى الله عنه ، يقول : سمعت النبىَّ ﷺ ، يقول : « الكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ » .

وأخبرَناه عاليًا بدرجتين : فاطمةُ بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبى عمر ، بقراءتى عليها ، أخبرنا محمدُ بن عبد الهادى بن يوسف المَقْدِسىُّ ، كتابةً ، عن شُهْدَةَ بنتِ أحمد ، أخبرنا طِرادُ بن محمّد ، أخبرنا محمّدُ بن أحمد بن رِزق ، أخبرنا محمّدُ بن يحيى بن عمر الطائىُّ ، [أخبرنا جَدُّ أبى][6] علىُّ بن حَرْب ، حدَّثنا سُفيانُ بن عُيَيْنة ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن عمرو بن حُرَيث ، عن سعيد بن زيد ، عن النبىّ ﷺ ، قال :

---

(١) فى المطبوعة ومفتاح السعادة : « تولى » . والتصحيح من : ج ، ك .
(٢) كذا فى : ج ، ك . ومكانه فى المطبوعة ، ومفتاح السعادة : « فتوفى ليلة الجمعة » .
(٣) فى الطبقات الوسطى ، وطبقات الإسنوى : « شوال » .
(٤) فى الطبقات الوسطى : « ودفن بالصالحية » .
(٥) فى المطبوعة : « عمر » . والتصحيح من : ج ، ك ، وتقريب التهذيب ٢ / ٦٧ ، وسيأتى مرة أخرى .
(٦) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . قال الذهبى فى العبر ٢/ ٢٥٥ (حوادث سنة ٣٤٠) : « وفيها أبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن على بن حرب الطائى الموصلى ، قدم بغداد ، وحدث بها عن جده ، وعن جد أبيه » .

« الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِى أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ » .

أخرجه البُخارِىُّ ومسلمٌ[1] ، عن أبى موسى محمّد بن المُثَنَّى ، عن محمد بن جعفر .

وأخرجه مسلمٌ أيضًا عن ابن أبى عمر ، عن سُفيان بن عُيَيْنَة ، فوقَع لنا بَدَلًا عاليًا ، للبُخارِىّ ومسلم فى الرواية الأولى ، ولمسلم وحدَه فى الثانية .

١٣٣٨

محمّد بن أبى بكر بن عيسي بن بَدْران بن رَحْمة

قاضى القضاة ، عَلَمُ الدِّين الأَخنائِىُّ السَّعْدِىُّ*

حدَّث عن أبى بكر بن الأَنْماطِى ، والأَبْرقُوهِى ، وابنِ دَقِيق العِيد .

وتولَّى قضاءَ الإسكندريَّة ، ثم لمّا مات الشيخُ علاءُ الدّين القُونَوِىُّ وَلِىَ قضاءَ الشام .

وكان رجلًا حَسَنًا دَيِّنًا محبًّا للعِلم .

استَكْتَب « شرح المنهاج » للوالد ، رحمه الله .

وبلغَنِى [عنه][2] أنه كان يقول : ما للشامِ قاضٍ إلَّا السُّبْكِىّ . فهذه منهُ مكاشَفَة[3] .

---

(١) صحيح البخارى (تفسير قوله تعالى : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ الآية ٥٧ من سورة البقرة) كتاب التفسير ٦ / ٢٢ ، وأيضا صفحة ٧٥ ، تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف . وأخرجه أيضا فى (باب المن شفاء للعين ، من كتاب الطب) ٧ / ١٦٤ .

وأخرجه مسلم فى (باب فضل الكمأة ومداواة العين بها ، من كتاب الأشربة) ١٦١٩ - ١٦٢١ .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٦٠ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢٧ ، ذيول العبر ١٧٥ ، شذرات الذهب ٦ / ١٠٣ ، قضاة دمشق ٩٢ ، الوافى بالوفيات ٢ / ٢٦٩ .

(٢) زيادة من ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .

(٣) جاء بحاشية ك : هذه صفات قضاة السلف رحمهم الله ورضى عنهم ، وأما قضاتنا الآن فكما قال القائل ، ولقد أجاد :

=

مولِدُه فى عاشر شهر رجب ، سنة أربع وستين وستمائة .

وتوفِّى بدمشق ، ثالثَ عشر ذِى القَعْدة ، سنةَ اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

وفيه يقول شاعرُ وقتِنا جمالُ الدين بن نُباتَةَ[١] :

يا سارِىَ القَصْدِ هذا البانُ والعَلَمُ ... قاضِى القُضاةِ بيُمْنَى كَفِّه القَلَمُ[٢]

يَدُ الإمامِ الذى مَعرُوفُه أَمَمُ ... هذا اليَراعُ الذِى تَجْنِى الفَخارَ به[٣]

فالسُّحْبُ باكِيةٌ والبَحْرُ يَلْتَطِمُ ... مُعْيِى الأماثِلِ فى عِلْمٍ وَفَيْضِ نَدًى[٤]

بالشامِ ينشأُ مِن مِصْرٍ ويَنْسَجِمُ ... وَافَى الشَّآمَ وما خِلْنَا الغَمامَ إذًا

فليسَ يُنْكَرُ إذ يُعْزَى لها الهَرَمُ ... آهًا لِمِصْرَ وقد شابَتْ لفُرْقَتِهِ[٥]

فما يَكادُ بِوَجْهِ الزَّهْرِ يَبْتَسِمُ ... وأَوْحَشَ الثَّغْرُ مِن رُؤيا مَحاسِنِهِ[٦]

= كان القضاةُ لهم عَدلٌ ومنقبةٌ ... فأصبحوا شَفْرةً يُبْرَى بها القَلمُ

صُمٌّ إذا مُدِحُوا بُكْمٌ إذا سُئِلوا ... عُمْىٌ فلا نَظَرٌ يَسمُو ولا هِمَمُ

رَضُوا من الدِّين والدُّنيا بطَنْطَنةٍ ... كأنّهم جَرَسٌ سِيقَتْ به النَّعَمُ

لَهْفَى على الدِّينِ والدُّنيا لقد ذَهَبا ... دِينٌ ودُنْيا ولا عَدْلٌ ولا كَرَمُ

هذا الزَّمانُ الذى كنّا نُحذِّرُه ... طابَ المماتُ ألا لِلموتِ فاغتنِمُوا

تاللهِ لو قد رآهُ مَن قَضَى ومَضَى ... بَكَوْا وناحُوا على الإسلامِ بل لَطَمُوا

(١) ديوانه ٤٣٥ ، من قصيدة طويلة ، وأورد الصفدى فى الوافى تسعة أبيات منها .

(٢) فى المطبوعة : « تمنى كفه » ، والمثبت من : ج ، ك ، والوافى ، والديوان ، وفيه : « حكمه » مكان « كفه » . وفيه وفى مطبوعة الطبقات : « الباب والعلم » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والوافى .

(٣) فى مطبوعة الطبقات : « يحيى الفخار » ، وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والوافى ، وفى المطبوعة أيضا : « هذا الإمام » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والوافى ، والديوان ، وفيه : « التى معروفها » .

(٤) فى أصول الطبقات : « معنى الأمائل » ، وأثبتنا ما فى الوافى . وفى الديوان : « معنى المماثل » .

(٥) فى الديوان والوافى : « هرم » . وفى الديوان : « أن يعزى » .

(٦) فى مطبوعة الطبقات : « لوجه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان والوافى ، وفيهما وفى المطبوعة : « الدهر » ، والمثبت من : ج ، ك .

يُنْشِى ويُنْشِدُ فيه الشِّعرَ مِن أَسَفٍ بَيْتًا تَكادُ بِهِ الأَحشاءُ تَضْطَرِمُ[1]

« يا مَنْ يَعِزُّ علَينا أن نُفارِقَهُم وِجْدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ »[2]

١٣٣٩

محمّد بن أبى بكر بن محمّد بن قَوام

الشيخ نُورُ الدِّين بن الشيخ نَجم الدين*

كان رجلًا فاضلًا ، من بيت الخير والصَّلاح والزُّهد ، لجدِّهم الشيخ الكبير ، ولىّ الله[3] أبى بكر ، صاحب الكرامات الظاهرة ، وقد قدَّمْنا ذكرَه[4] .

وُلِد هذا نورُ الدين بعدَ سنة عشرين وسبعمائة ، أُراه سنةَ إحدى وعشرين[5] .

وطلَب العِلمَ ، وسمع الحديث ، ودرَّس بعد وفاةِ والده ، بالرِّباط الناصِرىّ ، بقاسِيُون .

وتوفِّى ليلةَ مُستَهلِّ جُمادى الأولى ، سنةَ خمسٍ وستين وسبعمائة ، بالصالحية ، ظاهرَ دمشق .

---

(١) فى المطبوعة : « ينسى » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والوافى ، وفيه : « فيه الثغر » .

(٢) هذا البيت لأبى الطيب المتنبى . ديوانه ٣ / ٣٧٠ .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٦ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢٩ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٠٥ .

(٣) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « ولى الدين » .

(٤) فى ٨ / ٤٠١ .

(٥) فى الدرر ، والشذرات : ولد سنة ٧١٧ .

حرف الألف

١٣٤٠

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضِياء بن سِباع الفَزارِىّ
الشيخ بُرهان الدِّين بن الفِرْكاح*

فقيه الشام ، وبَرَكتُه الذى ليس بَرْقُه بِشام ، وشيخُه[1] الذى زاد يُمنُه[2] على أنواء الغَمام .

تَلقَّى عِلمًا كثيرا ، وتَوقَّى فى نَقْلِه الخَطأ ، فأصاب أجرًا كبيرا ، وتَرَقَّى إلى دَرجاتٍ عالِية يُطِلُّ [من][3] شُرفاتِها فيُبصِرُ[4] سراجًا وقَمرًا منيرا .

وكان يَغدُو فى جوانِب دمشقَ ويَرُوح ، ويَعدُو وهو[5] بلُطْفِ الله مَمدودٌ ، وبثناء[6] العِبادِ ممْدوح ، ويَبدُو كالقمر المنير وَجْهُه ، فيَسُرُّ القَلبَ ويُمازِجُ الدَّمَ والرُّوح .

مولدُه فى شهر ربيع الأول ، سنةَ ستين وستمائة .

وسمِع من ابن عبد الدائم ، وابن أبى اليُسْر ، ويحيى بن الصَّيرفىّ ، وغيرهم . وتفقَّه على والده[7] .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤/١٤٦ ، تاريخ ابن الوردى ٢/٢٩٠ ، الدارس فى أخبار المدارس ١/٢٠٨ ، الدرر الكامنة ١/٣٥ ، ٣٦ ، ذيول العبر ١٦٠ ، ١٦١ ، شذرات الذهب ٦/٨٨ ، طبقات الإسنوى ٢/٢٩٠ ، مرآة الجنان ٤/٢٧٩ ، المنهل الصافى ١/٨٠ - ٨٢ ، الوافى بالوفيات ٦/٤٣ ، ٤٤ . هذا وقد ضبطت السين من « سباع » بالضم ، فى الطبقات الوسطى ، ضبط قلم . والذى وجدناه فى هذا الاسم : الكسر ، لا غير . راجع تاج العروس (سبع) .

(١) فى المطبوعة : « وسحه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، ص .

(٢) فى المطبوعة : « يمينه » ، والمثبت من : ج ، ك ، ص .

(٣) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، ص .

(٤) فى : ج ، ك : « مبصرا » ، والمثبت من المطبوعة ، ص .

(٥) فى المطبوعة ، ص : « ويعدو ثناؤه وهو ... » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٦) فى المطبوعة : « وبين العباد » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، ص .

(٧) تقدمت ترجمته فى ٨/١٦٣ .

وكان ملازِمًا للشُّغْل بالعِلْم[1] والإفادة والتَّعليق ، سَديدَ السِّيرة ، كثيرَ الوَرَع ، مُجمَعًا على تقدُّمِه فى الفقه ، ومُشاركتِه فى الأصول والنَّحو والحديث .

أجازَ لنا فى سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة .

وتوفِّى فى جُمادى الأولى سنةَ تسع وعشرين وسبعمائة ، بالمدرسة البادرَائيّة بدمشق[2]

أخبرنا شيخُ الشافعيّة أبو إسحاق الفَزارِىّ ، إذْنًا ، أخبرنا أحمدُ بن عبد الدائم بن نِعمة ، أخبرنا أبو عبد الله محمّدُ بن علىّ بن محمد بن الحسن بن صَدَقة ، أخبرنا محمد بن الفضل ، أخبرنا عبدُ الغافِر بن محمّد ، أخبرنا أبو أحمد الجُلُودِىُّ ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه ، أخبرنا مُسلم بن الحَجَّاج ، حدَّثنا يحيى بن يحيى ، قرأتُ على مالك ، عن نافِع ، عن ابن عمر ، أنّ النبىَّ ﷺ ، قال : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا »[3] .

● اختار الشيخُ برهانُ الدِّين جوازَ نَقْلِ الزكاة .

● وأنه لا يُكْرَه الجلوسُ للتَّعزية . وسبقه إلى ذلك والدُه الشيخ تاجُ الدين ، زاد الشيخُ برهان الدِّين : بل ينبغى أن يُسْتَحَبَّ .

● ورجَّح أيضًا تَبعًا لوالده : أن المُرادَ بالساعاتِ فى حديث التبكير إلى الجمعة : مِن الزَّوال ، كما يقوله صاحب « التَّهذيب » والرُّويانِىّ .

---

(١) كذا فى المطبوعة ، صٌ . وفى : ج ، ك : « فى العلم » .

(٢) فى الطبقات الوسطى : « وله على « التنبيه » تعليقة كبيرة ، مشتملة على فوائد كثيرة ، وله على « مختصر ابن الحاجب » تعليقة لم أقف عليها » .

(٣) صحيح مسلم (باب قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « من حمل علينا السلاح فليس منا » . من كتاب الإيمان) ٩٨/١ ، وانظر أيضا المقدمة ٢٢/١ .

كتب الشيخ[1] المصنِّف ، أسبغ الله ظِلالَه ، إلى الشيخِ الإمام العالِم [2][الأديب النِّحرير الفاضِل المحدِّث المُفِيد ، بُرهان الدِّين أبى إسحاق][2] بن الشيخ العالِم شرف الدين عبد الله القِيراطِىّ المِصْرِىّ ، مِن دمشقَ المحروسة ، يتشوَّق إليه ، فى جُمادى الآخرة ، سنةَ أربع وستين وسبعمائة :

يُقبِّلُ الأرضَ أدَبًا بينَ يدَى قِبلَة الأدب ، ويُوجِّه وجْهَه عَرُوضَ بيتها الذى رفع إبراهيمُ قواعدَه بكُلِّ وَتِدٍ وسَبَب ، ويُقَلِّب قلبَه ، فإذا ميَّلتها الذكرى له قام كأنه يَتمشَّى هناك بالأحداق[3] ، ومَدَّ يدَه لكأسِ الطَّرَب ، وأنشَد :

أَمُدُّ كَفِّى لِحَمْلِ الكَأْسِ مِن رَشأٍ ... وحاجَتِى كُلُّها فى حامِلِ الكاسِ

لا ، بَلْ أنشَد :

أَمُرُّ علَى الدِّيارِ دِيارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وذا الجِدارَا[4]

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلْبِى ... ولكنْ حُبُّ مَن سَكَنَ الدِّيارَا

---

(1) هذه الرسائل المتبادلة بين المصنف وبين برهان الدين القيراطى : لا نرى لها صلة بترجمة برهان الدين بن الفركاح . وقد وقفت الترجمة فى النسخة « ص » بعد قوله « الرويانى » وكتب بعده : « يتلوه بعد عدة كراريس : إبراهيم بن عمر بن إبراهيم » وهى الترجمة المذكورة عقب انتهاء الرسائل .

وهذه النسخة « ص » هى التى عرفنا بها فى مقدمة الجزء السادس .

ويبعد أن تكون هذه الرسائل بقية لترجمة سقط أولها ، لبرهان الدين القيراطى ، لما ثبت من أن هذا توفى سنة (٧٨١) أى بعد وفاة المصنف بعشر سنوات ، ولم تجر عادة المصنف أن يترجم لمعاصريه الذين عاشوا بعده .

نعم ذكر بعض من ترجموا للقيراطى أن له خصوصية بالبيت السُّبكى ، فيقول ابن حجر : « وكان له اختصاص بالسبكى ، ثم بأولاده ، وله فيهم مدائح ومراث ، وبينهم مراسلات » . الدرر الكامنة ١ / ٣٢ .

ويقول ابن العماد : « وله فى تاج الدين السبكى غرر المدائح » . الشذرات ٦ / ٢٧٠ .

(2) ما بين الحاصرتين زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك ، ولم يرد فيهما إلا كلمة « برهان » .

(3) من قول القاضى الفاضل :

مثلته الذكرى لسمعى كأنى ... أتمشى هناك بالأحداق

ريحانة الألبا ١ / ١٧٧ ، وسيذكره المصنف فى ترجمة والده ، من هذه الطبقة .

(4) البيتان لمجنون بنى عامر ، وسبق تخريجهما فى ٨ / ٢١٩ .

فهو واللهِ حُبٌّ امتزَج بلحمِه[١] ودَمِه ، واعْتلَج وهو الدواءُ مع دائهما[٢] ، فأوجدَ حقيقةَ عَدَمِه ، واخْتلَج لكأسه كلُّ عُضوٍ إذا ما شارِبُ القومِ احتساه أحسَّ له دَبيبًا[٣] فى أعظُمه ، وأنشد[٤] :

كانت لقلبىَ أهـواءٌ مفرَّقـةٌ فاستجمعتْ مذْ رأتكَ العينُ أهواىَ

فصارَ يَحْسُدُنِى مَن كُنْتُ أحْسُدُه وصِرْتُ مَوْلَى الوَرَى إذْ صِرْتَ مَوْلاىَ

لا واللهِ ، بَلْ حُبٌّ حَلَّ منه مَحَلَّ الرُّوح ، ومَلَك ما يَغْدُو مِنه ويغدى ويريح ويَرُوح ، وعَدَل فى الأعضاء ، فأباح لكُلٍّ أن يَبُوحَ بما عنده ويَنُوح ، ويُنشِد :

يَجِدُ الحَمامُ ولو كَوَجْدِى لانْبَرَى شَجَرُ الأَراكِ معَ الحَمامِ يَنُوحُ

لا واللهِ ، بَل حُبٌّ خالَط القَلْبَ ، فما تَشاكَلَا ولا تَشابه الأمر ، بل اتَّحدا فلم يقل : رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الخَمْر[٥] ، واتَّصلا فلم يَبِتْ مِن حُبِّه مُتقلِّبًا على الجَمْر ، بل أنشد[٦] :

أَنا مَن أهْوَى ومَن أَهْوَى أنَا نحنُ رُوحـانِ حَلَلْنـا بَدَنـا

فـإذا أبْصَرْتَـهُ أبْصَرْتَنِـى وإذَا أبْصَرْتَنِـى أبْصَرْتَنَـا

واستَشْهَد بما أخبرَناه أبو عبد الله الحافظ ، سماعًا عليه ، أخبرنا أبو المعالى أحمدُ بن إسحاق الأَبَرْقُوهِىُّ ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابُور ، وأنا فى الخامسة ، أخبرنا محمد

---

(١) فى المطبوعة : « لحمه بدمه » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « دائها » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « أحساه أحسن الله ديننا » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٤) لم يرد البيت الأول فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . والبيتان لأبى المعالى عبد الملك بن أبى نصر . راجع الجزء السابع ١٨٩ .

(٥) هذا من قول الصاحب بن عباد ، فى ديوانه ١٧٦ :

رَقَّ الزُّجاجُ ورقَّت الخَمرُ وتَشابَها فتشاكَلَ الأمرُ

فكأنَّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ وكأنَّما قَدحٌ ولا خَمْرُ

(٦) البيتان للحلاج ديوانه ٩٣ .

ابن عبد العزيز الشّيرازِىّ ، أخبرنا رِزْقُ الله بن عبدِ الوهَّاب التَّمِيمىّ ، أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن مَهْدِىّ الفارِسِىّ ، حدَّثنا محمد بن مَخْلَد ، حدَّثنا محمد ابن عثمان بن كَرامة ، حَدَّثنا خالِدُ بن مَخْلَد ، عن سليمان[1] بن بِلال ، عن شَرِيك[2] بن أبى نمر ، عن عَطاء ، عن أبى هُريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عادَى[3] لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِى[4] بِحَرْبٍ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ[5] عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا[6] فَلَئِنْ[7] سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ[8] مَسَاءَتَهُ [وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ] [9] » .

أخرجه البُخارِىُّ ، عن محمد بن عثمان بن كَرامةَ العِجْلىّ الكُوفِىّ ، فوافَقْناه بعُلُوٍّ .

إيهٍ واللهِ ، وحُبٌّ صَيَّره معكُم فلم يَشْكُ بُعْدا ، ورَجا به أن اللهَ يُحبُّه فاغتبَط[10] وإن وَجد وَجْدا ، وأَمَّل بوقُوعِه فى الله ظِلَّ اللهِ فلم يَلْقَ[11] لنارِ الحريقِ وَقْدا . اعتمادًا

---

(١) فى المطبوعة : « سليم » . والتصحيح من : ج ، ك ، ومشاهير علماء الأمصار ١٤٠ ، وصحيح البخارى (باب التواضع ، من كتاب الرقائق) ٨ / ١٣١ ، والمصنف يروى الحديث من الطريق الذى رواه عنه البخارى ، كما أشار بعد .

(٢) عند البخارى : « شريك بن عبد الله بن أبى نمر » .

(٣) فى المطبوعة : « آذى لى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، وصحيح البخارى .

(٤) فى صحيح البخارى : « آذنته بالحرب » .

(٥) فى المطبوعة : « افترضته » ، والمثبت من : ج ، ك ، وصحيح البخارى .

(٦) فى المطبوعة : « عليها » ، والمثبت من : ج ، ك ، وصحيح البخارى .

(٧) فى صحيح البخارى : « وإن » .

(٨) فى صحيح البخارى : « وأنا أكره » .

(٩) لم يرد هذا عند البخارى .

(١٠) فى المطبوعة : « فاغتبطه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(١١) فى المطبوعة : « يلف » ، والمثبت من : ج ، ك .

على ما أخبرَنا به الشيخُ الإمام الوالدُ ، تغمَّده اللهُ برحمته ، سماعًا عليه ، أخبرنا الحافظ أبو محمد الدِّمْياطيُّ ، أخبرنا الحافظ أبو الحجَّاج الدمشقيُّ .

(ح)

وأُنبئتُ عن أبي الحَجَّاج : أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن أبي المعالي عبد الله بن مَوهُوب بن جامع بن عَبْدُون البَنَّاء الصُّوفيّ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عُبَيد الله ابن نَصر بن الزَّاغُونيّ[1] ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن عليّ بن أحمد الدَّقَّاق المعروف بابن ذِكْرى[2] ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن عمر بن حفص المُقرِى ، حدَّثنا الحسين بن محمد السَّكُونيُّ ، حدَّثني محمد بن جعفر القُرشِيّ ، حدَّثنا أبو نُعيم[3] ، حدَّثنا سُفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن أبي موسى ، عن النّبيِّ ﷺ ، قيل له : الرَّجُل يُحِبُّ القَومَ ولم يَلْحَق [بِهم][4] قال : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

هذا المَتْنُ مُتَّفَقٌ على صحَّته ، مَروِيٌّ عن خَلْقٍ من الصحابة ، منهم : أنسُ بن مالك ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعريّ ، وعليّ بن أبي طالب ، وأبو سعيد الخُدْرِيّ ، وأبو ذَرٍّ الغِفارِيّ ، وصَفْوان بن عَسّال ، وعبد الله بن يَزِيد الخَطْمِيّ ، والبَراء بن عازِب ، وعُروة بن مُضَرِّس ، وصَفْوان بن قُدامة الجُمَحِيّ ، وأبو أُمَامةَ الباهِلِيّ ، وأبو سَرِيحة[5] الغِفارِيّ ، وأبو هُريرة ، ومُعاذ بن جَبَل ، وأبو قَتادَة الأنصاريّ ، وعُبادة بن الصَّامِت ، وجابرُ بن عبد الله ، وعائشةُ أُمُّ المؤمنين ، وعُبَيد بن عمير[6] ، رضى الله عنهم .

---

(١) فى الأصول : « بن نصر الصابونى » ، وأثبتنا الصواب مما سبق فى الجزء السابع ٣٣٩ ، والعبر ٤ / ١٥٠ ، والشذرات ٤ / ١٦٤ ، ويؤكده ما ذكره الذهبى فى العبر ٥ / ٤٣ ، فى أثناء ترجمة « ابن البناء الصوفى » المذكور هنا فى السند ، أنه روى عن ابن الزاغونى .

(٢) فى المطبوعة : « الدسكرى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والعبر ٣ / ٣١٢ .

(٣) حلية الأولياء ٤ / ١١٢ ، ٥ / ٣٧ .

(٤) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، ومما تقدم فى ١٧٠ .

(٥) فى المطبوعة : « شريحة » بالشين المعجمة ، وصوابه بالسين المهملة ، كما فى : ج ، ك ، وطبقات خليفة ابن خياط ٣٢ / ١٢٧ ، والاستيعاب ١٦٦٧ ، واسمه : حذيفة بن أسيد .

(٦) فى المطبوعة : « عبيد الله بن عمر » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وراجع الاستيعاب ١٠١٨ .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، سَماعًا عليه ، أن أحمدَ بن إسحاق ، أخبره بقراءتِه ، قال : أخبرنا أبو القاسم المُباركُ بن علىّ بن أحمد بن أبى الجُود ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبى غالب الوَرَّاق ، أخبرنا أبو القاسم عبدُ العزيز بن علىّ بن أحمدَ الأَنْماطِىّ ، أخبرنا محمّدُ بن عبد الرحمن العَبَّاسِىُّ ، حدَّثنا عبدُ الله بن محمّد ، حدَّثنا عبدُ الأَعلَى بن حَمّاد النَّرسِىّ[1] حدَّثنا حمّادُ بن سَلَمةَ ، عن ثابت ، عن أبى رافِع ، عن أبى هُريرة ، رضى الله عنه[2] ، قال : إنَّ رَجُلًا زار أخًا له فى قريةٍ فأرْصَد اللهُ علَى مَدْرَجَتِه[3] مَلَكًا ، قال : أينَ تُريد ؟

قال : أردتُ أخًا لِى فى قريةِ كذا وكذا .

قال : هَل لَهُ مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها[4] ؟

قال : لا ، إلّا أنِّى أُحِبُّه فى الله .

قال : إنِّى رسولُ اللهِ إليك ، إنّ اللهَ قد أحبّك كما أحْبَبْتَه فيه .

صحيحٌ تفرَّد مُسلمٌ[5] بتخريجه من هذا الوَجه ، فرَواه عن أبى يحيى عبدِ الأعلى ابن حَمّاد بن نَصر البَصْرِىّ النَّرسِىّ[1] ، فوافَقْناه بعُلُوٍّ .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا علىُّ بن أحمد العِراقِىّ ، أخبرنا محمّدُ ابن أحمد القَطِيعىُّ ، أخبرنا محمّدُ بن المبارَك بن الخَلِّ ، حدَّثنا أبو المعالى ثابتُ بن بُنْدار ابن إبراهيم الدِّينَوَرِىّ المُقْرِئ ، أخبرنا أبو عَمرو عثمانُ بن محمّد بن يوسف بن دَوْسَت العَلَّاف ، حدَّثنا أبو بكر محمّدُ بن عبد الله الشافعىّ البَزّارُ ، حدَّثنا إسحاقُ بن الحسن

---

(١) فى المطبوعة : « الزينى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمشتبه ٦٣٦ ، وتقريب التهذيب ١ / ٤٦٤ ، وقد عرفنا بهذه النسبة من قبل . راجع فهارس الأجزاء السابقة .

(٢) يرفعه إلى النبى ﷺ . وانظر الموضع الآتى من صحيح مسلم .

(٣) أى على طريقه .

(٤) أى تحفظها وتراعيها وتربيها ، كما يربى الرجل ولده . يقال : رب فلان ولده يربه ربا ، وربيه ورباه . النهاية ٢ / ١٨٠ .

(٥) صحيحه (باب فى فضل الحب فى الله ، من كتاب البر والصلة والآداب) ١٩٨٨ ، وروايته : « هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله عز وجل ... بأن الله قد أحبكَ ... » . وانظر طبقات الصوفية للسلمى ٢٤٣ .

الحَرْبىّ[1] ، حَدَّثنا القَعْنَبىُّ ، عن [مالك ، عن][2] خُبَيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصِم ، عن أبى سعيد ، أو أبى هُريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّى أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ كَأَنَّ قَلْبَهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِى اللهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ » .

الحديثُ مُتَّفَقٌ على صحَّته ، مُخَرَّجٌ فى الكتب ، مِن حديث خُبَيْب .

ويُنْهِى بعدَ رفعِ أدعيةٍ بَلَغْن السماءَ ورَجَوْن فوقَها مَظْهَرا[3] ، ومَضَى[4] سِلاحُهُنَّ فيمَن استقبلَ الحال بسُوءٍفَرجَع القَهْقَرى ، وتلقَّتْها ملائكةُ القَبُول قائلةً : لقد يَمَّمْتَ جل بحر[5] جَوْهَرا ، ذاكرةً ما أخبرَناه محمدُ بن إسماعيل الحَمَوىُّ[6] ، سَماعًا [عليه][7] أخبرنا أبو الحسن بن البُخارِىّ ، وزينبُ بنت أبى الحَزْم ، قالا : أخبرَنا عمرُ بن محمد[8] بن

---

(1) فى المطبوعة : « الحربا » . والتصحيح من : ج ، ك ، وميزان الاعتدال ١ / ١٩٠ .

(2) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والموطأ (باب ما جاء فى المتحابين فى الله ، من كتاب الشعر) ٩٥٢ ، والقعنبى هو : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، يروى عن مالك بن أنس . الجمع بين رجال الصحيحين ١ / ٢٦٠ ، اللباب ٢ / ٢٧٥ .

(3) هذا من قول النابغة الجعدى ، فى ديوانه ٥١ :

بلَغْنا السماءَ مجدُنا وجُدُودُنا ... وإنّا لنرْجو فوق ذلك مَظْهَرا

(4) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « ونضى » بإهمال ما قبل الضاد .

(5) كذا فى المطبوعة ، وأهمل النقط فى : ج ، ك ، فى الكلمتين .

(6) فى : ج ، ك : « الحمويى » بفتح الحاء ، وتشديد الميم المضمومة ، وياءين . وما فى المطبوعة ، مثله فى ذيول العبر ٣١٢ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٢٥٥ ، والدرر الكامنة ٤ / ٩ ، وسبق فى الجزء الثامن ٣٢ ، ١٦٣ ، ويلاحظ أنه فى ذيول العبر ، والدرر : « ابن الحموى » .

(7) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .

(8) فى المطبوعة : « عمر » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وسيأتى قريبا ، وراجع فهارس الأجزاء السابقة .

طَبَرْزَد ، أخبرنا هِبةُ اللهِ بن محمد ، أخبرنا أبو طالِب البَزّاز[1] ، أخبرنا أبو بكر الشافِعِيّ[2] ، أخبرنا محمدُ بن غالب ، أخبرنا شُرَيح بن يُونُس ، حدَّثنا عَمرو بن صالح ، عن عبد الملك ، عن عَطاء ، عن أمّ كُرْز ، قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « دَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ وَمَلَكٌ عِنْدَ رَأْسِهِ يَقُولُ : آمِينَ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ »[3] .

لم يُرْوَ هذا الحديثُ مِن حديث أمّ كُرْز ، فى شىءٍ من الكتب الستّة ، وهو فى « صحيح مسلم »[4] من حديث أبى الدَّرْداء .

أخبَرنا أحمدُ بن عبد الرحمن بن محمد الحريرىّ ، سَماعًا عليه ، أخبَرنا عمر[5] ابن محمد الكِرْمانىّ ، حُضورًا ، أخبرنا أبو بكر القاسمُ بن عبد الله الصَّفّار ، أخبَرنا وَجِيهُ بن طاهر الشَّحّامِىّ .

(ح)

وأخبَرَتْنا زينبُ بنت الكَمال ، سماعًا ، عن عبد الخالق بن أَنْجَب[6] بن المعَمّر النَّشْتَبَرِىّ[7] المارِدِينى ، عن وَجِيه ، أخبرنا أبو بكر **يعقوبُ** بن أحمد الصَّيْرَفىّ ، حدَّثنا أبو محمد الحسنُ بن أحمد المَخْلَدِىّ ، أخبَرنا أبو نُعَيم عبدُ الملك بن محمد بن عَدِىّ[8]

---

(1) فى الأصول : « البزار » بزاى وراء ، وصوابه بزاءين ، كما فى المشتبه ٧١ ، وهو محمد بن محمد بن إبراهيم ، يعرف بابن غيلان ، وإليه تنسب الغيلانيات ، وهى أحاديث مجموعة ، فى أحد عشر جزءا ، سمعها من أبى بكر الشافعى . راجع العبر ٣ / ١٩٤ ، وتاج العروس (غيل) ٨ / ٥٤ .

(2) فى المطبوعة : « الصانعى » . والتصحيح من : ج ، ك ، وهو : محمد بن عبد الله بن إبراهيم . راجع العبر ٢ / ٣٠١ ، وانظر التعليق السابق . وتقدم فى صفحة ٣١٨ .

(3) فى المطبوعة : « بمثل ذلك » . وأسقطنا هذه الزيادة ، كما فى : ج ، ك ، وصحيح مسلم (باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب . من كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) ٢٠٩٤ ، وقد نص المصنف على أن الحديث فى صحيح مسلم .

(4) انظر التعليق السابق .

(5) فى النسخ : « أبو عمر » . وانظر ٨ / ٢٦ ، ٣٥٣ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٢٧ .

(6) فى المطبوعة : « نجيب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والعبر ٥ / ٢٠٢ ، والمرجعين الآتيين .

(7) فى المطبوعة : « التسترى » ، والنقط غير واضح فى : ج ، ك ، وأثبتنا الصواب من : معجم البلدان ٤ / ٧٨٣ ، وتبصير المنتبه ٧٦٣ ، وهى نسبة إلى « نشتبرى » : قرية من نواحى بغداد ، فى طريق خراسان ، والنون تفتح وتكسر .

(8) فى الأصول : « عبدل » . وصححناه مما سبق فى ترجمته ٣ / ٣٣٥ .

الجُرْجانيّ ، حدَّثنا أحمد[1] بن عيسى اللَّخْمِيّ ، حدَّثنا عمرو بن أبى سَلَمة[2] ، حدَّثنا عبدُ الرحيم بن زَيد العَمِّىّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبّاس ، عن النبىّ ﷺ ، قال : « خَمسُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجابُ لَهُنَّ : دَعْوَةُ المَظْلُومِ حَتَّى يَنْتَصِرَ ، وَدَعْوَةُ الحَاجِّ حَتَّى يُصْدِرَ ، ودَعْوَةُ المُجَاهِدِ حَتَّى يَقْفُلَ ، وَدَعْوَةُ الْمَرِيضِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَدَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ »[3] .

وشَرْحُ أشواقٍ بها العَيْنان عَيْنان[4] تَنْهَلّ ، والقَلْبُ تَفاقَم سَقَمُه فاضْمَحَلّ ، والجِسمُ ما غيّره النَّائى بل غيّره وكاد يَنْحَلُ وما يَنْحَلّ :

شَوْقِى إليكَ وإن نَأَتْ دارٌ بنا ... شَوْقُ الغزالِ إلى مَلاعِبِ سِرْبِهِ
أو شَوْقُ ظامِى النَّفْسِ صادَفَ مَنْهَلًا ... مَنَعتْهُ أطرافُ القَنا مِن شُرْبِـهِ

إذا غَيّر النأىُ المحبِّين[5] فقد غيّره ، وإذا غَيّر[6] الهوَى ساكِنَ الدَّمْعِ فما حَرَّك إلّا ما تقَاضاه مِن عَيْنِه وما غيره ، بل أنشد لنفسه مضمِّنًا فى عَبْرتِه المُعَبِّرة :

إنْ غَيَّرَ النَّأْىُ صَبًّا فَهْوَ غَيَّرنِى ... وصَبَّ مِنِّى دُمُوعِى مِن مَآقِيهَا
فَوَيْحَـهُ يتَقَاضانِـى بِحـارَ دِمـا ... وقَطْرَةُ الدَّمِّ مَكْـرُوهٌ تَقاضِيهَـا

---

(١) فى النسخ : « أبو أحمد » . وسبق فى ٣ / ٣٣٧ . وانظر تهذيب التهذيب ١ / ٦٥ .
(٢) فى المطبوعة : « بن مسلمة » . والتصحيح من : ج ، ك ، وميزان الاعتدال ٣ / ٢٦٢ ، والعبر ١ / ٣٦٥ .
(٣) سبق بهذا الإسناد فى ٣ / ٣٣٧ .
(٤) فى المطبوعة : « بها العينان عينا منهل » ، والمثبت من : ج ، ك ، وهو ضعيف . والمصنف كما يظهر يضمن رسالته أشياء من الشعر ، والذى نحفظه من هذا قول امرئ القيس :

* بِها العَيْنانِ تَنْهَلُّ *

انظر ملحقات ديوانه ٤٧٢ ، وسيأتى فى رد القيراطى إشارة إلى صدر هذا البيت ، وهو :

* لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلُّ *

(٥) أخذ هذا من قول ذى الرمة فى ديوانه ٧٨ :

إذا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحبِّين لم يَكَدْ ... رَسِيسُ الهَوَى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

(٦) هكذا فى الأصول .

لِتلك الألفاظ التى عَذُبَت ، فهى –وحاشاها من التَّغيُّر– ماءُ النِّيل ، ورَقَّتْ فهى –وحُوشِيَتْ مِن السَّقَم– النَّسِيمُ العَلِيل ، وراقَتْ ، فهى –وحاشاها[1] مِن التَّلَوُّن– الزَّهْرُ الحَفِيل ، وعندَ ذِكرِها يُنشِد ويقول[2] :

بِاللَّفْظِ يَقرُبُ فَهْمُه فى بُعْدِهِ ... مِنّا ويَبعُدُ نَيلُه فى قُربِـهِ[3]

حِكَمٌ سحَائِبُها خِـلالَ بَنانِـهِ ... هَطَّالَـةٌ وقَلِيبُهـا فى قَلْبِـهِ[4]

فالرَّوضُ مُختلِفٌ بحُمْرةِ نَوْرِهِ ... وبَياضِ زَهْرتِه وخُضْرةِ عُشْبِهِ[5]

وكأنَّها والسَّمعُ مَعْقُودٌ بِهـا ... وَجْهُ الحَبيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحبِّهِ[6]

ثم يَزدادُ طَرَبًا ويَهِمُّ أن يَطِير إلى تلك الدِّيار ، ولكن أين الجَناح ، وأن يَسْرِىَ فى ليل الفِراق ، ولكن مَن[7] له تِلْقاءَ الصَّباح ، وأن يُقابلَ[8] الدَّهر ، ولكنه أعْزَلُ والدَّهرُ شاكِى السِّلاح ، وينشد[9] :

وحَدِيثُها السِّحْرُ الحَلالُ لَوَ انَّهُ ... لم يَجْنِ قَتْلَ المُسلِمِ المُتَحرِّزِ

إن طالَ لم يُمْلَلْ وإن هِىَ أَوجَزَتْ ... وَدَّ المُحدِّثُ أنَّها لم تُوجِزِ

شَرَكُ النُّفوسِ ونُزْهَةٌ ما مِثْلُها ... للمُطْمَئِنِّ وعُقْلَـةُ المُسْتَوْفِـزِ

فلقد شَرِب بعدَكم كأسَ فِراقٍ ذَهب بلُبِّه كلَّ مَذْهَب ، وسَقاه سَوطَ عذابٍ ،

---

(١) فى المطبوعة : « وجاساها » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٢) الأبيات من قصيدة للبحترى ، فى ديوانه ١ / ١٦٥ ، وأنشد المصنف ، شيئا منها ، فى ١ / ٢١٢ ، ٨ / ٢٨٢ .

(٣) فى الأصول : « فاللفظ » ، وأثبتنا ما فى الديوان . وراجع الموضعين المذكورين من الطبقات .

(٤) رواية الديوان : « حكم فسائحها ... متدفق وقليبها » . وراجع حواشى الديوان .

(٥) رواية الديوان : « كالروض مؤتلفا » . وراجع حواشيه .

(٦) رواية الديوان : « شخص الحبيب » .

(٧) كذا فى المطبوعة . وفى ك : « ماله يلقا » . والعبارة غير واضحة فى : ج .

(٨) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « يقاتل » .

(٩) الأبيات لابن الرومى . زهر الآداب ١/ ٩ . وهى فى زيادات ديوانه ٣/ ١١٦٤ .

الشَّيْبُ أطْيبُ منه وأعذَب ، وأورث شيبه المشيب ، فلو قلَّد مَن قال : فانْثَنى[1] بلا عينين ، لقال[2] : ضَرَبَنِي[3] بشَيْبَين ، ولا لَعِبًا منِّى أَوَ ذُو الشَّيب يَلْعب[4] ؟

إنّه سَطَّرها والقلبُ يُمْلِى علىَّ أشواقًا أضرَم البُعدُ سعيرَها ، وماءُ العين يتفجَّر عُيونًا ، فلولا تلك النارُ لَمحا ذلك الماءُ سُطورَها ، فلله ماءٌ ونارٌ لو لم يَتعالَجا لَأسمعت الأشواقُ والأقلامُ مَن بمِصرَ[5] صَلِيلَها وصَرِيرَها[6] :

أَجْرَيْتَ دَمْعِى وأَضْرَمْتَ الحَشَا لَهَبًا ... كالعُودِ يَقْطُرُ ماءً وهْوَ يَحْتَرِقُ

يَتذكَّر ما مضَى بينَ يديكم ؛ مِن عَيْشٍ هو المُنْيَة ، فلا غَرْوَ أن يُعْزَى[7] إلى خَصِيب[8] ، ووَقْتٍ ضَحِك إلَّى فغفرتُ ذَنبَ كلِّ ضاحكٍ وإن شِيبَ[9] بِضَحِك المَشِيب ، وأيّامٍ ناسَبَ مولانا غُرْبَتِى فيها ؛ لغَرِيب[10] فَضْلِه المُرْسَل ، وإحسانه المُلائم ، وكلُّ غريبٍ للغَرِيب نَسِيب[11] .

---

(١) فى المطبوعة : « قاسى » . وبهذا الرسم من غير نقط ، فى : ج ، ك ، وأثبتنا الصواب مما تقدم فى الجزء الخامس ٢٧٤ ، وهو من شعر الحريرى ، انظر المقامة العاشرة الرحبية ، صفحة ٥٨ ، وسيشير المصنف إلى شعر الحريرى هذا ، فى ترجمة صلاح الدين الصفدى .

(٢) فى المطبوعة : « لقد » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « ضربتنى » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) هذا من قول الكميت ، فى الهاشميات ٣٦ :

طَرِبتُ وما شوقًا إلى البيضِ أطربُ ... ولا لَعِبًا مِنّى وذو الشَّيب يلعبُ

(٥) فى المطبوعة : « مصر » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .

(٦) فى المطبوعة : « وصرورها » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٧) فى المطبوعة : « يعترنى » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٨) قوله : « خصيب » و « المنية » : استخدام للموضع المسمى : منية أبى الخصيب ، بصعيد مصر ، على شاطئ النيل . معجم البلدان ٤ / ٦٧٥ .

(٩) فى المطبوعة : « وإن شئت يضحك » . والتصحيح من : ج ، ك .

(١٠) فى : ج ، ك : « بغريب » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، ويدل عليه الاستشهاد المذكور بعد .

(١١) هذا من قول امرئ القيس ، فى زيادات ديوانه ٣٥٧ :

أجارَتَنا إنّا غريبانِ ها هنـا ... وكلُّ غَريبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

هذا وإن كان مولانا إذ ذاك يُواصِلُ هَجرَه بالإفراط ، ولا يُمَتِّعُ مَن يتطلَّب اكتِيالَ محاسِنه مِن مِيزان عَدلِه إلّا بقِيراطٍ بعدَ قِيراط ، ولا يَرى إلّا أن يُحقِّقَ نِسبتَه[1] أصْلًا ، ثم مَرَّ بى إلى بلَدٍ يُسمَّى فيها القِيراطُ من الأقباط .

أخبرنا محمّدُ بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبَّاز ، إذنًا خاصًّا ، أخبرنا المُسلِم بن محمّد بن عَلّان ، سماعا ، أخبرنا حَنْبَلُ بن عبد الله الرُّصافِىّ ، أخبرنا هِبةُ الله بن محمّد الشَّيبانِىّ ، أخبرنا أبو علىّ الحسن بن علىّ بن محمّد التَّميمىّ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القَطِيعىُّ ، حدَّثنا عبد الله بن الإمام أحمدَ بن [محمد ابن][2] حَنْبل ، حدَّثنا أبى ، حدَّثنا وَهْب بن جَرِير ، حدَّثنا أبى ، سمعت حَرْمَلَة يحدِّث عن عبد الرحمن بن شِماسة[3] ، عن أبى بَصْرة ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضَ مِصْرَ وَهِىَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا » أو قال : « ذِمَّةً وَصِهْرًا » .

رواه مُسلِمٌ[4] ، عَن زُهَير ، وعُبيدِ الله بنِ سعيد ، كِلاهما ، عن وَهْب بن جَرِيرٍ ، به ، فوقَع لنَا بَدَلًا عالِيًا ، ولله الحمد .

كُلَّما أردْتُ [منه][5] صَحِيحَ الوصل ، جاءَ بالهَجْرِ المُمْرِض ، وكُلَّما حاولتُ إيماضَ بَرْقِه ، أرْعَدَ[6] ولم يُومِض ، وكُلَّما تَطلَّبتُ إقبالَهُ قالَت طِباعُه : يا إبراهِيمُ أَعْرِض[7]

ذاتٌ لَها هذِى الصِّفاتُ وفى الحَشَا ... مِن حُبِّها نارٌ يَزِيدُ وَقُودُهـا

---

(١) وذلك لأن نسبته « القيراطى » .

(٢) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .

(٣) بكسر الشين المعجمة ، كما نص عليه ابن حجر ، فى تقريب التهذيب ١/ ٤٨٤ ، وأفاد صاحب القاموس أنه بالضم ، ويفتح ، قال فى (شمس) : « وشماسة ، كثمامة ، ويفتح : اسم » .

(٤) صحيحه (باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر . من كتاب فضائل الصحابة) ١٩٧٠ ، وروايته من هذا الطريق: «إنكم ستفتحون مصر ...». ورواه أحمد أيضا فى: مسنده ١٧٤/٥، وهو فى سند المصنّف كما ترى .

(٥) ساقط من : ك ، وأثبتناه من : المطبوعة ، ج .

(٦) فى المطبوعة : « أوعد » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٧) اقتباس من الآية الكريمة ٧٦ من سورة هود .

إن لم يُسَلِّ الْقَلبَ قولُ عَذُولِهِ طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تُرِيدُها[1]

وكَيفَ يَرجِعُ قَلْبٌ عَلِقَ فلا يَصُدُّه الصَّدّ ، وهامَ فإذا رأى رَسْمَ الدِّيار بَدَّلَ لفظًا [بلَفْظٍ] [2] وتجاوز الحَدّ[3] ، واستوى الأمران عندَه ، فلم يقل : إنَّ قُرْبَ الدارِ خَيرٌ من البُعْد[4] ، بل أنشد :

غَرامٌ علَى يأسِ الهَوَى ورَجائِهِ وحُبٌّ على قُرْبِ المَزارِ وبُعْدِهِ[5]

وأستشهد بما أخبرَنا به محمّدُ بن إسماعيل بن إبراهيم ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن أبى عبد الله بن حَمَّاد العَسْقَلانِىّ ، سَماعًا ، أخبرنا أبو حفص عمرُ بن محمد بن مَعْمر بن طَبَرْزَد ، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الواحد القَزّاز ، أخبرنا الخطيبُ أبو بكر أحمدُ بن علىّ بن ثابت ، حدَّثنا أبو الحسن علىُّ بن أحمد بن نُعَيم بن الجارُود البَصْرِىّ ، قال : سمعتُ علىَّ بن أحمد بن عبد الرحمن الفِهْرِىّ الأصبهانىّ ، يقول : سمعت أحمد بن عبد الجبار المالِكىّ ، يقول : سمعت يحيى بن مُعاذ الرازىّ يقول : حقيقةُ المَحبّةِ أنها لا تَزِيد بالبِرِّ ولا تَنْقُص بالجَفاء[6] .

وأخبرنا أبو العباس بن المُظفَّر الحافظ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أحمد بن هِبة الله بن عساكر ، بقراءتى ، عن إسماعيل بن عثمان القارِئ ، أخبرنا أبو الأسعد هِبة الرحمن ابن الإمام أبى سعيد عبد الواحد بن الأستاذ أبى القاسم القُشَيْرىّ ، أخبرنا أبو الفضل

---

(١) عجز البيت من مرثية التهامى الشهيرة لابنه . والبيت بتمامه :

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها صَفْوًا من الأقذاءِ والأكدارِ

ديوانه ٤٧ .

(٢) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « الحق » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٤) هذا من قول ابن الدمينة ، فى ديوانه ٨٢ :

بكُلٍّ تَداوَيْنا فلم يُشْفَ ما بِنا على أنَّ قُرْبَ الدارِ خيرٌ من البُعْدِ

(٥) البيت للخياط ، على ما يذكره المصنف بعد .

(٦) ذكره صاحب الرسالة القشيرية ، ٦١٦ (باب المحبة) .

الطَّبَسِىّ[1] ، أخبرنا أبو عبد الله بن باكُويَه ، حدّثنا أبو الحسن محمد بن أحمد ، حدّثنا العباس بن يوسف ، حدّثنا سعيد بن عثمان ، حدّثنا إبراهيم بن محمد النَّسَّاج ، قال : قال الأسودُ بن سالم : رَكْعتانِ أُصليهما أحَبُّ إلَىَّ من الجَنَّة بما فيها . فقيل له : هذا خَطأٌ ، فقال : دَعُونا مِن كلامِكم ، رأيت الجَنَّةَ رِضى نفسِى وركعتين رِضى رَبِّى ، ورِضى رَبِّى أحَبُّ إلَىَّ مِن رِضى نفسى .

● لكنّى سمعت الشيخَ الإمام الوالد رحمه الله تعالى يُجيب وسُئل عن رجلين تنازَعا ، هل دخولُ الجنّةِ أفضلُ مِن العبادة ، أو العكس ، أيُّهما المصيب ؟ أن الصَّوابَ قولُ من قال : دخولُ الجَنَّةِ أفضلُ ، واستدلَّ عليه بوجُوهٍ يطولُ شَرحُها هنا[2] .

وعلى قول الخَيّاط[3] :

* غَرامٌ على يأسِ الهَوَى ورجَائِهِ *

البيت . أقول : وُدِّى مُتَّحدٌ فى البلَدين[4] ، ومُساوَرة[5] الهَمِّ باقٍ لنفسى الضَّئيلة[6] ذات النَّكَدين ، وممّا زادها قلقًا قطعُها اليأس عن زيارتكم هذا المَرْبَع الخَضِر ، فكان قَطْعُ اليأس عندَه إحدى التَّعبين ، لا إحدى الراحتَيْن ، وأنشد :

لو شئتَ داويتَ قلبًا أنتَ مُسْقِمُهُ وفى يَديكَ مِن البَلْوَى سَلامَتُهُ[7]

وإنما أصدرها المملوكُ تَعلُّلا ، وأرسلها مُسنَدةً عن نَفسٍ مُنقَطعٍ لهذا الأمر المُعْضِل تَبتُّلا ، وكتبها استِرواحًا[8] لضَمَّة المتهالِك حُبًّا ما سَلَا العاشقُ بها محبوبَه ولكنَّ قَلْبَه سَلا .

---

(1) فى المطبوعة : « الطيبى » . وأهمل النقط فى : ج ، ك . والصواب ما أثبتنا . راجع ماسبق فى ٤/ ١٧٩ ، ٧/ ٥٤ ، ٥٥ ، واللباب ٢/ ٨١ .

(2) انظرها فى فتاوى السُّبكى ٢/ ٥٦١ .

(3) تقدم قريبا .

(4) فى المطبوعة : « اليدين » . والمثبت من : ج ، ك .

(5) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « ومشاورة » .

(6) فى المطبوعة : « الصبية » . وأثبتنا ما أمكن قراءته من : ج ، ك . والعبارة قلقة .

(7) راجع الجزء الثامن ٢٨٨ .

(8) فى المطبوعة : « استدراجا » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

أخبرنا أبو العباس أحمد بن علىّ بن الحسن بن داود الجَزَرِىّ ، سماعًا عليه ، أخبرنا عبد الحميد بن عبد الهادى ، حضورًا ، أخبرنا إسماعيل بن علىّ الجَنْزَوِىّ[1] ، أخبرنا ياقُوت بن عبد الله ، أخبرنا عبد الله بن محمد الصَّرِيفِينىّ ، أخبرنا أبو طاهِر المخلِّص ، أخبرنا أحمد بن سليمان[2] الطوسِىّ ، أخبرنا الزُّبير بن بَكّار ، حدَّثنى إبراهيم بن المنذِر ، عن مَعْن بن عيسى ، قال : جاء ابن سَرْحُون السُّلَمىّ إلى مالك ابن أنس وأنا عنده ، فقال : يا أبا عبدِ الله ، إنى قد قلت أبياتًا مِن شِعر وذكرتُك فيها ، فأنا أسأَلُك[3] أن تجعلنى فى سَعَةٍ ، فقال له مالِك : أنت فى حِلٍّ ممّا ذكرتَنى ، وتغيَّر وجهُه وظَنَّ أنه هجاه ، قال : إنى أُحِبُّ أن تسمعَها ، فقال له مالِك : أنشِدْنى ، فقال :

سَلُوا مالِكَ المُفتِى عن اللَّهو والصِّبا ... وحُبِّ الحِسان المُعْجِباتِ الفَوارِكِ[4]

يُنَبِّيكُمُ أنّى مُصيبٌ وإنَّما ... أُسَلِّى هُمومَ النَّفسِ عَنِّى بذلكِ[5]

فَهل فى مُحِبٍّ يَكْتُمُ الحُبَّ والهَوَى ... أَثامٌ وهل فى ضَمّةِ المتهالِكِ

قال : قال لى مَعْنٌ ؛ فسُرِّىَ عن مالك وضَحِك .

● قلت : فى هذا مِن مالِك دليلٌ على جوازِ الإبراء عن الكلام فى العِرْض وإن كان مجهولا ، وأنه كان يرى التَّحليلَ من هذا أولى من عَدمِه .

ونقل أبو الوليد بن رُشْد فى « شرح العُتْبِيّة » أنَّ مذهبَ الشافعىّ أنّ تركَ التحليل من الظُّلامات والتَّبِعات أولى ، لأنَّ صاحِبَها يستوفيها يومَ القِيامة بحَسناتِ مَن هى عندَه ، وبِوَضْع سيِّئاتِه على مَن هى عندَه ، كما شَهِد به الحديث . وهو لا يدرى هل يكون أجرُه

---

(١) فى المطبوعة : « الجيزوى » . والتصحيح من : ج ، ك ، ومما سبق فى ١ / ٢٦٦ ، ٧ / ٥٢ .

(٢) تقدم فى ١ / ٢٦٧ : « سلمان » .

(٣) فى المطبوعة ، والموضع المشار إليه من الجزء الأول : « أحب » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٤) الأبيات فى تزيين الأسواق ١ / ٨ ، والرواية فيه : « اللهو والغنا » .

(٥) فى المطبوعة : « يلبيكم أنى ... عنه بذلك » . والتصحيح من : ج ، ك ، وما سبق فى الجزء الأول ، وتزيين الأسواق ، وفيه : « ينبئكم أنى مصاب » .

على التَّحليل مُوازِيًا مالَه من الحسنات فى الظُّلامات ، أو يَزِيد أو يَنْقُص ، وهو محتاجٌ إلى زيادة حسناتِه ونُقصان سيِّئاته .

قال : ومذهبُ غيرِه أنّ التَّحليلَ أفضلُ مطلقًا .

قال : ومذهبُ مالِك : التّفرِقة بين الظُّلامات ، فلا يُحَلَّل منها ، والتّبِعات فيُحَلَّل منها عُقُوبةً لفاعل الظُّلامات . وهو تفصيلٌ عجيب(1) .

وسيِّدنا يعلم أنّ المملوكَ بارتياحِه لذكركم معذور ، وأنه يتخيّل مَحاسِنَكم خِلالَ السُّطور ، وأنه يَعرُوه لِذكراكَ هِزَّةٌ كما انتفض العُصفُور(2) . وكيف لا ، وأوّلُ ما حَكم به فى دمشق ، وقد دخلها قاضيًا وقوعُ البِعاد ، وألبسه النّأْىُ ثوبًا من الحُزن لا يَبلَى ويَبْلَى الفُؤاد ، وانتزَع ثيابَ صَبره ، والبَيْنُ لِصٌّ لا غَرْوَ أن يَنزِعَ ثيابَ القاضى بجِدالٍ وجِلاد .

كما أخبرنا الحافظ أبو العباس أحمد بن المُظفَّر بن أبى محمد النابُلُسىّ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا الشيخان محمد بن علىّ بن أحمد الواسِطىّ ، وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادى المَقْدسِىّ ، سَماعًا عليهما ، قالا : أخبرنا أبو المحاسن محمد بن السيِّد بن فارِس الصَّفّار ، أخبرنا أبو القاسم الخَضِر بن عَبدان ، أخبرنا سَهل بن بِشر الإسْفَراينىّ ، أخبرنا مُشَرّف ابن المُرَجّى المقدسِىّ ، أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محبوب المنصورىّ النَّحوىّ ، حدَّثنا أبو العباس أحمد بن الحسين القاضى بنَهاوَنْد ، حدَّثنا محمد بن الحسين الرازِىّ ، حدَّثنى أبى ، عن جَدِّى ، عن محمد بن مُقاتِل الماسقورى(3) ، قاضى الرَّىّ ، قال : كان محمد بن الحسين يُكثِر الإدْلاجَ إلى بساتينه فيُصلِّى الصبحَ ، ثم يعود إلى منزله إذا ارتفعت الشمسُ وعلا

---

(1) حكى ذلك – عن السّبكىّ – الشهاب الخفاجى ، فى : طراز المجالس ١٩٩ .

(2) هذا من قول المجنون :

وإنّى لتعرُونى لذكراكِ هِزَّةٌ ... كما انتفض العصفورُ بَلَّله القَطْرُ

ويروى «نفضة» مكان «هزة» . ديوان المجنون ١٣٠ ، ويروى البيت لأبى صخر الهذلى . شرح أشعار الهذليين ٩٥٧ .

(3) لم نعرف هذه النسبة .

النهار . قال محمد بن مُقاتِل : فسألتُه عن ذلك ، قال : بلغنى فى حديثٍ عن النبىّ ﷺ أنه قال : « حُبِّبَ إلَيَّ الصَّلاةُ فِي الحِيطانِ » وذلك أنّ أهلَ اليمن يُسمُّون البُستانَ الحائط .

قال محمد بن الحسين : فخرجتُ إلى حائطٍ [لى] [1] لأُصلِّى فيه الفَجر ، رَغبةً فى الثَّواب والأجرِ ، فعارَضنِى لِصٌّ[2] جرىءُ القَلب خفيفُ الوَثْب ، فى يده خِنْجَرٌ كلِسان الكَلْب ، ماء المنايا يجولُ على فِرِنْدِه ، والآجالُ تَلُوحُ[3] فى حَدِّه ، فضرب بيده إلى صدرى ، ومكَّن الخِنْجر[4] مِن نَحْرِى ، وقال لى بفَصاحةِ لسان وجَراءة جَنان : انزَع ثِيابكَ واحفَظ إهابَك ، ولا تُكثِر كلامَك تُلاقِ حِمامَك ، ودَعْ عنك التَّلوُّم[5] وكثرةَ الخِطاب ، فلا بُدَّ [لك][6] من نَزع الثِّياب .

فقلت له : يا سُبحانَ اللهِ ، أنا شيخٌ من شيوخ البلد ، وقاضٍ مِن قُضاة المسلمين ، يُسمَع كلامى ولا تُرَدُّ أحكامى ، ومع ذلك فإنى مِن نَقَلَة حديثِ رسول الله ﷺ منذ أربعين سنة ، أما تستَحْيِى مِن الله أن يَراك حيث نَهاك ؟

فقال لى : يا سُبحانَ الله ، أنت أيضا أما ترانى شابًّا مِلءَ بَدنِى ، أرُوقُ الناظِر وأملأ الخاطِر ، وآوِى الكُهوفَ والغِيران ، وأشرَبُ [ماء][7] القِيعان والغُدْران ، وأسلُك مَخُوفَ المسالِك ، وأُلْقِى بيدى فى المَهالِك ، ومع ذلك فإنّى وَجِلٌ من السُّلطان ، مُشَرَّدٌ عن الأهل والأوطان ، وحشى[8] أن أعثُرَ بواحدٍ مثلك وأتركه يمشى إلى منزلٍ رَحْب وعَيشٍ رَطْب ، وأبقَى أنا هنا أكابدُ التَّعَب وأُناصِب النَّصب ، وأنشأ اللصُّ يقول :

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .
(٢) حكى هذه القصّة كلَّها – عن الطبقات – النابلسىُّ ، فى : التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية ١٨ – ٢٣ ، وانظر شبيهًا لها فى : أخبار الأذكياء ١٩٤ .
(٣) فى المطبوعة : « تحول » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٤) فى المطبوعة : « الخبر » ، والتصحيح من : ج ، ك .
(٥) فى المطبوعة : « اللوم » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والتلوم : التمكث .
(٦) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .
(٧) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . والتحفة .
(٨) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « وحتى » . ولم نعرف صوابه . وفى التحفة : « حتى أعثر ... » .

تُرِى عَيْنيكَ ما لم تَريَاهُ   كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ[1]

قال القاضى : أراك شابًّا فاضِلًا ولِصًّا عاقِلا ، ذا وجهٍ صَبيح ، ولسانٍ فَصيح ، ومَنظرٍ وشارة ، وبَراعةٍ وعِبارة .

قال اللِّصُّ : هو كما تذكر وفوق ما تَنشر .

قال القاضى : فهل لك إلى خَصْلة تُعْقِبُك أَجْرًا وتُكْسِبك شُكْرا ، ولا تَهْتِك مِنّى سِترا ، ومع ذلك فإنى مُسلِّمٌ الثِّيابَ إليك ، ومُتَوفِّرٌ بعدَها عليك .

قال اللِّصّ : وما هذه الخَصْلة ؟

قال القاضى : تَمْضِى إلى البستان معى فأتَوارَى بالجُدْران وأسلِّم إليك الثِّياب ، وتمضى على المَسارِّ والمَحابّ .

قال اللصّ : سُبحانَ الله ، تشهد لى بالعقل وتخاطِبنى بالجهل ! ويحك مَن يُؤمِنُنى منك أن يكون لك فى البستان غلامان جَلْدان عِلْجان ذَوا سَواعدَ شَدِيدة ، وقُلوبٍ غيرِ رِعْدِيدة ، يَشُدَّانى وَثاقًا ، ويُسلِمانى إلى السُّلطان فيُحَكِّم فىَّ آراءَه ، ويَقضِى علىَّ بما شاءه .

قال له القاضى : لَعَمْرِى إنه مَن لم يفكّر فى العَواقب ، فليس له الدَّهرُ بصاحب ، وخَلِيقٌ بالوَجَل[2] مَن كان السُّلطان له مُراصِدا ، وحَقِيقٌ بإعمال الحِيل مَن كان للسيِّئات[3]قاصِدا ، وسَبيلُ العاقل أن لا يَغترَّ بعَدُوِّه ، بل يكون منه على حَذَر ، ولكن لا حَذَرَ من قَدَر ، ولكنْ أحلِف لك أَلِيَّةَ مُسلِم وجُهْدَ مُقْسِم : أنى لا أُوقِعُ بك مَكرًا ، ولا أُضْمِر لك غَدْرا .

---

(١) البيت لسراقة البارق . ديوانه ٧٨ ، وروايته : « أرى عينى » . وفيه وفى مطبوعة الطبقات : « ما لم ترأياه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، وهو اختيار المازنى . وهى مسألة صرفية تلخيصها ما ذكره الزجاجى ، فى أماليه ٨٨ ، قال : « أما قوله : « ما لم ترأياه » ، فإنه رده إلى أصله ، والعرب لم تستعمل أرى ويرى وترى ونرى ، إلا بإسقاط الهمزة تخفيفا ، فأما فى الماضى فالهمزة مثبتة . وكان المازنى يقول : الاختيار عندى أن أرويه : « لم ترياه » ؛ لأن الزحاف أيسر من رد هذا إلى أصله » .

وراجع الخصائص ٣ / ١٥٣ ، واللسان (رأى) .

(٢) فى المطبوعة : « بالرجل » ، والمثبت من : ج ، ك . والتحفة وسبق نظيره قريبا .

(٣) فى المطبوعة : « من كان لهذا الشأن » ، والمثبت من : ج ، ك .

قال له اللّص : لَعَمْرِى ، لقد حسَّنتَ عِبارتَك ونَمَّقتَها ، وحَسَّنتَ[1] إشارتَك وطبَّقتَها ، ونَثَرْت خَيرَك على فَخّ ضَيْرِك ، وقد قِيل فى المَثل السائر على ألسنة العرب : أَنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَد ، أدرِك الأسَدَ قبلَ أن يَلتقِىَ على الفَرِيسة لَحْياه ، ولا يُعْجبْك من عَدُوٍّ حُسنُ مُحَيّاه ، وأنشد :

لا تُخَدِّشْ وَجْهَ الحَبِيب فإنَّا   قد كَشفْناه قبلَ كَشْفِكَ عَنْهُ
واطَّلَعْنا عليهِ والمُتَوَلّى   قَطْعَ أُذنِ العَيَّارِ أَعْيَرُ مِنْهُ

ألم يزعُم القاضِى أنه كتب الحديثَ زمانا ، ولقى فيه كُهُولا وشُبّانا ، حتى فاز ببَكْرِه وعُونِه ، وحاز منه فِقَرَ[2] مُتُونِه وعُيُونه ؟

قال القاضى : أجَلْ .

قال اللصّ : فأىُّ شىءٍ كتبتَ فى هذا المَثَل الذى ضربتُ لك فيه المثل وأعمَلْت الحِيَل ؟

قال القاضى : ما يحضُرُنِى فى هذا المَقام الحَرِج حديثٌ أُسنِدُه ولا خَبَرٌ أُورِدُه ، فقد قطعَتْ هَيبَتُك كلامى ، وصَدَّعت قَبضَتُك عِظامى ، فلِسانى كَلِيل ، وجَنانِى عَلِيل ، وخاطِرِى نافِر ، ولُبِّى طائر .

قال اللصّ : فليسكُنْ لُبُّك ، ولْيطمئنّ قلبُك ، اسمَعْ ما أقول وتَكَوَّنْ[3] بثيابك حتى لا تذهب ثيابك إلّا بالفوائد .

قال القاضِى : هاتِ .

قال اللصُّ : حَدَّثنى أبِى عن جَدِّى ، عن ثابت البُنانِىّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَمِينُ المُكْرَهِ لا تُلْزِمُه فَإِنْ حَلَفَ وحَنَث فَلَا شىءَ عَلَيه » وأنتَ إن حلفتَ حلفتَ مُكرَها ، وإن حَنَثْتَ فلا شىءَ عليك ، انزَع ثِيابَك .

---

(١) فى المطبوعة : « وخشنت » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .
(٢) فى المطبوعة : « معنى متونه » ، والصواب من : ج ، ك ، التحفة . قال فى الأساس : « وما أحسن فِقَرَ كلامه » أى نُكته ، وهى فى الأصل : حلىٌّ تُصاغ على شكل فِقَر الظَّهر » .
(٣) سيأتى مثل هذا التعبير قريبا .

قال القاضى : يا هذا ، قد أعْيَتْنى مَضاءَةُ جَنانِك وذَرابةُ لِسانك ، وأخذُك على الحُججَ من كلِّ وَجه ، وأتيتَ بألفاظٍ كأنّها لَسعُ العقارِب ، أَقِمْ ها هنا حتى أمضِىَ إلى البستان وأتوارى بالجُدْران ، وأنزِعَ ثيابى هذه وأدفعَها إلى صبىٍّ غيرِ بالغ ، تنتفع بها أنت ، ولا أنهتِك أنا ، ولا تَجْرِى على الصبىِّ حُكُومةٌ لصِغَر سِنِّه وضَعْف مُنَّتِه .

قال اللصُّ : يا إنسان قد أطَلْت المُناظَرة ، وأكثرتَ المحاوَرة ، ونحن على طريقٍ ذى غَرَر ، ومَكانٍ صَعْب وَعِر ، وهذه المُراوَغة لا تُنْتج لك نَفعا ، وأنت لا تستطيع لِما أَرُومُه منك دَفْعا ، ومع هذا أفتزعم[1] أنك مِن أهل العِلم والرِّواية والفهم والدِّراية ، ثم تبتدع ؟ وقد رُوِى عن النبى ﷺ أنه قال : « الشَّرِيعَةُ شَرِيعَتى والسُّنَّةُ سُنَّتِى فَمَن ابْتدَعَ فى شَرِيعَتِى وسُنَّتِى فَعلَيْه لَعْنةُ اللهِ » .

قال القاضى : يا رجُل وما هذا[2] مِن البِدَع ؟

قال اللصّ : اللُّصوصِيَّة بِنَسيئةٍ[3] بدعة ، انزَع ثيابَك ، فقد أوسعت مِن ساعة مِحالِك[4] ، ولم أشْدُدْ عِقالَك حَياءً من حُسن عبارتك وفِقه بلاغتِك وتَقلُّبك فى المناظرة ، وصَبْرك تحت المُخاطَرة .

فنزع القاضِى ثيابَه ، ودفعها إليه ، وأبقى السَّراويل .

فقال اللصُّ : انزَع السَّراويلَ كى تتمَّ الخِلْعة .

قال القاضى : يا هذا دَعْ عنك هذا الاغتِنام ، وامضِ بسَلام ، ففيما أخذتَ كِفاية ، وخَلِّ السَّراويل ، فإنه لى سِتْر ووِقاية ، لا سِيَّما وهذه صلاةُ الفَجر قد أزِف حضورُها ، وأخاف تفوتُنى فأصلِّيها فى غير وقتها ، وقد قصدتُ أن أفوزَ بها فى مكانٍ يُحْبِط وِزْرِى ويُضاعِف أجرى ، ومتى منعتَنى من ذلك كُنت كما قال الشاعر :

---

(١) فى المطبوعة : « فتزعم » ، والمثبت من : ج ، ك ، والتحفة .

(٢) فى المطبوعة : « وهذا » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والتحفة .

(٣) فى المطبوعة : « بنية » ، والتصحيح من : ج ، ك . والتحفة . والنسيئة : التأخير .

(٤) فى المطبوعة ، والتحفة : « مجالك » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والمحال ، بكسر الميم : المكر والخديعة . وسيأتى نظيره قريبا .

إنّ الغرابَ وكان يمشى مِشْيةً ... فيما مَضَى مِن سالفِ الأحوالِ
حَسَدَ القَطاةَ فرامَ يمشِى مَشْيَها ... فأصابَهُ ضَرْبٌ مِن العُقَّالِ[1]
فأضَلَّ مِشْيَتَه وأخطأَ مَشْيَها ... فلِذاك كَنَّوه أبا المِرْقالِ

قال اللصُّ : القاضى أيَّده الله تعالى يرجع إلى خِلْعةٍ غيرِ هذه أحسنَ منها منظرًا وأجودَ خَطَرًا ، وأنا لا أملِكُ سواها ، ومتى لم تكن السَّراويل فى جُملتها ذَهب حُسنُها ، وقَلَّ ثَمنُها ، لا سِيَّما[2] والتِّكَّة مليحةٌ وَسِيمة ، ولها مِقدارٌ وقِيمة ، فدَعْ ضَرْبَ الأمثال ، وأقْلِعْ[3] عن تَردادِ المَقال ، فلستُ ممَّن يُرَدُّ بالمِحال[4] ، مادامت الحاجةُ ماسَّةً إلى السِّروال ، ثم أنشد :

دَعْ عنكَ ضَرْبَكَ سائرَ الأمثالِ ... واسمَعْ إذا ما شئتَ فَصْلَ مَقالِ
لا تَطلُبَنْ مِنِّى الخَلاصَ فإنَّنى ... أُفْتِى متى ما جِئتَنى بسُؤالِ
ولأنتَ إن أبصرتَنى أبصرتَ ذا ... قولٍ وعِلْمٍ كاملٍ وفِعالِ
جارَتْ عليه يدُ اللَّيالِى فانثَنَى ... يَبغِى المعاشَ بصارِمٍ ونِصالِ
فالموتُ فى ضَنْكِ المواقِفِ دُونَ أن ... ألقَى الرِّجالَ بذِلّةِ التَّسآلِ
والعِلْمُ ليس بنافعٍ أربابَهُ ... أولا فقَوِّمْهُ على البَقّالِ[5]

ثم قال : ألم يقل القاضى إنه يتفقَّه فى الدِّين ويتصرَّف فى فتاوى المسلمين ؟

قال القاضى : أجَلْ .

قال اللصُّ : فمن صاحِبُك من أئمة الفُقهاء ؟

قال القاضى : صاحبى محمدُ بن إدريس الشافعىُّ .

---

(١) فى المطبوعة : « العسقال » . والتصحيح من : ج ، ك . والعقال ، بضم العين وتشديد القاف : داء فى رجل الدابة ، إذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط . والأبيات فى تفسير القرطبى ٥/ ٢٥٢ ، والمزهر ١/ ٥٠٩ ، وطراز المجالس ، للخفاجى ١٩٩ .
(٢) لم ترد الواو فى المطبوعة ، وأثبتناها من : ج ، ك .
(٣) فى المطبوعة : « واقنع » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٤) بكسر الميم ، وشرحناه قريبا .
(٥) فى المطبوعة : « أولا فقد مسه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وفى التحفة : « على النُّقَّال » .

قال اللصُّ : اسمَعْ هذا ، وتَكَوَّنْ[1] بالسَّراويل حتى لا تذهبَ عنك السَّراويل إلّا بالفوائد .

قال القاضِي : أجَلْ ، يا لَها من نادِرةٍ ما أغرَبها ، وحكايةٍ ما أعجَبَها .

● قال : [2][أىّ شىء قال صاحبُك فى صلاة الفجر وغيرِها وأنت عُريان ؟

قال القاضِى : لا أدرِى .

قال اللصُّ][2] : حدَّثنى أبى عن جَدِّى ، عن محمد بن إدريس ، يَرفَعُه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « صَلاةُ العُرْيانِ جائِزَةٌ ولا إعادَةَ عَلَيه » تأوَّل فى ذلك غَرْقَى البَحرِ إذا سَلِمُوا إلى الساحل[3] .

فنزع القاضى السَّراويل ، وقال : خُذْه وأنت أشْبَهُ بالقَضاء مِنِّى ، وأنا أشبَهُ باللُّصوصيّة منك ، يا مَن دَرَس على أخذ ثِيابى مُوطَّأَ مالك وكتاب المُزَنِىّ ، ومَدَّ يدَه ليدفَعه إليه ، فرأى الخاتَم فى إصبَعه اليُمنى ، فقال : انْزَع الخاتَم .

فقال القاضى : إنّ هذا اليومَ ما رأيتُ أنحسَ منه صباحًا ولا أقَلَّ نجاحًا ، ويْحَكَ ما أشْرَهَكَ وأرْغَبَك وأشَدَّ طَلَبَك وكَلَبَك ! دَع هذا الخاتَم فإنه عارِيةٌ معى ، وأنا خَرجتُ ونسيتُه فى إصبَعى ، فلا تُلْزِمْنى غَرامتَه[4] .

قال اللصُّ : العارِية غيرُ مضمُونة ما لم يقع فيها شَرْطٌ عِنْدِىٌّ ، ومع ذلك أفلم يزعُم القاضى أنه شافعىٌّ ؟

قال : نعم .

قال اللصّ : فلِمَ تختَّمت فى اليمين ؟

قال القاضى : هو[5] مذهبُنا .

قال اللصُّ : صَدَقْتَ إلّا أنه صار من شِعار المُضادِّين .

---

(١) تقدم مثل هذا التعبير قريبا .
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والتحفة ، وفيها شىءٌ من الاضطراب .
(٣) راجع هذه المسألة فى الأم ١ / ٧٩ (باب صلاة العراة) .
(٤) فى التحفة : « فلا يلزمنى ، غرامتُه أكثر من قيمته » .
(٥) فى المطبوعة : « هذا » ، والمثبت من : ج ، ك .

قال القاضى : فأنا أعتقدُ وَلاءَ أميرِ المؤمنين علىّ بن أبى طالب ، كرَّم الله وجهه ، تفضيلَه على كلِّ المسلمين ، من غير طَعْنٍ على السَّلَف الراشِدين ، وهذا فى الأُصول عتقادِى ، وعلى مذهب الشافعىّ فى الفُروع اعتمادِى .

فأخذ اللّصُّ فى رَدّ مذهب الرَّفض ، وجَرت بينَهما فى ذلك مناظرةٌ طويلةٌ رَويناها بهذا الإسناد ، انقطَع فيها القاضى ، وقال بعدَ أن نزع الخاتَم ليسلِّمَه إليه : خذ يا فقيهُ يا متكلِّمُ يا أُصولىُّ يا شاعِرُ يا لصُّ .

وخَشيةُ المملوكِ من سارقِ المعانى علَى بنَاتِ فِكره ، مثلُ خشيتِه مِن سَارِق البَيْنِ على ثِياب صَبْره ، وكلا الخَشيتين فوقَ خشية هذا القاضى على ثِياب بدَنِه مِن هذا السارِق ومَكرِه ، أمّا بناتُ الأفكار فقد رأيتُ من يجعلُها حُدودا ، ويُنزِل الباطلَ على أوكارِها ، ولا يخاف قولَ الحقِّ علَى زَهَقِه صُعُودا ، ويَقطَعُ القَلْب فكيف باليدِ والرِّجل ثم لا يقولُ قولًا سديدا .

وأمّا ثِيابُ الصَّبر فقد مَزَّقها فِراقُكم الذى جَرَى منه على المملُوك ما لا يجرى علَى السَّماء من أرض مصر إذا انعقد غُبارُها ، وارتفع إليها مِن أصوات أبغَضِ[1] العُجْم ناطِقًا ، وهو الذّئابُ جُؤارُها ، وصَعَد إليها ممّا يَجرِى بين لابَتَيْها على ألسنة الملائكة أخبارُها ، ولا على الأرض مِن السَّماء فى الشام من الأمطار التى ظلّت بها الحُجُراتُ واقِعة ، وتَلَت الألسُنُ عندَ قَرْعِها : ﴿ القارِعَةُ * ما القارِعَةُ ﴾[2] وأصابَتْ إلّا أنها على كلِّ حالٍ رَحْمةُ أهلِها جميعًا وإن ظَنُّوا أن حُصُونَهم مانعةٌ[3] .

وكأنّى بمولانا يقول : إنى عَرَّضْتُ بمِصْر ، فأعارِضُه بما قُلتُه فى الشام[4] ، وأُبيِّنُ لمولانا الإمام أنه ليس لكلامِى بذلك إلمام ، وكيف أعرِّضُ بالبَحر الصَّريح ، والفُلْكُ تَجْرِى

---

(١) فى المطبوعة : « بعض » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٢) أول سورة القارعة .

(٣) راجع الآية الثانية من سورة الحشر .

(٤) فى المطبوعة : « بالشام » ، والمثبت من : ج ، ك .

فيه مَواخِر ، وكلّ مَرْكِب إذا زَحْزَحتْها الرِّيحُ فقَذفت متاعَها[1] غيّمت الآتيةُ[2] بعدَها قائلةً :

* كم تَرَك الأوّل للآخِر[3] *

وكلّ جزيرةٍ حكتْ أزهارُها ثُغُورَ أقْحُوان الشام ، وإن فاتها شَنَبُ البَواكِر ، وإنما وَصَف المملوكُ ما اتَّفق لذاتِه اليومَ بتَذكارِ أمْسِه ، وشَرح بين مَخدُومِه عمومَ مَسٍّ[4] حالِه ولم يُبعِد خُوَيْصَّةَ[5] نفسِه ، وأبان ما عندَه من بُعد إبراهيم الذى اتخذه خليلًا ، أيَّده الله برُوح قُدْسِه .

فكتب الشيخُ بُرهان الدّين القِيراطِىّ جَوابه :

إلى شيخِنا [شيخ الإسلام][6] أوحدِ المجتهدين ، تاج الدِّين أبى نصر ، أسبغ الله ظِلالَه ، مِن القاهرة المحروسة إلى الشام المحروسة ، يُقبِّل[7] الأرضَ المُتطوِّلَة على ذَوِى التقصير ببرِّها ، المُقابِلَة مِن بابها المفتوح بما لم يكن فى حسابٍ مِن خيرِها[8] ، المُعامِلَة لعَبْدِها بالإحسان ، ولولا استرقاقُها للجميع لقُلْت : وحُرِّها ، البابِلِيّة النِّسْبةِ[9] إذا سلبت رسائلُها العقولَ ، إمّا بخَمْرِها وإمّا بسِحْرِها ، المُشنِّفة[10] للأسماع مِن مَغاصٍ[11] بحرِها [بدُرِّها][12]

---

(١) فى المطبوعة : « فقدمت متاعا » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٢) فى المطبوعة : « عمت الانة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٣) مثل شعرى سيأتى تخريجه قريبا .

(٤) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « متن » ولم نعرف صوابه .

(٥) هو تصغير « خاصة » وانظر توجيه الصرفىّ فى : الفائق ١/٣٧٥ .

(٦) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .

(٧) وردت هذه الرسالة فى ديوان القيراطى ، المسمى : « مطلع النيرين » . وقد راجعنا الرسالة على نسخة منه مصورة بمعهد المخطوطات العربية ، برقم (٧٧٠) أدب ، حيث تعذر علينا الحصول على نسخته المطبوعة بمصر ، سنة ١٢٩٦هـ ، على ما ذكر سركيس فى معجم المطبوعات . وتقع الرسالة فى الورقة ٣١٦ ، من المصورة ، وما بعدها .

(٨) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك : « جبرها » . وفى المطلع : « حبرها » ، ولم نعرف صوابه .

(٩) فى المطبوعة : « ألبسته » . والكلمة بهذا الرسم فى : ج ، ك ، من غير نقط ، وأثبتنا الصواب من المطلع . والكلام فيه : « البابلية النسبة ، فهى إما تسلب العقول بخمرها وإما بسحرها » .

(١٠) فى المطبوعة : « المشتقة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(١١) فى المطبوعة : « غياض » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(١٢) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والمطلع .

المُزخرِفةَ رِياضِ البلاغة إذا أنشأتْ[1] سَحابُ الإنشاء ، لله دَرُّها ، بدَرِّها ، حتى فتَنَتْ[2] بحُسْنِ نفاستِها الفَتِى ، وجُلِيت عرائسُها التى :

خَرجْنَ فى بهجةٍ كالرَّوضِ ليس لها ... إلّا الحُلِيَّ علَى لَبّاتها زَهَرُ[3]

صَبَّ الشَّبابُ عليها وهْو مُقْتَبَلٌ ... ماءً مِن الحُسنِ ما فى صَفْوِه كَدَرُ

فأبقى اللهُ حِماها حَرَمًا[4] للّاجى ، وجَلّا[5] سحابُ الفضل من كلّ الوجوه روضَها العاجِى[6] .

فصاغَ ما صاغَ مِن تِبْرٍ ومِن وَرِقٍ ... وحاكَ ما حاكَ مِن وَشْيٍ ودِيباجِ[7]

وألبس الأرضَ مِن حَلْيٍ ومِن حُلَلٍ ... ما يُمْتِعُ العينَ مِن حُسْنٍ وإبهاجِ

وروَّى جِهاتِها[8] التى يقع تُرابُها من الرّائى مَواقعَ الماء مِن الصّادِى ، وروضَ جَنابِها[9] الذى أهدى زهرُه روائحَ الجِنان عند بَواكِرِ[10] الغَوادِى ، وطابَ وادِيه فأين مِنه :

---

(١) فى : ج ، ك : « انساب » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والمطلع .

(٢) فى المطبوعة : « شت نفائس حسن نفائسها » وفى : ج ، ك : « شب حسن نفائسها » . والتصحيح من المطلع .

(٣) جاء هذان البيتان فى الأصول ، كلاما منثورا ، متصلا بما قبله وبما بعده . وكتبناهما شعرا من المطلع ، وهما لأبى تمام ، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الطائى . ديوانه ٢ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، وروايته : « خرجن فى خضرة ... على أعناقها » .

(٤) فى المطبوعة : « حراما » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) فى المطبوعة : « وخلا » . وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وفى المطلع : « وحلا » .

(٦) فى المطبوعة : « الناجى » ، والمثبت من : ج ، ك ، وفى المطلع : « التاجى » .

(٧) البيتان للبحترى ، فى : ديوانه ٤١١/١ ، مع إختلاف يسير .

(٨) فى المطبوعة ، ك : « جهالتها » ، وفى : ج : « جهلاتها » . وأثبتنا الصواب من المطلع .

(٩) فى المطبوعة : « جنانها » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا ما فى المطلع .

(١٠) كذا فى المطبوعة والمطلع ، وفى : ج ، ك : « تراكد » .

أرضٌ تخيَّرها لِطيبِ مَقِيلِهَا   كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِّ دُؤادِ[1]

وحَيَّاها[2] الحَيا مِن مَواطِن ، ولا رَحَل عنها مِن السُّرور قاطِن ، ولا زالت بأزهارِها حسَنَةَ الظاهر ، وبأنهارِها صافِيةَ الباطِن .

ولا بَرِحَتْ كفُّ الثُّرَيَّا لرَبْعها   إذا سَمَحتْ بالقَطْرِ ذاتِ سَخاءِ[3]

حتى يَمْلأ صُحونَ ديارها قَطْرُ الأمطار ، وتُصبحَ بِما[4] صاغه الربيعُ تلك الأقطار :

تُضاحِكُ الشَّمسُ أنوارَ الرِّياضِ بها   كأنّما نُثِرت فيها الدَّنانيرُ

وتأخذُ الرِّيحُ مِن رَيحانِها عَبَقًا   كأنّ ذاك الثَّرى مِسْكٌ وكافُورُ

مُتطيِّبًا بطِيب ثَراها ، متمسِّكًا مِن محبّتها التى لا يَفُكُّ[5] عنها إزارَ[6] صَدْره بعُراها .

شاعرًا بأنه فى كلِّ وادٍ مِن وُدِّها يَهيم ، ناثرًا مِن دُرِّ لفظِه إذا سَهِر فى وَصْفِها ، ما يُضىءُ[7] به سُنُحُ[8] اللّيلِ البَهِيم ، قائلًا حين أجراه الأدبُ على العادة فى وقوفه تِجاه كَعبتها : هذا مَقامُ إبراهيم .

مُطلِقًا فى مَدْح أيادِيها لِسانَ القَلم الذى أصبح بشِعارِه العَبّاسِيّ[9] خطيبَ مَحاسِنِها ،

---

(١) البيت للأسود بن يعفر . شرح المفضليات ٤٤٩ ، الشعر والشعراء ٢٥٦ ، وابن أم دؤاد : هو أبو دؤاد الإيادى .

(٢) زدنا الواو من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) جاء هذا البيت فى الأصول كلاما منثورا ، وكتبناه شعرا من المطلع .

(٤) فى المطبوعة : « مما » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) فى المطبوعة : « لانفك » ولم ينقط فى : ج ، ك ، سوى الفاء ، والمثبت من المطلع .

(٦) فى المطلع : « أزرار » .

(٧) فى المطبوعة : « يضحى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٨) السنح ، بضمتين : جمع السنيح ، وهو الخيط الذى ينظم فيه الدر ، قبل أن ينظم فيه الدر ، فإذا نظم فهو عقد . اللسان (سنح) والكلام هنا على التشبيه . وجاء فى المطلع : « سبح » .

(٩) فى المطبوعة : « بسقاية العباس » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

مغترفًا من بحرٍ[1] أدبِها الحُلو ما لا ينبغى لصُبابة آدابِنا[2] أن تُجارِيَه بآسِنِها .

مستعملًا عزائمَ شُكرِه التى نَفَّذ قاضى الوَلاء أحكامَها وأمضاها ، مُعمِلًا ركائبَ مدحِه التى أصحَّها حين أضناها فى ذلك وأنضاها ، تاليًا عليه لسانُ أملِه حين قَلَّب طَرْفَه فى سمائِها : لُذْ بهذا البيت ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[3] ، فروَّاها اللهُ أرضًا سقت السماءُ رياضَها ، ولو نطق العبدُ بها شامِيَّةً لأصاب حين يقول غِياضَها ، إِى واللهِ أهواها ، وأتعصَّب لها وإن تَقنَّعتُ بسِواها ، وترتاح رُوحِى لِنَسِيمِها[4] العليل الذى صَحَّ فيه هواها ، وأستشفِى بعَليل هوائها ، وأستعذِبُ على النِّيل الفُراتِ من مائها .

وما ذاك إلّا حينَ أيقنتُ أنَّه   يكونُ بِوادٍ أنتِ منه قَريبُ[5]

يكونُ أُجاجًا دُونَكُمْ فإذا انتهى   إليكم تَلَقَّى طِيبَكُم فَيطِيبُ

وكذلك[6] أنشد أوطانَها ، وسكَّانَ تلك البِقاع وقُطَّانَها :

أيا ساكِنِى أكنافَ جِلَّقَ كُلُّكُم   إلى القَلبِ مِن أجلِ الحبيبِ حَبيبُ[7]

وكيف لا وهى بمولانا[8] مَغارِسُ أشجارِ الأدب ، ومعادِنُ ذَهبِ المعانى الذى يفوقُ على الذَّهَب ، وباعِثةُ مَيِّتِ الفضائلِ مِن كُتُب[9] ، ومُنَفِّسةُ ما تجِدُه النفوسُ مِن كُرَب ، ومُرَنِّحةُ[10] أعطافِ الأرواح بالطَّرَب .

---

(1) فى المطلع : « من بحرها الحلو » .

(2) فى المطبوعة : « ما لا ينبغى لصاد أن يحاربه بآسنها » . ولم يتضح الرسم فى : ج ، ك . وأثبتنا ما فى المطلع . والصبابة ، بضم الصاد : بقية الماء فى الإناء .

(3) سورة البقرة ١٤٤ .

(4) فى المطبوعة : « بنسيمها » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(5) البيتان لمجنون بنى عامر . ديوانه ٥٢ . والبيت الأول هنا هو الثانى فى الديوان .

(6) فى المطلع : « فلذلك » .

(7) للمجنون أيضا ، فى الموضع المذكور من الديوان . وروايته : « أكناف نخلة » . وراجع حواشيه .

(8) كذا فى المطبوعة ، والمطلع ، وفى : ج ، ك : « بمعادن » .

(9) كذا فى الأصول ، وأهمل النقط فى المطلع ولعلها : « من كَثَب » أى مِن قُرْب .

(10) فى المطبوعة : « ومزعجة » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

وجِنان قال الإلٰهُ لها : كُو نِى فكانتْ رَوْحًا ورُوحًا وراحا

بل هى مَجرَى بحارِ العُلوم ، ومسرَى الكواكِب[1] السَّيّارة مِن الفهُوم[2] ، ومَنْشأُ الغُيوث التى لها بالمكارِم سُجُوم ، والحَرَمُ الذى ما لمُختطِف الحوادثِ على جارِه هُجُوم ، وعُكاظُ أدَبٍ إذا نطق خطيبُه فَلِقُسٌّ[3] منه وُجُوم ، [4]وحَريمُ الخِلافة البلاغيّة[4] فما لخارِجىِّ الأدبِ الدَّخِيل فيه خُروجٌ على شُمُوس أُفُقِه ولا نُجُوم ، ومَطالِعُ النُّجوم التى :

مِنها مَعالمُ لِلهُدى ومَصابِـحٌ تجلُو الدُّجا والأُخْرَياتُ رُجُومُ[5]

ومَغاصُ دُرِّ[6] الفَصاحة الثَّمين ، وبابِلُ سِحر البَيان المُبِين ، ومَحلٌّ إذا رُفِعَت رايةُ مَجْدٍ تلقّاها عَرابَةُ باليمين[7] ، ومَقَرُّ فَضلٍ إذا أقسم الزمانُ بيَمين ، ليَأتينَّ بمثلِه يَمِين[8] .

وبيتُ رأس خَمْرٍ[9] البلاغة التى لا تُداس[10] بقَدَم ، ولا يُقال لمُتعاطِى كُؤُوسها نَدامَى ؛

---

(١) فى المطبوعة : « الكواسب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) فى المطبوعة : « المفهوم » . والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) فى الأصول : « فلنفس » ، وأثبتنا الصواب من المطلع . وهو قس بن ساعدة الإيادى ، من خطباء العرب المعدودين .

(٤) كذا فى المطبوعة ، ومكانه فى : ج ، ك : « لخلافة البلاغة » . وحريم الشيء : ما حوله من حقوقه ومرافقه ، سمى بذلك لأنه يحرم على غير مالكه أن يستبد بالانتفاع به . وجاءت العبارة فى المطلع : « وحرم خلافة البلاغة » .

(٥) جاء هذا البيت فى الأصول كلاما منثورا ، وكتبناه شعرا من المطلع . وفى الأصول : « معالم الهدى ومصابيح » والمثبت من المطلع .

والبيت لابن الرومى ، وهو فى ديوانه ٢٣٤٥ .

(٦) فى المطبوعة : « درر » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٧) هذا من قول الشماخ ، فى ديوانه ٣٣٦ :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تلقَّاهـا عَرابـةُ باليَميـنِ

(٨) من المين : وهو الكذب .

(٩) فى المطبوعة : « جمر » . وأهمل النقط فى : ج ، ك . والصواب ما أثبتنا من المطلع . قال ياقوت : « بيت رأس : اسم لقريتين فى كل واحدة منها كروم كثيرة ، ينسب إليهما الخمر ، إحداهما بالبيت المقدس ... والأخرى من نواحى حلب » . معجم البلدان ١ / ٧٧٦ .

(١٠) فى المطبوعة والمطلع : « الذى لا يداس » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

لأنَّهم لا يُعقِبُ سُكْرَهم بسُلافِها نَدَم ، ومَناهِلُ يُشرَب سَلسالُ لفظِها الحُلو بالشُّهد إذا شَرب حاسِدُها ماءَ جُفونِه بدَم .

مُهْدِيًا سلامًا يُنشرُ طِيبُه ، ويُحاكِيه مِن مِسْك دارِينَ رَطِيبُه .

ويَخفِقُ فى الخافِقَين من طائره الميمون الجَناح ، ويَحمَدُ الدَّهرَ السارِى فى ليل نَقْسِه[1] إذا أطلَع عليه فجرُ معانيه الصَّباح ، ويُضىء فى مِشكاة الصَّدرِ منه مِصباح والقَلبُ ذاك المِصباح .

ويخضِبُ شَبابُ نَفسِه لِمَمَ الدُّروج البِيض فلا يكون له منها نُصول ، ويصبُو الصَّابِى[2] إلى حملِ رسائِله ويتلقَّاه مِن ذلك الجَناب[3] قَبُولُ القَبُول .

إلى هذا البيت الأنصارىّ الذى لا زِحافَ فيه ، ولا سِنادَ فى قَوافِيه ، ولا إقواءَ إلّا فى أبياتِ[4] أعادِيه ، ولا إيطاءَ إلّا على رِقاب حُسّاده ، ولا إكفاءَ إلّا على الوَجه لأضدادِه .

فثبَّت اللهُ أوتادَ هذا البيتِ وأقطابَه ، ووصَل بأسباب السَّماء أسبابَه ، وأعلاه مِن جهاته السِّتّ على السَّبع الطِّباق ، وأبقاه لتختلسَ أقوالُنا المُستَرَقَّة[5] مِن معانيه وبَيانه ، ما يُعْلِيه[6] فى البَدِيع مِن طِباق .

ويُنْهِى ، والأَلْيقُ به أن يَنْهَى ، عن المُجاراة فى هذا الموقف نفسَه الأمّارة ، ويتأخَّرَ عن المُحال الذى قال سَهلُه المُمتنِعُ لعُيون الكلامِ المُمتدَّة لمُناظِريه[7] : ما أهون الحَربَ

---

(١) فى المطبوعة : « نفسه » وفى المطلع : « النفس » بالفاء ، وأثبتناه بالقاف من : ج ، ك . وهو بفتح النون : العيب والسخرية . ولسنا على اطمئنان لملاءمة هذا المعنى لسياق الكلام !

(٢) الصابى هو : أبو إسحاق إبراهيم بن هلال . ورسائله معروفة .

(٣) فى المطبوعة : « الجنان » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى المطلع : « بيت » .

(٥) فى المطبوعة : « المشرفة » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) فى المطبوعة : « ما فعله » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٧) فى المطلع : « لمناظرته » .

عندَ النَّظّارة ، ويتكلَّمَ بالميزانِ بين يَدىْ صَيَرَفِيِّ نُقودِ الأدب ، فلا يُقابِلُ بقِيراطِه قِنطارَه ، ويُعْلِمَ فِكرتَه التى هى لمَنْهلِ المُعارَضة وَرَّادة[1] ، أنّها فى الأخطارِ خَطَّارة ، وُرُودَ[2]تَشريفِ مُشرِّفه ، فإذا هو خِلْعة ، وبَشِيرٌ[3] صَبيحُ الوجهِ مُبارَك الطَّلعة ، وحِصنٌ حكَمت ملوكُ الكلامِ منه فى قَلْعة ، ورسولٌ أرى المملوكَ[4] بسَمْعِه[5] ديارَ أحبابه ، كما رأى الرَّضِيُّ سَلْعَه[6] ، فشاهدتُ عُهْدةَ رِقِّى ، ووَثِقْت بأنها وثيقةُ فَكاكِ[7] عُنُقِى مِن الخُطُوب وعِتْقِى ، وأرجعتُ[8] بَناتِ[9] الفِكْر فى وصفه بعدَ الطَّلاق ، وزُفَّت إلَيَّ بقُدومِه عروسُ التَّهانى ، فكان ذلك الكتابُ نُسخة الصَّداق .

وتسلَّم المملوكُ تلك الرِّسالةَ ، فإذا هى مُدَوَّنةُ مالِك ، والمُشرَّفة التى قَعدَ له[10] عُنوانُها فى جميع المسالك .

فقرأ عُنوانَها قبلَ أن يَفُكَّ صِوانَها ، فوقَف مِن ذلك العُنوان على صِنوانٍ وغيرِ صِنوان ، وسَمَّاه قيدَ الأوابدِ وصَيْدَ الشَّوارِد ، وإذا هو كأنّما عُنْوِن[11] لأبى زيد ، أو نُصِبَ شبكةً

---

(١) فى المطبوعة : « وراد » . وفى المطلع : « واردة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٢) هذا مفعول الفعل السابق : « وينهى » . وجاء فى المطلع : « ورد » .

(٣) فى المطبوعة : « وبشر » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى الأصول : « الملوك » ، وأثبتنا الصواب من المطلع .

(٥) فى المطبوعة : « تسمعه » . وأهمل النقط فى : ج ، ك . وأثبتنا ما فى المطلع .

(٦) يشير إلى قول الشريف الرضى :

عارِضًا بى رَكْبَ الحِجازِ أُسا ئلُه متى عَهْدُه بسُكانِ سَلْعِ
فاتَنِى أَنْ أرى الدِّيارَ بطَرْفِى فلعلِّى أرى الدِّيارَ بسَمْعِى

ديوانه ١ / ٥٠٠ .

(٧) فى : ج ، ك : « فكان » ، والمثبت من المطبوعة ، والمطلع .

(٨) فى المطلع : « وراجعت » . وهو أقرب .

(٩) فى المطبوعة : « بباب » . وأهمل النقط فى ج ، ك . وأثبتنا ما فى المطلع .

(١٠) فى المطبوعة : « يعدلها » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(١١) فى المطبوعة ، ك : « عيون » ، والمثبت من : ج ، والمطلع . والمراد : « أبو زيد السروجى » الذى أجرى الحريرى « مقاماته » على لسانه ؛ وكان كثير التنقل والأسفار ، والأشكال .

لصَيْد ، أو أُطلِق فى[1] إثْر مَن لا يتقيّد ، لكونه فى عالَم الإطلاق تقيّد[2] أو كُوتِب به إلى عِمران[3] بن حِطَّان ، أو توجّه إلى بدَوِىٍّ لا يألف الحِيطان[4] ، أو أُصدِر إلى مجنون[5] أو قُصِد به مَن هو دائرٌ على قَلبِه كأنه مَنْجَنُون[6] ، أو مَن أمسَى وبيتُه على كتفه كأنّه حَلَزُون ، أو رُوسِلَ به الفَلَكُ الدَّوَّار أو الكوكبُ السَّيَّار ، أو مسافرٌ لا يَخلَع سَيَرَ نَعلِه مِن رجْله ولا يُلقى مِن يده عَصا التَّسيار ، أو خُوطِب به العاشقُ الحائر ، أو سُيِّر إلى المثل السائر ، أو إلى الشمس التى لا تنفكُّ فى شُروقٍ وأُفول ، أو إلى عَوْف بن مُحلِّم الذى يقول :

أفى كُلِّ يومٍ غُرْبةٌ ونُزُوحُ   أما للنَّوَى مِن وَقْفةٍ فتُريحُ[7]

أو إلى ساكنٍ فى ذات العِماد ، أو إلى الطَّوَّاف الذى بلغ طوافُه وسَعيُه أمَّ القُرَى وأقصى البِلاد ، حتى كأنَّ المملوكَ المَعْنِىُّ فى المَلا بقولِ [الشيخِ][8] أبى العَلا[9] :

أبالإسكنـدرِ الملكِ اقتديتُمْ   فلا تَضعُون فى أرضٍ وِسادا[10]
لعلَّك يا جَلِيدَ القَلْبِ ثانٍ   لأوَّلِ ماسِحٍ مَسَح البِــلادا

أو كأنه فى هذه المقامات على رأى الحريرىّ ، من الذين لا يتَّخذون أوطانًا ، ولا يَهابُون سُلطانًا :

فيكونُ طَوْرًا مَشرِقًا للمَشرِقِ الْـ   ـأقْصى وطَوْرًا مَغرِبًا للمَغْرِبِ[11]

---

(1) فى المطبوعة : « فى الزمان لا يتغير لكونه ... » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(2) فى المطبوعة : « بعيدا وكوتب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(3) لعل ذكر « عمران » هنا ، لأنه كان كثير الانتقال فى القبائل . راجع الكامل ، للمبرد ٣ / ١٦٨ .
(4) الحيطان هنا : البساتين . لغة يمانية ، أشار إليها المصنف فى صفحة ٣٢٩ .
(5) كذا فى المطبوعة ، والمطلع . وأهمل النقط فى : ج ، ك .
(6) فى الأصول : « مجنون » ، وأثبتنا الصواب من المطلع . والمنجنون : الدولاب التى يستقى عليها .
(7) راجع معجم الأدباء ١٦ / ١٤٢ .
(8) زيادة من المطلع .
(9) شروح سقط الزند ٧٨٣ .
(10) الرواية فى السقط : « فما تضعون فى بلد » .
(11) للبحترى فى : ديوانه ١/ ٧٩ .

لا يستقرُّ بأرضٍ أو يسيرَ إلى ... أُخرَى بِشَخْصٍ قريبٍ عَزْمُهُ ناءِ[1]

يومًا بحُزْوَى ويومًا بالعَقِيق ويو ... مًا بالعُذَيب ويومًا بالخُلَيْصاءِ[2]

وتارةً يَنتَحِى نَجْدًا وآونةً ... شِعْبَ الشَّعُوبِ وطَورًا قَصْرَ تَيْماءِ[3]

كأنّ به ضِغْنًا على كلِّ جانبٍ ... من الأرضِ أو شوقًا إلى كلِّ جانِبِ[4]

فشَرَّق حتّى ليس للشَّرقِ مَشْرِقٌ ... وغَرَّب حتّى ليس للغَرْبِ مَغْرِبُ[5]

قد أُلِف قلبُه النَّوى ، وجَرى جَرْىَ النَّسيم مع الهوَى ، فهو يسعَى برجْليه فى مَناكِبها ، ويجولُ[6] بأصْغَرَيْه فى مَواكِبها ، ويهيم فى كلِّ واد ، ويُنشِد قولَ حَبيبٍ فى ابن أبى دُؤاد[7] :

مُقيمُ الظَّنِّ عِندَك والأمانِى ... وإن قَلِقَتْ رِكابِى فى البِلادِ[8]

وما سافَرتُ فى الآفاقِ إلَّا ... ومِن جَدْواكَ راحِلتى وزادِى

---

(1) الأبيات الثلاثة فى معجم البلدان ٢ / ٤٦٧ ، فى رسم (الخليصاء) ونسبها ياقوت لعبد الله بن أحمد بن الحارث ، شاعر بنى عباد . والرواية هناك : « تستقر ... تسير » . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « لشخص » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع ، والمعجم . وذكر البغدادى أبياتًا أخرى مع هذه الثلاثة ، وذكر أنها فى مدح الصاحب به عباد . شرح شواهد الشافية ٢٩٨ . وهى فى إنباه الرواة ٤/ ٨٥ من غير نسبة .

(2) فى معجم البلدان : « يوم » بالرفع ، فى المواضع الأربعة .

(3) فى المطبوعة : « ينتحى بحذاء » . والتصحيح من : ج ، ك ، ومعجم البلدان ، والمطلع . وجاء فى مطبوعة الطبقات ، والمطلع : « شعب الحجون » . وفى معجم البلدان : « شعب العقيق » ، والمثبت من : ج ، ك . قال ياقوت فى ٣ / ٣٠٠ : « شعوب بفتح أوله ، وآخره باء موحدة ، قصر شعوب : قصر باليمن ، معروف بالارتفاع . وقيل : شعوب : بساتين بظاهر صنعاء» .

(4) البيت من قصيدة لأبى تمام ، يمدح بها أبا دلف العجلى . ديوانه ١ / ٢٠٣ . وجاء فى مطبوعة الطبقات : « صعبا » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا الصواب من الديوان . قال شارحه : « يقول : من حبه للسفر والذهاب فى البلاد ، كأنه ضغن على المكان الذى هو به حتى يتركه ، أو كأنه مشتاق إلى الجانب الذى لم يمض بعد إليه حتى يبلغه » .

(5) البيت لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة يمدح بها كافورا . ديوانه ١ / ١٨٧ .

(6) كذا فى المطبوعة ، والمطلع . وفى : ج ، ك : « يحور » من غير نقط . والأصغران : القلب واللسان .

(7) ديوان أبى تمام ١ / ٣٧٤ ، والبيت الأول فى الطبقات هو الثانى فى الديوان .

(8) فى أصول الطبقات : « ركابك » ، وأثبتنا ما فى الديوان ، والمطلع . ويؤكده ضمائر التكلم فى البيت الثانى .

أو قولَ أبى الطَّيِّب[1] :

مُحِبُّكَ حيث ما اتَّجهَتْ رِكابِى ... وضَيفُكَ حيث كنتُ مِن البِلادِ

وحيث ما كنتُ مِن مكانٍ ... فلِى إلى وجهِك التِفاتُ[2]

ويترنَّم حين[3] تركَ قَرارَه ، بقول عُمارة[4] :

ودَوَّرتُ أقطارَ البِلادِ كأنَّنِى ... إلى الرِّيح أُعْزَى أو إلى الخِضْرِ أُنْسَبُ[5]

ويُنشِد حينَ سار سَيْرَ البَدْر[6] ، وتنقَّل تنقُّلَ ليلةِ القَدر :

تَنقَّلْ فلذَّاتُ الهوَى فى التَّنقُّلِ ... ورِدْ كُلَّ صافٍ لاترِدْ فَرْدَ مَنْهَلِ[7]

ويتأيَّد بقول المؤيَّد[8] :

إنّ العُلا حدَّثتْنى وَهْىَ صادِقَةٌ ... فيما تُحدِّثُ أن العِزَّ فى النُّقَلِ

لو كان فى شَرَف المأوَى بُلوغُ مُنًى ... لم تبرَحِ الشَّمسُ يومًا دارَةَ الحَمَلِ

فحركتُه المستديرة كالحَلْقة ، تَفْتَح بآخرِها أوَّلَها ، و[9] كالشمس فى قراءة مَن قرأ : ﴿ لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا ﴾[10] لكنه يُقسم بالمَثانِى ، أنه الأحَقُّ بقولِ الأرْجانِى :

سَيْرِى إليكُم فى الحقيقةِ والذى ... تجِدُون منِّى فَهْوَ سيرُ الدَّهرِ بِى[11]

---

(1) ديوانه ١ / ٣٦٥ ، من قصيدة ، يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .

(2) فى المطبوعة : « فما إلى غير وجهك » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع ، وروايته : « كنت من بلاد » . وقد جاء البيت فى الأصول منثورا ، ولم نعرف قائله .

(3) فى المطبوعة : « حيث » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(4) ديوانه ١٧٥ ، المنشور ضمن كتابه : « النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية » .

(5) رواية الديوان : « ودوخت أقطار » .

(6) فى الأصول : « وينشد حتى سار سير الليل » ، وأثبتنا الصواب من المطلع .

(7) البيت مطلع قصيدة لابن المُرَصِّص ، يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم . الأعلام ٩/ ٣١٥ ، وانظر حواشيه .

(8) الحسين بن على الطغرائى . والبيتان من قصيدته المعروفة بلامية العجم . راجع وفيات الأعيان ١ / ٥٠٨ .

(9) فى المطلع : « أو » .

(10) سورة يس ٣٨ . وهذه القراءة لابن مسعود وابن عباس ، وغيرهما . راجع المحتسب ٢ / ٢١٢ .

(11) فى المطبوعة : « الدهر يسرى فى الحقيقة ... » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . والرواية فى ديوان الأرجانى ٥٧ :

سعيى إليكم بالحقيقة والذى ... تجدون عنكم فهو سعى الدهر بى

وقد كان المملوكُ مِن قبلُ يتردَّد ويَذهَب ، ويأخذُ فى كلِّ مَذْهَب :

ولمَّا ملأتُم ناظِرِى مِن جَمالِكُمْ سَددتُم علَى قلْبِى جميعَ المسالِكِ

ثم فضَّ عن مِسْك نفسهِ المَخْتُوم[1] خِتامَه ، وأماطَ عن ثَغر سيناته[2] لِثامَه ، ونَصَب مَحاريب نوناته[3] قبلَ[4] إمامه ، وبايع منه إمامًا لَبِس مِن خزائن المحابر[5] خِلْعةَ الإمامَة ، ورأى بعينه أدبًا يتأدَّب مِن خَلْف أذُنِه[6] قُدامةُ[7] قُدَّامه ، فأحجم باعُه القصيرُ عنه طويلا ، وطلب من المُعارَضة[8] والمُطاولة لهذا اللفظ مَقِيلا :

وطاشَ لُبِّىَ إذ عاينتُه فَرَحًا ومَن يَنَلْ غايةً لم يَرْجُها يَطِشِ

ثم أطرَقْتُ مَلِيًا ، وقلت حَيِيًا :

مَنثورُ هذا الكتابِ حِينَ أتَى يَسمُو على الدُّرِّ وهْوَ مَنْظُومُ
أهدَى لنا عَرْفُه بمَقْدِمِه تَأرُّجَ المِسكِ وهْوَ مَختُومُ

لقد فاح مِن طَىِّ تلك المَهارِق نَشْرُها قبلَ نَشْرِها ، وقلت حين قرأتُ مِن تلك الرِّسالة ترجمةَ معروفِها وبِشْرِها[9] :

وقفتُ وقَدْ وافَى مُشَرَّفُ سيِّدِى له ألْفًا [قبلَ] اطِّلاعِى علَى حَرْفِ[10]
وقَبَّلتُه ألفًا وألفًا فقال لِى غَرامِىَ زِدْه واضْرِبِ الألفَ فى الألفِ

---

(١) فى المطبوعة : « المحترم » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى المطبوعة : « سناته » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٣) فى المطبوعة : « نوماته » . وفى : ج ، ك : « نوباته » . وبهذا الرسم فى المطلع ، مع نقط الباء الموحدة قبل الواو ، والنون بعدها ، لا غير . ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٤) فى المطلع : « قبله » .
(٥) فى المطبوعة : « المحاسن » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع ، وفيه : « خلع » .
(٦) فى المطبوعة : « أدبه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .
(٧) كذا بالتكرير فى الأصول ، والمطلع . و « قدامة » هو : قدامة بن جعفر ، الكاتب البغدادى ، يضرب المثل بفصاحته وبلاغته . ومن تعبيرات الحريرى فى مقدمة المقامات صفحة ٦ : « ولو أوتى بلاغة قدامة » .
(٨) فى المطبوعة : « المعاوضة » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٩) فى المطبوعة : « ونشرها » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(١٠) ما بين الحاصرتين ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والمطلع .

فإذا هو كتاب عِلْم ، وكلامٌ إذا تجرَّد سيفُ لسان البليغ لحرب خَصمه ألقى لفصاحته السِّلْم ، فأقسم مِن كتاب مولانا [الكريم][1] بالمختوم ، لقد أظهر تهافُتَ الفلاسفة بحكمة درجة[2] المَرْقُوم ، وشاهدتْ أصحابُ المطالِب الأدبيّة كيف ألقِيت[3] لمنشئه مَفاتيحُ الكُنوز[4] ، ووصل العبدُ لكِيمياء السعادة حين اهتدى لحُسن التَّدبير من تلك الشُّذور والرُّموز[5] ، فعُوِّذ بألـم[6] ذلِكَ الكِتاب ، ودخلَتْ[7] عليه حين دخل جَنَّتَه ملائكةُ السَّلام من كلِّ باب ، ونُشِر[8] ميّتُ الحَظّ بنُشُورِه ، وخرج اللُّبُّ فى وصفِه من قُشُوره ، وأخذ من الزمان توقيعَ الأمان بقُدوم مَنشُورِه :

كان المُلطِّفُ كالقَمِيصِ أما تَرَى ... أبصارَنا رُدَّتْ لنا بمُلَطِّفِ[9]

وافَى فسَكَّن نارَ قلبى رَمزُه ... أسمِعتُمُ نارًا بنارٍ تَنْطَفِى[10]

وأرادت الأجفانُ عادةَ جَرْيِها ... أو جَرْىَ عادتِها فقلتُ لَها قِفِى[11]

كُفِّى فقد جاء الحبيبُ بما كَفَى ... وَصْلًا وعاشِقُه المُعَنَّى قد كُفِى

---

(١) زيادة من المطبوعة ، والمطلع ، على ما فى : ج ، ك .

(٢) كذا فى الأصول . وواضح أن صاحب الرسالة يستخدم عنوانات كتب الإمام الغزالى والذى وجدناه من كتبه : كتاب الدرج المرقوم بالجداول . راجع مؤلفات الغزالى ١٥٩ ، الكتاب رقم ٤١ .

(٣) فى المطبوعة ، والمطلع : « ألقت » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٤) فى المطلع : « مفاتيح كنوزه » .

(٥) فى المطلع : « الشذور إلى رموزه » .

(٦) يعنى أول سورة البقرة .

(٧) فى المطبوعة : « ودخل » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٨) فى المطبوعة : « وبشر » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٩) فى المطبوعة : « كان التلطف » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع ، والمراد بالقميص هنا : قميص يوسف عليه السلام .

(١٠) قوله : « رمزه » هو هكذا فى المطبوعة ، والمطلع . وجاء فى : ج ، ك : « ومزه » . ولم تأت هذه المادة فى اللسان ، وذكر لها صاحب القاموس معانى لا تناسب السياق الشعرى هنا .

(١١) فى المطبوعة : « فقلت له » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

وفَتَحه المملوكُ ، فرأى من بلاغته بمصر فَتْحَ العزيز ، ولفظًا أطْرَب[1] ببسيطه[2] أقواله لأنه وَجيز ، وتنبيهًا يتيقّظ به ذو التمييز ، ومُهَذَّبَ عبارةٍ فيها لكلِّ فقيهٍ فى البراعة تعجيز ، وسِحْرًا يعرِف[3] النَّفّاثات فى العُقَد بخُلُوِّه[4] مِن التعقيد ، وكتابًا فيه لكلِّ بابٍ من [أبوابِ][5] الأدب إقْليد ، ومَلِكَ فَصاحةٍ طالِعُ سعدِه فى كلِّ وقت سعيد ، وفَلَكًا كلّما لاح لى هلالُ نونِه عادَنِى من السُّرور عِيد .

قد استعبدَ رِقَّ الكلام المُحرَّر ، وأهدى عِقْدًا كلّه جوهر ، وقِلادةً إلّا أنها بالنَّفس عَنْبَر ، وحُللًا إذا رَفَل القَلَمُ فيما حاكه منها يَتَحبَّر[6] ، ومقامَ أُنس إذا تَخَتَّر[7] بسُلافة الخاطر تمايلَ عِطفُه وتَخطَّر .

فجلستُ مِن طِرْسه ولفظه بين سالِفٍ وسُلاف ، واعتنقت منه قُدُودَ أَلِفاتٍ فاقت الخِلافَ[8] بلا خِلاف ، ولثَمتُ منه مِيماتٍ حَميت نفسى النُّونات منها الثُّغُور ، ورصَدْتُ مِن نُقَطه نُجومًا إلّا أنها لا تَغُور ، ورأيتُ حروفًا ترتاح الرُّوحُ إلى شَكْلها[9] الحَسَن ، وتفرَّغت لأنظُرَ منها كلَّ عين أحلَى من عين الحبيب المَلأى مِن الوَسَن ، واستنطق الأفواهَ

---

(١) فى المطبوعة : « أضرب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . والكاتب هنا يستخدم أسماء كتب الشافعية .

(٢) فى المطلع : « بسيط » .

(٣) فى المطلع : « يغترف » .

(٤) فى المطبوعة : « فخلوه فى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) زيادة من المطلع .

(٦) فى المطبوعة : « يتبختر » ، والمثبت من : ج ، ك . وفى المطلع : « تبختر » .

(٧) فى المطبوعة : « إذ الحر » ، وأثبتنا رسم ما فى : ج ، ك، ولم ينقط فيهما سوى التاء الأولى وكذا فى المطلع ، بنقط التاء الثانية فقط . والتختر : التفتر والاسترخاء ، من شرب دواء أو سم . ويقال : خَتره الشراب تختيرا : أفسد نفسه .

(٨) الخلاف بكسر الخاء : صنف من الصفصاف . سمى خلافا لأن السيل يجىء به سبيا ، فينبت من خلاف أصله . النبات للأصمعى ٣٠ ، والقاموس (خلف) .

(٩) فى المطلع : « سلكها » .

ليلُ خيرِه[1] بالتَّسبيح ، وتدرّع شاهدُ حسنِه بِدُرُوع[2] الإجادة فهو لا يخشى التجريح ، وقلت [مضمّنًا][3] فى تلويح إشارته الأدبيّة فى مقام التصريح :

ومُشَرَّفٍ إن زاد تشريفًا فقَدْ ... خَلعتْ عليه جمالَها الأيّامُ[4]

هو جامعٌ للحُسنِ إلّا أنّه ... قَصْرٌ عليه تحيّةٌ وسَلامُ

وعلَى العِدا مِن طِرْسِه وبِقَوْسِه ... رَصَدان ضَوءُ الصُّبحِ والإظلامُ

وبدأت ببسم الله فى قراءته ، فإذا عليه من التيسير عُنوَان[5] ، ورأيت من شُعَب معانيه ، يا مالِكَ الأدب ، ما لم يره أحمدُ[6] فى شِعب بَوَّان ، وتطفَّلتُ بعد المَشِيب مِن حُروفِه المُعرّقة[7] وسُطوره المحمَّرة ، على مائدةٍ ذاتِ ألوان[8] .

وعجَز قِيراطِى عن حُمر دنانير سُطورِه[9] التى تجرى على حُروفها ، وعَلِم أن تلك الدَّنانير لم تُبْقِ عندَه الأيّامُ منها غيرَ صُروفِها .

وغِيضَ ماءُ فكرته حين[10] رأى نِيلَ بلاغةِ مولانا قد احمرَّ من الزيّادة ، وكَسر قَصَبة

---

(١) فى المطبوعة : « لمثل حده » وأثبتنا رسم ما فى : ج ، ك ، من غير نقط . وفى المطلع : « ليل حبره » .

(٢) فى المطبوعة : « بدرع » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) لم يرد فى المطلع . وانظر التعليق التالى .

(٤) الأعجاز الثلاثة ، لأشجع السلمى ، من قصيدة يمدح بها الرشيد . الأغانى ١٨ / ٢١٤ .

(٥) التيسير والعنوان كتابان مشهوران فى القراءات : الأول للدّانى ، والثانى لإسماعيل بن خلف .

(٦) فى المطبوعة : « أحد » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . و « أحمد » هو أبو الطيب المتنبى . وقصيدته فى شعب بوان ذائعة شهيرة . ومطلعها :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمان

ديوانه ٤ / ٢٥١ . وشعب بوان : بأرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وكان أحد متنزهات الدنيا . معجم البلدان ١ / ٧٥١ .

(٧) فى المطبوعة : « المعروفة » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . وهو من : عرق العظم عرقا : أكل ما عليه من اللحم ، كتعرقه .

(٨) فى المطبوعة : « إيوان » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٩) فى المطبوعة : « سوره » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(١٠) فى الأصول : « حتى » ، وأثبتنا الصواب من المطلع .

قلمه حين رآها لقناديل ذهنه على رأى العامّة طفاية[1] ، و [جَمْرةَ][2] حُمرة تلك الصُّدور[3] وَقّادة .

وارتاح لأشكالِها التى له بها على سُلُوك طريقِ الوصف قُصْره[4] ، وتخلَّص من عُقْلَة الحَصَر عند الاجتماع بشارِدِ[5] الفِكرة ، وعَلِم أنّ سيفَ الفصاحة قَتَل العِيَّ فاحمرَّ صَفِيحُه ، وأن شَبَح النقس[6] الأسود يَحسُن بالياقوت الأحمر تَوشِيحُه ، وأن إنسانَ هذه البلاغة خُلِق مِن عَلَق ، وأنّ ليلَ النقس[6] لا يخلو من شَفَق ، وظَنّ أن الغَسَق والشَّفق قد انجلَّا[7] فأجراهما مِدادا ، أو[8] أن الرَّمْلَ عَشِق [شكل][9] سطورِها فما اختار عنه[10] انفِرادا ، أو أنّ حمَامته الساجِعة خَضَبَت كفَّها ، أو أن رَوضته المُزهِرة أحدَق بها الشَّفقُ وحفَّها ، لقد قامت مَقامَ الوجنات لوجُوه الطُّروس البِيض حُمرتُها ، وتوقَّدت فى فَحْمة[11] ليل النقس[6] جَمرتُها ، وتَشعْشَعَت فى كُؤوس البلاغة خَمرتُها .

فناهِيك بألفاظها كُؤوسًا أُبصرت حمرتُها فى عين القِرطاس وخَدِّه ، وفُصول ربيع [بلاغتها][12] وتلك الحُمْرة[13] ماء وَرْدٍ من وَرْدِه ، ثَبت بها أنّ الحُسْنَ[14] أحْمَر ،

---

(١) فى المطبوعة : « كالغابة » . والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) فى المطبوعة : « السطور » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى المطبوعة ، والمطلع : « نصره » . والتصحيح من : ج ، ك . قال صاحب القاموس : « والقصرة ، بالضم : أى أن يقصر » .

(٥) فى المطبوعة : « لشارد » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) كذا بالأصول فى المواضع الثلاثة . والنقس ، بكسر النون : المداد الذى يكتب به ، وبالفتح : العيب والسخرية من الناس . فهل يلائم شىء من هذه التفاسير سياق الكلام ؟ وفى المطلع : « النفس » .

(٧) فى المطبوعة : « انحلا » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٨) فى المطبوعة ، والمطلع : « وأن » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٩) لم يرد فى المطلع .

(١٠) فى المطبوعة : « عنها » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(١١) فى المطبوعة : « مجمر » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(١٢) ليس فى المطلع .

(١٣) فى المطبوعة : « المحمرة » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(١٤) يقولون : الحسن أحمر : أى شاق ، أى من أحب الحسن احتمل المشقة . وذلك أن المرء يلقى منه المشقة والشدة كما يلقى من القتال . وهم يقولون : الحمرة فى الدم والقتال . اللسان (حمر) .

وأنّ ربيعَ بلاغتها الخَصِيب أخضر ، وأن جامعَ روضِها الذى قام فيه شَحْرُورُ البلاغة[1] خطيبًا أزْهَر .

وتكتَّبت جيوشُ الكَلام مِن سُطورها فى دُهْمِها[2] وحُمرها وحَمَلتْ[3] ، وهَزَمت جيوشَ المتأدِّبين وحمْرتُها مِن دماء مَن قتلَت ، وأصبح الأسودُ والأحمرُ طوعَ أقلامِها ، وزأر أسدُها الوَرْدُ عندَ اهتزازها[4] مِن آجامها ، وأصبحتْ ذات عين على المعارِضين حَمْرا ، وأقرَّ لِجياد ألفاظِها [بالسَّبْق][5] مَن أظلَّته الخَضراءُ وأقلته الغَبْرا ، وقالت مفاخِرُها الدمشقيّة للمُبارِز : هذا الميدانُ والشَّقْرا[6] .

وجُلِّيت كاعِبُها التى اعتدل قَدُّها وتفتَّح وَردُها ، وجَنَّدت[7] أجنادُها ، وكثَّرت بالحُمْرة سوادَها ، وعَصْفَرَتْ للرِّفاق أبرادَها ، واشتملَتْ بمُلاءتها العَسجديّة ، وحلَتْ فى الأفواه[8] حلاوتها الورديّة .

وحاصلُه أن هذا الكتابَ مُخَلَّق[9] تملأ الدنيا بشائرُه ، وأن أحمَر رَمزِه قد أصبح والأحامِرةُ الثلاثة[10] ضَرائرُه .

لقد عاقَده مُنشِئُه أن يَنظِم جواهرَ البلاغة عقودًا لجيدِه فأوفَى بالعُقُود ، ونَفَح عنبرَ نَفْسه ، فالضائعُ مِن المِسك عندَه مفقود ، ودام وَرْدُ رِياضه على العَهد خلافًا لما هو مِن[11] الوَرْد مَعهُود .

---

(١) فى المطبوعة : « البلاغ خطيب » ، والمثبت من : ج ، ك . وفى المطلع : « بلاغته » .

(٢) فى المطبوعة : « همها » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) فى المطبوعة : « وحكمت » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى المطبوعة : « اهزازها » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) زيادة من المطلع .

(٦) الشقراء : اسم لعدة أفراس . انظر أسماءها وأصحابها فى التاج (شقر) .

(٧) فى المطبوعة : « وتجندت » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٨) فى الأصول : « وحلت فى الأفق له حلاوتها ... » ، وأثبتنا ما فى المطلع .

(٩) من الخلوق ، بفتح الخاء وضم اللام : وهو الطيب ، بكسر الطاء . وفى المطلع : « محلق » .

(١٠) الأحامرة الثلاثة : اللحم ، والشراب ، والخلوق ، وقد فسرناه فى التعليق السابق .

(١١) فى المطبوعة : « فى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

فلاحَ للمملوك مِن كَتِيبة براعتِه الخضراء بَطَلٌ بعدَ بَطَل ، وهامَ القلبُ بِوابلِ سَحابه السَّحبانِيّ هُيامَ عُلَيَّةَ[1] بِطَل ، وانطلق فى وصفه الجَنان ، ورأى به رِياضًا لو رآها أبو نُواس لسَلَا بها[2] عن جِنان[3] ، وثَنى عِنانه عن عِنان[4] ، وألجم مُنشِئُه[5] المتأدِّبين[6] حين أطلق فيه العِنان ، فإذا هو مُفتَتحٌ ببديع أغلَق على صاحب « المِفتاح » بابَ الكلام ، وخَطٌّ أصبح ابنُ البَوّاب له كالغُلام ، وقال المُنصِف :

مَنْ هامَ فى هذا يُعا ... نُ ولا يُعابُ ولا يُلامْ[7]

فاشتغَلَ به عن كَيْت وكَيْت ، وعَظَّم[8] قَدْرَ معانيه الأصليّة[9] حينَ وجَد كلَّ معنًى منها فى بيت ، فرأى الجِنانَ وحُورَها ، وعقودَ الحِسان ونُحورَها ، ودُررَ الألفاظ وبُحورَها ، وسَوَاحِرَ البيان وكيف أصبح القلبُ مَسحورَها .

وأوَى بينَ أبياته [الأدبيّة][10] إلى دارِ حديث[11] ، وأسانيدَ يحصُل بها من ميراث النبوَّة التَّوريث .

---

(١) هى علية بنت المهدى ، أخت هارون الرشيد . و « طل » : كان من خدم الرشيد ، اختصته علية ، وكانت تراسله بالشعر . انظر الأغانى ١٠ / ١٦٣ .

(٢) فى المطلع : « لألهته » .

(٣) فى الأصول : « حسان » . وهو خطأ ، أثبتنا صوابه من الأغانى ٢٠ / ٦١ . و « وجنان » هذه : كانت جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى .

(٤) هى عنان جارية الناطفى . راجع أخبار أبى نواس ، لأبى هفان ٧٩ .

(٥) فى المطبوعة : « متنبه » . ولا معنى له . وأهمل النقط فى : ج ، ك ا. وفى المطلع : « منسبة » . ولعل ما أثبتناه صواب ، وقد سبق نظيره قريبا .

(٦) فى المطبوعة : « المناديين حتى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع . وسبق نظيره قريبا .

(٧) جاء هذا البيت فى الأصول كلاما منثورا ، وكتبناه شعرا من المطلع .

(٨) فى الأصول : « وعظيم » ، وأثبتنا ما فى المطلع .

(٩) فى المطلع : « الأصيلة » .

(١٠) زيادة من المطلع .

(١١) لعله أخذ هذا من قول تقى الدين السبكى فى الإمام النووى :

وفى دارِ الحديثِ لطيفُ مَعْنًى ... علَى بُسُطٍ لَها أصْبُو وآوِى

راجع الجزء الثامن ٣٩٦ .

وقال : سُبحانَ مَن توَّج [بهذا][1] التاج لهذا الشأن مَفارِقَ طُرُقِه ، وأطلع به بعدَ الأُفول بَدْرَه مِن أُفُقه .

ورَغِب إلى الوَهَّاب أن يديمَ على عَبده ما وَهَب ، ويحفظَ هذا الحافظَ لتتجلَّى الأسانيدُ منه ، سِيَّما إذا رَوى عن الذَّهبىّ بسِلسلة الذَّهَب .

فلله دَرُّه حافِظًا أنْسَى[2] الناسَ إذا رَتَّل المَتْنَ مَن دَرَج ، ومُحدِّثًا تبحَّر فى [3]علم الحديث[3] فحدِّثْ عنه ولا حَرَج .

فاق على مشايخ العصر القديم فى الحديث ، ووصَل بأسانيده العالية إلى مَدًى لا يُوصَل إليه بالسَّير الحثيث .

وتمسَّك الطالبُ من أسانيده المتَّصلة بحَبلٍ وَثِيق ، وأسكره ما سَمِع مِن حُلو الحديث ، فلا كرامةَ لِمُرّ العَتيق .

[4][وأملَى الأمالى التى ليس لها قالِى[5] ، وطعن الخَصْمَ فى معترَك الجِدال من أحاديثه بالعَوالِى][4] فالحديثُ لا يعرفه إلّا من هذا الوجه طالِبُه ، ولا تأتى له إلّا مِن هذا البيتِ غَرائبُه .

ورأيتُ من الفوائد الحديثيَّة ما ذَهَل كثيرٌ من الحفَّاظ عنها ، ووَرد على المملوك منها :

حديثٌ لَو انّ الميْتَ نُوجِى ببعضِه ... لأصبحَ حَيًّا بعدَ ما ضَمَّه القبرُ[6]

---

(١) زيادة من المطلع . ويلاحظ أن لقب السبكىّ المصنف : « تاج الدين » .

(٢) فى المطبوعة : « أسنى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . والعبارة فيه : « أنسى الناس بحفظ الأسانيد والمتون من درج » .

(٣) مكان هذا فى المطلع : « فنه » .

(٤) ما بين الحاصرتين ليس فى المطلع .

(٥) استخدام لكتاب الأمالى ، لأبى على القالى .

(٦) جاء هذا البيت فى المطبوعة ، ك ، كلاما منثورا . وهو فى : ج ، والمطلع شعر . وفى البيت نفس العذريين ، لكنا لم نجده فيما بين أيدينا من دواوينهم .

وأملت أحاديث أحلى فى النفوس مِن المُنَى ، وأسماء إذا وصفتُها على سبيل الاكتفاء قلت[1] : أحلَى مِن الكُنَى[2] .

فعلمتُ أنّ هذا المحدِّثَ قد أُرْضِع بِلِبان هذا الفَنّ وغُذِى ، وتحدَّث الناسُ بانفرادِه[3] فيه ، فهو الذى :

حديثُه أو حديثٌ عنه يُعجِبُنى ... هذا إذا غابَ أو هذا إذا حَضَرا[4]

كِلاهُما حَسَنٌ عندِى أُسَرُّ بِه ... لكنَّ أحلاهُما ما وافَقَ النَّظَرا

فحرس اللهُ سِينَ أسانيدِه بقاف[5] ، وحاءَ تحويله ، بِحَم الأحقاف ، فقد أحيا السُّنّة المحمديَّةَ حتى أسفَر صبحُها فى هذا العصر ، وأورَد ، إذْ هو جَوْهرىٌّ هذا العِلم ، صِحاحَه ، ولا يُنكَر الصِّحاحُ لأبى نصر[6] .

فهو إمامُ العُلوم على الأَبَد ، والسابقُ للعَلياء سَبْقَ الجوادِ إذا استولَى على الأَمَد[7] ، والسيِّدُ الحافظ الذى دارُه لا دارَ مَيَّةَ بين العَلياءِ والسَّنَد[8] .

---

(١) فى المطبوعة : « فقل » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) فى الأصول : « الكفا » ، وأثبتنا ما فى المطلع ، وهو الصواب ، ليناسب قوله : « أسماء » ، وليتم السجع مع « المنى » .

(٣) فى الأصول : « وتحدث فى انفراده فهو الذى » . وأثبتنا ما فى المطلع .

(٤) البيتان لعمر بن الفارض . ديوانه ١٠٦ ، وروايته : « عنه يطربنى » .

(٥) يعنى سورة ق .

(٦) أبو نصر : كنية السبكى المصنف . والمعنى الثانى هنا فى التورية : هو أبو نصر الجوهرى . صاحب « الصحاح » فى اللغة . وهو ما قصده القيراطى بقوله : « جوهرى ... الصحاح » .

(٧) تضمين من قول النابغة الذبيانى – ديوانه ١٤ :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد

(٨) وهذا أيضا من قول النابغة – ديوانه ٢ :

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

[1][والشَّيخُ الذى اختصَّ بعُلُوِّ[2] الإسناد والمَحَل ، والرُّحَلَةُ الذى[3] يُنْشِد الطالبُ[4] إذا حَثَّ ركائبَه إليه ورَحَل :

إليكَ وإلَّا لا تُساقُ الرَّكائِبُ وعنكَ وإلَّا فالمحدِّثُ كاذِبُ][1]

على أنه عالِمٌ مناظِر ، وحافِظٌ مُذاكِر ، وأديبٌ مُحاضِر ، [5][وذو اطِّلاع يُنشِد :

* كَم تَركَ الأوَّلُ للآخِرِ *][5]

فهو بين العلماء إمامُ مِلّتِهم ، ومُصَلَّى قِبلتهم ، ومُجَلِّى حَلْبَتهم ، والمُنشِد عندَ طلوع أهلَّتِهم :

أخذْنا بآفاقِ السَّماء عليكُمُو لَنا قَمراها والنُّجُومُ الطَّوالعُ[6]

عُدنا إلى اجتلاءِ تلك العَروس ، واجتناء تلك الغُرُوس ، فأكرِمْ بها عروسًا تَرفُلُ من الطُّروس فى حُلَل ، وتسير مِن[7] خَفَرها فى كِلَلٍ ، وأعظِمْ بها غريبةً[8] يَطِيب بِبَيتِ[9] شِعْرِها لا بِبَيْتِ[10] شَعْرِها الحُلَل ، أنصارِيَّةٌ [النِّجار][11] لا خَوَرَ[12] فى عُودِها إذا انتمَى إلى بنى النَّجَّار ولا خَلَل .

---

(1) ما بين الحاصرتين لم يرد فى المطلع .
(2) فى المطبوعة : « بعلوم » . والتصحيح من : ج ، ك .
(3) فى الأصول : « التى » .
(4) فى المطبوعة : « الطلاب » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك .
(5) ما بين الحاصرتين لم يرد فى المطلع . وعجز البيت لأبى تمام ديوانه ٢ / ١٦١ وصدره :

* يقولُ مَن تَقرعُ أسماعَهُ *

وانظر : الفلك الدائر . المنشور ضمن المثل السائر ٤ / ١٥٢ .
(6) البيت للفرزدق . ديوانه ٥١٩ .
(7) كذا فى المطبوعة والمطلع وفى : ج ، ك : « فى » .
(8) بعد هذا فى المطبوعة زيادة : « عربية » . وأسقطناها كما فى : ج ، ك ، المطلع .
(9) فى المطبوعة : « بطيب بيت » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(10) فى المطبوعة : « بيت » . وفى : ج ، ك : « بنبت » والنقط غير واضح فى المطلع . ولعل الصواب ما أثبتناه . وهو من التجنيس ، وقد جاء فى شعر أبى العلاء المعرى ، قال :

فالحُسْنُ يظهرُ فى شيئين رَوْنَقه بيتٍ من الشِّعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَرِ

شروح سقط الزند ١ / ١٢٩ .
(11) زيادة من المطلع .
(12) فى الأصول : « جور » بالجيم ، وأثبتناه بالخاء المعجمة من المطلع .

سار[1] ذِكرُ بيتِها الطَّيِّب فى الأمصار ، وعُلِم أنّ مِن الإيمان الاعترافَ بحقِّ الأنصار ، لِما أخبرَناه العَدلُ أبو الحسن علىّ بن مسعود بن بهتِك[2] العَجَمىُّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، قيل له :أخبرك الشيخُ أبو العِزّ بن الصَّيْقَل [فأقرَّ به][3] أخبرنا أبو علىّ ضياء بن أبى القاسم ، أخبرنا القاضى أبو بكر [الأنصارىّ][4] أخبرنا أبو القاسم بن عُلوان ، أخبرنا أبو القاسم الخَرَقىّ[5] ، حدَّثنا أبو بكر النَّجّاد[6] ، حدَّثنى محمد بن عبد الله ، حدَّثنى عيسى بن سَبْرة ، عن أبيه ، عن أبى سَبْرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أَلَا لَا صَلَاةَ إِلَّا بِوُضُوءٍ ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ[7] يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . أَلَا لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ مَنْ لا[8] يُؤْمِنُ بِى ، وَلَا يُؤْمِنُ بِى مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقَّ الأَنْصَارِ » .

اكتفى المملوكُ بهذا الحديث الذى أفردَه على سبيل التوصُّل به إلى البَركة والتوسُّل ، وتَرَك الكلامَ عليه لئلّا تخرجَ[9] به الرِّسالةُ عن حدِّ التّرسُّل ، وعَلِم أنّ هذه الطُّرقَ لا يسلُكها جَوادُه الوَجِى[10] ، وأنه إذا طار بهذا المَطار يُقال له : ليس [هذا][11] بعُشِّك

---

(١) فى المطلع مكان هذا : « نوه المملوك بذكر بيتها الأنصارى فى الأمصار » .

(٢) كذا فى المطبوعة . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) زيادة من المطلع .

(٥) راجع الجزء الخامس ١١٥ .

(٦) فى المطبوعة : « النجار » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع ، وراجع الجزء الرابع ١٠٣ .

(٧) فى المطبوعة : « ولا وضوء إلا لمن يذكر » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع . وسنن الترمذى (باب التسمية فى الوضوء . من كتاب الطهارة) ١ / ٤٢ ، وسنن أبى داود (باب فى التسمية على الوضوء . من كتاب الطهارة) ١ / ٥٩ ، وسنن ابن ماجه (باب ما جاء فى التسمية فى الوضوء . من كتاب الطهارة) ١ / ١٤٠ .

(٨) فى المطبوعة : « من لم » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع ، ومسند أحمد بن حنبل ٢ / ٤١٨ ، ٣ / ٤١ ، ٥ / ٣٨٢ ، ٦ / ٣٨٢ ، وجاء فى ٤ / ٧٠ : « من لم » .

(٩) بحاشية ج ، ك : (قوله : « لئلا تخرج الرسالة عن حد الترسل » تنكيت لطيف على القاضى تاج الدين فى ما ضمنه من إيراد الأسانيد الكثيرة فى رسالته) .

(١٠) الفرس الوجى : هو الذى يجد وجعا فى حافره .

(١١) ليس فى الأصول . وانظر صفحة ٨٢ .

فادْرُجِى ، فلستَ مِن رِجالِ هذه المَحافِل ، ولا مِن فُرسان هذه الجَحافِل ، أما علمتَ أنّ الخارِجَ عن لغته لحّان ، وأنّ الداخِلَ فى غير فَنّه يفضَحُه الامتِحان ، غير أنّه تجاسَر على هذه الصِّناعة ، واستكثر على نفسِه ما أورده منها لقِلَّة البِضاعة ، ونَطَق بين يَدَى مَلِكها ، وقابَل بالمِصْباح شَمسَ فَلَكِها ، وانتقل إلى مقامِ حدَّثنا بعدَ مقام أمَّا بعد ، وقابل بالذى أسْنَده ما أسنده مولانا ، وكيف يُقابَلُ مُسنَدُ سَيِّدٍ بمسنَد عَبْد[1] ، وقال عند قراءة ما أورده سيِّدى مِن أحاديثه : زِدْنِى من حديثك يا سَعْد ، وقال مضمِّنًا :

عِلْمُ الحَديثِ إلى أبِى نَصرٍ غَدَا ... مِن دُونِ أهلِ العَصْر حَقًّا يُسْنَدُ
أضْحَى أميرَ المؤمنينَ بقُبَّةٍ ... ويَدُ الخِلافةِ لا تُطاوِلُها يَدُ[2]

فلذلك عَجَّل المملوكُ إلى فَنِّه الأدبىّ مَنْجاه ، وتركَ الكلامَ فى الحديث ، قائلًا كما قال غيرُه : بِضاعَتُنا[3] فى الحديث مُزْجاه .

ثم انتهى المملوكُ إلى[4] ما وصفه سيِّدى من حُبِّه لعبده ، وخَصَّه به مِن فَضله ووُدِّه ، ونظَر إلى حُبِّه لسيِّدى فإذا هو كئوسٌ :

* لها فى عِظام الشارِبين[5] دَبِيبُ *

---

(١) المعنى الثانى فى التورية هو : عبد بن حميد . من حفاظ الحديث . و « مسنده » معروف .

(٢) عجز البيت لعلى بن الجهم ، من قصيدته التى قالها وهو فى السجن ، ومدح بها المتوكل . والبيت فى ديوانه ٤٥ :

صَبْرًا فإنّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ راحةً ... ويدُ الخليفةِ لا تُطاوِلُها يدُ

وجاء فى مطبوعة الطبقات : « أمير المؤمنين يغنه » . وفى المطلع : « بفنه » . وبهذا الرسم فى : ج ، ك ، ولم يظهر النقط فيهما . ونرى الصواب ما أثبتنا . و « القبة » تستعمل مضافة إلى الملك والخلافة . راجع الأغانى ١٠ / ٢٣٣ . ترجمة على بن الجهم .

(٣) فى المطلع : « فيه مزجاه » .

(٤) فى المطبوعة والمطلع : « لما » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٥) فى المطبوعة : « السرائر » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع . والبيت بتمامه :

كُمَيْتٌ إذا صُبَّتْ وفى الكأسِ وَرْدَةٌ ... لَها فى عِظامِ الشاربين دَبِيبُ

وقد اختلف فى نسبته ، فذكره أبو الفرج فى الأغانى ١٧١/١٣ ، من قصيدة لعبد الله بن الحجاج ، =

وعَروسٌ :

* لها بهجةٌ بينَ المِلاحِ وطِيبُ *[1]

وغُروسٌ :

* يَلَذُّ جَناها فى فَمِى ويَطِيبُ *[1]

وأصلٌ كريمُ النّتاج ، ومَلِكٌ لا يَليق أن يرتفعَ على رأسِهِ إلّا هذا التاج ، فليس الحُبّ إلّا ما نشأ عليه القلبُ ونَما ، ورُبِّى فى أرضٍ من المَودَّة وَسَما :

وليس بتَزْوِيقِ اللِّسانِ وصَوْغِهِ ولكنّه ما خالَطَ اللَّحمَ والدَّمَا[2]

وحقًّا ما أقول :

أحِبُّك حُبًّا ما عليهِ زِيادةٌ ولا فِيه نُقْصانٌ ولا فِيه مِنْ مَنّ

بل أقول :

أحِبُّك أصنافًا مِن الحُبِّ لم أجد لها مَثَلًا فى سائرِ الناسِ يُعرَفُ

فمنهُنَّ أن لا يعرِضَ الدهرَ ذِكرُكُمْ علَى الرُّوحِ إلَّا كادت الرُّوحُ تَتلَفُ

ومنهنَّ حُبٌّ للفُؤادِ يَخُصُّهُ فلا أمْتَرِى فِيهِ ولا أتكلَّفُ

وحُبٌّ بدَا للجِسمِ واللَّونِ ظاهِرًا وحُبٌّ لدَى نفسِى من الرُّوحِ ألطَفُ

وأقول :

أحِبُّك يا شمسَ الزَّمانِ وبَدْرَهُ وإن لامَنِى فيك السُّهَا والفَراقِدُ[3]

لقد رُفِعتْ لهذا الحُبِّ فى القَلب قِباب ، ونُصِبت له خِيامٌ لها من حِبال الوَصلِ[4]

= لكنه ذكر البيت مع بيت آخر ، ونسبهما للأقيشر ، وقد قال له عبد الملك بن مروان : أنشدنى أبياتك فى الخمر . راجع الأغانى ١١ / ٢٦٩ .

والبيتان فى العقد الفريد ٤ / ٣٥ ، ٣٦ ، منسوبين لعدى بن الرقاع . وفى عيون الأخبار ٢ / ٢١٥ منسوبين لأعرابى ، استوصفه عبد الملك بن مروان الخمر . وانظر ديوان عدىّ ٢٧٥ (طبع المجمع العلمى العراق) .

(١) لعل هذين الشطرين من قصيدة ابن الحجاج المشار إليها ، فقد ذكر أبو الفرج أنها طويلة .

(٢) فى المطبوعة : « وضوعه » ، وأهمل النقط فى ك ، وأثبتنا ما فى : ج ، والمطلع .

(٣) للمتنبى . ديوانه ١/ ٢٨٠ .

(٤) فى المطلع : « حبال الحب والود أوتاد .. » .

وسَماء الوُدِّ أوتادٌ وأسْباب ، وأصبح كذوات[١] مولانا التى كلَّما عَمَّرتْ[٢] زادت شَبابًا على شَباب ، وتميَّزت أعداؤه على أعداد مَن جَعل لمحبوبِه[٣] الواحد ثلاثةَ أحباب .

لقد اتَّحدا[٤] برُوح العَبد حتى التبس عليه أيُّهما الرُّوح ، وامتزجا فما أدرِى بأيِّهما يَغدو الجسم ويَرُوح[٥] .

وسَرى كلُّ واحدٍ منهما فى صاحبه سَرَيانَ الأعراض فى الجَواهر ، وصارا ذاتًا واحدةً فما أولاهُما بقول الشاعر :

دَعاها بياقَيْسُ أجابَتْ نِـداءَهُ ونادَتْه ياليَلَى أجـاب نِداءَهـا

أو بقولِ ابن سَناء المُلْك[٦] :

وبِتْنا كجِسْمٍ واحدٍ مِن عِناقِنا وإلّا كحَرْفٍ فى الكَلامِ مُشَدَّدِ[٧]

فأحبَّ اللهُ ذاتَ مولانا البديعةَ الصِّفات ، وحرَس جَنابَها مِن الآفات ، فلا يزال العَبدُ يُقرِّبها للقَلب بتَذْكاره ، ويُصوِّرُها نُصْبَ عينيه بأفكاره ، حتى كاد القلبُ لا يشكو النَّوَى ، ويصير فى حالتى القُرب والبُعد على حالٍ[٨] سُوَى .

وأمّا أشواقُ المملوكِ فقَوِيت وتضاعفت وتزايدت وترادَفت ، وتجنَّدت أجنادُها فائتلفَت وتعارَفت ، ورَوى الصَّبُّ[٩] عنها حديثَى الزَّفير والدَّمع بعُلُوٍّ ونُزول ، وأنشد مُقِيمُها[١٠] الذى لا يَحُول عن عهدِه ولا يَزُول :

---

(١) فى المطلع : « كدواة » .

(٢) فى المطلع : « غمرت » .

(٣) فى المطبوعة : « المحبوب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى الأصول ، والمطلع : « اتحد » .

(٥) كذا فى المطبوعة والمطلع . وفى : ج ، ك : « بايهما نعد الجسم الروح » من غير نقط للحرف الذى قبل العين .

(٦) ديوانه ٨٢ .

(٧) فى المطبوعة ، والمطلع : « المشدد » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

(٨) فى المطلع : « حد » .

(٩) فى المطبوعة : « الصعب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(١٠) فى المطبوعة : « والسند سقمها » . وفى : ج ، ك : « واشتد سقيمها » ، وأثبتنا الصواب من المطلع .

كم نظرةٍ لى حِيالَ الشام ِ لو وَصَلتْ   رَوَتْ غَلِيلَ فُؤادٍ منكِ مُلْتاحِ[1]

ويُنشِد[2] :

نادَمْتُ ذِكرَك والظَّلماءُ عاكِفةٌ   فكان يا سيِّدى أحلَى مِن السَّمَرِ[3]

فلو تَرَى عَبْرتِى والشَّوقُ يَسفَحُها   لَما التفتَّ إلى شىءٍ مِن المَطَرِ

ورامَ أن يَتَشبَّثَ بشَوق مولانا ويتَعلَّق ، ويَرْقَى لفَتْح المِصراع الثانى مِن بيت الزُّحْلُوقة[4] فتزحْلَق ، فنَظَم بَدِيها وفى ضُلوعِه ما فِيها :

شَوقِى لوَجْهِك شَوْقٌ لا أزال أَرَى   أُجِدُّه يا شَقِيقَ الرُّوحِ أَقْدَمَهُ[5]

ولِى فَمٌ كاد ذِكرُ الشَّوقِ يَحْرِقُهُ   لو كان مَن قال نارًا أحرَقَتْ فَمَهُ

ثم قلتُ مضمِّنا[6] :

رُوحِى تقولُ وقد جاءَتْ رسائلُكُمْ   هل لِى إلى الوَصْلِ مِن عُقْبَى أُرَجِّيها

ولم أكُنْ قَبْلَها بالشَّوقِ أقتُلُها   إلّا لعِلْمِى بأنَّ الشَّوقَ يُحْيِيها[7]

ولِى دُموعٌ بِسِرِّى للوَرَى نَطَقتْ   فأطلَعتْ قَلْبَها للناسِ مِن فِيها[8]

كالنـارِ لَوْنًـا وإحراقًـا فَوَرْدَتُهـا   تَجْنى على الكَفِّ إن أَهْوَيتَ تَجْنِيها[9]

---

(١) البيت للبحترى ، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان . ديوانه ١ / ٤٤٣ . وجاء فى أصول الطبقات : « ردت عليك فؤاد » . والتصحيح من الديوان والمطلع . وقوله : « ملتاح » : يعنى الذى أصابه اللواح – بضم اللام – وهو العطش .

(٢) فى المطلع : « بل ينشد المملوك » .

(٣) فى المطبوعة : « مادمت ذكرك » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) الزحلوقة : آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل . والقيراطى يشير هنا إلى قول امرئ القيس :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلُّ   بها العَيْنانِ تَنْهَلُّ

وقد ضمنه السبكى من قبل . راجع صفحة ٣٢١ .

(٥) فى الأصول : « لوجهك شوقا » ، وأثبتنا ما فى المطلع . والبيتان فى طراز المجالس ١٩٩ ، وذكر الخفاجى جزءًا من رسالة القيراطى هذه .

(٦) مضمنا قصيدة الأرجانى المعروفة بالشمعية ، التى يمدح بها عماد الدين طاهر بن محمد ، قاضى قضاة فارس ، وهى فى ديوانه ٤٢٥ – ٤٣٠ .

(٧) فى المطبوعة والمطلع : « أقبلها » . والتصحيح من : ج ، ك .

(٨) فى المطبوعة : « بسرى للعدى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٩) فى المطبوعة : « إذ هويت » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . وديوان الأرجانى .

ورأى الإشاراتِ التى شوَّقته إليها شوقَ العَليلِ إلى الشِّفاء ، وأهلِ مِصر إلى الوَفاء[1] .

ووصَفَ سيِّدى ألفاظَ المملوك ، وكان مِن حَقِّها أن تُلْفَظ ، ولَحظَها بِعينِ العِناية ، وكان من شأنها أن لا تُلْحَظ ، وذَكَرها فى مَقامِ التنويه ، وكان اللائقُ بها أن تُنْسَى ولا تُحْفَظ .

إلّا أنه أودع سَجْعَه منها شيئًا تغيّر منه قلبُ النيل[2] وانكسر ، ورامَ فتحَ باب العُباب[3] فما جَسَر .

وانتهيتُ إلى النَّظم الموشَّح بقَلائدِ العِقيان ، فإذا له زَجَل[4] ، وقِيل لى : أهذه هى الجواهر الجليلة[5] ؟ فقلت : أَجَل .

ورأيتُ ما فى وصفِه لياليَ البُعْد من الاستعارة ، وعلمتُ أنّ مولانا خليفةُ الأدب الرَّشيد ، وغيرَه فيه مسلوبُ العِبارة .

وتأمَّلتُ ما ذكره مِن أمرِ الفِراق ، فلا يُذَمُّ لكونِه كان سببًا للتَّلاق ، ومُبلِّغَنا لتلك الأماكن المقدَّسة ، والجِهاتِ التى هى على التقوى مُؤسَّسة ، ولا يُذَمّ بَيْنٌ فيه إصلاحُ ذاتِ البَين ، ولا انتقال مولانا الحسن الشبيه[6] بقول ابن[7] الحسين :

فِراقٌ ومَن فارقْتُ غيرُ مُذَمَّمٍ وأَمٌّ ومَن يَمَّمْتُ خَيرُ مُيَمَّمِ

---

(١) يعنى وفاء النيل .

(٢) فى الأصول : « أودع شيخه منها شيئا نفر منها قلب الفيل » ، وأثبتنا الصواب من المطلع .

(٣) فى المطلع : « الغنا » .

(٤) فى المطبوعة : « فأزاله زحل » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) فى المطبوعة : « جليلة » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) كذا فى المطبوعة والمطلع . وأهمل النقط فى : ج ، ك .

(٧) فى الأصول : « أبى الحسين » . والصواب ما أثبتنا من المطلع ، والمقصود أبو الطيب المتنبى . واسمه : أحمد ابن الحسين .

وقد جاء التعبير عنه بابن الحسين ، فى قول أبى محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسى :

لَئنْ جادَ شعرُ ابن الحُسين فإنَّما تُجيدُ العَطايا واللُّها تَفْتحُ اللُّها

راجع وفيات الأعيان ١ / ١١٥ [ترجمة المتنبى] .

وبيت المتنبى فى ديوانه ٤ / ١٣٤ ، مطلع قصيدة ، يمدح بها كافورا .

[1]وذَكَرَ سيِّدى المَشِيب ، فَوارَدَ المملوكَ[1] على معنًى كان نظَمه قديمًا ، وهو :

قَـدْ بـانَ عَصْرُ شَرابِـى ... مُـذ بـانَ عَصرُ شَبابِـى[2]

وقـد جُـدِدْتُ بشَيْـبِ ... والشَّيْبُ سَوْطُ عَـذابِ

فأمَّا ما ذكَر مولانا مِن الشَّوق ، فهو[3] يُعْرِبُ[4] عن شرحِ حالِ العَبد مِن بَعدِه ، ويُبرهِنُ عن[5] صَبٍّ يقول مِن حُرَقه ودَمعِه علَى بُعدِه :

فى العَينِ ماءٌ وفى القَلْبِ لَهيبُ لَظًى ... وقد تَخوَّفتُ فى الحالَيْنِ مِن تَلَفِى

كالعُودِ يَقطُرُ والنِّيرانُ تَحْرِقُهُ ... كالماءِ فى طَرَفٍ والنارِ فى طَرَفِ

وأمّا ذِكْرُه زمانَ أُنسِه ، والأوقاتِ التى يَفْدِى العَبدُ دَسْتَ سُرورِها بنَفْسِه ، فهو عندى الزّمانُ الذى ابتسم فيه السُّرور ، والمُنْيَةُ التى كان الخَصِيب[6] على مثل عيشِها الأخضَر يَدُور .

وذَكَر مولانا الغُرْبة ، فكان مولانا بمصر هو[7] الغَريبَ العَزيز ، وشيخَ العلوم الذى ابتسمت به ثُغورُ مصر حين[8] بلَغت به سِنّ التمييز ، وما كان الغَرِيبُ فيها إلّا عِلْمَه ، ولا المُناسبُ لارتقاء المناصِب إلّا حِلْمَه ، ولا المُرسِلُ لأغراض المَعالِى وقلبِ المُعادِى

(١ـ١) مكان هذا فى المطلع : « ووجدت سيدى قد أورد المملوك » .

(٢) فى المطبوعة :

قد بان عصر مسراقى ... مذ بان عصر شرخ شبابى .

وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) فى المطبوعة : « فهل » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى المطبوعة ، ك : « يعزب » . وفى : ج : « يغرب » ، وأثبتنا ما فى المطلع ، ولم ترد « عن » فى المطبوعة . وأثبتناها من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) فى المطبوعة : « على » ، والمثبت من : ج ، ك . والذى فى المطلع : « ويبرهن بحرقته ودمعه على بعده » .

(٦) انظر شرح « الخصيب والمنية » فى صفحة ٣٢٣ .

(٧) فى المطبوعة : « وهو » . وأسقطنا الواو ، كما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٨) فى المطبوعة : « حتى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

إلّا سَهْمَه ، ولا المُؤثِّر فى قلوبِ أهلِها إلّا حُبَّه ، ولا المُلائمُ لكلِّ ذى عَقلٍ بعيدٍ من الخطأ إلّا قُرْبَه .

وأمّا ما ذكَره[1] عن العَبد من الإهمال ، واشتغالِه عن مَوالِيه مع فراغِه من الأشغال ، فأنا هُنالِك ولكنى مع ذلك :

أغيبُ عنك بوُدٍّ ما يُغَيِّـرُهُ نأْىُ المَحَلِّ ولا صَرْفٌ مِن الزَّمَنِ

فواللّه ما تباعدتُ إعراضا ، ولا تَبدَّلتُ مُعتاضا .

وما كان صَدِّى عن حِماك مَلَالَةً ولا ذلك الإحجامُ إلّا تَهيُّبا[2]

واهتديت للمصباح الذى اقتبسه [سَيِّدى][3] من الآية ، وتأمَّلتهُ[4] فإذا فيه من الاكتفاء تنبيهٌ وكِفاية ، وأحببت المقطوعَ الموصولَ الحَسَنَ[5] المطبوع ، فقلت :

يا أيُّهَا البحرُ الذى هو عُدَّةٌ لِخُطُوبِ دَهْرٍ لا يُطاقُ عَدِيدُها

ما ضَرَّ ذاتِى كلُّ ما اتَّصفتْ بِهِ إن كنتَ مَعْ تلك الصِّفاتِ تُرِيدُها

مع عِلمه بانقطاعِ مقطُوعه عن مولانا ، وأنّ[6] ذلك المقطوعَ وصَل إلى مَدًى ما أجدَرَنا بالوقوفِ دونَه وأولانا ، وأنّ ذلك التَّضمينَ يَمِينٌ[7] ، وأنَّ القَرائحَ لا تُبْرِز مِثلَه مِن كَمِين ، وأنَّ الحاسدَ له إذا توقَّد غيظًا كانُونُ صَدْرِه فهو بذلك قَمِين .

هذا مع ما فيه مِن حِلم سيِّدى وإغضائه ، وكرمِه[8] الذى تَشهدُ به من العبد سائرُ

---

(١) فى المطبوعة : « ما ذكر » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) فى المطبوعة : « حماك ملالا » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع ، وقد ورد البيت فى المطبوعة منثورا .

(٣) زيادة من المطبوعة ، والمطلع ، على ما فى : ج ، ك .

(٤) فى المطبوعة : « وتأملت » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) فى المطلع : « بالحسن » .

(٦) فى المطلع : « وأنه وصل إلى مدى ... » .

(٧) كذا فى المطبوعة ، ولم ينقط فى : ج ، ك ، سوى النون الأخيرة ، وأهمل النقط فى المطلع . ولعله : « ثمين » .

(٨) فى المطلع : « وكرم سجاياه التى ... » .

أعضائِه ، وصَحيحِ الوُدّ الذى يُعامِل به عبيدَه على عِلّاتهم ، وتَغافُله[1] عنهم ، عملًا بقوله ﷺ : « دَعُوا النَّاسَ فِى غَفَلَاتِهِمْ » .

ووصلتُ إلى ما طَرَّزه[2] القلم على ذلك الرَّسْم ، فوقَف العبدُ عندَ حَدِّه ، ورأى من ذلك المنطوقِ[3] القولَ الشارِحَ لصدقِ وُدِّه .

ثم ناديتُ بما أسندَه من حقيقةِ المحبَّة ، وبَيَّنه من آدابِ الصُّحْبة ، فحفظ اللهُ عيش عهدِه الخضِرِ على يأسِ الهَوَى[4] ورَجائه ، ومحبَّته التى لا تتغيّر وإن زاد المملوكُ فى جَفائه .

وتأمَّلتُ بالعَين ذلك الأثَر ، وأسمعتُ أذُنى منه [فى قراءتِه][5] أطيبَ الخَبر ، وجَرى الفهمُ لِما أشار حين وقف عليه ، وتيقَّظ لِما أومَى[6] إليه ، وحلَلتُ رُموزَه ، واستثرت كنوزَه .

فأمّا ما حكم به الشيخُ الإمام[7] عليه ، فهو اللائقُ بتحقيقِه ، والقولُ الذى تتوفر دَواعِى العارفين بمَقاصِدِ الشَّرع على تصديقه .

وأمّا ما ذكَره سيِّدى على قولِ الخياط[8] وفَضَّله ، وسَوّاه من الكلام قاضِى ذهنِه وعَدَّله ، فهو كلامٌ محرَّر ، وسُكَّرٌ مُكَرَّر ، وسَيفٌ بدُرٍّ[9] لفظِه مُجَوْهَر ، إلّا أنّ

---

(١) فى المطبوعة : « وتغافل » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى المطبوعة : « إلى مطرزة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .
(٣) فى المطلع : « المنطق » .
(٤) فى المطبوعة : « الهدى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . وسبق هذا فى شعر الخياط . راجع صفحة ٣٢٥ .
(٥) لم يرد فى المطلع .
(٦) فى المطلع : « أومى فى قراءته إليه » . وانظر التعليق السابق .
(٧) فى المطلع : « الإمام رحمة الله عليه » .
(٨) انظر ما سبق قريبا .
(٩) فى المطلع : « نبت » .

المملوكَ رأى نفسَه عند استشهادِه[1] ببيت الخَيّاط شاعِرًا بوَصْلِه ، وأديبًا إذا حاز الأدباءُ خَصْلَ[2] السَّبْقِ لم يَحُزْ مِن الفَضلِ خصْلَة .

وكأنّ الخَيّاطَ فَصَّل تفاصيلَ حالِ البُعْد فى بيتِه بالخَيْط والإِبْرَة ، وقَصَّها بعد أن قاسَها على حالِه فما نَقَصت ذَرَّة .

ثم توجَّه المملوكُ إلى ما ذَكر عن مالِك ، وسَلكتُ[3] فى تلك المَسالك ، فإذا مدارِسُ عُلوم ، ومَدارِكُ فُهُوم ، وأبحاثٌ مُنقَّحة ، وجَنَّاتٌ أبوابُها مُفتَّحة .

وفهمتُ ما أشار إليه بذلك المَنقُولِ عن مالك ، فلا حَرَج على مَن تَكلَّم ، ولا يعجِزُ المملوكُ أن يكون كأبى ضَمْضَم[4] .

وأمّا ما عندَ سيِّدى للعَبد من الارتياح ، والتَّطلُّعِ لأخبارِه [السَّارَّة][5] فى الغُدُوّ والرَّواح ، فحالُ العبدِ غيرُ مُنتَقِلة عن هذه الحال ، ولا يأويه إلَّا إلى[6] بابه الارتحال .

بَعُدْتُ فواشَوْقاهُ عن أبيضِ الثَّنـا وغِبْتُ فوالَهْفاهُ عن أخضَرِ القنـا[7]
أَشِعْ مَدْحَه العالِى وذَرْنِىَ والعِدَى وبُحْ باسمِه الغالِى ودَعْنِى مِن الكُنَا[8]

فمتى تُرَدُّ إلى العَبد رُوحُه وتُعاد ، ويَحكُم قاضى القُرْب بنَقْض ما حَكم به قاضى البِعاد ؟

---

(١) فى المطلع : « استشهاد مولانا » .
(٢) فى المطبوعة : « قصب » . وفى : ج : « خضل » ، والمثبت من : ك . والخصل فى النضال : أن يقع السهم بلزق القرطاس . والكلام مضطرب فى المطلع .
(٣) فى المطلع : « وسلك » .
(٤) انظر: الجزء العاشر ١١٥ وحاشيتها، وانظر : الإصابة ٧/٢٢٧، وإحياء علوم الدين ٣/١٥٠، والنهاية ٣/ ٢٠٩ ، والاستيعاب ١٦٩٤ .
(٥) زيادة من المطلع .
(٦) فى المطلع : « إلا إلى أعتابه الترحال » .
(٧) فى المطبوعة : « فيا شوقاه ... ويالهفاه » والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع ، وفيه : « أبيض السنا » .
(٨) فى المطبوعة : « أسمع مدحه » . وفى : ج ، ك : « اتبع » بنقط التاء الفوقية بعد الألف ، فقط . وأثبتنا الصواب من المطلع ، وفيه : « وذرنى من العدى » .

● وأمّا ما عَرَّض به مِن حكاية القاضى واللّصّ ، فما على[1] ذلك بمعرفة إسنادها ، فإنها عندَ المملوكِ بغير إسناد ، وعَرض للمملوك سؤالٌ ، وهو أنه : هل يجوز رِوايةُ ما يقع فى مُكاتبةٍ من إسناد حديثٍ أو غيرِه [2]من غير إذن[2] فى الرِّواية ؟ وهل يكون ذلك كالوِجادة[3] ؟

وكان غَرَضُ سيِّدى منها أن يخاطِبَ المملوكَ بما خاطب به القاضى اللصَّ من تلك العبارة ، ويُومِئ إلى ما تُعانِيه الشُّعراءُ مِن السَّرقات[4] بألطفِ إشارة ، والمملوكُ مغالِطٌ فى فهم ذلك بحِسّه ، غيرُ آخذٍ ذلك المعنى لنفسِه ، وممّا يُعجِبُ المملوكَ من أبيات اللصِّ قولُه :

قالَتْ وقد رابَها عُدْمِى ثَكِلتُكَ مِن ... راضٍ بنَزْرِ مَعاشٍ فيهِ تَكْدِيرُ[5]
مَهْلًا سُلَيْمَى سيَنْفِى العارَ عن هِمَمِى ... هَمٌّ وعَزْمٌ وإدلاجٌ وتَشمِيرُ
ماذا أؤمِّل مِن عِلْمٍ ومِن أدبٍ ... مَعْ مَعْشَرٍ كُلُّهُم حَولَ الندى عُورُ[6]

ولقد أحسن القاضى حينَ صرَف اللِّصَّ بعدَ اطّلاعه على فضيلتِه مُكرَّما ، وحَلَّله مِن ثِيابه بعد أن صيّره بتجريدِه مِنها محرَّما .

وأمّا غَيْرةُ سيِّدى على بناتِ فِكره الذى دَقَّ بابَ البلاغة إذ دَقّ ، وتخوُّفُه عليها من المملوك ، ولسانُ حالِى يتلو : ﴿ مَالَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقّ ﴾[7] فخوفُ سيِّدى على كلامِه

(١) هكذا فى الأصول . وفى المطلع : « فما غلا » .
(٢) مكان هذا فى المطلع : « إذنا » .
(٣) الوجادة ، بكسر الواو ، فى اصطلاح المحدثين : اسم لما أخذ من العلم من صحيفة ، من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة . وهو مولد غير مسموع . تاج العروس (وجد) .
(٤) فى المطلع : « الإتيان » .
(٥) فى المطبوعة : « رابها عرف » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع ، وفيه : « راض ببرض » . والأبيات فى : طراز المجالس ١٩٩ .
(٦) فى المطبوعة : « غرر » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٧) سورة هود ٧٩ .

المحرَّر خَوْفُ ابن بُرْدٍ[1] مِن سَلْمٍ ، علَى مُبتكراتِه ، أو السَّرِىّ من الخالِديّيْن[2] على اختلاس معانيه من أبياتِه ، فلله دَرُّ السَّرِىّ حيث يقول ، متظلِّمًا منهما[3] :

شَنَّا علَى الآدابِ أقبحَ غارةٍ ... جَرَحتْ قُلوبَ مَحاسِنِ الآدابِ
تركَتْ غرائبَ مَنْطِقِى فى غُرْبةٍ ... مَسْبيّةٍ لا تَهْتَدِى لإِيابِ
جَرْحَي وما ضُرِبَتْ بحَدِّ مُهنَّدٍ ... أَسْرَى وما حُمِلَت على الأقْتابِ
إن عَزَّ موجودُ الكلامِ لَدَيهما ... فأنا الذى وَقَف الكلامُ ببابى[4]

وأمّا ما ذكره عن مِصر ، فى فصل التَّشوُّقِ على [سبيل][5] الإدماج ، وإرسالُه[6] ذلك السَّيلَ الذى طَما تَيّارُه إذْ ماج ، فأثار تُرابَها وطَيّر ذُبابَها ، فهى ذات الغُبارِ الذى لا يُلْحَق ، والذُّباب الأسود الذى يُقاسِى منه فى النهار الأبيض العدُوُّ الأزرق :

أَحَبَّـهُ قومُـه علَـى شَوَهٍ ... أُمُّ القَرَنْبَى تخالُها حَسَنَـهْ[7]

---

(1) فى الأصول : « مرد » بالميم وهو خطأ وأهمل النقط فى المطلع ، ولم يرد فيه قوله : « من سلم » . والمراد : بشار بن برد . وسلم : هو سلم بن عمرو بن حماد ، المعروف بسلم الخاسر . ذكر صاحب الأغانى أن سلما كان تلميذ بشار وراويته ، وأنه من بحره اغترف ، وعلى نمطه ومذهبه قال الشعر . ومن أبرز ما تذكره كتب الأدب والنقد دليلا على تأثر سلم بشارا قوله :

مَن راقَبَ الناسَ مات غَمًّا ... وفـاز باللَّـذّة الـجَسُورُ

ذكروا أنه أخذه من قول بشار :

مَن راقَبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتِهِ ... وفاز بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

راجع ديوان سلم ، ضمن كتاب « شعراء عباسيون » ٨١ ، ١٠٤ .

(2) الخالديان : هما أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم . ومن أشهر ما عرف عنهما مهاجاة السرى الرفاء لهما ، وادعاؤه عليهما سرقة أشعاره . راجع مقدمة الأشباه والنظائر ، للخالديين صفحة (ج) . ويتيمة الدهر ٢ / ١٤٢ ، ١٨٤ .

(3) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، من قصيدة طويلة .

(4) رواية الديوان : « الكلام عليهما » . ولم يرد هذا البيت فى المطلع .

(5) ليس فى المطلع .

(6) فى المطلع : « وسلوك » .

(7) جاء هذا البيت فى المطبوعة منثورا . وفيها : « أم العرسا » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، وإن رسمت الكلمة فيهما بالألف . وفى اللسان عن الأصمعى : أن القرنبى « دويبة شبه الخنفساء ، أو أعظم منها شيئا ، طويلة الرجل » . وفى المثل : « القرنبى فى عين أمها حسنة » . مجمع الأمثال ٢ / ٩٧ وانظر أيضا الدرة الفاخرة ٢ / ٣٧١ ، والحيوان ١ / ٢٣٨ . ولم يرد صدر البيت فى المطلع .

وأمّا المملوكُ فالبَلدانِ عنده هُما ماهُما ، ومدينتان لم يبقَ فى الأمصار سِواهُما ، ووادِيان :

حلَلتُ بهذا حَلّةً ثم حَلّةً بهذا وطابَ الوادِيانِ كِلاهُما[1]

فهو يُصافِيهما ويُوافيهما ، ويعاملُ كلًّا منهما بالحُسنَى ، وتُكرَم مِصرُ لوجهها الوَسيم ، ودِمَشقُ لشرفها الأعلى ومَقامِها الأسنى .

ويُصبِح ثانيًا لِعنان التفضيل بين البلدين مِن أوّل وَهْلة ، تارِكًا للتفصيل[2] بالجملة ، ولا يستنجد مِن حلاوة نِيل مِصر بأجنادٍ مِن العَسَل ، ولا يُحرِّك[3] مِن عيدان قَصَبِها ما يقومُ مَقام الأسَل .

ولا يتعرَّضُ لدمشقَ إلّا بما يُرضيها ، ولا يُجرِّد فى عيوبِها[4] سيوفَه ولا ينتَضِيها ، ولا يُومِىءُ إليها على سبيلِ الذَّمّ عيون كلامِه برَمْزِه ، ولا يُبرِز مِن مَرماه[5] أقوالَه إلى مَقامِها بَرْزَة ، لكن يقول : سقَى اللهُ دمشقَ سحابًا ، تقومُ صُحونُ ديارِها لأخلافِه[6] إذا تحلّبت مَقامَ القَعْب ، ويُصبِح كفُّ الثُّرَيّا لها بمائها[7] أسْمَحَ من كَعب[8] .

وذكر سيِّدى الشامَ وسحابَها ، وشُمُولَ المطرِ رِحابَها ، فقد نقل أنه عَمّ الأقطار ،

---

(١) البيت لكثيّر عَزّة . ديوانه ٣٦٣ ، مع اختلاف يسير .

(٢) فى : ج : « للتفضيل » ، والمثبت من : المطبوعة ، ك ، والمطلع .

(٣) فى المطبوعة : « يحركه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) كذا فى المطبوعة . وفى : ك : « عينها » . وبهذا الرسم فى : ج ، من غير نقط . وفى المطلع : « من أعينها السيوف » .

(٥) فى المطلع : « من رماة أقوالها » .

(٦) فى المطبوعة : « لاحلابه » . وفى : ج ، ك : « لاحلافه » . وأثبتنا الصواب من المطلع . والأخلاف : جمع الخلف ، بكسر الخاء – وهو من ذوات الخف : كالثدى للإنسان . والكلام هنا على التشبيه .

(٧) فى المطبوعة : « الربا لها بمسائها » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع ، لكن لم يرد فيه : « لها » .

(٨) هو كعب بن مامة . يضرب به المثل فى الجود . وسبق له ذكر فى صفحة ٣٣٨ .

وغَرَّق صحنَ جامِعها القَطْرُ من الأمطار[1] ، [2][واتَّشحت العَروسُ مِن دَرِّ البَرَدِ بوِشاح ، وكاد النَّسرُ أن يطيرَ إلى مكانٍ يعصِمُه من الماء ، وكيف يطيرُ مَبلُولُ الجَناح][2] حتى أصبح طُوفانُ الماء به وهُو متلاطِم ، وتلا كلُّ قارئٍ فيه ، حتى[3] رَوى ماؤه عن ابن كثير ، فلم يُجْدِ نافِعٌ[4] ولا عاصِم .

وتوالَتْ[5] على طُرق المصلِّين المياهُ والأوحال ، وسالت[6] الشَّرائعُ فشُرِع للمؤذِّنين أن يقولوا : « أَلَا صَلُّوا فى الرِّحال » .

فعَظُم لنزُولِ السَّماء على الأرضِ [بِلا كَيْلٍ][7] الفَرَق ، وجَرى[8] طُوفانُ المياه إلى الجامع ، فكاد أن يُلْجِمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَق[9] ، وأصبح كافُوريّ[10] الثَّلج من الأرض وهو مُتدانِى ، ونَدَف[11] قوسُ السَّحابِ قُطْنَه على جَنَّة الزَّبَدانِى .

ورأى الناسُ فى يومِه الأبيضِ الموتَ الأحمر ، وشابَ منه فى الساعة[12] شارِبُ الرَّوض الأخضر .

---

(١) فى المطبوعة : « الأقطار » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) ما بين الحاصرتين ليس فى المطلع .

(٣) فى المطلع : « حين » .

(٤) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك ، والمطلع : « نافعا لا عاصم » .

(٥) فى المطبوعة : « وتولت » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) فى المطلع : « وظهرت فيه » .

(٧) زيادة من المطلع .

(٨) الذى فى المطلع : « وكاد حين انهل على الجامع أن يلجم ... » .

(٩) هذا من قول العباس رضى الله عنه ، من قصيدته التى يمدح بها النبى ﷺ :

بل نُطْفةٌ تركبُ السَّفينَ وقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَه الغَـرَقُ

النهاية ٥ / ٤٧ (نسر) . أمالى ابن الشجرى ٢ / ٣٣٧ .

(١٠) فى المطبوعة : « كافور » ، والمثبت من : ج ، ك . وفى المطلع : « وأصبح ثلجه الكافورى من الأرض متدانى » .

(١١) فى المطبوعة : « وقذف السحاب » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(١٢) فى المطبوعة : « الساعات » ،وفى المطلع : « ساعة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

وبَيَّضَ لرؤوس الجبالِ فَوْدا ، ولَبَّس مَسالِكَها ، فكأنّ فِضَّتَها النُّقْرةَ[١] ببياضها سَوْدا .

وألبَس ذَوائبَ أشجارِها حُلَّةَ المَشِيب ، وسَتَر[٢] بُردَ بستانِها الأخضر القَشِيب[٣] .

وحَمل بكَتيبتِهِ البيضاء على كتيبته[٤] الخضراء ، وجارَى الأعْوَج جَرْىَ سَكاب[٥] دانِيه[٦] على الغَبراء .

وعادَت قُلّةُ [كُلِّ][٧] جَبَلٍ منه وهى ثَلْجِيّة ، وكاد نهارُه يستُر ببياضٍ[٨] ثوبِه الدُّرِّىّ سَوادَ حُلّةِ الليلِ السَّجِيّة .

ومال ماءُ السَّحاب على الضِّياع فتداعَت حِيطانُها ، ونَزَح من لم يَقدِرْ على نَزْحِ المِياه مِن قُطّانِها .

وكاثَرَ مِياهُ أنهارِها بتلك[٩] المِياه ، وما استحَى مِنها على كثرةِ حَياه .

فقلتُ حين[١٠] بَلغَنا أنّ الماءَ طَغَى بالشام وعَتَا ، وطالَ بها على مَن حَلَّ فيها مَقامُ الشِّتا :

قَدْ طَوَّلَ البَـردُ فى إقامتِــهِ ... بالشامِ والنفْسُ عِندَها ضَجِرَهْ
وقلتُ إذْ شابَ مِنـهُ مَفرِقُــهُ ... بالثَّلْجِ يا بَرْدُ شاخَت العَشَرهْ[١١]

---

(١) فى المطبوعة : « قضتها البقرة » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع . والنقرة ، بضم النون : القطعة المذابة من الفضة .

(٢) فى المطلع : « وسلبها برد الشباب الأخضر » .

(٣) فى المطبوعة : « النسيب » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) فى المطلع : « كتيبتها » .

(٥) الأعوج ، وسكاب : فرسان معروفان .

(٦) فى المطبوعة : « دابته » . والنقط غير واضح فى : ج ، ك . وأثبتنا ما فى المطلع .

(٧) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والمطلع .

(٨) فى المطبوعة : « بياض » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٩) فى المطلع : « بذلك » .

(١٠) فى المطلع : « حين طغى الماء بالشام ... » .

(١١) ورد صدر البيت فى المطبوعة : « إذا شاب منه مفرقه » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

وقلت :

الثَّلْجُ قَدْ جـاء على أشْهَبٍ وعَـمَّ بالبَلْقـا وَسِيـعَ الـفَضَا[1]
فارتاعَت الشّقْراءُ مِـن جِلَّـقٍ إذْ سَلَّ مِـن أبيضِهِ أبـيَضَا[2]

إلّا أنه جَبر[3] ذلك بألفِ نِعمة ، ونظرتْ[4] إلى الشام أمطارُه بعَينِ الرَّحمة :

وإنْ يكُنِ الفِعلُ الذى ساءَ واحِدًا فأفعالُه اللائِى سَرَرْن أُلـوفُ[5]

وأمّا قولُ سيِّدى إنه ما تعرَّض لِمصرَ بتعريضٍ فى كَلام ، واحتجَّ بما ذكره عن الشام ، ففَرْقٌ بين ما عِيبَت به مِصرُ ؛ مِن طِينٍ وتُراب ، وطَنِينِ[6] ذُباب ، وبين ما نُسِب إلى دِمَشق[7] ؛ مِن كافُورِ ثَلْجٍ وإيقاعِ[8] رَباب[9] ، لكنها تقولُ حينَ جَبَرها مِن حيثُ كَسَرها ، وشَرَّفها حين أمَرَّها على بالِه وذَكَرها :

لَئِن ساءَنِى أن نالَنِى بمَساءةٍ لقد سَرَّنى أنِّى خَطَرتُ ببالِهِ[10]

فهى تَقْنَع بأن رَفَع عنها جانِبَ تجافِيه ، ووصَفَها بوَصْفٍ فيه ما فيه .

ومما يذكُره [العبدُ][11] أنه لو نَصَب بين هذين المِصرَيْن المُنافَرَة ، وأقام سُوقَ المُفاخَرة ، لأنسَى بحَرْفِ الفَخارِ حَرْبَ الفِجار ، ولأبطَل حِجاجَ كلِّ واحدةٍ مِن حِجاج

---

(١) فى المطبوعة : « الثلج جاء » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى المطبوعة : « إذا سل » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع ، وفيه : « فى جلق » .
(٣) فى المطلع : « جبر تلك النقمة ... » .
(٤) فى المطلع : « ونظرت منه إلى ... » .
(٥) فى المطبوعة : « وأن يكون الفعل ... » وجاءالبيت فيها كلاما منثورا . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع . والبيت لأبى الطيب المتنبى . ديوانه ٢ / ٢٩٢ . وروايته : « فإن يكن » .
(٦) فى المطبوعة : « وطير وذباب » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(٧) فى المطبوعة : « الشام » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٨) فى المطلع : « وارتفاع » .
(٩) الرباب ، بفتح الباء : السحاب الأبيض .
(١٠) البيت لابن الدمينة . ديوانه ١٧ ، برواية :
لَئِنْ ساءَنِى أن نِلْتِنِى بمَساءةٍ لقَد سَرَّنى أنى خَطَرْتُ ببالِكِ
(١١) لم يرد فى المطلع .

الأخرى بما أبطَل ، ولأَثارَ بين النِّيلِ وأنهارِ دِمشقَ عندَ المُحارَبةِ غُبارَ القَسْطَل ، لكنْ ثَنى المملوكُ عن المُفاخَرة سَيْرَ العِنان وعِنانَ السَّير ، وألقى بيدِه إلى السِّلْم ، وتلا لسانُه : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[1] عالمًا أن المكابَرةَ مِن الصَّغير مع هُبوطِ قَدْرِه لا تَصْعَد ، وأنَّ سَحابَ العِناد جَهامٌ وإن أَبْرَقَ وأَرْعَد .

ثم انتهى المملوكُ لِما تَشرَّف به من خِلْعة الخَلَّة[2] ، والحُلَّةِ التى جَرّ ذيلَها على شاعِرِ الحِلّة[3] ، ووصلَتْ كثرةُ لَثمِهِ لتلك الأَلفاظِ إلى العَدَد الذى لا يُغلَب مِن قِلَّة .

ثم هيَّأ هذا الجوابَ بعدَ الاستقصاء لجُهدِه فى الشُّكر والاستيعاب ، والتَّمهيد[4] للفظِ إذا تمثَّل عندَ نَفْسِه ببابِ سيِّد علماءِ زَمانه لا يُعاب [5][آخِرُه . ولله الحمد والمِنَّة][5] .

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم[6] ، القَضائى التاجى المملوك إبراهيم القِيراطِىّ ، يُقبِّلُ الأرضَ ذاتَ الكَرَم ، والشَّرَفِ الذى عَلا على إرَم ، إن لم يكن أَرَم[7] ، والأنهارِ التى لِمائها رَونـقُ ماء الشباب ، فأنَّى يُفاخِرُ بالنِّيلِ إذا بلَغ[8] الهَرَم . والحِمَى الذى أنشد سلامُنا المكِّىُّ حين سار إليه :

* ما سِرْتُ مِن حَرَمٍ إلّا إلى حَرَم[9] *

---

(١) سورة النساء ١٢٨ .

(٢) الخلة ، بفتح الخاء ، وتضم : الصداقة .

(٣) يعنى صفى الدين الحلى ، الشاعر المعروف .

(٤) الاستيعاب والتمهيد : من كتب ابن عبد البرّ .

(٥) لم يرد هذا فى المطلع .

(٦) وردت هذه الرسالة فى ديوان القيراطى المسمى : « مطلع النيرين » الذى أشرنا إليه فى صفحة ٣٣٦ . وتقع الرسالة فى الورقة ٢٩ من المصورة .

وجاء فى صدر الرسالة من الديوان : « وكتب من مكة إلى قاضى القضاة تاج الدين السبكى ، بدمشق » .

(٧) يقال : أرم ما على المائدة : أكله فلم يدع شيئا . والكلام هنا على المجاز .

(٨) فى المطبوعة : « وفانى بمفاخر النيل » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، ومطلع النيرين .

(٩) فى المطبوعة : « من حرم وإلى حرم » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع ، وهو عجز بيت لعمارة اليمنى وصدره :

* فَهلْ دَرَى البيتُ أنِّى بعد فُرْقتِهِ *

ولم يرد فى ديوانه المنشور مع « النكت العصرية » وهو فى : خريدة القصر ٣ / ١١٣ (قسم شعراء الشام) .

فهى للوَفْدِ كَعْبَةٌ ومَطافٌ ومَقامٌ ومَوقِفٌ ومَثابُ[1]

مُهْدِيًا إلى تلك الأرضِ المقدَّسة تحيّاتِ هذه الأرض المُحَرَّمة ، مُبلِغًا لِبقاع الشام المُبارَكة سلامَ هذه المشاعرِ المُحتَرمة[2] ، مُعوِّذًا ذلك المَقامَ بهذا المَقام ، ومَناهلَ تلك المَشاربِ الصافية بماءِ زَمْزَم الذى هو طَعامُ طُعْمٍ[3] وشِفاءُ سَقام[4] .

رافِعًا دُعاءً يطوفُ بالبيت العَتيق جَدِيدُه ، ويَأوِى إلى رُكْنِه الشَّدِيد سَدِيدُه[5] .

وتُسْقَى بماءِ زَمْزَمَ غُرُوسُه ، وتُرَوَّقُ على يدِ العبدِ فى المَقام كُؤوسُه ، وتُشْرِق فيه شُموعُه بل شُموسُه .

ويتأرَّجُ بحَضْرتِه زُهورُه ، ويَشِيعُ فى بُطونِ تلك الأوديةِ المُشرَّفة[6] ظُهورُه .

ويَكفُلُ البيتُ وَلِيدَه فى حِجره إلى أن يبلُغَ نهايةَ السُّعُود ، ويكونُ له من البيت [7][المَحجُوج إلى البيت المعمُور][7] على دَرَج الإجابة صُعُود ، ويَفُوحُ عَرْفُ قَلمٍ مُسَطِّره[8] ويحلُو ويُطْرِب ، فهو فى أحوالِه الثلاثة عُود .

محوِّطًا[9] ركنَها الشامِىَّ بالرُّكن اليَمانِى ، وجهاتِها السِّتّ بالمَحَلّ الذى أُنزلت به[10] فى إحدى المرَّتين السَّبعُ المَثانِى .

---

(١) فى المطبوعة : « فهى للرفد » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) فى المطبوعة : « المحرمة » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) الطعم هنا بضم الطاء ، وهو الأكل . والمعنى أن الإنسان يشبع إذا شرب ماء زمزم ، كما يشبع من الطعام . النهاية ٣ / ١٢٥ .

(٤) المحفوظ : « سقم » . لكنه غيره ليتم له السجع . وراجع النهاية ، الموضع السابق .

(٥) فى المطبوعة : « شديده » بالشين المعجمة ، وأثبتناه بالمهملة من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) فى : ج ، ك : « المشرقة » بالقاف ، وأثبتناه بالفاء من المطبوعة ، والمطلع .

(٧) ليس فى المطلع .

(٨) فى المطبوعة : « سطره ويجلو » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٩) فى الأصول : « محوطات » ، وأثبتنا ما فى المطلع .

(١٠) فى المطلع : « فيه » .

مُواظِبًا على الثَّناء الأبيض عندَ الحَجَر الأسوَد ، ناظِرًا مِن شِيمةِ مالِكها البيضاء ما لم تَرَه الزَّرقاء(١) كلَّما اكتحَلَ مِن إثمِد حُلَّة البيتِ السَّوداء بمِرْوَد .

ويُنْهِي ما اشتملَ عليه مِن الوُدِّ بمكَّةَ والصَّفا ، والشَّوقِ الذى أصبح منه بَعْدَ شِفاءِ القُرْب علَى شَفا ، والدَّمعِ الذى شابَهَ النِّيلَ فى أوصافِه زِيادةً وحُمرةً ووَفا .

مُطالِعًا للأبوابِ(٢) العالية بأنه خَيَّم بِفِناءِ البيت ونَزَل ، وأحَبَّ(٣) جِوارَ الله اعتزالًا للناس ، ولا بِدْعَ لِجارِ اللهِ إذا اعتَزَل(٤) .

فلعلَّ أن تَتَمهَّدَ له فُرُشُ الجِنان عندَ تعلُّقِه بتلك الأستار ، وعسى أن يجِدَ بذلك البيتِ سَبَبًا لنَجاتِه فى تلك الدار ، وتَروجَ مع أهل الرِّبحِ بضاعةُ عملِه المُزْجاة إذا حصلَ أهلُ الخَسارةِ بدار البَوار .

ويُصبحَ مكانُه فى الجنة فى محلِّ رَفْعٍ إذا قُطِع العيشُ بجوار ذلك الحَرَم خَفْضًا(٥) على الجِوار .

ويُعَدَّ واصِلا بتدبير الله تعالى لكيمياء السعادة إذا ظَفِر بذلك الحَجَر المكرَّم ، ويصيرَ كلُّ زمانِه رَبِيعًا إذا حَلّ بذلك البيت المحرَّم .

ويُسفِرَ له من ذلك الأُفق صُبحُ الأمانِى ، ويُنشِد إذا ضرب عُنقَ شيطانِ هواه مِن تلك الأركان باليمانِى :

ألا أيُّها الرَّكبُ اليَمانُونَ عَرِّجُوا عَلَيْنا فقد أَضْحَى هَوانَا يمَانِيا(٦)

---

(١) هى زرقاء اليمامة التى يضرب بها المثل فى حدة النظر وجودة البصر .

(٢) فى المطلع : « الأبواب » .

(٣) فى الأصول : « واجب» ، وأثبتنا ما فى المطلع .

(٤) المراد بالمعنى الثانى فى التورية هنا : الإمام الزمخشرى . فقد جاور بمكة زمنا ، فلقب بجار الله ، وكان معتزلى المذهب ، على ما هو معروف فى ترجمته .

(٥) فى الأصول : « حفظا » ، وأثبتنا الصواب من المطلع . والقيراطى يستخدم مصطلحات نحوية . و « الخفض على الجوار » معروف عندهم . وتأمل قوله : « محل رفع » . و « قطع العيش » . وسيأتى نظير هذا التعبير فى رد السبكى .

(٦) البيت لمجنون بنى عامر ، من قصيدته « المؤنسة » . ديوانه ٢٩٦ ، وروايته : « فقد أمسى » .

واختار أن يكونَ فى مَظِنَّةِ الإجابة ؛ ليقومَ من[1] وَظيفةِ دُعائه بما التَزَم ، وأن يُواظِبَ على ذلك المُلْتَزَم فى المَقامِ وعلى ذلك المَقامِ فى المُلْتَزَم .

فسقَى اللهُ عهدَ مولانا الذى طالما تَرَنَّم به العبدُ حَولَ الحطِيم وزَمْزَم ، وقام واجِبُ قلبهِ مِن فَرْض ذِكْرِه بما يَلْزَم .

ومِمّا حَثَّ المملوكَ على هذه العُبوديّة أنه وجَد مولانا ذَكرَه من[2] كتابٍ ورد منه فى ناحية ، واستفهم عن حالِه فى حاشية رُقْعته ، ومَن المملوكُ فى الرُّقعة حتى يُعَدَّ فى الحاشية ؟

لقد نَطَق العَبدُ بالثَّناء عليه جَهْرا ، وشَدَّ قُدُومَه له ببَطْنِ مكّةَ ظَهْرا .

وشكَرت جَوارِحُه فضلَكَ الذى داوَى على البُعْد جَرِيحا ، وقَرِيحتُه بعَطفِك[3] الذى شَفَى[4] مِن البَيْن قَرِيحا ، ونَشَق البيتُ نَسِيمَ ثنائه ، وكيف لا يَنشَقُ لنَسيمِه رِيحا .

وقد بَلَغ الضُّراحَ وساكِنيهِ نَثاك وزارَ مَن سَكَن الضَّرِيحا[5]

وصاغ لسانُه شُكرَ ما تَطوَّق [به][6] جِيدُه مِن هذه النِّعمة[7] ، ولم يكن له لَعَمْرِى

---

(١) فى المطبوعة : « فى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) فى المطلع : « فى » .

(٣) فى المطبوعة : « لعطفك » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع . ولعل صوابه : « عطفك » بالنصب على المفعولية .

(٤) فى المطبوعة : « سقى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) جاء هذا البيت فى الأصول كلاما منثورا . وكتبناه شعرا من المطلع . وهو لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١ / ٢٦٩ . قال التبريزى : « الضراح : بيت فى السماء إزاء الكعبة ، تطوف به الملائكة ، وهو البيت المعمور ، فيما يقال ، والضريح : الذى يحفر فى وسط القبور » .

وجاء فى أصول الطبقات ، والمطلع : « ثناك » بتقديم الثاء على النون ، وأثبتنا ما فى شروح سقط الزند . قال البطليوسى : « والنثا مقصور ، نونه مقدمة قبل ثائه : الخبر المنتشر فى الناس ؛ حسنا كان أو قبيحا . يقال : نثوت الحديث ونثيته » .

(٦) لم يرد فى المطلع .

(٧) فى المطلع : « النعم » .

بذلك طَوْق ، وتَحلَّى مِن دُرِّ كَلامِه بما لا يعرِفه إلّا أهلُ السُّلوك ، ومِن شُهْده بما لم يَشهَدْه إلّا أربابُ الذَّوْق .

فأصبح المملوكُ حين ذُكِر فى الحاشيةِ مِن أهل الطَّرَب ، وأنشدَه[1] لِسانُه ، ولِقَلْبه فى وُرُودِ سَلامِ مولانا أىّ أَرَب :

رَضِيتُ بالكُتْبِ بَعْدَ البُعْدِ فانقطَعَتْ   حتَّى رَضِيتُ سَلامًا فى حَواشِيها[2]

إى واللهِ ، المملوكُ راضٍ مِن كُتُبِ مولانا بعدَ الهَجْرِ بوَصْل ، وقانِعٌ مِن كلامِه فى كُلِّ سَنَةٍ بفَصْل .

فشَكَر اللهُ ، لافتقادِ[3] مولانا ، هذه المِنَّة ، وهذا الفَضلَ الذى ليس لإطفائه نارَ الشَّوقِ جَزاءً إلّا الجَنَّة .

ولقد عَلِم المملوكُ حينَ وقَف على خَطِّ مولانا أنّ جَفْنَ صَدقاتِه لا تَطرُقه[4] عن مَماليكِه سِنَة ، وغَفَر سيِّئاتِ الزّمانِ حينَ لاحَ له بوجهِ الطِّرْس مِن نَقْطِهِ[5] حَسَنَةٌ بعدَ حَسنَة ، وإلّا فللمملوكِ عن رِسالة مولانا قبلَ أن يغيبَ عن مِصرَ جوابٌ حاضِر ، وهَشِيمُ نَبْتٍ يُغْضِى حَياءً إذا قابَل بالناظِر رَوضَها الناضِر ، فإنه كان أنشأ رِسالةً مطوَّلةً ، ولكنّها عن طائراتِ[6] كَلِمِ مولانا المحلِّقةِ مُقَصِّرة ، وجَهَّز مِن بَناتِ فِكرِه كلَّ حَوراءَ بطَرْفِ سِحرِ البَيانِ مُبْصِرَة ، وجَلاها عَرُوسًا يَعقِدُ عليها العادُّ[7] حين حَلَّت خِنْصَرَه ، وأبرزَها دُرَّةَ تاج ، وكعبةً لها مِن ذَخائرِ المعانِى رِتاج ، وكريمةً لها مِن كَرائمِ بَناتِ الفِكرِ نِتاج[8] . فعَزَمتْ

---

(١) فى الأصول : « وأيده » ، وأثبتنا ما فى المطلع .

(٢) البيت لعمارة اليمنى ، وهو فى ديوانه نسخة المنونى ، المحفوظة مصورتها بمعهد المخطوطات العربية دون رقم . ولم نجده فى شعره المنشور مع كتابه : النكت العصرية .

(٣) فى المطلع : « لمولانا افتقاد » .

(٤) فى المطلع : « لا يطرفه » .

(٥) فى المطبوعة : « يقظة » . والتصحيح من : ج ،ك ، والمطلع .

(٦) فى المطبوعة : « طائر » ، والمثبت من : ج ،ك ، والمطلع .

(٧) فى المطبوعة : « البعاد » ، وأثبتنا ما فى : ج ،ك ، والمطلع .

(٨) فى المطبوعة : « ساج » . والتصحيح من : ج ،ك ، والمطلع .

على التوجُّه فحِيلَ بينَها وبينَه بما[1] حِيل ، وتحرَّكَتْ نفسُها برُقْعتها للسَّير فحبسَها حابِسُ الفِيل[2] .

وأيضًا فكان المملوكُ ينشئ فيها وهو يتأهَّبُ للحَجّ ، وكلَّما ظَهر غَمْرُ[3] عَزمِه سَلَكَ شيطانُ شِعْرِه فجاء غيرَ ذلك الفَجّ ، فوَجَد المملوكُ على نَفسِه حين فَقَد مِن إرسالها ما فَقَد ، واجتهد فى إيصالِها للبلادِ الشاميّة فإذا الحُجّاجُ قد :

أَخذَتْ حُداتُهمُ حِجازًا بعدَما غَنَّت وراءَ الرَّكبِ فى عُشَّاقِ[4]

وإذا توجَّه العبدُ إن شاء اللهُ تعالى إلى الدِّيارِ المِصريّة وجَّه بها إلى الأبواب العالية ، وأنفذَها[5] وإن كانت عاطِلَةً لتُصبحَ إذا لَحظَهَا مولانا بالعينِ حالِية ، وكيف لا يُنفِذُها وهو كلّما تَذكَّر بُعدَه عن بانِه[6] أَنّ ، وكُلّما فكَّر فى قُرْبه مِنه فى الزَّمان السالِف حَنّ ، وكلَّما سأل سائِلُ دَمْعِهِ الزَّمانَ أن يجودَ باللِّقاء ضَنّ ، فهو بأَسْرِه مع البَيْنِ فى أَسْر ، وقَلبُه بالنَّوى فى كَسْر ، وكأَنّ طائرَ فُؤادِه المضطرِب إذا تذكَّر قُبَّةَ النَّسر :

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فأَضْحَتْ تُجاذِبُه وقَد عَلِقَ الجَنـاحُ[7]

فهو يذوبُ تلهُّفًا ويُنشِدُ تأسُّفًا :

أَسِرْبَ القَطَا هَلْ مِن مُعِيرٍ جَناحَهُ لعَلِّى إلى مَن قَدْ هَوِيتُ أَطِيرُ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « ما » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٢) هو فيل أبرهة الحبشى الذى جاء يقصد خراب الكعبة ، فحبس الله الفيل فلم يدخل الحرم ، ورد رأسه راجعا من حيث جاء . النهاية ١ / ٣٢٩ .

(٣) فى الأصول : « عمر » بالعين المهملة ، وأثبتناه بالغين المعجمة من المطلع . والمناسب فى تفسيره هنا أن يكون بفتح الغين بمعنى الفرس الجواد ؛ ليناسب « سلك » و « جاء » .

(٤) جاء هذا البيت فى الأصول كلاما منثورا ، متصلا بما قبله وبما بعده ، وكتبناه شعرا من المطلع . و « الحجاز » و « العشاق » مقامان معروفان من مقامات الأصوات .

(٥) فى المطبوعة : « ولو » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) كذا فى المطبوعة . وفى المطلع : « بابه » . وأهمل النقط فى : ج ، ك .

(٧) البيت لمجنون بنى عامر . ديوانه ٩٠ . وجاء فى مطبوعة الطبقات والمطلع : « غرها » ، بغين معجمة وراء مهملة – وهى رواية – وأثبتنا ما فى الديوان ، و : ج ، ك . ومعنى عزها : غلبها .

(٨) للمجنون أيضا . ديوانه ١٣٧ . وجاء فى مطبوعة الطبقات ، والمطلع : « مَن يعير » – وهى رواية – وأثبتنا رواية الديوان ، و : ج ، ك .

وكيف يطيرُ مَقصُوصُ الجنَاح ؟ ويَسيرُ أَسيرٌ أَثْخنَتْه فى مُعتَرَكِ البَيْن الجِراح ؟
طالَ ما شامَ بمصرَ بَرْقَ الشام ، وخَلَع فى حُبِّ جَنَّة[1] الزَّبَدانِيّ قَميصَ الاحتِشام ، وتَعطَّش إلى رَيّان رِياضها ، حَلّاها القَطْرُ[2] إذا عَطَّر[3] فى القَفْر[4] البَشام[5] ، وقال لأمانيِّه وقد حدَّثته برُؤيتها :

إن كُنْتِ كاذِبَةَ الذى حَدَّثتِنِى   فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هِشامِ[6]

وما زال المملوكُ يَتشوَّق إلى ما بِدِمشقَ من البِقاع ، ويُثْبِتُ مِن وَصْفِها المُحقَّق ما تَحْلَى به عند النَّسْخ الرِّقاع .
وما بَرِح فى هذه المُدّة تِجاهَ الكعبةِ المُشرَّفة يُعطِيها من كُنوزِ الدُّعاء بالحِجْر سَماحا ، ويُكرِّرُ أورادَه مِنها مَساءً وصَباحا ، ويُعَوِّذ بالحَجَر المُلْتَزَم[7] أحجارَها ، وبالمِيزاب فَوّارَها ، وبزَمْزَمَ أنهارَها ، وبالبيت دارَها ، [كما يُعوِّذُ][8] سَنِيرًا بثَبِير[9] .
ويُذْكِي بالدُّعاء له فى أُمّ القُرَى على أبى قُبَيس[10] القبس[11] المُنِير .
ويَودُّ لو رأى حُسْنَ مَعْهدِها ، ورقَص طَرَبًا حولَ مَغانِيها التى فاقَت المعانى بمَعْبَدِها ، فلله جامِعُها الذى جَمع الطَّلاوة ، وقلتُ حين أصبح للصَّلاة فى صَحْنِه حَلاوة :

---

(١) فى المطلع : « جبة » وفوق الجيم ضمة . وما فى أصول الطبقات تقدم نظيره قريبا .
(٢) فى المطبوعة : « العطر » . وأهمل النقط فى : ج ، ك ، وأثبتنا ما فى المطلع .
(٣) فى المطبوعة ، والمطلع : « عطل » . وأثبتنا ما فى : ج ، ك .
(٤) فى المطبوعة : « العقد » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٥) البشام : شجر طيب الريح والطعم .
(٦) البيت لحسان بن ثابت ، رضى الله عنه . ديوانه ١ / ٢٩ .
(٧) فى المطبوعة : « والملتزم » . وأسقطنا الواو ، كما فى : ج ، ك . وفى المطلع : « الحجر المكتوم » .
(٨) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، والمطلع .
(٩) فى المطبوعة : « ببير ثبير » . وفى : ج ، ك : « سترا ثبير » ، وأثبتنا ما فى المطلع . و « سنير » بفتح أوله وكسر ثانيه ، ثم ياء معجمة باثنتين من تحت : جبل بين حمص وبعلبك . معجم البلدان ٣ / ١٧٠ . و « ثبير » : جبل بمكة معروف .
(١٠) أبو قبيس : جبل مشرف على المسجد الحرام بمكة المكرمة .
(١١) فى المطلع : « القبض » .

الجامِعُ الأُمَوِىُّ أضْحَى حُسْنُـهُ حُسْنًا عليه فى البَرِيَّة أجْمَعـا
حَلُّوه إذْ حَلُّوهُ فانظُرْ صَحْنَـهُ تَلْقاه أصبحَ للحَـلاوَةِ مَجْمَعـا

وقلت :

سَقَى بِدِمَشْقَ الغَيثُ جامِعَ نُسْكِها ورَوْضًا به غَنَّى الحَمامُ المُغَرِّدُ
إذا ما زَهَا فى العَيْنِ مِن ذاك مَعْبَدٌ لِذِكْرٍ حَلا فى السَّمعِ مِن ذاكَ مَعْبَدُ

وقلت :

دِمَشْقُ فى الحُسْنِ لَها مَنْصِبٌ عالٍ وذِكْرٌ فى الوَرَى شائِـعُ
فخَلِّ مَـن قـاسَ بِهـا غَيرَهـا وقُـل لـه ذا الجامِـعُ المانِـعُ

وقلت مُضمِّنًا :

دِمَشْقُ بَوادِيها رِيــاضٌ نَواضِرٌ بِها يَنْجَلِى عن قَلْبِ ناظِرِها الهَمُّ
علَى نَفْسِه فلْيَبْكِ مَن ضاع عُمْرُه وليسَ لَهُ فِيها نَصِيبٌ ولا سَهْمُ

وقلتُ مادِحًا :

للصَّبِّ بَعدَك حالَةٌ لا تُعْجِبُ وتَتِيهُ مِن صَلَفٍ عَلَيه وتُعْجِبُ
أبكَيْتَـه ذَهبًـا صَبِيبًـا أحمرًا مِن عَيْنِه ويقولُ هذا المَطْلَبُ
وقَتلتَــهُ بنَواظِـرٍ أجفانُهــا بسُيوفِهـا الأمثـالُ فِيها تُضْرَبُ
رِفْقًا بمَنْ أجْرَيْتَ مُقْلَته دَمًـا ووَقفْتَ مِن جَرَيانِها تَتعـجَّبُ
نِيرانُ بُعدِكَ أحرقَتْهُ فهَـلْ إلى نَحـوِ الجِنـانِ بِبُعْـدِه يتَقـرَّبُ[1]
كَم جَيَّشَ العُذّالُ فِيك وإنَّما سُلطانُ حُسنِكَ جَيشُه لا يُغْلَبُ
مَن لِى بشَمْسِىِّ المحاسِنِ لم يَزَلْ عَقْلِى به فى كُلِّ وَقْتٍ يَذْهَبُ[2]
أحْبَبْتُــه مُتَعمِّمًــا ومُعَنِّفِــى أبـدًا علَـىَّ بظُلْمِـه يتَـعصَّبُ[3]

---

(١) فى المطبوعة : « لبعده » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى المطبوعة : « بشمس » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٣) فى المطبوعة : « أحببته متعثما » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

ويَعِيبُ مِن طُرُقِ التَّفقُّهِ وَجْهَهُ والعِشْقُ يُفْتِى أنَّ ذاكَ المَذْهَبُ
ولقد تَعِبتُ بعاذِلٍ ومُراقِبٍ هذا يُزَيِّرُ والرَّقيبُ يُنَقِّبُ[1]
ومُؤَذِّنا سُلوانِهِ وغَرامِهِ هذا يُرَجِّعُ حيثُ ذاكَ يُثَوِّبُ
وأقولُ للقَلْبِ الذى لا يَنْتَهِى عَن حُبِّهِ أبدًا ولا يَتجنَّبُ
قد كِدتَ أنَّك لا تُسمِّيكَ الوَرَى قَلْبًا لِكونِك عنه لا تَتقلَّبُ[2]
ولو استطعتُ فَرَكْتُه وأدَرْتُهُ عنهُ ولكنْ ما لِقَلْبِىَ لَوْلَبُ
بِأبِى غَنِىٌّ مَلاحَةٍ أشكُو لَهُ فَقْرِى فيُصْبِحُ بالغِنَى يَتطرَّبُ
قَمَرٌ علَى غُصْنٍ وغُصْنٌ فوقَهُ قَمرٌ علَى طُولِ المَدَى لا يَغْرُبُ
قُل للغَزالِ وللغَزالَةِ إن رَنَا أو لاحَ يَهْرُبُ ذا وتِلْك تَغَيَّبُ
ما زِلتُ أرفَعُ قِصَّةَ الشَّكْوَى لَهُ وأجُرُّ أسبابَ الخِداعِ وأَنْصِبُ
حيثُ العَواذِلُ والرَّقِيبُ بمَعْزِلٍ عنَّا وحيثُ الوَقْتُ وَقْتٌ طَيِّبُ
وطلَبتُ رَشْفَ الثَّغْرِ مِنه فقال لِى ما فى الوُجودِ سِوَى المُدامةِ يُطْلَبُ
وغَدا يُنادِمُنِى وكأسُ حَديثِه أشْهَى إلَىَّ مِن العَتِيقِ وأطْيَبُ[3]
وأقولُ حينَ رشَفْتُ صافِىَ ثَغْرِهِ مِن بَعْدِ ثَغْرِكَ ما صَفا لِى مَشْرَبُ
قال احسُبِ القُبَلَ التى قَبَّلتَنِى فأجبتُ إنَّا أُمَّةٌ لا نَحْسُبُ[4]
لِلّهِ لَيلٌ كالنَّهارِ قَطعْتُهُ بالوَصْلِ لا أخْشَى به ما يُرْهَبُ

---

(١) فى المطبوعة : « هذا يزيف » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى المطبوعة : « أنك لا تميل إلى الورى ... قلنا .. » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(٣) فى المطبوعة : « من العقيق » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٤) يشير إلى قوله ﷺ : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب .... » الحديث . راجع صحيح البخارى (باب قول النبى ﷺ : لا نكتب ولا نحسب . من كتاب الصوم) ٣ / ٣٥ .

وركِبتُ منه إلى التَّصابِى أدْهَمًا — مِن قَبْل أن يَبْدُو لِصُبْحٍ أشْهَبُ[1]
أيّامَ لا مـاءُ الخُـدُودِ يَشُوبُـهُ — كَدَرُ العِذارِ ولا عِذارِى أشْيَبُ[2]
كم فى مَجالِ اللَّهْوِ لِى مِن جَوْلَةٍ — أضْحَتْ تُرَقِّصُ بالسَّماعِ وتُطْرِبُ
ولَكَم أتيتُ الحَىَّ أطلبُ غِرَّةً — بَعدَ الرَّحِيلِ فلم يَلُحْ لِىَ مَضْرَبُ[3]
ووقفتُ فى رَسْمِ الدِّيارِ وللبُكا — رَسْمٌ علَـىَّ مُقَـرَّرٌ ومُـرتَّبُ[4]
وأقمتُ للنُّدماءِ سُوقَ خَلاعَـةٍ — يُجْبَى المُجُونُ إلَىَّ فِيه ويُجْلَبُ
ثم انتبَهْتُ وصُبْحُ شَيْبِى قَد مَحا — ليلَ الشَّبابِ وزالَ ذاك الغَيْهَبُ[5]
ورَجعْتُ عن طُرُقِ الغِوايةِ مُقْلِعًا — وسَفِينُ رُشْدِى للسَّلامةِ مَرْكبُ
وذَكرتُ فى عُلْيا دِمَشْقٍ مَعْشَرًا — أُمُّ الزَّمانِ بمِثْلِهم لا تُنْـجِبُ
قَومٌ بحُسْنِ فِعالِهم وصِفاتِهِـمْ — قد جاء يَعتذِرُ الزَّمانُ المُذْنِبُ
قَومٌ مَدِيحُهُمُ المُصَدَّقُ فى الوَرَى — ومَدِيحُ أهلِ زَمانِهم فمُكَذَّبُ[6]
لا تُسأَلُ القُصَّادُ عن نادِيهِـمُ — لكـن يَدُلُّهـمُ الثَّنـاءُ الطَّـيِّبُ
يا مَن لِحَرَّانِ الفُؤادِ لطَرْفِـهِ — لَمَّـا تَـدَمْشَقَ أدْمُعٌ تَتحـلَّبُ[7]
أشتاقُ فى وادِى دِمَشْقٍ مَعْهدًا — كُلُّ الجَمالِ إلى حِماهُ يُنْسَبُ
ما فِيهِ إلّا رَوضَةٌ أو جَوْسَقٌ — أو جَدْوَلٌ أو بُلْبُلٌ أو رَبْرَبُ[8]

---

(١) فى المطبوعة : « التصابى أحمسا » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع . وفى المطبوعة : « يبدو للصبح » . وفى : ج ، ك : « يبدو واصبح » ، وأثبتنا ما فى المطلع .
(٢) فى المطبوعة : « كذب » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(٣) فى المطبوعة : « أطلب غيره » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(٤) فى المطبوعة : « ولى البكا » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٥) فى المطبوعة : « ثم انتهيت » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .
(٦) فى المطبوعة : « المصدر فى الورى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٧) فى : ج ، ك : « يا من بحران » ، والمثبت من المطبوعة ، والمطلع . وفى المطبوعة : « لطوفة لها بدمشق » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .
(٨) فى المطبوعة : « زيرب » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع . والربرب : القطيع من بقر الوحش . والجوسق : القصر ، وهو الحصن أيضا .

وكأنّ ذاكَ النَّهرَ فِيه مِعْصَمٌ | بيَدِ النَّسيمِ مُنَقَّشٌ ومُكَتَّبُ
وإذا تَكسَّرَ ماؤُه أبصرْتَهُ | فى الحالِ بين رِياضِه يتشعَّبُ
وشَدَتْ علَى العِيدانِ وُرْقٌ أطْرَبَتْ | بغِنائها مَن غابَ عنه المُطْرِبُ[1]
فالوُرْقُ تَشدُو والنَّسِيمُ مُشبِّبٌ | والنَّهرُ يَسْقِى والحدائقُ تَشْرَبُ[2]
وضِياعُها ضاع النَّسِيمُ بها فكَمْ | أضْحَى له مِن بَيْننا مُتطلِّبُ
وَحَلتْ بقَلْبِى مِن عسال جَنَّةٌ | فيها لأربابِ الخَلاعةِ مَلْعبُ[3]
ولَكَمْ طَرِبتُ علَى السَّماعِ لِجَنْكِها | وغَدا برَبْوتِها اللِّسانُ يُشبِّبُ[4]
فمتَى أزورُ معَالِمًا أبوابُها | بسَماحِها كُتُبُ الكِرامِ تُبَوَّبُ
وأرَى حِمَى قاضِى القُضاةِ فإنَّهُ | حِصْنٌ إليه مِن الزَّمانِ المَهْرَبُ
ما زالَ للعُلماءِ فِيه تَعَلُّمٌ | مِنْه وللأُدَباءِ فيه تَأَدُّبُ
كَمْ طالِبٍ للعِلمِ فيه وطالِبٍ | للمالِ تَمَّ لِذا وذا ما يَطْلُبُ[5]
عُلَماءُ أهلِ الأرضِ حين تَعُدُّهُمْ | فى الفَضلِ دُونَ مَقامِه تَتَذَبْذَبُ
ولَهُ مَذاهِبُ فى المكارِمِ حاتمٌ | لو عاشَ كان بمثلِها يتَمَذْهَبُ
كثُرتْ عَطاياهُ فخِلْنَا أنَّهُ | مَعْنٌ وحاشاهُ بذلك يَلْعَبُ[6]
لِلهِ مِنه مَكارِمٌ تاجِيَّةٌ | سُبْكِيَّةٌ تَبْدُو ولا تَتحجَّبُ[7]

---

(١) من غاب عنه المطرب : اسم كتاب لأبى منصور الثعالبى . استعمله القيراطى ، على التورية .

(٢) فى المطبوعة : « والنسيب مشيب » . وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٣) فى المطبوعة : « وصلت بقلبى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع . وقوله : « عسال » هو هكذا فى المطبوعة والمطلع . وفى : ج ، ك : « عسات » . ولم نعرف صوابه . وفى المطبوعة ، والمطلع : « حبة » وعلى التاء ضمة منونة ، فى المطلع . وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وفى المطبوعة : « قيه لأرباب » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .

(٤) الجنك ، بفتح الجيم : آلة للطرب ، معرب عن الفارسية . شفاء الغليل ٧٧ .

(٥) فى المطبوعة : « ثم كذا وذا » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) فى : ج ، ك ، والمطلع : « معنا وحاشاه » ، وأثبتنا الصواب من المطبوعة . وهو معن بن زائدة الشيبانى ، من أشهر أجواد العرب .

(٧) فى المطبوعة : « ولا لا تحجب » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع ، وفيه : « فلا » .

قاضٍ مَقَرُّ العَدْلِ فى أبوابِهِ فالجَوْرُ مِن أرجائِها لا يَقرُبُ[1]

راضَ الأُمورَ فأقبلَتْ مُنْقادَةً وزِمامُها بيَدَيْهِ لا يَسْتَصْعِبُ

ما قَدَّمُوا يومًا عُلاهُ لمَنْصِبٍ إلّا عَلا قَدْرًا وقلَّ المَنْصِبُ[2]

يُجْرِى النَّدى للواقِفِين ببابِهِ ويَصُوبُهم منه السَّحابُ الصَّيِّبُ

قاضِى القُضاةِ كَلِيمُ بُعْدِك لم يَزَلْ للقُرْبِ مِن نادِيكُمُ يترقَّبُ

لولا تَلهُّبُ قَلبِهِ بلَظَى النَّوَى ما باتَ وهْوَ على اللِّقاءِ يُلَهَّبُ[3]

ولقد ذكرتُكَ والوُفودُ بمكَّةٍ كُلٌّ إلى اللهِ المُهَيمِنِ يَرْغَبُ

حَطَمَ الحَطِيمُ ذُنُوبَهُمْ وبزَمْزَمٍ لَهُمُ مَناهِلُ وِرْدُها مُسْتَعْذَبُ[4]

والكَعْبَةُ الغَرَّاءُ أُسْبِلَ سِتْرُها ودُعاؤُنا مِن تَحتِه لا يُحْجَبُ

ولِرحمةِ الرَّحمنِ مِن مِيزابِها للطائِفينَ سَحابُ عَفْوٍ يُسْكَبُ[5]

فطَفِقْتُ أُخلِصُ فى الدُّعاءِ وظَنُّنا أنّ الكَرِيمَ لِذاكَ ليس يُخَيِّبُ

ولفَرْطِ شَوقِى قد نَظَمْتُ مَدامِعِى عِقْدًا يُؤلِّف دُرَّه ويُرَتِّبُ

ولِماءِ جَفْنِى فى الخُدودِ تَدَفُّقٌ ولنارِ قَلْبِى فى الضُّلوعِ تَلَهُّبُ

يا ذا الأُصولِ الصاحِبيَّةِ جُودُكُمْ للأصلِ فى شَرْعِ النَّدى يُسْتَصْحَبُ[6]

ولَكُمْ إذا تَعِبَ الكِرامُ مِن العَطا يومَ المَكارِمِ راحَةٌ لا تَتْعَبُ[7]

ها قد بَعثتُ بها عَرُوسًا لَفْظُها بالسِّحرِ يأخُذُ بالقُلوبِ ويَخْلُبُ

---

(١) فى المطلع : « أرجائه » .

(٢) فى المطبوعة : « على لمنصب » وفى : ج ، ك : « علا » ، والمثبت من المطلع .

(٣) فى المطبوعة : « اللقا يتلهب » . وفى المطلع : « اللقاء يهلب » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وجاء فى المطلع : « بيد النوى » .

(٤) فى المطبوعة : « يستعذب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

(٥) فى المطلع : «فى ميزابها» . وفى المطبوعة : « سحاب غفر » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع .

(٦) فى المطبوعة : « من شرع الندا متقضب » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك ، والمطلع .

(٧) فى المطبوعة : « يوم المكارب » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .

وَلسيِّدِ الأَكْفاءِ قد جَهَّزتُها | بِكْرًا يُقَرِّظُها الحَسُودُ ويُطْنِبُ
إن حاولَ الأدباءُ يومًا شَأْوَها | قُولُوا لهم باللهِ لا تتعَذَّبُوا
لم يَدْنُ من أسبابها إلَّا فَتًى | فى هتكه بينَ الوَرَى يَتسبَّبُ[1]
أنا إن نَطقْتُ بمَدْحِكُم فى مَكَّةٍ | فكأنَّ قُسًّا فى عُكاظٍ يَخطُبُ
وإذا أتيتُ بدُرَّةٍ فى وَصْفِكُمْ | فابنُ المَقفَّع فى « اليَتيمةِ » يُسْهِبُ
عِشْ يا أبا نَصْرٍ لتَخْذُلَ بالنَّدى | والجُودِ جيشَ الفَقْرِ حينَ يَطلُبُ[2]
وبَقِيتَ يا شَمسَ الوُجودِ وبَدْرَهُ | ما لاحَ نجمٌ أو تبدَّى كَوكَبُ

المملوك يرجو بعدَ تقبيلِ الأرضِ ، من بعد أن يُمتِّعه اللهُ تعالى بالمثُولِ بينَ يدى مالكِها ، ويُظْفِرَه[3] بمَطالِب اللِّقا التى تُنْقِذه مِن أيدى النَّوَى ومَهالِكها ، ويفوزَ بعد نَظْم السُّلوك فى وَصفِها بحُسن السُّلوك فى مَسالِكها .

أصدر المملوكُ هذه الرِّسالة ، وقابَل منها شمسَ ألفاظِ مولانا بذُبالَة ، وخَطَر له أنّه أهدى التَّمْرَ إلى هَجَر ، فإذا ما أهداه حُثَالَة ، وأنه أتى فيها مِن المعانِى بدَقِيق فإذا هو قد أتى بنُخالة . مع عِلمه بوُقوف حالِ كلامِه عندَ أمثالِ مولانا السَّيّارة ، وأنه مُنحَطُّ الطَّبقة عن ألفاظِه الطَّيّارة ، فيَضرِبُ مولانا صَفْحًا عن عِبارته[4] ، فإنها خاليةٌ مِن البرَاعة ، عاطِلةٌ ممّا يتحلَّى به فى مِصرَ أهلُ الصِّناعة .

ومولانا يَغترِفُ من بَحْرٍ لا يزال يُبرِزُ بالغَوْصِ[5] فيه من الدُّرّ عَجِيبا ، ويُبْدِى بينَ[6] أهلِ الأدب مِن مَحاسِنه غَرِيبا ، ويتلو لسانُ بلاغتِه إذا استبعَدَ[7] المتأدِّبون استخراجَ معنى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[8] .

---

(١) فى المطبوعة : « لم يلد من أسبابها ... فى مكة بين الورى » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى الأصول : « لنجدك بالندى » ، وأثبتنا ما فى المطلع .
(٣) فى المطبوعة : « وتظفيره » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٤) فى المطبوعة : « العبارة » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٥) فى المطبوعة : « تبزر بالفرض » . والتصحيح من : ج ، ك ، والمطلع .
(٦) فى المطبوعة : « بين يدى أهل ... » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٧) كذا فى المطبوعة ، والمطلع . وفى : ج ، ك : « استشعر » .
(٨) الآيتان السادسة والسابعة من سورة المعارج .

[1][والحمدُ للهِ حقَّ حَمدِه ، وصلواتُه على سيّدنا محمدٍ خيرِ خلقه ، وسلامُه . وحسبُنا اللهُ ونِعم الوكيل . المملوك إبراهيم القِيراطِيّ][1] .

وقلتُ حينَ بلغنِى[2] أَنّ مولانا قاضى القضاة رُزِقَ وَلدًا ذكرا :

أبشِرِ ابْشِرْ يا ابنَ الأفاضلِ بابْنٍ ... وأَبٍ للعُفــاةِ مِنَّــا حَقِيقَهْ[3]
يالَهُ ابْنًا قَدْ أبرزَتْ بنتُ فِكْرِى ... دُرَّةَ المَدْحِ فيه قَبْلَ العَقِيقَهْ

وقلتُ أيضًا :

هُنِّئتَ يا قاضِى القُضاةِ بسَيِّدٍ ... نُشِرَتْ بَشائرُه بمَكَّةَ للوَرَى[4]
أَكْرِمْ به ابْنًا قدْ أضا قَبَسُ الهَنا ... بأَبِى قُبَيْسٍ منه فى أُمِّ القُرَى

وقلت :

قاضِى القُضاة آبشِرْ بنَجْلٍ لم يزَلْ ... يعلُو على دَرَجِ السِّيادةِ صاعِدَا
فلِسانُ هذا الدَّهرِ أصبحَ قائلًا ... زادَ الزَّمانُ بَنِى المَعالِى واحِدَا

وقلت :

نادَى لِسانُ الدَّهرِ حينَ أتى لكُمْ ... نَجْلٌ له جَدٌّ عَلِىٌّ صاعِــدُ
زادَ الزَّمانُ بَنِى المعالِى واحِدًا ... لكنَّــه كالألْــفِ ذاكَ الواحِــدُ

وقلت مضمِّنًا :

أتَــى لك ابــنٌ قــادِمٌ بالهَنَــا ... فَسَرَّ بالــبُشْرَى بَنِـــى آدَمِ[5]
وقــالت العَلْيــا لَــه إذْ أتَـــى ... أهلًا وسَهْلًا بك مِن قــادِمِ

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس فى المطلع .
(٢) فى المطلع زيادة : « بمكة » .
(٣) فى المطبوعة : « وأبن للعفاة » ، والمثبت من ج ، ك ، والمطلع .
(٤) فى المطلع :
* سَرَّتْ بشائرهُ بمكةٍ الورا *
(٥) فى المطلع : « بنو آدم » .

وقلت :

أَبشِرْ بخَيــــرٍ قـــادِمٍ ... للمَجْــــدِ والتَّقـــــدُّمِ
قــد قــالت العَلْيــا لَــهُ ... علَــــى أسَرٍّ مَقْــــدَمِ

وقلت :

بُلِّغْتَ فى ابنِك هذا غايَةَ الأمَلِ ... فعَنْ قَليلٍ يُرَى فى حُكْمِ مُكْتَهِلِ[1]
وعن قَليـلٍ عَلىٌّ مِـن نَجابتِـهِ ... يُعيدُ بعدَ دُرُوسٍ لِى دُرُوسَ عَلِى[2]

وقلت :

سُمِّى ابنُ سَيِّدِ أبناءِ العُلا بعَلِى ... لا زال ذا مَنْصِبٍ بينَ الأنامِ عَلِى
فقلتُ لمَّا أتَتْ بُشْرَى البَشِيرِ به ... للعِلْمِ والفَضلِ والعَلياءِ والدُّوَلِ
بُشْرَى سَمِىٍّ أميرِ النَّحْلِ حين أتَتْ ... كانت بأفواهِنا أحْلَى مِن العَسَلِ

وقلت :

لِلّهِ كَم بُشْرَى لنَجْلِكَ أقبلَتْ ... فابْشِرْ به إذ جاء وآبشِرْ وآبشِرْ
كَنيْتَه بــأبى يَزيــدٍ والعُــلا ... مِن قَبلِ مَولِدِه تُسَمِّيه السَّرِى

وقلت :

يــا سيِّدًا زَكَتِ الفُروعُ بِــهِ ... ونَمَتْ وطابَتْ فى الوَرَى نَشْرَا
بأبِى[3] يَزيدَ آبشِرْ فحينَ أتَــى ... وافَــى الهَناءُ مُصاحِبًــا بِشْرَا

وقلت :

ظَنِّى بعِزِّ الدِّينِ نَجْلِكَ أنَّــهُ ... يَبْقَــى لِفِعْلِ مآثِرٍ ومَكــارِمِ
فلِذاكَ بَشَّرَتِ المَعالِى نَفْسَهــا ... مِن يَومِ مَولِدِه بعِزٍّ دائــمِ

---

(١) فى المطبوعة : « وعن قليل » ، والمثبت من : ج ، ك ، والمطلع .
(٢) فى المطبوعة : « بعد دروس أبى ... » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والمطلع . والكاتب يعنى الجد الإمام تقى الدين السبكى ، وهو : على بن عبد الكافى .
(٣) من هنا سقط فى النسخة « ك » ينتهى بقوله :

ويحرف الكلمات عن أوضاعها ... بلسان سهم للجدال يرتب

وقلت :

أبشِرْ بعِزِّ الدِّينِ نَجْلًا قُوبلَتْ عَلْياه بالإكرامِ والإجلالِ
رَقَمتْ يدُ الأيَّامِ مِنه طِرازَها لمَّا بدَا بالعِزِّ والإقبالِ

الحمدُ لله (١وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم١) . هذه الرِّسالة أرسلها إلَىَّ الشيخُ بُرهان الدين ابن القِيراطِىّ ، وقد جاوَر فى مكَّةَ مع الرَّجَبِيّة ، فى سنة أربع وستين وسبعمائة ، ثم حضر إلى القاهرة فى سنة خمس وستين ، وجَهَّزها إلَىَّ ، ثم عاد إلى مكَّة مُجاوِرًا مع الرَّجَبِيّة سنة خمس وستين ، فكتبتُ إليه جَوابَها فى شوّال ، سنةَ خمس وستين وسبعمائة ، وجهَّزته إلى مكّة ، ونُسْخَتُه :

يخدِمُ بسلامِه الأرضَ حيث تنزل السَّماء ، فَيرْوَى الظِّماء ، وتُعْشِبُ الدّنيا بأيادِيه البِيض ، فهى الحُلْوة الخضراء ، ويُرْعَى[٢] الكلَأُ ولا غضبان ثم من أنشأ[٣] :

وأعْلَمُ إنَّ تَسْلِيمًا وتَرْكًا لَلَا مُتَشابِهانِ ولا سَواء[٤]

وحيثُ المُلتجئُ إلى حَرَم الله رَغْبةً ورَهْبة ، العائذُ به لا فارًّا بخَرِبَة ، اللائذُ متعلِّقًا بأستارِ الكَعبة .

وأُقْسِمُ بمَن مَنَع أن تُخْتَلَ الدُّنيا بالدِّين ، ما خَيَّلَ لى خَتَل ، ولا خَطَر لِى لو لم تأت به القافية ، ابنُ خَطَل[٥] ، ولا دارَ علَى طَرَفِ لِسانى ، ولا تحرَّك مَخْضُوبُ بَنانِى لِذِكْرِ خَطَأٍ ولا خَطَل ، وما كُلُّ مَخْضُوبِ البَنانِ يَمِين[٦] .

---

(١) هكذا فى المطبوعة ، ومكانه فى : ج : « وحده » .
(٢) فى المطبوعة : « ويرى » ، وأثبتنا الصواب من : ج .
(٣) هكذا فى المطبوعة . وفى : ج : « سا » من غير نقط . ولم نعرف صوابه .
(٤) البيت لأبى حزام العكلى . على ما فى المحتسب ١/ ٤٣ ، والخزانة ١٠/ ٣٣٠ .
(٥) هو عبد الله بن خطل ، قتل يوم فتح مكة . السيرة النبوية ٣ / ٤١٠ .
(٦) فى المطبوعة : « وما كان مخضوب البنان بمل » ، وأثبتنا الصواب من : ج . وقوله : « يمين » من المين : وهو الكذب . وهذا الكلام مأخوذ من قول الشاعر ، وينسب لكثير ، ديوانه ١٧٦ :

وإن حَلَفت لا ينقضُ النأْىُ عَهْدَها فليس لمخضُوبِ البَنانِ يَمِينُ

وانظره مع أبيات أخر ، فى العقد الفريد ٦ / ١٢٦ ، عيون الأخبار ٤ / ١١٤ .

إيهٍ ، وحيثُ الطَّوافُ بالبيت حِجَّةً عَقِبَ حِجَّة ، والعُمرةُ فى رَمضانَ عامًا بعدَ عامٍ تَعدِل حَجَّةً بعد حَجَّة ، والفَرارُ إلى الله ذِى الحُجَّة البالِغة ، يالَها مِن حُجَّة .

وحيثُ تُوضَعُ خَطايا وأَوْزار ، ويُرْفَعُ ولا يُخْفَض[1] علَى الجِوار ، عَملُ مَن حَيًّا علَى بُعدٍ أَوْزار ، فكيف بمَنْ والَى بينَ رَجَبيْ مُضَر مَزار[2] نِزار ، ثم أقسَم وقد خَيَّم بذلك الفِناء البارّ ، أنه أحبَّ جِوارَ اللهِ اعتزالًا للناس ، وصَرَّح بأنه لا بِدْعَ لِجار الله[3] إذا اعتَزل ، وأشار ، وكِدتُ أُصَوِّبه لكن خَشِيت قولَ ابنِ عمر : « إنِّى مِنهم بَرِىء »[4] ويَقينى أنَّ اللهَ برىءٌ من الجار .

نَعم ، وحيثُ البحرُ العَجَّاج ، رُؤْبَةُ[5] الأدب وكَعبتُه المَحجُوجة لكلِّ مُحْتاج ، والمَنْهَلُ الذى يَرْوِى وَفْدَ البيتِ فتُناديه الرِّواء : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجّ ﴾[6] تفجَّر عُيُونًا فسقَى الغَضا[7] والساكِنِيه ، وَلَحظَه[8] بالعِناية ، والمُشْتَرَك محمولٌ على مَعانِيه ، حاطَه[9] اللهُ حيث أضحَى وأمسَى ، وتَولَّاه حيث سارَ وحَلَّ .

مؤدِّيًا بسَلامِه فريضةً لا يُخرِجُها عن وقتها ولا يَقْضِيها ، مُهدِيًا تحيّته على مَبلَغ قُدرتِه ،

---

(١) راجع ما سبق ، صفحة ٣٧٤ .

(٢) كذا فى المطبوعة ، ج . وقال القرطبى فى تفسير الأشهر الحرم : « ورجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان ، وهو رجب مضر ، وقيل له : رجب مضر ، لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا ، وكانت مضر تحرم رجبا نفسه » تفسير القرطبى ٨ / ١٣٣ .

(٣) انظر صفحة ٣٧٤ .

(٤) يشير إلى قول ابن عمر – رضى الله عنهما – فى أهل القدر ، الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . راجع الحديث الأول ، من كتاب الإيمان ، فى صحيح مسلم بن الحجاج .

(٥) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « روية » . والمصنف يستخدم اسم الراجزين المعروفين .

(٦) سورة التوبة ١٩ .

(٧) الغضا : اسم لموضعين : أرض فى ديار بنى كلاب ، وواد بنجد . معجم البلدان ٣ / ٨٠٤ .

(٨) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « ولحظ » .

(٩) فى المطبوعة : « حاطها » . والتصحيح من : ج .

والهَدايا على مِقدار مُهْدِيها ، مُبلغًا [بُثَينةَ][1] بجميلِ القولِ أنّى لستُ ناسِيها ، ولا المُضيِّع[2] لها سِرًّا علمتُ به ما عِشتُ حتى تجيبَ النَّفْسُ داعِيها .

ويُنْهِى بعدَ وصْفِ شوقٍ تبرَّجَت تَبرُّجَ الجاهليّةِ الأُولى هُمومُه ، وتخرَّجت كأنها حاشِيةُ كتابِ دُرَرٍ دُموعُه ، التى منها مَنثورُه ومَنظومُه ، وتأرَّجت عندَ ذِكرى الرَّجَبيّة رُبوعُه ، فما أَرَجُ السِّحر ونَسيمُه ، وربيعُ مِصر وبِرْسِيمُه : أنه ورَد عليه كتابُ رِسالة ، وقف منه[3] على ما جَرى به القَلم ، فوقَف واستوقف كلَّ أديب ، لِيشاهِدَ غُرَفًا مِن جَنَّاتِه[4] مَبنيّةً مِن فوقِها غُرَف[5] ، ولم يَجد مِثالًا[6] ، لهذا المِثال الكريم ، ولو وَجد لوصَف ، فسكت مُصغِيًا إلى تلك المقالة ، وعَوَّذ حلَّ الرِّسالة بخاتَم الرِّسالة ، ﷺ ، وترشَّف مِن كَلِمها الطيِّب سُكَّرًا كلّما كُرِّر حَلاَلُه حَلاَلَه .

وبدأ ببسم الله فى النَّظم أوّلا[7] ، فرأى على حِرْزِه مِن التَّيسِير الإلهى[8] عُنوانا ، ومن عِقْد[9] اللآلى حَلا ، وأبصَر مِن قَلائد[10] عِقْيانه مالا يُوازَن قِيراطُه بِقنطارٍ وَلا[11] .

---

(1) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج .

(2) فى : ج : « المصغى » ، والمثبت من المطبوعة .

(3) فى المطبوعة : « وقف عليه ... » . وأثبتنا ما فى : ج .

(4) فى المطبوعة : « خيامه » والكلمة فى : ج ، بهذا الرسم الذى أثبتناه ، مع نقط الجيم وحدها . وراجع الآية الكريمة ٥٨ من سورة العنكبوت .

(5) فى المطبوعة : « غرفا » . وأثبتنا ما فى : ج ، ويتم به ما أراده من سجع .

(6) فى المطبوعة : « مثاله » . والتصحيح من : ج .

(7) أخذ هذا من قول الإمام الشاطبى :

بدأت ببسم الله فى النظم أولا   تبارك رحمانا رحيما وموئلا

وهو مطلع قصيدته المعروفة بالشاطبية . واسمها : حرز الأمانى ووجه التهانى فى القرآات السبع المثانى .

(8) فى المطبوعة : « تيسير الإله » ، والمثبت من : ج ، والمصنف يستخدم عنوانات لكتب علم القرآات . فالحرز للشاطبى . وقد عرفنا به فى التعليق السابق ، والتيسير : لأبى عمرو الدانى ، والعنوان : لإسماعيل بن خلف وسبق استخدامهما فى صفحة ٣٤٩ .

(9) لأبى حيان ، وسبق فى ٢٧٩ .

(10) قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(11) كذا أنهى المصنف الكلام ليتم له ما يريده من السجع . وتوجيهه يسير . ولعل المصنف يشير بقوله فيما بعد : « هذه الكلمة » إلى محذوف ، لم يظهر لنا .

فعَينُ اللهِ[1] على هذه الكلمة ذاتِ الباء المُوحَّدة ، وعينُ الذّهب دُونَ لفظِها الذى أذاب نُضارًا فأذاب قُلوبَ الحسَدَة ، وعين العِناية مع سِرِّها الممدُود بألْطافٍ على عَمَدٍ مُمَدَّدة[2] ، لقد سَرَحت العينُ فى روضِها ، فلها جَمالٌ حين تُرِيح وحين تَسْرَح[3] ، وتقلَّب البصرُ منها فى مَحاسنَ يبرح بالذِّمام ولا تَبْرَح ، وتَلوتُ على صَدْرِى[4] عندَ سماعِها بعد ضِيقِ العَطَن ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾[5] .

ولَها اللهُ آيةً أُوتيتْ مِن الفَضل وحِزْبِه ، ورَقَت الصَّبَّ أىَّ رُقْيةٍ لكونه أخذ مِن صِبَاها أمانًا لقَلْبِه ، وشَهِد ناظرُها من عامِلِها[6] العَربىّ نُطْقًا أنّ حاسِدَه أبغَضُ العَجَم ناطقًا إلى رَبِّه ، دَعَت مُجيبًا مِن أوّلِ مَرَّة[7] ، مُهتزًّا إذا خَطَرَتْ مِن ذِكر مَيَّةَ خَطْرَه ، يخطُر فى رِياضها فلا يجد رَمْلا ، لكنْ مُعْشِبًا بين بَياضٍ وحُمرَة ، ومُزْنًا[8] مِن ماء الفَصاحة يُروِّض لِوَقْتِه ، وفَنًّا يُعرِّفُ الوَلِىَّ بأنّ الوَسْمِىّ[9] جاء على سَمْتِه ، وعَدَنًا مِن جَنّات[10] الكَلِم نَغترِف العدو[11] ونجلوه مِن عِوَجِه وأمْتِه .

وفَصْلًا مِن الخِطاب فاصِلا ، وأسماء من أفعال القُلُوب ، قال السَّجْعُ إنّ لها فى القُلوب منَازِلا ، وثبتَ عندَها المُحبُّ مُنشِدا :

* قَضَى اللهُ يا أسماءُ أن لستُ زائِلا *[12]

---

(١) فى المطبوعة : « معين له على ... » ، والمثبت من : ج .
(٢) فى المطبوعة : « ممدودة » . والتصحيح من : ج .
(٣) راجع الآية الكريمة ، السادسة من سورة النحل .
(٤) فى المطبوعة : « وقلوب على صدا » . والتصحيح من : ج .
(٥) الآية الأولى من سورة الشرح .
(٦) فى المطبوعة : « علامها » ، وأثبتنا ما فى : ج .
(٧) فى المطبوعة : « أمره » . والتصحيح من : ج .
(٨) فى المطبوعة : « ومزة » . والتصحيح من : ج .
(٩) الوسمى : مطر الربيع الأول . والولى : المطر يأتى بعد الوسمى .
(١٠) فى المطبوعة : « جنة الكلام » ، وأثبتنا ما فى : ج .
(١١) كذا فى المطبوعة . والكلام فى : ج ، بهذا الرسم من غير نقط . ولم نعرف صوابه .
(١٢) صدر بيت للحسين بن مطير ، وتمامه :

* أحبُّكِ حتَّى يُغْمِضَ العينَ مُغْمِضُ *

ديوانه : ١٧٠ (ضمن الجزء الأول ، من المجلد الخامس عشر ، من مجلة معهد المخطوطات العربية) .

هَمَز الخادِمُ لبائها أَلِفا ، وتَنشَّق مِن عَرْفِها متعرِّفًا ما خالَطه منه ، لا مِن سَلْمَى ، خَياشِيمَ وَفا[1] .

وجهلتُ بماذا[2] أصِفُها ، فإنها فوقَ وصْفِ الواصِف ، وغايةُ ما قلتُ عند إقبالها مِن قِبَلِ ذلك العاكِف الطائف ، ومَجيئِها من ذلك الحَرَم[3] :

* وما كُلُّ مَن وافَى مِنًى أنا عارِف[4] *

معترفًا بأنه لا يَطُولُ إلى المُعارَضة[5] ، وأنّ خُيولَ فِكره فى مَيدان هذا السابق غيرُ راكِضة ، وأنّ سُنَّةَ الله فيمَن اعتزل هذه المحاسنَ أن تُصبحَ له السَّعادةُ رافِضة .

فانتقلَ عن تكملة الجواب إلى الإيضاح[6] ، والاستخبارِ عن حالكم فى تلك النَّواح ، أهُو كحالِ أهلِ[7] هذا الإقليم الذى أكثرت فيه النَّوائحُ النُّواح ، لِحادِثِ[8] طَعْنٍ وطاعُون ، حكَم بالشَّهادة لكلّ مُسلم ، وبالتكفير لغير المَدْيُون ، وبالاستبشار لِمَن قَضَى نَحْبَه فيه ، بأنه من الأُمَّةِ[9] التى فَناؤُها - على ما قال ﷺ - بالطَّعْن والطَّاعُون ، إنا لله وإنا إليه راجِعون ، رَحمةُ ربِّنا ، ودعوةُ نبيِّنا ﷺ ، وموت الصالحين قبلَنا ، لقد قِيل لمَن رام الحياةَ [قبلَنا][10] هيهاتَ لما تَرُومُ هَيْهات ، فقد مات مَن لا عُمرَه مات ، ورَخُصَت الأنفُسُ فبدلت نحبه ،واغتال الموتُ أُسُودًا ، ولا يَنِى

---

(1) هذا من رجز للعجاج :

* خالط مِن سَلْمَى خياشيمَ وفا *

ديوانه ٤٩٢ .

(2) فى المطبوعة : « ماذا » . والتصحيح من : ج .

(3) فى المطبوعة : « المحرم » . والمثبت من : ج .

(4) عجز بيت لمزاحم العقيلى ، وصدره :

* وقالُوا تعرَّفْها المنازِلَ مِن مِنًى *

الكتاب لسيبويه ١ / ٧٢ . و « كل » يروى بالرفع والنصب .

(5) فى المطبوعة : « لا يطوف إلى المقارضة » ، وأثبتنا ما فى : ج .

(6) التكملة والإيضاح من كتب أبى على الفارسىّ .

(7) فى المطبوعة : « النواح أهوال هذا الإقليم » . والتصحيح من : ج .

(8) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « بحادث » .

(9) فى المطبوعة : « الأئمة » ، وأثبتنا الصواب من : ج .

(10) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج .

ضَبَّة ، ووَسِعَتْه نُفوسٌ[1] كانت تضيق بها دِمشقُ إلى الرَّحْبة ، وتلاعَب بالصِّغار وليدًا فوَلِيدا ، ومال إلى النّساء مَيلًا شديدا :

فرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بيضًا ‏ ‏ ‏ ورَدَّ وُجوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا[2]

وسار بسيفِه المسلُول ، ونادى وكلُّ صاحبٍ يقول لصاحبه :

* لا أُلْفِيَنَّكَ إنّى عنكَ مَشغُولُ[3] *

كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالَتْ سَلَامَتُهُ ‏ ‏ ‏ يومًا علَى آلةٍ حَدْباءَ مَحمُولُ[4]

ودار دُورًا قائمةً علَى عَمَد :

وقَفْتُ فيها أُصَيْلالًا أُسائِلُها ‏ ‏ ‏ عَيَّتْ جَوابًا وما بالرَّبْعِ مِن أَحَدِ[5]

أمسَتْ خَلاءً وأمسَى أهلُها احتَمَلُوا ‏ ‏ ‏ أَخْنَى علَيها الذى أخْنَى علَى لُبَدِ[6]

فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليّ العظيمِ ، نَفْثةٌ مِن مَصدُور ، وكلمةٌ تُعقِبُ إن شاء اللهُ كلَّ فرَحٍ وسُرور ، وقَولَةٌ نقولُها وإلى اللهِ تصيرُ الأُمور :

ولقد حَرَصتُ بأن أُدافِعَ عنهُمُ ‏ ‏ ‏ فإذا المَنيَّةُ أقبلَتْ لا تُدْفَعُ[7]

وإذا المَنيَّةُ أنشبَتْ أظفارَها ‏ ‏ ‏ أَلفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفَعُ

---

(١) فى المطبوعة : « بقوس » . والتصحيح من : ج .

(٢) البيت لعبد الله بن الزبِير – بفتح الزاى – الأسدى . وهو من الشواهد البلاغية ، وقبله :

رَمَى الحِدْثان نِسوةَ آل حَرْبٍ ‏ ‏ ‏ بِمِقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودا

العمدة ٢ / ٦ ، تحرير التحبير ٣٢٠ ، شرح الحماسة للمرزوقى ٩٤١ . وينسب لغيره . انظر شعره صفحة ١٤٣ .

(٣) عجز بيت لكعب بن زهير ، وصدره :

* وقال كلُّ خَليلٍ كنتُ آمُلُهُ *

ديوانه ١٩ .

(٤) وهذا لكعب أيضا . الموضع المذكور من الديوان .

(٥) البيتان للنابغة الذبيانى . ديوانه – صنعة ابن السكيت – ٢ ، ٥ ، و « أصيلالا » جاءت هكذا فى مطبوعة الطبقات ، والديوان . ورواية : ج : « أصيلانا » وهما روايتان ، والنون تعاقب اللام . على ما فى شرح الديوان . وفى مطبوعة الطبقات : « أعيت » ، وأثبتنا ما فى : ج ، والديوان .

(٦) فى الديوان : « أضحت خلاء وأضحى أهلها » . وما فى الطبقات روى عن أبى عبيدة ، على ما فى الديوان .

(٧) لأبى ذؤيب الهذلى ، من قصيدته الذائعة . شرح أشعار الهذليين ١ / ٨ .

ولقد شَبَّتْ بين العَرب والتُّرك نارٌ لا للقِرَى بل للقِراع ، ولقد نهضت الدَّهماءُ واضطرب النَّقعُ المُثار ، واشتبه المَتبُوعُ بالأَتْباع ، ولقد بَكَت البِيضُ وزَعَقت السُّمرُ فى يومٍ أسوَد ، يطيب به الموتُ الأحمر ، وإن شَمَت العدوّ الأزرقُ للبطل الشُّجاع .

مِن فِتْيةٍ مِن سُيوفِ الهِنْدِ قد عَلِمُوا   أنْ هالِكٌ كلُّ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ[1]

لقد قامت الحربُ علَى ساق ، ورقّت[2] نِساءُ الأعراب ، ولكن على الحياة حينَ رأينَ الأنفسَ إلى الحِمام تُساق ، وكم ذاتِ خِدْرٍ فقَدتْ واحدَها بينَ الرِّفاق :

فكَــرَّتْ تَبْتغِيــه فصادفتْــهُ   علَى دَمِه ومَصرَعِه السِّباعــا[3]

مِن كلّ مُهنّدٍ لَمَع وكأنّه البَرقُ الخاطِف ، وجُرِّد فكأنّه القَضاء الجارِى فى المواقف ، وسُلَّ فكأنّه الأسدُ الضارِى فى المخاوِف ، وكلِّ رُدَيْنِىٍّ هُزَّ فكأنه الغُصنُ تناثرت ثِمارُه ، وخَطر فكأنّه قَدُّ الحبيب تَدانَى مَزارُه ، وطَعَن فكأنّه وَخْزُ الشيطان تضرَّمتْ نارُه :

مِن كُلِّ أبيضَ فى يَديْهِ أبيضُ   أو كلِّ أسمَرَ فى يَديهِ أسْمَرُ

ولقد طاحَت الغِربان برُؤوس العربان ، وصاحَت بالوَيل والثُّبور بَناتُ طارِق لِطوارِق الحِدْثان ، وراحت بالأرواحِ أقوامٌ تُعرفُ بالحقيقة[4] لا بحَدٍّ ورَسْم ، بل بحَدٍّ وسِنان ، وتقول :

---

(١) البيت للأعشى . ديوانه ٥٩ . ورواية العجز فيه :

* أن ليس يَدْفعُ عن ذِى الحِيلةِ الحِيَلُ *

والرواية عندنا هى رواية النحويين للبيت . راجع الكتاب ، لسيبويه ٢ / ١٣٧ ، وحواشيه .

(٢) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « ودقت » .

(٣) جاء هذا البيت فى الأصول كلاما منثورا ، ووقع فى صدره تحريف كثير . وهو للقطامى ، ديوانه ٤١ ، وروايته :

فكَرَّت عندَ فِيقَتِها إليـه   فألفتْ عندَ مَرْبضِه السِّباعا

ورواية الطبقات مثلها فى الكتاب ، لسيبويه ١ / ٢٨٤ ، لكن فيه : « فوافقته » . وحول رواية الديوان ، وسيبويه كلام ، انظره فى حاشية الكتاب .

(٤) فى المطبوعة : « الحقية » ، والمثبت من : ج .

لا نَسَبَ اليومَ ولا خُلَّةً اتّسَعَ الخَرْقُ على الرَّاقعِ[١]

فَسِيرَ[٢] صَباحَ مَسا ، ويَضِيقُ بالطِّوال والقِصار مِن الظُّبا والرِّماح الفَضَا ، ويَمتَطِى مِن العَربيّات أخِلّاءَ الرِيَاح ما يتقدّم على مَهَل فيتأخّر مع الإسراع عنها الهَوَى ، قائلا إنما كنتُ خَليلًا مِن وَراءُ وَرا[٣] .

مِن كَرائم الخيلِ المَنصُورة ، وعَظائمِ السَّيل ، وقد يُنقَل اللفظُ بالمعنى والعَلاقةُ مَجازُ[٤] الصُّورة ، وبَهائمِ اللَّيل المُبصِرَة إذا أسبلَ دَيجُورَه ، منها مُضَمَّرٌ وغيرُ مُضَمَّر ، وسَوابِقَ يَقصُرُ عنها مَدَى الناظِر وإن كُرِّر ، عليها أبطالٌ يَتلُون : ﴿ إنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّر ﴾[٥] .

ومالَتْ نَواصِيها ذواتُ الخَير ، كأنها عُقودُ تَرائِب ، وطالَت غُرَّتُها كأنها انتظارُ غائِب ، وقَصُر عَجْبُ[٦] ذَنَبِها كأنه بِناءُ ذاهِب ، ووَلْوَلَت أذنابُها كأنّها أقلامُ كاتِب ، ولانَتْ عَرِيكتُها كأنّها لُعْبَةُ لاعِب ، وأُسبِغَ[٧] ذَيلُها كأنه ذَيلُ راهِب ، وقام صَدرُها [كأنه][٨] نَهضةُ واثِب ، وتَشخَّص مَوضعُ ثَدْيَيها كأنهما نَهْدا[٩] كاعِب ، ودَقَّ مَنْخِرُها كأنه

---

(١) قائله أنس بن العباس بن مرداس السلمى ، وقيل : أبو عامر جد العباس بن مرداس . وحول رواية البيت كلام كثير ، انظره فى الكتاب لسيبويه ٢ / ٢٨٥ ، وحواشيه .

(٢) فى المطبوعة : « سير » ، وأثبتنا ما فى : ج .

(٣) بعض هذا الكلام ورد فى شعر لعتى بن مالك العقيلى ، قال :

إذا أنا لم أُومَنْ عليك ولم يكُن لِقاؤُك إلّا مِن وَراءُ وَراءُ

الكامل ، للمبرد ١ / ٦١ ، واللسان (ورى) .

(٤) فى المطبوعة : « مجال » . وأثبتنا ما فى : ج . وهذا من مصطلح البلاغيين .

(٥) الآية الرابعة من سورة نوح .

(٦) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « عجم » . وهما بمعنى واحد ، وهو أصل الذنب ، ويقال له : العصعص ، بضم العينين .

(٧) فى المطبوعة : « واتسع » . وأهمل النقط فى : ج . والسبوغ : الطول .

(٨) سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج .

(٩) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « نهد » .

خِنْصَرُ[1] بَناتِ الأعارِب ، وابيضَّ لونُها كأنه الصافِى عن الشَّوائب ، وحَلا طولُ الحديثِ عنها كأنَّه حديثُ الحَبائِب .

فلْينتقِل المملوكُ عن ذكر الأخبار ، وحِكايةِ ما كان وصار ، ولا يَدَ لَهُ[2] بيضاء فى أسْوَدِ ذلك النهار ، إلى ذِكر مانَبَّه[3] منها [على][4] خِلافِ الأولَى ، وهو واجِبُ القَلب أن لا يكونَ قام ببَعْض الفَرْض ، ويَعرِضُ غيرَ معارِض ، على ذلك الناقِد بَهْرَجَه[5] ، وهو فَرِقٌ[6] مِن يوم العَرْض ، ويفتح بابًا للوقيعة فيه ، لكنه اقتدَى بأبى ضَمْضَم[7] ، فدُونَك أيُّها الأديبُ والعِرض ، ويقول :

أبدًا علَى جَمْرِ الغَضَى يتقلَّبُ	قَلْبٌ بشَرْقِىِّ اللِّوا مُتَغـرِّبُ
ناءٍ عنِ الخَيْماتِ يَحسِبُ أنَّهُ	لِجنانِ وَصْلِك باللَّظَى يتقرَّبُ
ولقَدْ أعاتِبُـهُ ولـيسَ بنافِـعٍ	عَتْبٌ لِمَنْ هو مُعنِتٌ لا يُعْتِبُ[8]
إن قُلتُ مِلْتَ علَىَّ قال لِأنَّنِى	قَلْبٌ فلا عَجَبٌ إذا أتقلَّبُ
أَفدِى الغزالَ على حَدائِقِ مُهْجَتِى	يَحْيا ويَرْتَعُ فى الدِّماء ويَلعَبُ
وأريدُ ما يَبغِيه بِى فأنا لَهُ	مُسْتعـذَبٌ بعَذابِـه مُستعـذِبُ
هو زَهْرةٌ بِيعَتْ فكنتُ المُشْتَرِى	وأخو المِلاحِ علَى هَواهُ العَقْرَبُ
مَن لى بصاحِبِ حاجبٍ سُلْطانُهُ	قاضٍ بأنّ لِحاظَه تَتحـجَّبُ

---

(١) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج : « حصر » .

(٢) فى المطبوعة : «ولا يبد له » ، والمثبت من : ج .

(٣) فى المطبوعة : « ما فيه » . والكلمة فى : ج ، بهذا الرسم الذى أثبتناه اجتهادا ، لكن من غير نقط .

(٤) ساقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ولعله يقوى ما اجتهدنا فيه ، فى الكلمة السابقة .

(٥) فى المطبوعة ، ج : « لهرجه » . ونرى الصواب ما أثبتنا ، والبهرج : الردىء من الشىء ، ودرهم بهرج : ردىء الفضة .

(٦) فى المطبوعة : « فوق » . والتصحيح من : ج .

(٧) راجع ما سبق ، صفحة ٣٦٥ .

(٨) فى المطبوعة : « هو متعنت » . وفى ج : « متعب » . ولعل ما أثبتنا هو الصواب .

ذُو النُّونِ وهْوَ رُوَيْمُ طَرْفٍ وَجْهه الـــنُّــورِىّ والجَلَّاءُ وهْوَ الكَوكَبُ[1]

لم يَرْضَ إلّا الزُّهدَ فىٌّ طَرِيقةً والهَجْرَ فهْو لغَيرِ مَعْنًى يَغضَبُ

إن قلتُ أسمِعْنِى كلامَكَ قال لِى أعَدِمْتَ غيرَ الدُّرِّ فيه يُـرْغَبُ

أو قلتُ أرشِفْنِى رضابَكَ قـال لا ما فى الوُجودِ سِوى المُدامةِ تَطلُبُ[2]

اطلُبْ سِوَى ذا قلتُ لا أبغِى سِوَى هذيـن فى الدُّنيا ولا أتـرَقَّبُ

باللّٰهِ فاحسُبْنِى وأحسِنْ عِشْرَتِـى فأجابَ إنَّا أُمَّةٌ لا نَـحْسُبُ[2]

وأبـى فليس يعـدنى سرا ولا يُصْغِى إلَّى وراحَ أيضًا يَعْـتِبُ[3]

ويُحرِّفُ الكلماتِ عن أوضاعِها بـلسانِ سَهْـمٍ للجِدالِ يُـرَتِّبُ[4]

فيُزِيـلُ بالشُّبَـهِ البَراهيـنَ التِـى للحرم فى كسر المخالف تُنْصَبُ[5]

ولقد عَدَدْتُ سِنِىَّ وهْىَ كَثيرةٌ لَـم أُبْصِرِ البُرهـانَ فيها يَلْـعَبُ

ولذاك أُعْرِضُ لا أُعارِضُ قَولَهُ لا أُمَّ لِى إن كان ذاكَ ولا أبُ[6]

أُثْنِى عليـه مُفْـرَدًا بجُدُ التَّوكُّــ ـلَ صِيغَةً فى جَمْعِها يـتسبَّبُ[7]

---

(١) استخدم المصنف فى هذا البيت أسماء صوفية ، على التورية . وذو النون : هو ثوبان – وقيل الفيض – ابن إبراهيم المصرى . ورويم : هو رويم بن أحمد بن يزيد البغدادى . وجاء فى المطبوعة : « البدرى والحلاء » . وأهمل النقط فى : ج . والصواب ما أثبتنا . والنورى : هو أحمد بن محمد . والجلاء : هو أحمد بن يحيى . وسبق الاثنان فى شعر للمصنف . راجع الجزء الثالث ٣٨١ ، وطبقات الصوفية ، للسلمى ١٦٤ ، ١٧٦ .

(٢) سبق هذا فى شعر القيراطى صفحة ٣٨٠ .

(٣) فى المطبوعة : « والى فليس » ، وأثبتنا ما فى : ج . وبقية الصدر جاء هكذا فى المطبوعة ، ج ، ولم نعرف صوابه .

(٤) آخر السقط فى النسخة « ك » الذى بدأ فى صفحة ٣٨٦ .

(٥) فى المطبوعة : « المحالف تنصب » . والمثبت من : ج ، ك . ولا يظهر لنا معنى عجز البيت .

(٦) عجز البيت من قول هنى بن أحمر الكنانى :

هذا لَعَمرُكُمُ الصَّغارُ بعَينِه لا أُمَّ لى إن كان ذاكَ ولا أبُ

وهو شاهد نحوى كثير الدوران ، وقد اختلف فى قائله اختلافا كثيرا . راجع المؤتلف والمختلف ٤٥ ، الكتاب لسيبويه ١ / ٣١٩ ، ٢ / ٢٩١ .

(٧) فى المطبوعة : « مفردا بحر التوكل صبغة » ، وأثبتنا رسم ما فى : ج ، ك ، من غير نقط .

وَفَّى بعَهْدِ إخائِه إذ كان إبـ راهيمَ فهْوَ علَى الوَفا لا يَذْهَبُ[1]
العِلْـمُ وَصْفٌ والوَفـاءُ سَجِيَّـةٌ بالوَعْدِ والقَولُ الصَّحيحُ المَذْهَبُ
ولَهُ المعارِفُ والعَوارِفُ والنَّدَى يَصْفُو ويَعذُبُ مِن جَداهُ المَشْرَبُ
وإذا يقولُ فكلُّ عُضْوٍ سامِعٌ لِمقَالِه الصِّدقِ الذى لا يَكْذِبُ
لا فَرْقَ بينَ كَلامِه والسِّحرِ إلّا أنّه السِّحْرُ الحَلالُ الطَّـيِّبُ
هـو مـالِكٌ جَلَّابُ أمتِعـةٍ بـأَلْـ ـفاظٍ كمِثلِ الشُّهْبِ أو هِىَ أشْهَبُ[2]
ولقد يُلَحِّنُ لَفْظَ أشْهَبَ إن أتَى فى أفعلَ التَّفضيل أو يتجنَّبُ
يا أيُّها البَحرُ الـذى كَلماتُـهُ كالجوهَرِ المكنونِ بَلْ هِىَ أعجَبُ
دُرٌّ يَعِزُّ علَـى كُثَيِّـرِ عَـزَّةٍ ويُضيءُ مثلَ الصُّبحِ منه الغَيْهَبُ
فى مِثْلِ دُرَّتِه يَحِقُّ مَقالُكُـمْ فابنُ المُقفَّعِ فى اليَتيمةِ يُسْهِبُ[3]
ولِسُوقِه يُهْدِى مقالك واصِفًـا فكأنّ قُسًّا فى عُكاظٍ يَخطُبُ[4]
فـاللهَ أسألُ أن يُمتِّعَنـا بـِهِ كَلِمًا بها الأمثالُ فِينا تُضْرَبُ
تَبْقَى بَقاءَ الدَّهْرِ تُعجِبُ أَهلَهُ وتَتِيهُ مِن صَلَفٍ عَليهِ وتُعْجِبُ

لقد وَصَفَ المملوكُ ما فى ضَميرِه ، فلا يؤاخِذُه وإن وَصَفَ مُضْمَرا ، وكاتَبَكَ يا مالِكَ الرِّقِّ ، رجاءَ أن يكونَ مُدَبَّرا ، وفصَّلت بُرْد لِباسها قائلًا : ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[5] .

فأسْبِلْ عليها سِتْرَ مَعروفِكَ الذى سَترتَ به قِدْمًا علَّى عَوارِى[6]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى :﴿وإبراهيم الذى وفى ﴾ . سورة النجم ٣٧ .
(٢) فى البيت تورية . المعنى الثانى منها : الإمام مالك بن أنس . وصاحبه أشهب بن عبد العزيز بن داود .
(٣) فى الأصول : « ما ابن المقفع » ، وأثبتنا ما سبق فى قصيدة القيراطى صفحة ٣٨٤ .
(٤) فى المطبوعة : « ولسوف يهدى ... واضعا » . والتصحيح من : ج ، ك . وسبق عجز البيت فى شعر القيراطى صفحة ٣٨٤ .
(٥) سورة آل عمران ٣٥ .
(٦) البيت من غير نسبة فى معجم الأدباء ١٠/ ١٤٠ ، فوات الوفيات ١ / ٢٨٢ (ترجمة الحسين بن على ابن محمد ، المعروف بابن قم الزبيدى اليمنى) . والرواية فيهما « قدما مخازى عوراتى » . وهو مع بيتين آخرين فى فتاوى السُّبكى ١/ ٢٦٥ .

والمملوكُ يُقَبِّلُ الأرضَ بين يدى الشيخ الإمام الخطيبِ تاج الدّين المَلِيجِىّ ، وأنتما حقيقة فى هذا الكتاب شَرِيكان ، وللشيخ تاج الدين عادة ، فنظيرُ مُشَارَكتِه فى هذا العنوان تلبيته دعوة كاتبين[١] خطباه للخطبة ، وإن كان الشيخُ تاج الدين بعضَ واحدٍ منه ، فذاك بقِصاص أنه فى غيره اثنان ، فلقد[٢] لبَّى دعوة اثنين خطباه للخطبة ، لكنه لم ينفذ فى الثانية منهما إلّا بسُلْطان .

وعلى ذِكْر ذلك ، فالمملوكُ يُهَنِّى[٣] المِنْبَرَ السُّلطانىَّ منه بأعْلَا وأعْلَم ، ومَن إذا صالَ على الأعوادِ أسْرَجَ وألْجَم ، وإذا أقْبَلَ فى ثِياب السَّواد ، قِيل : جاء السَّوادُ الأعظَم ، وبهَيْبةٍ مِن المِنبر بعُلُوِّ الدَّرجات ، مِن الله مَجازًا ، ومِن المنابِر حقيقة ، وقبول الأعمالِ الصالحاتِ التى هى فى[٤] أصولِ الإخلاص عَرِيقة ، ويُنشِدُه إذا صَعَد خطيبًا ، وتنزَّهت القلوبُ فى رياض مَواعظِه الأنيقة :

ولَمَّا رأيتُ الناسَ دُونَ مَحَلِّهِ ... تَيقَّنْتُ أَنّ الدَّهرَ للناسِ ناقِدُ[٥]

١٣٤١

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم
الشيخ بُرْهان الدّين الجَعْبَرِى[*]
أبو إسحاق

نَزِيلُ مدينة الخليل عليه السلام .

---

(١) فى المطبوعة : « كاتنين خطباء » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٢) فى المطبوعة : « ولقد » ، والمثبت من : ج ، ك . ولا يظهر لنا المراد من كل هذا الكلام .
(٣) فى المطبوعة : « يبنى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .
(٤) فى المطبوعة : « من » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٥) البيت لأبى الطيب المتنبى . وسبق تخريجه فى ٥ / ١٦٧ .
* له ترجمة فى : الأنس الجليل ٢ / ٤٩٦ ، البداية والنهاية ١٤ / ١٦٠ ، بغية الوعاة ١ / ٤٢٠ ، ٤٢١ ، تاريخ ابن الوردى ٢ / ٣٠٠ ، الدرر الكامنة ١ / ٥١ ، ٥٢ ، ذيول العبر ١٧٤ ، ١٧٥ ، شذرات الذهب ٦ / ٩٧ ، ٩٨ ، طبقات الإسنوى ١ / ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، طبقات القراء ، لابن الجزرى ١ / ٢١ ، طبقات القراء ، للذهبى ٢ / ٥٩١ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٨٥ ، مفتاح السعادة ٢ / ٥٤ ، المنهل الصافى ١ / ١١٢ – ١١٦ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٩٦ ، الوافى بالوفيات ٦ / ٧٣ – ٧٦ .

وُلِد[1] فى حدود سنة أربعين وستمائة .

سَمِع من الفَخْر بن البُخارِىّ ، وخَلْقٍ كثير .

وأجاز له الحافظُ يوسف بن خليل . وعَرَض « التَّعجِيز » على مصنِّفه[2] .

وكان فقيهًا مقرئا متفنِّنا[3] ، له التَّصانِيفُ المفيدة[4] ، فى القرآآت ، والمعرِفة بالحديث ، وأسماءِ الرجال . وأكمل شرح « التَّعجيز » ، لمصنِّفه[5] .

توفِّى فى شهر رمضان ، سنةَ اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

١٣٤٢

إبراهيم بن لاجين الأَغَرِّىّ ، بفتح الغين المعجمة
الشيخ بُرهان الدّين الرَّشِيدِىّ*

كان فقيهًا نحويًّا متفنِّنا ، دَيِّنًا خيِّرًا صالحًا .

تخرَّج به جماعةٌ ، وتفقّه على الشيخ عَلَم الدّين العِراقىّ .

مَولِده سنةَ ثلاث وسبعين وستمائة . وتوفِّى بالقاهرة ، سنةَ تسع وأربعين وسبعمائة .

---

(١) بقلعة جعبر – بين بالس والرقة ، قرب صفين – كما فى الطبقات الوسطى ، والمراجع المذكورة .
(٢) ابن يونس ، كما صرح المصنف فى الطبقات الوسطى . وراجع ٨ / ١٩١ .
(٣) كذا فى المطبوعة . والذى فى : ج ، ك أشبه أن يكون : « متثبتا » . وأولى أن يكون ما فى المطبوعة : « متقنا » .
(٤) قيل إن تصانيفه تبلغ المائة . راجع حواشى طبقات الإسنوى .
(٥) فى الطبقات الوسطى : « روى لنا عنه والدى ، أطال الله بقاءه فى معجمه » .
* له ترجمة فى : بغية الوعاة ١ / ٤٣٤ ، حسن المحاضرة ١ / ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، الدرر الكامنة ١ / ٧٧ ، ٧٨ ، ذيول تذكرة الحفاظ ١١٧ ، شذرات الذهب ٦ / ١٥٨ ، طبقات الإسنوى ١ / ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، طبقات القراء ١ / ٢٨ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٣٤ .
وقد أفاد الإسنوى أنه عرف بالرشيدى ، لأن والده كان منسوبا إلى أمير ، يقال له : الرشيدى ، وهو أمير كبير يسكن بالقاهرة ، قريبا من باب النصر .

١٣٤٣

إبراهيم بن هِبة الله بن علىّ*

القاضى نور الدين الحِمْيرِىّ الإسْنائىّ[1]

كان فقيهًا أصوليًّا . قرأ الفقهَ علَى الشيخ بهاء الدين القِفْطِى ، والأصولَ على شارِح « المحصول » الأصبهانىّ ، والنَّحوَ علَى الشيخ بهاء الدين بن النحّاس .

ووَلِىَ قضاء إخْمِيم وأسيُوط وقُوصَ .

وقفتُ له على « مختصر الوَسِيط » وهو حسنٌ ، وقد ضمَّنه تصحيحَ الرافعىّ والنَّووِىّ . وله شَرْح[2] « المنتخب » فى الأصول ، ونَثْر ألفيّةَ[3] ابنِ مالك .

عُزِل عن قَضاء قُوص ، فوَرَد القاهرة ، وأقام بها إلى أن تُوفِّىَ سنةَ إحدى وعشرين وسبعمائة .

١٣٤٤

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن تِيكرُوز**

قاضى القضاة مجد الدين . أبو إبراهيم التَّمِيمىّ الشِّيرازِىّ البالِىّ .

وبال ، بالباء الموحدة[4] : بُلَيدةٌ مِن عَمل شِيراز .

---

* له ترجمة فى بغية الوعاة ١ / ٤٣٣ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٣ ، الدرر الكامنة ١ / ٧٦ ، السلوك ، القسم الأول ، من الجزء الثانى ٢٣٣ ، شذرات الذهب ٦ / ٥٤ ، الطالع السعيد ٣٢ ، ٣٣ ، طبقات الإسنوى ١ / ١٦٠ ، ١٦١ ، المنهل الصافى ١ / ١٧٠ ، الوافى بالوفيات ٦ / ١٥٧ ، ١٥٨ .

(١) فى المطبوعة ، ك : « الأستاذ » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ومراجع الترجمة . والنسبة معروفة ، إلى إسنا : بلدة بصعيد مصر .

(٢) فى المطبوعة : « وشرح » ، والمثبت من : ج ، ك .

(٣) وشرحها أيضا ، كما فى مراجع الترجمة المذكورة .

** ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب ٦ / ١٨٠ ، نقلا عن ابن السبكى . وذكره صاحب كشف الظنون ١٣٢٤ ، فى أثناء حديثه عن كتابه : « القرائن الركنية » . وسماه : « القاضى مجد الدين إسماعيل بن إسماعيل الرازى » . وجعل وفاته سنة ٧٥٠ ، وراجع معجم المؤلفين ٢ / ٢٩٩ . وانظر عن أسرة صاحب الترجمة : المشتبه ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

(٤) ويقال : « فال » بالفاء ، أيضا . راجع الموضع المذكور من المشتبه .

تفقَّه على والده ، وقرأ التفسير على قُطب[1] الدّين الشقار البالِىّ ، صاحب « التقريب على الكشّاف » .

ووَلِىَ قَضاء القُضاة بفارِس ، وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة ، وعُزِل بعدَ مُدَّة بالقاضى ناصر الدين البَيضاوِىّ ، ثم أعيد بعد ستة أشهر ، وعُزِل القاضى ناصر الدين ، واستمرّ مجدُ الدّين على القَضاء خمسًا وسبعين سنة .

وكان مشهورًا بالدِّين والخَير والمكارِم ، وحِفْظِ القرآن وكثرة التِّلاوة .

● وله منزلةٌ عند الملوك رفيعة ، أمر بعضُهم بإظهار الرَّفْض فى أيّامه ، فقام فى نَصرِ الدِّين قيامًا بليغًا ، وأُوذِىَ بهذا السبب ، وقيل : إنه رُبط وأُلْقِىَ إلى الكِلاب والأُسود ، فشمَّتْه ولم تتعرَّضْ له ، فعَظُم قَدْرُه وعُلِم أنه مِن أولياء الله ، وكان ذلك سببًا فى خِذلان الرَّفَضَة .

وُلِد له ثلاثُ بنين ، واشتغلوا بالعِلم ثم مات كلٌّ منهم فى عُنْفُوانِ شَبابه ، فحُكِىَ[2] أنه صلَّى على كلِّ واحدٍ منهم وكَفَّنه ، ولم يَجزَع ، ولا بكَى على واحدٍ منهم .

وحُكِىَ أنه وقَع بينَ أهلِ شِيراز وملكِهم خُصومةٌ ، ونزل الملك بظاهِر البلد ، وعزَم على قتالهم ومُحاصرتهم ، فخرج القاضى لإطفاء النَّائرة ، وكان فى مَحَفَّةٍ ، فرجموه بالحِجارة ، وهرب جميعُ مَن كان حَوالَيه وأُصيبوا بالحجارة ، ووقف القاضى ثابتًا غيرَ مُضطرب ، ولم يُصبْه شىء ، فعُدَّت كرامةً له .

ولمّا مات أحدُ أولادِه الثلاثة ، أفضلُ الدّين أحمدُ ، سأله بعضُ الحاضرين عن سِنّه ، فقال : رأيتُ أنِّى أعطيتُ أربعةً وتسعين دِينارا ، وأُعْطِىَ ولدى أحمدُ اثنين وعشرين[3] ،

---

(1) اسمه : محمد بن مسعود بن محمود . كما فى كشف الظنون ١٤٨١ ، وتاج العروس (ف ى ل) ٨ / ٦٩ . و « الشقار » لم ترد فى مطبوعة الطبقات ، والتاج ، وأثبتناها من : ج ، ك ، والكشف . وفى الشذرات الموضع المذكور قبل : « الشعار » . و « البالى » لم ترد فى ج ، ك ، والشذرات . وهى ثابتة فى مطبوعة الطبقات . وكذلك فى الكشف والتاج ، وإن كانت فيهما : « الفالى » بالفاء ، وهما سواء ، كما سبق .

(2) فى المطبوعة : « فيحكى » ، والمثبت من : ج ، ك .

(3) فى الأصول كلها : « اثنان وعشرون » . خطأ .

فسألت المُعطِى : ما هذا ؟ فقال : هذه سِنُو عُمرِكما ، فاستوفى أحمدُ اثنين وعشرين ، وأمّا أنا فبَقِى لى تسعُ سنين ، فكان الأمرُ كما ذكر .

توفّى فى ثانى عشر شهر رجب ، سنةَ ست وخمسين وسبعمائة ، عن أربع وتسعين سنة ، بشِيراز .

ومِن تَصانِيفه : « القرائن[1] الرُّكنيّة » ، فى الفِقه ، وشرح « مُختَصر ابن الحاجب » فى الأصول ، وله « مختصر فى الكَلام » وله نظمٌ كثير .

● أنشدَنا صاحبُنا المحدِّث مَجْد[2] الدِّين محمد بن يعقوب الفِيرُوزابادِىّ ، لنفسه ، ما كتبه إلى القاضى مجد[3] الدِّين ، مستفتيًا ، قال : وكنت عزمتُ فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة على الحَجّ ، وكنت متزوِّجًا ، فمنعنى أهلُ زوجتى عن السَّفَر ، إلّا أن أعلِّقَ طلاقَها بمُضىِّ ستة أشهر ، فأجبتُ مكرَهًا ، ثم عُدت بعد سِنِين ، فكتبتُ إلى القاضى [رحمه الله][4] :

أَلَا مَن مُبلِغٌ عنِّى كِتابًا ... إلى قاضِى قُضاةِ المُسلِمِينا[5]

بِحالٍ أنّ قَومِى أكرهُونِى ... بأن عَلِّقْ طلاقَكَ مُكْرِهِينا

فى أبياتٍ ذَكَرها ، قال : فأجابنى القاضى بَدِيهًا :

أَلَا يا قُدْوةَ الفُضلاءِ إنِّى ... أعُدُّكَ صادِقًا بَرًّا أمِينَا

---

(١) فى المطبوعة : « الفرائض » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، وكشف الظنون ، الموضع المذكور ، فى صدر الترجمة .

(٢) فى المطبوعة : « نجم الدين » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . وهذا مجد الدين : هو صاحب القاموس المحيط ، وقد ثبت أنه أخذ عن التقى السبكى ، والد المصنف . راجع إنباء الغمر ٣ / ٤٩ ، ومقدمة تاج العروس ١ / ٤٣ .

(٣) فى : ج ، ك : « فخر الدين » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، وهو الموافق لما تقدم فى رأس الترجمة .

(٤) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك .

(٥) فى : ج ، ك : « مبلغ منى » ، والمثبت من المطبوعة .

سَلِيلًا للأُسَى الأمجادِ مَجْدًا غَدا للدَّسْتِ صَدْرًا أو يَمينَا[1]
سأحكُمُ بينكُمْ حُكْمًا مُبِينًا ولكنْ إن حَلفتَ لَهُمْ يَمِينَا[2]
وذلك نَصُّ شَرْعِ اللهِ فِيهِمْ وأمَّا الشَّيخُ حاشَا أن يَمِينَا[3]

١٣٤٥

إسماعيل بن علىّ بن محمود [بن محمد]
ابن عُمر بن شاهِنْشاه بن أيُّوب*

الملك المؤيَّد[4] ، صاحب حَماة .

عِمادُ الدين أبو الفِداء ابن الأفضل بن الملك المُظفَّر بن المَلِك المَنصُور [بن الملك[5] المظفَّر] تقيِّ[6] الدِّين عُمر بن شاهِنْشاه بن أيُّوب بن شادِى .

---

(١) جاء البيت فى المطبوعة .

سليلا للأساتذة الأماجد مجدا غدا للبيت صدرا أو يمينا

وأثبتنا صوابه من : ج ، ك . و « الأسى » : جمع أسوة ، بمعنى القدوة . و « الدست » : معرب دشت ، بمعنى الصحراء ، ومن معانيه : صدر البيت . قال الخفاجى : واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان ، ومجلس الوزارة والرآسة . شفاء الغليل ٩٧ .

(٢) نظن أن هنا سقطا .

(٣) فى المطبوعة : « بذلك نص » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وقوله : « يمينا » من المين : الكذب .

* له ترجمة فى البداية والنهاية ١٤ / ١٥٨ ، تاريخ ابن الوردى ٢ / ٢٩٧ ، الدرر الكامنة ١ / ٣٩٦ – ٣٩٩ ، ذيول تذكرة الحفاظ ٣١ ، ذيول العبر ١٧٠ ، ١٧١ ، السلوك ، القسم الثانى ، من الجزء الثانى ٣٥٤ ، شذرات الذهب ٦ / ٩٨ ، ٩٩ ، طبقات الإسنوى ١ / ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، فوات الوفيات ١ / ٢٨ – ٣٢ ، كنز الدرر وجامع الغرر ٩ / ٣٦٤ ، وانظر فهارسه ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٩٢ – ٢٩٤ . وراجع الإعلان بالتوبيخ ٢٩١ ، ٣٠٦ ، والمواضع المذكورة فى فهرس كتاب تاريخ الأدب الجغرافى العربى صفحة ٩٠٠ .

وما بين الحاصرتين فى نسب المترجم سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، وبعض مراجع الترجمة .

(٤) بعد هذا فى المطبوعة : « ابن غازى » . ولم يرد فى : ج ، ك ، ولا فى مراجع الترجمة .

(٥) تكملة من البداية والنهاية ، وسبقت فى الطبقات ٧ / ٢٤٢ ، ومكان هذه التكملة فى النجوم : « الملك المنصور » .

(٦) فى : ج ، ك : « صفى الدين » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والبداية ، والموضع المشار إليه من الطبقات .

كان مِن أُمراء دِمشق ، وخدم السُّلطانَ [الملك][1] الناصر لَمّا كان فى الكَرَك ، آخرَ أمره ، فوعده بحَماة ، ووَفّى له بذلك .

وكان المذكور رجلًا فاضلًا ، نظَم « الحاوِى » فى الفقه ، وصنَّف « تقويم البلدان » و « تاريخًا »[2] حسنًا ، وغيرَ ذلك .

توفِّى بحَماة ، سنةَ اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وكان قد ملكها فى سنة عشر وسبعمائة ، فأقام هذه المُدّة [له شِعرٌ حَسن][3] ومن شِعره[4] :

أحْسِنْ بِهِ طِرْفًا أفُوتُ به القَضا ... إن رُمتُه فى مَطْلَبٍ أو مَهْرَبِ
مِثْلُ الغَزالةِ ما بَدَتْ فى مَشْرِقٍ ... إلّا بَدَتْ أنوارُها فى المَغْـرِبِ

وكان جَوادًا مُمدَّحًا ، امتدحه الشيخ شهابُ الدّين محمود ، بقصيدته التى مطلعها :

أتُـرَى مُحِـبَّك بالخَيـالِ يَفُـوزُ ... ولنومِـه عَـن مُقلَتيْـهِ نُشُوزُ

وبقصيدته التى مَطلعُها :

مِيعادُ صَبْرِى وسَلْوَى المَعادْ ... فالْحَ امرأً يُسْلِيه طُولُ البِعـادْ

وأكثَر فى مدحه شاعرُه الشيخ جمالُ الدين ابن نُباتة ، شاعر الوقت ، ومِن غُرر قصائده فيه[5] :

لَثَمْتُ ثَغْرَ عَذُولِى حينَ سَمَّاكِ ... فلَـذَّ حتَّى كأنِّى لاثِمٌ فَـاكِ
حُبًّا لذِكراكِ فى سَمْعِى وفى خَلَدِى ... هذا وإن جَرَحَتْ فى القَلْبِ ذِكْراكِ[6]
تِيهِى وصُدِّى إذا ما شِئتِ واحتَكِمِى ... على النُّفُوسِ فإنّ الحُسْنَ وَلّاكِ

---

(١) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة . وراجع الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر ، الذى ذكرناه فى مراجع الترجمة .

(٢) هو المسمى : المختصر فى أخبار البشر . وانظر لأسماء مصنفاته : حواشى طبقات الإسنوى .

(٣) زيادة من : ج ، ك ، على ما فى المطبوعة .

(٤) فى وصف فرس . على ما ذكر ابن حجر ، فى الدرر .

(٥) ديوانه ٣٦٠ .

(٦) فى : ج ، ك : « وحت فى القلب » . وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان .

وَطوِّلِى مِن عَذابِى فى هواكِ عَسَى ... يَطُولُ فى الحَشْرِ إيقافِى وإيَّاكِ

فى فِيكِ خَمْرٌ وفى عِطْفِ الصِّبا مَيَدٌ ... فما تَثَنِّيكِ إلَّا مِن ثَنايَاكِ

وما بكَيتُ لكونى فيكِ ذا شَجَنٍ ... إلّا لكونِ سَعِيرِ القلبِ مأواكِ[1]

بالرَّغْمِ إن لم أَقُلْ يا أصلَ حُرْقَتِهِ ... لِيَهْنِك اليومَ إنّ القَلْبَ مَرْعاكِ

يا أَدمُعًا لِىَ قدْ أنفقتُها سَرَفًا ... ما كان عن ذا الوَفا والبِرِّ أغناكِ[2]

ويا مُدِيرَةَ صُدْغَيْها لِقُبْلَتِها ... لقد غَدَتْ أوجُهُ العُشَّاقِ تَرْضاكِ[3]

مَهْما سَلَوْنا فما نَسْلُو لَيالِينَا ... وما نَسِينا فلا واللهِ نَنساكِ

نكادُ نلقاكِ بالذِّكرَى إذا خطَرتْ ... كأنّما اسمُكِ يا أَسْما مُسَمَّاكِ[4]

ونَشْتكِى الطَّيرَ نَعَّابًا بفُرْقَتِنا ... وما طُيورُ النَّوَى إلَّا مَطايَاكِ[5]

لَقدْ عَرفْناكِ أيّامًا وداوَمَنا ... شَجْوٌ فياليتَ أنَّا ما عَرفْناكِ

نَرْعَى عُهُودَكِ فى حَلٍّ ومُرْتَحَلٍ ... رَعْىَ ابنِ أَيُّوبَ حالَ اللائذِ الشاكِى

العالِمُ المَلِكُ السَّيَّارُ سُؤدَدُهُ ... فى الأرضِ سَيْرَ الدَّرارِى بينَ أفلاكِ[6]

ذاك الذى قالتِ العَلْيا لأَنْعُمِهِ ... لا أصغَر اللهُ فى الأحوالِ مَهْناكِ[7]

لَهُ أحاديثُ تُغْنِى كلَّ مُجْدِبَةٍ ... عن الحَيَاءِ وتُجْلِى كلَّ أحلاكِ[8]

ما بينَ خَيْطِ الدُّجَى والفَجرِ لائحةً ... كأنّها دُرَرٌ مِن بينِ أسلاكِ[9]

---

(١) فى : ج ، ك : « لكونى منك » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان ، وفيه : « ذا تلف » .

(٢) فى المطبوعة : « عن ذى » . والتصحيح من : ج ، ك ، والديوان .

(٣) فى : ج ، ك : « كقبلتها » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان .

(٤) فى الديوان : « يا سعدى مسماك » .

(٥) فى : ج ، ك : « لغاز » ، وأثبتنا ما فى : المطبوعة ، والديوان .

(٦) فى : ج ، ك : « الدرارى من علا أفلاك » ، والمثبت من المطبوعة ، والديوان .

(٧) فى المطبوعة : « هذا الذى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان ، وفيه : « الأحوال ممساك » .

(٨) فى : ج ، ك :

* كم من أحاديث تغنى كل محدثة *

وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان .

(٩) فى الديوان : « والفجر واضحة » .

كَفاكِ يا دَوْلَةَ المِلكِ المؤيَّدِ عن ... بِرٌّ البَرِيَّةِ مَن للفضلِ أعطاكِ[1]

لَكِ الفُتُوَّةُ والفَتْوَى مُحَرَّرةٌ ... للهِ ماذا علَى الحالَيْنِ أفتاكِ

أحْيَيْتِ ما ماتَ مِن عِلْمٍ ومِن كَرَمٍ ... فزادَكِ اللهُ مِن فَضْلٍ وحَيّاكِ

مَن ذا يُجَمِّعُ ما جَمَّعْتِ مِن شَرَفٍ ... فى الخافِقَيْنِ ومَن يَسْعَى لِمَسْعاكِ

أنْسَى المُؤيَّدُ أخبارَ الأُلَى سَلَفُوا ... فى المُلْكِ ما بينَ وهَّابٍ وفتَّاكِ[2]

ذُو الرَّأىِ يشكُو السِّلاحُ الجَمُّ قاطِعَهُ ... لِذاكَ يُسْمَى السِّلاحُ الجَمُّ بالشَّاكِى[3]

والمكْرُماتُ التى افْتَرَّتْ مَباسِمُها ... والغَيثُ بالرَّعْدِ يُبْدِى شَهْقَةَ الباكِى

قُلْ للبُدُورِ استَجِنِّى فى الغَمامِ فقَدْ ... مَحا سَنا ابنِ علىٍّ حُسْنَ مَرآكِ[4]

إنِ ادَّعَيتِ مِن البِشْرِ المُطِيفِ بهِ ... غَيْظًا فقَدْ ثبتَتْ فى الوَجْهِ دَعْواكِ[5]

يا أيُّها المَلِكُ المَدْلولُ قاصِدُهُ ... وضدّه نحوَ ستَّارٍ وهَتَّاكِ

وحَّدتُه فى الوَرى بالقَصْدِ وارتفعتْ ... وسائلى فيه عن زَيْغٍ وإشراكِ[6]

---

(١) قوله : « كفاك » لم يرد فى : ج ، ك ، وكتب فى الهامش : « ط » أى : طبق الأصل . وأثبتناه من المطبوعة . وجاء فى الديوان : « كافاك » . وفى : ج ، ك : « من فى الفضل » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة ، والديوان .

(٢) فى أصول الطبقات : « رهاب » ، وأثبتنا ما فى الديوان .

(٣) فى الديوان :

* ذى الرأى يشكى السلاح الجم حدته *

(٤) فى : ج ، ك : « استجنى فى الظلام » ، وأثبتنا ما فى : المطبوعة ، والديوان .

(٥) فى المطبوعة : « عطفا فقد » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والديوان .

(٦) هكذا أثبتنا البيت من الديوان ، وقد اضطرب رسمه اضطرابا كثيرا فى أصول الطبقات ، فجاء فى المطبوعة :

نلت بحره فى السادات وارتفعت ... فيه الرسائل عن ربع واتراك

وفى : ج ، ك : « باب بحره ... فيه الوسائل » .

وقبل هذا البيت فى الديوان ، بيتان هما :

لو أدركت بنو العباس لانتصرت ... بمقدم فى الظلام الخطب ضحاك

مظفر الجد من حظ ومن نسب ... مبصر بخفى الرشد مدراك

سَقْيًا لِدُنْياكَ لا لَقَبٌ يُخالِفُه فيها لَدَيكَ ولا وَصْفٌ بأفّاكِ[1]

مَن كان مِن خِيفةِ الإنفاقِ يُمْسِكُها فأنتَ تُنْفِقُها مِن خَوْفِ إمساكِ[2]

١٣٤٦

جعفر بن ثَعلَب بن جعفر بن علىّ بن المُطَهّر بن نَوْفَل الأُدْفوِىّ[3]

١٣٤٧

الحسن بن شَرَفْ شاه . السيد ركن الدين أبو محمد العَلَوىّ الحُسينىّ الإستراباذِىّ*

مدرِّسُ الشافعيّة بالموصِل ، وشارح « مختصر ابن الحاجب » و « مقدمته فى النحو » ، وله شرحٌ على « الحاوى » .

---

(١) فى المطبوعة : « لا لقلب يخالفه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والذى فى الديوان : « لا كف بخائبة » .

(٢) فى المطبوعة والديوان : « من كان فى » . والمثبت من : ج ، ك . وجاء بحاشية ج ، فى آخر القصيدة : « يقابل من الديوان » .

(٣) هكذا وقفت الترجمة فى الأصول ، وكتب فى : ج : « بياض » وهذا الأدفوى هو صاحب كتاب « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » . ولد منتصف شعبان سنة خمس وثمانين وستمائة ، بمدينة أدفو ، من أعمال قوص ، قريبا من أسوان . وتوفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وقيل سنة تسع . راجع طبقات الإسنوى ١ / ١٧٠ ، وحواشيه ، ومقدمة تحقيق كتابه « الطالع السعيد » . للأستاذ سعد محمد حسن .

هذا وقد جاء فى مطبوعة الطبقات اسم والد المترجم : « تغلب » بالتاء الفوقية ، والغين المعجمة . وأهمل النقط فى : ج ، ك . وكتبناه : « ثعلب » بالثاء المثلثة ، والعين المهملة من مقدمة تحقيق : « الطالع السعيد » صفحات ى ، ك ، ل ، وللمحقق عليه كلام جيد . وانظر الأعلام ، للزركلى ٨/ ٢٤ ، صورة رقم (١٣١٥) .

وجاء فى : ج ، ك : « المطهر بن المؤمل » ، وأثبتناه : « نوفل » من المطبوعة ، والطالع السعيد ٦٦ ، ١٨٦ ، ٢٣٩ ، ٢٨٤ ، ٤١٦ ، فى أثناء تراجم بعض أقارب « جعفر » هذا .

* له ترجمة فى : الدرر الكامنة ٢ / ٩٨ ، ٩٩ ، ذيول العبر ٨٣ ، شذرات الذهب ٦ / ٣٥ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٥٥ ، النجوم الزاهرة ٩ / ٢٣١ .

كان إمامًا فى المعقولات .

توفِّىَ سنةَ خمسَ عشرةَ وسبعمائة ، عن سبعين سنة .

وله « شَرْح » حسَنٌ على « المطالع » وشرح « شمسية المنطق » و « أصول الدين » ، وقد وقفتُ عليه ، وله على « مقدمة ابن الحاجب » ثلاثة[1] شُروح ، مطوَّل ومختصَر ومتوسِّط ، وهذا المتوسط هو الذى بين أيدى الناس اليومَ .

وكان جليلَ المِقدار ، معظَّمًا عندَ ملوك الزمان ، حسَنَ السَّمْت والطالِع[2] .

● حُكِىَ أنه كان مدرِّسًا بمارِدِين ، بمدرسةٍ هناك تُسمَّى مدرسةَ الشهيد ، فدخلَتْ عليه يومًا امرأةٌ فسألته عن أشياءَ مشكِلةٍ فى الحيض ، فعَجَز عن الجواب ، فقالت له المرأة : أنت عَذَبَتُكَ واصِلةٌ إلى وسَطك وتَعجِزُ عن جواب امرأة ؟ قال لها : يا خالَة ، لو علمتُ كلَّ مسألةٍ أُسأَل[3] عنها لوصلَتْ عَذَبتِى إلى قَرْن الثَّور .

١٣٤٨

الحسن بن هارون بن الحسن . الفقيه الصالح نجم الدين الهدبانى[4]

أحدُ أصحاب الشيخ محيى الدين النَّووِىّ ، رحمه الله [تعالى ورَضِىَ عنه][5] .

١٣٤٩

الحسين بن علىّ بن إسحاق بن سَلّام*

بتشديد اللام . الشيخ شَرَفُ الدِّين .

---

(١) فى الأصول : « ثلاث » .

(٢) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « والطائف » .

(٣) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « يسأل » .

(٤) راجع ٨ / ٣٣٧ ، حاشية (٣) .

(٥) زيادة من المطبوعة ، على ما فى : ج ، ك .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٨٥ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، الدرر الكامنة ٢ / ١٤٥ ، ١٤٦ ، ذيول العبر ٩٥ ، شذرات الذهب ٦ / ٤٤ .

مُفْتِى دارِ العدل بدمشق ، فى زمن الأَفْرَم .

دَرَّس بالعَذْراوِيّة والجارُوخِيّة بدمشق ، وكان من فقهاء المذهب .

مولِدُه سنةَ ثلاث وسبعين وستمائة ، وتوفِّىَ فى شهر رمضان ، سنة سبع عشرة وسبعمائة .

١٣٥٠

الحسين بن علىّ بن سَيّد الأهل بن أبى الحسين بن قاسم بن عَمّار*
الشيخ الإمام نجمُ الدّين الأُسْوانىّ الأَصْفُونِىّ

سَمِع من أبى عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طَرْخان ، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المَقْدسِىّ ، وأبى عبد الله محمد بن عبد القَوِىّ ، وأبى الحسن علىّ بن أحمد الغَرَّافِىّ[1] ، والحافظ أبى محمد الدِّمياطِىّ ، وغيرِهم . وحَدَّث بالقاهرة .

تفقَّه على أبى الفضل جعفر التِّزْمَنْتِىّ .

وأقام بالقاهرة يدرِّسُ بمدرسة الحاجِ الملك ، ويَشْغَل الطَّلبةَ بالعِلم ، وتجرَّد مع الفقراء مُدّة .

وكان قوِىَّ النَّفس جدًّا ، حادَّ[2] الخُلق ، مِقْدامًا فى الكلام .

---

* له ترجمة فى : حسن المحاضرة ١ / ٤٢٦ ، الدرر الكامنة ٢ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، شذرات الذهب ٦ / ١٢٠ ، ١٢١ ، الطالع السعيد ٢٢٤ – ٢٢٦ ، طبقات الإسنوى ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ . وفى هذه المراجع : « ابن سيد الكل » إلا الطالع ، ففيه : « سيد الأهل » موافقا لما فى الطبقات .

وجاء فى مطبوعة الطبقات والدرر : « بن أبى الحسن » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والطالع . ولم يرد هذا فى بقية المراجع ، وزاد صاحب الدرر فى نسبه : « بن سيد الكل بن أيوب بن أبى صفرة » .

و « الأصفونى » لم ترد فى شىء من مراجع الترجمة ، وجاء مكانها : « الأسدى » فى بعض المراجع ، وفى بعضها : « الأزدى » . وهى بضم الفاء وسكون الواو ونون : قرية بصعيد مصر الأعلى ، على شاطئ غربى النيل . معجم البلدان ١ / ٣٠٠ .

وقال الأدفوى ، عن صاحب الترجمة : « ويعرف بأسوان بابن أبى شيخة » .

(١) فى المطبوعة : « العراق » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والطالع ، وانظر ما سبق فى ٨ / ٣٤٥ ، ٦١٤ .

(٢) كذا فى المطبوعة . وفى : ج ، ك ، وأصول الطالع السعيد : « قوى النفس حد الخلق » وجعله محقق الطالع : « حاد » متابعة لما فى الدرر الكامنة .

وهو من أهل الخير والصلاح ، صَحِب الشيخ أبا العباس الشاطِر ، وغيرَه من الأولياء .

حكَى لى الوالدُ ، تغمَّده الله برحمته ، أنّ المذكورَ تجرَّد زمنًا طويلا ، ثم حضر دَرْسَ قاضِى القضاة ابن بنت الأَعَزّ ، فأنشدَ بعضُ الناسِ قصيدةً[1] فى مدح سيّدنا رسول الله ﷺ ، فصرخ الشيخُ نجمُ الدِّين ، وحصلَتْ له حالةٌ ، فأنكر القاضى ، وقال : أَيْشَ هذا ؟ فقام الشيخ نجمُ الدّين منزعجًا ، وقال : هذا ما تَذوقُه [أنت][2] وتَرك المدرسةَ والفِقاهَةَ بها .

● وحَكَى لى مَن أثِق به ، قال : سمعتُه يقول ، وهو ثِقةٌ : أوّلُ صُحبَتِى لأبى العبّاس الشاطِر ، خرجتُ معه من القاهرة إلى دَمَنْهُور ، فلمّا طلعنا مِن المَرْكِب ، وكان فيها[3] رفيقٌ تاجِرٌ[4] ، له فى المَرْكِب فِراشٌ ونِطْعٌ ، فطلعنا بحَوائج الشيخ أبى العباس ، فلما انتهيتُ قال : انزِل هاتِ الفِراشَ والنِّطْع ، فنزلتُ فقال لى صاحبُهما : هُما لِى ، فعُدتُ إلى الشيخ ، فقال لى : عُدْ إليه وقل له : هاتِهما ، فعُدتُ ، فأعاد الجوابَ ، فأعادنِى ثالثا فأبَى ، فقال لى رابعًا : عُدْ إليه وقل له : غَرِق الساعةَ فى البحر لك مَرْكِبٌ ، وكلُّ مالَكَ فيها لم يَسْلَم إلا عَبْدٌ ومعه ثمانيةَ عشرَ دينارًا ، فكان الأمرُ كذلك .

قلت : هذا الشاطِرُ كان عظيمَ القَدْر بين الأولياء ، معروفًا بقَضاء الحوائج ، إذا كان للإنسانِ حاجَةٌ جاءإليه فيشتريها منه ، يقول له : كم تُعطِى ؟ فيقول : كذاوكذا ، فإذا اتَّفق معه قال : قُضِيَتْ فى الوقت الفُلانىّ ، وغالبًا تُقْضَى فى الوقت الحاضر ، ولم نَحفَظْ[5] أنه عيّن

---

(١) فى المطبوعة : « قصيدا » ، والمثبت من : ج ، ك ، والدرر .

(٢) زيادة من : المطبوعة ، والدرر ، على ما فى : ج ، ك .

(٣) فى المطبوعة : « فيه » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والقصة باختصار ، فى الدرر الكامنة ، عن السبكى المصنف .

(٤) بعد هذا فى المطبوعة زيادة « لنا » ، وأسقطناها ، كما فى : ج ، ك .

(٥) كذا فى المطبوعة ، بالنون ، وأهمل النقط فى : ج ، ك . ولعل الصواب : « يحفظ » بالياء التحتية ، مبنيا للمفعول .

وقتًا فتقدَّمت عليه الحاجةُ ولا تأخَّرَت ، والحكاياتُ عنه فى هذا الباب كثيرةٌ مَشْهُورة[1] وكان قد تخرَّج[2] بالشيخ أبى العباس المُرْسِىّ .

توفِّى[3] فى صفر ، سنةَ تسع وثلاثين وسبعمائة .

١٣٥١

الحسين بن علىّ بن عبد الكافى بن علىّ بن تَمّام السُّبْكِىّ*

الأخ جمال[4] الدّين أبو الطيِّب ، القاضى .

وُلِد فى رجب ، سنةَ اثنتين وعشرين وسبعمائة .

وحَضَّره أبوه على جماعة من المشايخ ، وحضَر « البُخارِىَّ » على الحَجّار ، لَمّا ورَد مِصر ، وسَمِع علَى يُونُسَ الدَّبابِيسِىّ ، وغيرِه ، وطلَب العِلم ، وتفقه على الشيخ مجد الدين السَّنْكَلُونِىّ[5] ، وقرأ النَّحوَ علَى أبى حَيّان ، أكمل عليه قراءة « التسهيل » ، والأصلَيْن على الشيخ شمس الدين الأصبهانىّ ، وقرأ على جماعةٍ غيرِهم ، وأحْكَم العَرُوضَ ، قراءةً على أبى عبد الله بن الصائغ ، وأتقنه .

---

(١) فى المطبوعة : « فى هذا الباب شهيرة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٢) فى : ج ، ك : « احتج » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة .

(٣) يعنى « الحسين » صاحب الترجمة .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٤ / ٢٥١ ، البيت السبكى ٦٣ ، ٦٤ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، الدرر الكامنة ٢ / ١٤٨ – ١٥٠ ، ذيول العبر ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، السلوك ، القسم الأول من الجزء الثالث ١٤ ، شذرات الذهب ٦ / ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٤) فى البداية والنهاية وحدها : « كمال الدين » .

(٥) فى المطبوعة : « السنلكونى » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . والنسبة إلى : « سنكلون » التى اسمها فى الأصل : « سنكلوم » ، وتعرف اليوم باسم « الزنكلون » إحدى قرى مركز الزقازيق ، بمديرية الشرقية ، بمصر . حواشى النجوم الزاهرة ٩ / ٣٢٤ ، وطبقات الإسنوى ٢ / ١٨ . وهذا السنكلونى هو : مجد الدين أبو بكر ابن إسماعيل بن عبد العزيز الشافعى . راجع مع المصدرين السابقين : الدرر الكامنة ١ / ٤٧١ ، وحسن المحاضرة ١ / ٤٢٦ .

ثم قَدِم الشامَ حينَ وِلاية الوالدِ القضاءَ بها ، وطلب الحديثَ بنفسه ، وقرأ على المِزّى والذَّهبىّ ، وقرأ الفِقه على الشيخ شمس الدين ابن النَّقِيب .

ثم عاد إلى مصر ، ودَرَّس بالمدرَسة الكَهَّاريّة ، ووَلِى الإعادة بدَرْس القَلْعة ، عند القاضى شِهاب الدين بن عَقِيل .

ثم عاد إلى الشام ، ودَرّس [(1) بالمدرسة الدماغيّة ، وولى نيابةَ الحُكم عن والده ، بعد وفاةِ الحافظ تقىّ الدّين أبى الفتح ، ثم درّس](1) بالمدرسة الشاميّة البَرّانِيّة ، وكان يُلْقِى بها دُرُوسًا حسنة مُطوَّلة ، ثم بالمدرسة العَذْراوِيّة .

وكان مِن أذكياء العالَم ، وكان عجيبًا فى استحضار « التَّسهيل » فى النحو ، ودَرَّس بالآخِرة [علَى](2) « الحاوِى الصغير » ، وكان عجيبا فى استحضاره .

توفّى يومَ السبت ثانى شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ودُفِن بقاسِيُون .

ذكره القاضى صلاحُ الدِّين الصَّفَدِىّ ، فى كتابه « أعيان العصر » فقال : كان ذِهنُه ثاقِبًا ، وفَهْمُه لإدراك المعانى مُراقِبًا ، حَفِظ « التسهيل » لابن مالك ، وسَلك مِن فَهْم غوامضه تلك المَسالِك ، وحفظ « التنبيه » وكان يستحضره وليس له فيه شَرِيكٌ ولا شَبِيه ، وقرأ غيرَه سرا(3) .

وكان يعرِف العَرُوضَ جَيِّدا ، ويُثبِّتُ لأركان قَواعِده مُشَيِّدا(4) ، وينظِمُ الشِّعْر بل الدُّرَر(5) ، ويأتى فى مَعانيه بالزُّهْر والزَّهَر(6) ، عفيفَ اليَد فى أحكامه ، لم يَقبل رِشْوةً مِن أحدٍ أبدًا ، ولم يُسمع بذلك فى أيّامه . انتهى .

---

(1) ما بين الحاصرتين ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك . والمدرسة الدماغية : من مدارس دمشق ، أنشأتها عائشة زوجة شجاع الدين محمود بن الدماغ العادلى ، سنة ثمان وثلاثين وستمائة . انظر الدارس فى أخبار المدارس ١ / ٢٣٦ ، ومنادمة الأطلال ٩٧ .

(2) ليس فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك .

(3) كذا فى الأصول .

(4) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « مسندا » .

(5) فى المطبوعة : « الدر » ، والمثبت من : ج ، ك .

(6) لم ترد الواو فى المطبوعة ، وأثبتناها من : ج ، ك .

● ومن نظم الأخ مُلْغِزًا[١] من أبيات :

لا رَيْبَ فيه وفيه الرَّيْبُ أجمَعُهُ   وفيه بأسُ ولِينُ البانة النَّضِرَهْ[٢]

وفيه كُلُّ الوَرَى لَمَّا تُصَحِّفُهُ   وضَيْعةٌ ببلادِ الشامِ مُشْتَهِرَهْ

وكتب إليه القاضى الفاضل شهاب الدين بن فضل الله ، فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وقد وقَّع الشيخُ[٣] بدمشق كثيرًا ، مِن أبيات :

البَحْرُ أنتَ وقد وافى يُنادِيكا   هذا السَّحابُ وقد أوفى بِنادِيكا

ما ذاكَ والبَرْقُ ما تُومِى أصابِعُهُ   إلّا إلـيكَ فأَعْدَتْـه أيادِيكـا[٤]

[٥]لكنه زاد فى تشبيه عارِضِه[٥] .

● وكتب إليه الشيخُ صلاح الدِّين الصَّفَدِىّ ، سائلًا مِن أبيات :

فَكَّرتُ والقُرآنُ فيه عَجائِبٌ   بَهَرَتْ لِمَنْ أمسَى له مُتَدبِّرا

---

(١) فى المطبوعة : « فى لغز من الأبيات » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والبيتان فى الدرر الكامنة ، والشذرات ، وقبلهما :

يا أيها البحر علما والغمام ندى   ومن به أضحت الأيام مفتخره

أشكو إليك حبيبا قد كلفت به   مورد الخد سبحان الذى فطره

خمساه قد أصبحا فى زى عارضه   وفيه بأس شديد قل من قهره

وقد أفاد ابن حجر أن جمال الدين صاحب الترجمة قد كتب هذه الأبيات إلى الصفدى .

وقال ابن العماد ، عن هذا اللغز : « لعله فى ريباس » . قال فى القاموس : والريباس بالكسر : نبت ينفع الحصبة والجدرى والطاعون ، وعصارته تحد النظر كحلا » .

(٢) فى الشذرات : « وفيه يبس ولين القامة النضرة » . وكذا فى الدرر ، لكن فيه : « نفس » مكان « يبس » .

(٣) كذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « للشيخ » .

(٤) جاء البيت فى المطبوعة :

نداك والبرق ما توحى أصابعه   إلا إليك فاعتدته أيـاديك

وصححناه من : ج ، ك .

(٥) جاء هذا الشَّطر فى المطبوعة بين البيتين . ووضعناه هنا كما فى : ج ، ك . وواضح أن الكلام مبتور ، وقد كتب أمامه فى حاشية ج : « نظر » .

فى هَلْ أتى لِمْ ذا أتى يا شاكِرًا ... حتى إذا قال الكَفُورَ تَغيَّرا[1]
فالشُّكْرُ فاعِلُه أتى فى قِلَّةٍ ... والكُفْرُ فاعِلُه أتى مُسْتَكْثِرا[2]
فعلامَ ما جاآ بلَفْظٍ واحِدٍ ... إنَّ التَّوازُنَ فى البَدِيع تَقَرَّرا
لكنَّها حِكَمٌ يَراها كلُّ ذِى ... لُبٍّ وما كانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى

فأجابه من أبيات :

وجَوابُه إنّ الكَفُورَ ولَو أتَى ... بقَلِيلِ كُفْرٍ كان ذاكَ مُكَثَّرا[3]
بخِلافِ مَن شكَرَ الإلٰهَ فإنَّهُ ... بِكَثِيرِ شُكْرٍ لا يُعَدُّ مُكَثِّرا
فإذَنْ مُراعاةُ التَّوازُنِ هاهُنا ... مَحْظُورَةٌ لِمَن اهتَدَى وتَفكَّرا

وقد مدح الأخَ جمالَ الدّين إمامان كبيران ، أحدهما الشيخ الحافظ تقىُّ الدين أبو الفتح[4] ، فقد كتب إليه من دمشق ؛ لَمّا سافر مِن دمشقَ إلى مصر ، ما أنشدَنيه مِن لفظِه لنفسه ، وهو :

هَوًى أغراهُ بِى قَلْبِى وعَيْنِى ... فأذهَبَ بالضَّنَى أثَرِى وعَيْنِى[5]
وأضْحَى الدَّمعُ مُنْحَدِرًا بخَدِّى ... ولا عَجَبٌ تَحدُّرُ ماءِ عَيْنِى
وسَهْمُ الحُبِّ عندَ الوَصْلِ مُصْمٍ ... فكيفَ وقد أُضيفَ لسَهْمِ بَيْنِ
بنَفْسِى مَن نَأَى فنَأَى اصْطِبارِى ... وواصَلَنِى السَّقامُ وحانَ حَيْنِى
وكُنَّا قدْ تَعاهَدْنا على أنْ ... يكونَ تَواصُلًا كالفَرْقَدَيْنِ

---

(١) فى المطبوعة : « لم ذا أتانا » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والمراد الآية الثالثة من سورة الإنسان :﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ .

(٢) فى : ج ، ك :

* والكفر يأتى فعله متكثرا *

وأثبتنا ما فى المطبوعة .

(٣) قوله : « وجوابه » سقط من المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، وبه يستقيم الوزن .

(٤) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ١٦٧ .

(٥) فى : ج ، ك : « أغراه فى » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة .

فصِرْنا بالنَّوى كبَناتِ نَـعْشٍ وحالَ البُعدُ بَينَكُم وبَيْنِـى[1]

وكَمْ شَخْصٍ رأيتُ فلم يَرُقْنِى ولم يَحسُنْ لَدَىَّ سِوَى حُسَيْنِ

إمَامٌ إن تكلَّمَ فى مَجالٍ أبـانَ كلامُـه للمَذْهَبَيْـنِ

وإن ظَهَرتْ فَوائدُه بـرَوْضٍ شَهِدْنا الجَمْعَ بينَ الرَّوضَتَيْنِ[2]

وإن حَلَّتْ أيادِيهِ بـأرْضٍ فبَحْـرُ النِّيـلِ دُونَ القُلَّتَيْـنِ

وإن سمَـحَتْ قَرِيحتُه بشِعْـرٍ فـلا تحْفِـلْ بنُـورِ الشِّعْرَيَيْـنِ

وإن بـرَزَتْ بَدِيهتُـهُ بنَثْـرٍ فـلا تَنظُـرْ لضَوءِ المِرْزَمَيْـنِ[3]

وإن هَـمَّتْ عَزائمُـه بشىءٍ أتـاكَ بما يَسُرُّ الناظِرَيْـنِ

وتَصغيرُ اسمِه ما فيهِ عَيْبٌ ألم تَنظُرْ لمَعْنَى الأصْغَرَيْـنِ[4]

جَمالَ الدِّينِ طالَ البُعْدُ فاقرُبْ لَعَلِّى أقْتَضِى بالقُرْبِ دَيْنِـى

ولا تَبخَلْ بطَيْفٍ فى مَنـامٍ فأينَ النَّومُ مِن سَهْرانِ عَيْنِ[5]

ولا تَبخَـلْ بوَعْـدٍ باقتِـرابٍ فوَعْدُ الحُرّ قالوا مِثْلُ دَيْـنِ

فمُنذُ رحَلْتَ لم أنظُرْ لِنَوْرٍ ولم أرْتَـعْ بـرَوْض النَّيِّرَيْـنِ[6]

وما طَمَحتْ إلى الشَّرْقَيْنِ عَيْنِى ولم أحفِـلْ بما فى الوادِيَيْـنِ[7]

---

(١) بنات نعش : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ؛ لأنها مربعة ، وثلاثة بنات نعش . ويضرب بها المثل فى التفرق . قال الشاعر :

وكنـا فى اجتماع كالثريـا فصرنا فرقة كبنات نـعش

التمثيل والمحاضرة ٢٣٤ ، واللسان (نعش) .

(٢) يعنى بالروضة الثانية كتاب : « الروضة » للإمام النووى .

(٣) فى الأصول : « المرزبين » . خطأ ، وأثبتنا الصواب من الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى ١ / ٣١٧ ، واللسان (رزم) . والمرزمان : نجمان ، وهما مع الشعريين .

(٤) فى ج ، ك : « بمعنى » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة . والأصغران : القلب واللسان .

(٥) فى : ج ، ك : « عينى » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة .

(٦) فى : ج ، ك : « لم أنظر لثورا » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة . والنور ، بفتح النون : الزهر .

(٧) قوله : « الشرقين » هو هكذا فى المطبوعة . ولم ينقط فى : ج ، ك منه سوى الفاء بعد الراء .

فما حالُ امرئٍ يَجفُوه مِنكُمْ ومن يأنس لِدانى الجَنَّتَيْنِ[1]
فخُذْها نَظْمَ عَبدٍ ذِى وَلاءٍ تقَرَّر وُدُّه فى الخافِقَيْنِ
يُقِرُّ لها حَبِيبٌ حينَ أبدَى خَشُنْتِ عليه أُختَ بنى خُشَيْنِ[2]
ومنها أخجلَ الحِلّىّ لَمّا أذابَ التِّبرَ فى كأسِ اللُّجَينِ[3]

● والثانى : الأخُ الشيخ العلّامة بهاء الدين أبو حامد ، أطال اللهُ عمره ، وكتب بها إليه لمّا درَّس بالمدرسة الشامِيّة البَرّانِيّة :

هَنيئًا قد أقَرَّ اللهُ عَيْنِى فلا رَمَتِ العِدَى أهْلِى بعَيْنِ[4]
[الأُولى : الحاسَّة . الثانية : الإصابةُ بالعين][5] :
وقد وافَى المُبشِّرُ لى فأُكْرِمْ بخَيْرِ رَبِيئةٍ وافَى وعَيْنِ[6]

---

(١) كذا ورد عجز البيت فى المطبوعة . وجاء فى : ج ، ك : « ومن ناناس دانى الجنتين » بغير نقط للكلمة التى قبل : « دانى » .

(٢) حبيب : هو الشاعر ، أبو تمام . والشاعر يشير إلى قصيدته التى يمدح بها إسحاق بن إبراهيم ، ويذكر إيقاعه بالمحمرة ، أصحاب بابك ، ومطلعها :

خَشُنْتِ عليه أُختَ بَنِى خُشَيْنِ وأنْجح فيكِ قولُ العاذِلَيْنِ

قال التبريزى : « وبنو خشين : قبيلة من اليمن ، وإنما أراد التجنيس بهذا الاسم ، وقيل : خشين بن لأى ابن عصيم بن شمخ بن فزارة » . ديوان أبى تمام ٣ / ٢٩٧ .

(٣) يريد قول صفى الدين الحلى :

أذابَ التِّبرَ فى كأسِ اللُّجَيْنِ رَشًا بالرَّاحِ مَخضُوبُ اليَدَيْنِ

مطلع قصيدة فى ديوانه ٢٥٧ .

(٤) أشار إلى هذه القصيدة المرتضى الزبيدى فى تاج العروس (عين) ٩ / ٢٨٧ ، حيث قال : « العين : أوصل معانيها الشيخ بهاء الدين السبكى ، فى قصيدة له عينية ، مدح بها أخاه الشيخ جمال الدين الحسين ، إلى خمسة وثلاثين معنى » ثم ذكر مطلع القصيدة وحده .

(٥) هذا التفسير لم يرد فى المطبوعة ، وأثبتناه من : ج ، ك ، وقد وضع فيهما هكذا بين البيتين . ثم جاء الشرح فيهما بعد ذلك بإزاء الأبيات فى الحواشى . وسننقل فى حواشينا هذا الشرح للعين ، من غير أن ننص على أنه من النسختين ، ثم نذكر شرح التاج ، إن رأينا عنده خلافا .

(٦) الربيئة ، وهو الكاشف . وفى التاج : « المكاشف » . وجاء فى المطبوعة : « وافى البشير إلى » . وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

يُخَبِّرُنِى بأَنَّ أَخِى أتاهُ مُناهُ وسَعْدُهُ مِن كُلِّ عَيْنِ[1]
فلو سَمَح الزَّمانُ لكنتُ أعطِى له ما فيه مِن وَرِقٍ وعَيْنِ[2]
أيا شامِيَّةَ الشامِ افتِخارًا بمَن لِسَناهُ تَعْشُو كلُّ عَيْنِ[3]
بِمَنْ بَركاتُه ظَهَرتْ فنارَتْ بِها الدُّنيا وحَفَّتْ كُلَّ عَيْنِ[4]
فَتًى إن عُدَّت الأعيانُ قالَتْ لَه الأيّامُ إنّك أنتَ عَيْنِى[5]
وحَبْرُكُمُ حَوَى مِن بَحْرِ عِلْمٍ يُرَوِّى الطالِبين بطُولِ عَيْنِ[6]
ويُلْقِى فى العُلومِ لكُلِّ وَفْد غَزيرَ فَوائدٍ كغَديرِ عَيْنِ[7]
وواسِطةٌ لِعِقْدِ بَنِى أبيهِ كأَوسَطِ لفظةٍ تُدْعَى بعَيْنِ[8]
وقاضٍ أمرُه فى الناسِ ماضٍ فلا يَخْشَى مِن استِقبالِ عَيْنِ[9]
ويَنصِبُ بينَهُمْ قِسْطاسَ حَقٍّ خَلَتْ مِن كُلِّ تَطْفِيفٍ وعَيْنِ[10]
لَهُ نُورانِ مِن وَرَعٍ وعِلْمٍ تَخالُهما كبَدْرِ دُجًا وعَيْنِ[11]
يُصَيِّرُ عَدْلُه ذا المَطْلِ عَدْلًا ويَجعلُ كلَّ دَيْنٍ مَحْضَ عَيْنِ[12]

---

(١) الناحية .
(٢) الذهب عامة .
(٣) كل أحد . وفى المطبوعة : « أيا شامية الشامى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .
(٤) أهل الدار . وجاء فى : ج ، ك : « فمن بركاته » ، والمثبت من المطبوعة . وفيها : « ونارت » وأثبتناه بالفاء من : ج ، ك .
(٥) الخيار والأشراف .
(٦) جريان الماء .
(٧) عين الماء وينبوعه . وفى التاج : « ينبوع الماء » . وجاء فى المطبوعة : « عزيز فوائد » ، والمثبت من : ج ، ك .
(٨) وسط الكلمة .
(٩) الجاسوس .
(١٠) العين فى الميزان : الميل . وفى التاج : « عين الإبرة » .
(١١) الشمس نفسها . وفى التاج : « الشمس » .
(١٢) النقد الحاضر . وفى التاج : « النقد » .

ويَحجُبُ عزُّ نائِلِه ضِيـاءً كما حَجَب الغَزالَةَ ضوءُ عَيْنِ[1]
لقد شَرُفَتْ دِمَشْقُ به ومِصرٌ فقد سارَتْ مَحاسِنُه لِعَيْـنِ[2]
وتَعظُمُ كلُّ أرضٍ حَلَّ مِنها ولو خَفَرتْ خَفارةُ رأسَ عَيْنِ[3]
يَجُودُ بكُلِّ ما فى راحَتَيْـهِ إذا بَخِلَتْ بنُو الدُّنيا بعَيْنِ[4]
ويُوسِعُ للوَرَى نادِى القِرَى إن مَزادَةُ غَيرِه شَحَّت بعَيْـنِ[5]
وعَمّ نَداهُ مِن شَرْقٍ وغَرْبٍ فلم يُحْوِجْ إلى سَلَفٍ وعَيْنِ[6]
جَمالَ الدّين فَضْلُكَ ليس يُحْصَى فدُونَك قَطْرَةً مِن سُحْبِ عَيْنِ[7]
بِرَغْمِى أن أُهنِّى عن بِعادٍ وحَقِّى أن أجِىءَ لكُمْ بعَيْنِى[8]
ومِن سَفَهِ المَعيشَةِ غَيْبَتِى عَنْ دُرُوسِكَ لم أُفوِّقْها بعَيْـنِ[9]
ولو أسْطِيعُ جئتُ ولو جِثِيًّا علَى رُكَبِى إليكَ بكُلِّ عَيْنِ[10]
ولولا ما أرُومُ مِن التَّلاقِى لَأذهَبَ بَينُكُمْ نَفْسِى وعَيْنِى[11]

---

(١) شعاع الشمس . وجاء فى المطبوعة : « ومحجب عين نائله » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . وفيهما : « كما حجب الغيالة » . ولم نجد للغيالة معنى مناسبا ، فأثبتنا ما فى المطبوعة . و « الغزالة » : الشمس .

(٢) قبلة العراق . وجاء فى المطبوعة : « فقد صارت » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٣) بلد بين حران ونصيبين .

(٤) الدينار خاصة .

(٥) الخرم فى المزادة . وقوله : « شحت » جاء هكذا فى المطبوعة ، وهو بهذا الرسم فى : ج ، ك ، لكن من غير نقط .

(٦) العينة . وهى بكسر العين : أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به . النهاية ٣ / ٣٣٣ .

(٧) مطر أيام لا يقلع .

(٨) بنفسى .

(٩) المعاينة والنظر .

(١٠) النقرة من الركبة . وفى التاج : « نقرة الركبة » وجاء فى : ج ، ك : « ولو استطعت جئت جثيا » ، وأثبتنا الصواب من المطبوعة .

(١١) الشخص والصورة .

وكنتُ لعَينِ قَطْرٍ سالَ قِدْمًا فما أزكَى وأحسَنَ سَيْلَ عَيْنِ[1]
مَتى ألقاكُمُ مِن عَيْنِ شَمْسٍ وقد حَلَّتْ رِكابُكُمُ بعَيْنِ[2]
وهَنِّ أخاكَ تاجَ الدِّين عَنِّى فإنَّ كِلَيكُما خِلِّى وعَيْنِى[3]
وقُومَا وادْعُوَا لِأبيكُما إذْ لَنا مِنهُ أبَرُّ أَبٍ وعَيْنِ
بِه زَكَتِ الفُرُوعُ وطابَ مِنها غُصُونٌ أَخْرجَتْها حين عَيْنِ[4]
فَدامَ بقاؤُه ما لاحَ بَرْقٌ وأطْرَبَ صَوتُ قُمْرِىٍّ وعَيْنِ[5]
ومَن يَنظُرْ إليه بعَيْنِ سُوءٍ يُقابِلْهُ الإلهُ بكُلِّ عَيْنِ[6]
ولا زالَتْ أعادِيهِ تَرَدَّى بكُلِّ مَزِلَّةٍ وبكُلِّ عَيْنِ[7]
وقد جَمعَتْ مَعانِى العَيْنِ طُرًّا قَصِيدِى لم تَدَعْ معنًى لعَيْنِ[8]
فلو عاشَ الخليلُ لقالَ هَذِى مَعانٍ ما رأتْها قَطُّ عَيْنِى[9]
وقد ضاقَتْ قَوافِيها وركَّتْ وذلك لالتزامِى لَفْظَ عَيْنِ[10]
ولو لم ألتزِمْ هذا لَفاقَتْ قَصيدَ أديبِ أرضِ الجامِعَيْنِ[11]

---

(١) عين القطر . وفى التاج : « عين النظرة » .
(٢) يريد بعين شمس ، فوضع الظاهر موضع المضمر . وفى التاج : « قرية بمصر » .
(٣) الأخ الشقيق .
(٤) عين الشجر . وقوله : « حين » هو هكذا فى المطبوعة : وبهذا الرسم فى : ج ، ك ، من غير نقط .
(٥) طائر معروف .
(٦) الضرر فى العين .
(٧) يقال : أرض مزلة ، بفتح الميم وكسر الزاى : أى تزل فيها الأقدام .
(٨) اللفظ المشترك .
(٩) كتاب العين ، فى اللغة . وجاء فى الأصول : « لقال هذا » . والأولى ما أثبتنا .
(١٠) مجرد اللفظ ، وهو غير المشترك . وفى التاج : « حرف من المعجم » .
(١١) أرض الجامعين : هى الحلة ، المدينة الشهيرة بين الكوفة وبغداد ، كانت تسمى قديما : الجامعين . راجع معجم البلدان ٢ / ٣٢٢ . وأراد قصيدة صفى الدين الحلى التى ذكرنا مطلعها قريبا ، صفحة ٤١٦ .

ولولا ذا لَطابَ لها خِتامٌ ... بذِكْرِ مليكِها القاضى الحُسَيْنِ
وطافَ علَى الصِّحابِ بكَأسِ راحٍ ... وطَافَتْ مُقْلتاه بآخَرَيْنِ[1]
رَخِيمٌ مِن بَنِى الأتراكِ طَفْلٌ ... يُجاذِبُ رِدْفُه جَبلَىْ حُنَيْنِ[2]
يُدِلُّ نُطْقَه ضادًا بدالٍ ... ويُشْرِكُ عُجْمةً قافًا بغَيْنِ[3]
يَطوفُ على الرِّفاقِ مِن الحُمَيَّا ... ومِن خَمْرِ الرِّضابِ بمُسْكِرَيْنِ
إذا يَجْلُو الحُمَيَّا والمُحيَّا ... شَهِدْنا الجَمْعَ بينَ النَّيِّرَيْنِ
وآخَرُ مِن بَنِى الأعرابِ حُفَّتْ ... جُيوشُ الحُسْنِ منه بعارِضَيْنِ
إلى عَيْنَيْهِ تَنتسِبُ المَنايا ... كما انتسبَ الرِّماحُ إلى رُدَيْنِ[4]
نُلاحِظُ سَوْسَنَ الخَدَّينِ مِنْهُ ... فيُبدِلُها الحَياءُ بوَرْدتَيْنِ
ومَجْلِسُنا الأنيقُ تُضىءُ فِيهِ ... أوانِى الرّاحِ مِن وَرِقٍ وعَيْنِ[5]
فأطلَقْنا فَمَ الإبريقِ فيهِ ... وباتَ الزِّقُّ مَغْلُولَ اليَدَيْنِ
وشَمْعَتُنا شَبِيهُ سِنانِ تِبْرٍ ... تَرَكَّبَ فى قَناةٍ مِن لُجَيْنِ[6]
وقَهْوتُنا شَبِيهُ شُواظِ نارٍ ... تَوقَّدَ فى أكُفِّ الساقِيَيْنِ[7]
إذا مُلِئَ الزُّجاجُ بها وطارَتْ ... حَواشِى نُورِها فى المَشْرِقَيْنِ[8]
عَجِبْتُ لبَدْرِ كأسٍ صارَ شَمْسًا ... يُحَفُّ مِن السُّقاةِ بكَوْكَبَيْنِ

---

(١) هذا البيت هو ثانى بيت من قصيدة صفى الدين الحِلّى التى أشرنا إليها فى ص ٤١٦ . وهو وما بعده إلى آخر الشعر لصفى الدين الحِلّى . ديوانه ٢٥٧ .

(٢) الطفل ، بفتح الطاء : الرخص الناعم . وجاء فى الأصول : « وَخَيِّم من بنى » وأثبتنا ما فى الديوان .

(٣) فى المطبوعة : « ويترك عجمة » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٤) المعروف أن الرماح تنسب إلى « ردينة » وهى امرأة ، كانت تسوى القنا والرماح بهجر . راجع اللسان (ردن) واللباب ١ / ٤٦٤ ، وكأن الشاعر غيره للقافية .

(٥) فى الأصول : « أوان الراح » .

(٦) قوله : « تركب » هو هكذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « برحب » من غير نقط .

(٧) فى : ج ، ك : « توقد فى يدى ... » ، والمثبت من المطبوعة .

(٨) فى : ج ، ك : « طواسى » . والمثبت من المطبوعة والديوان .

ونحن نُرِقُّ أعبادَ النَّصارَى ... بشَطٍّ مُحَوَّلٍ والرَّقْمتَيْنِ[1]
نُوحِّدُ راحَنا مِن شِرْكِ ماءٍ ... ونُولَعُ فى الهَوَى بالمَذْهَبَيْنِ
وقد صاغَتْ يدُ الأزهارِ تاجًا ... علَى الأغْصانِ فَوْقَ الجانِبَيْنِ[2]
بوَرْدٍ كالمَداهِنِ مِن عَقِيقٍ ... وأقداحٍ كأزْرارِ اللُّجينِ[3]
وقد جُمِعَتْ لِىَ اللَّذّاتُ لَمَّا ... دَنَتْ مِنّا قُطُوفُ الجَنَّتَيْنِ[4]
وما أنا مِن هَوَى الفَيْحاءِ خالٍ ... ولا مِمَّنْ أُحِبُّ قَضيْتُ دَيْنِى
إذا مَا قلَّبُوا فى الحَشْرِ قَلْبِى ... رأَوْا بينَ الضُّلُوعِ هَوَى حُسَيْنِ
تملَّكَ حُبُّه قَلْبِى وصَدْرِى ... فأصْبَحَ مِلءَ تِلكَ الخافِقَيْنِ
وأُعْوِزَ مَعْ دُنُوِّى عنه صَبْرِى ... فكيفَ يكونُ صَبْرٌ بعدَ بَيْنِ[5]
إذا ما رامَ أن يَسلُوه قَلْبِى ... تمثَّلَ شَخْصُه تِلقاءَ عَيْنِى
ألا يا نَسْمةَ السَّعْدِىّ كُونِى ... رَسُولًا بينَ من أهوَى وبَيْنِى
ويا نَشْرَ الصَّبا بَلِّغْ سَلامِى ... إلى الفَيْحاءِ بينَ القَلْعَتَيْنِ
وحَىِّ الجامِعَيْنِ وجانِبَيْها ... فقد كانا لشَمْلى جامِعَيْنِ[6]
وقُلْ لِمُعذِّبِى هَلْ مِن نَجازٍ ... لِوعْدِى سالفيك السالِفَيْنِ[7]
سَمِيُّكَ كان مقتولًا بظُلْمٍ ... وأنت ظَلَمْتَنِى وجَلبْتَ حَيْنِى

---

(١) جاء فى الديوان :

* ونحن نزف أعياد النضارى *

ومحول : بليدة حسنة طيبة ، كثيرة البساتين والمياه ، قريبة من بغداد . والرقمتان هنا : قريتان بين البصرة والنباج . راجع معجم البلدان ٢/٨٠١ ، ٤/٤٣٢ .

وجاء فى : ج ، ك : « ونحن نزف » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة . و « أعباد » : جمع عبد ، وجاءت خالية من النقط فى : ج ، ك .

(٢) فى : ج ، ك : « الأزهار روضا » ، والمثبت من المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « ببرد كالمداهن » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(٤) فى : ج ، ك : « جمعت فى » ، والمثبت من المطبوعة .

(٥) فى : ج ، ك : « صبرى بعد بين » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة .

(٦) الجامعين : الحلة ، وسبقت قريبا .

(٧) قوله : « سالفيك » هو هكذا فى المطبوعة ، وفى : ج ، ك : « سالفتك » .

وهَبْتُكَ فى الهَوَى رُوحِى بوَعْدٍ وبِعْتُك عامِدًا نَقْدًا بدَيْــنِ
وجئتُ وفى يَدِى كَفَنِى وسَيْفِى فكيف جَعَلْتَها خُفَّى حُنَيْنِ
وكم صَيَّرتَ بُعْدَكَ قَيْدَ قَلْبِى وكان جمالُ وَجْهِك قَيْدَ عَيْنِ[1]
فصِرْنا نُشْبِهُ النَّسرَيْنِ بُعْدًا وكُنَّـا أُلْفَــةً كالفَرْقَدَيْـــنِ
علمتُ بأنّ وَعْدَك صارَ مَيْنًا لِزَجْرِى مُقْلَتَيْكَ بصارِمَيْــنِ
وقلتُ وقد رأيتُكَ خابَ سَعْيِى لكونِ البَدْرِ بينَ العَقْرَبَيْــنِ
فكَمْ دَلَّلتَنِى بخَيــالِ زُورٍ وكَم أطمَعْتَنِى بسَرابِ مَيْنِ[2]
وهَل لاقلتَ لِى قولًا صَرِيحًا فكان المَنْعُ إحْدَى الراحَتَيْنِ
عَرفْتُكَ دُونَ كلِّ الناسِ لَمّا نَقدتُكَ فى المَلاحةِ نَقْدَ عَيْنِ
وكم قد شاهَدتْكَ الناسُ قَبْلِى فما نَظَرُوكَ كلُّهمُ بعَيْنِــى
وطاوَعْتُ الفُتوَّةَ فيكَ حَتَّى جعلتُكَ فى العَلاءِ برُتْبَتَيْــنِ
فلمَّا أن خَــلا المَغْنَى وبِتْنَا عُـراةً بالعَفــافِ مُؤَزَّرَيْــنِ[3]
قَضَيْنا الحَجَّ ضَمًّا واستِلامًا ولم نَشعُرْ بما فى المَشْعَرَيْنِ
أتهجُرُنِى وتحفظُ عَهْدَ غيرِى وهل للموتِ عُذْرٌ بَعْدَ ذَيْنِ
وقلتَ الوعدُ عندَ الحُرِّ دَيْنٌ فكيف مَطَلْتَنِى وجَحدْتَ دَيْنِى
أأجعلُ لى عليكَ سِواكَ عَيْنًا وكنتَ على جميعِ الناسِ عَيْنِى
إذا ما جاء مَحبُوبِى بذَنْبٍ يُسابِقُه الجَمالُ بشافِعَيْــنِ[4]
وقلتَ جعلتَ كلَّ الناسِ خَصْمِى لقَدْ شاهدتَ إحـدَى الحالَتَيْـنِ
وكان الناسُ قبلَ هواكَ صَحْبِى فهل أبقيتَ لى مِن صاحِبَيْنِ

---

(١) فى : ج ، ك : « فقد قلبى » ، وأثبتنا ما فى المطبوعة . وفيها : « وجهك قيد حين » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، ولعله « عينى » .
(٢) فى الديوان : « فلِمْ دللتنى ... ولِمْ أطمعتنى » .
(٣) فى الأصول : « فلما أن حكى المعنى » وصححناه من الديوان .
(٤) فى المطبوعة : « محبوبى بدين » . والتصحيح من : ج ، ك .

بِعادِى أطْمَعَ الأعْداءَ حتَّـى رأوكَ اليومَ حَرْبَ الناظِرَيْنِ[1]

وهل لا طالَعُوكَ بعَينِ سُوءٍ وأمـرِى نافِـذٌ فى الدَّولَتيْـنِ[2]

وما خَفَقتْ جَناحُ الجَيشِ إلَّا رأوْنِى مِلءَ قلبِ العَسْكَرَيْنِ

لئن سَكَنَتْ إلى الزَّوراءِ نَفْسِى فإنّ القَلْبَ بيـنَ مُحرِّكَيْـنِ

هَوًى يَعْتادُنِى لدِيارِ بَكْـرٍ وآخَرُ نحوَ أرضِ الجامِعَيْـنِ[3]

يُسارِعُ نحوَ رأس العَيْنِ خَطْوِى وأقصِدُها على رأسِى وعَينِى[4]

وأسَرحُ فى حِمَى جَيْرُونَ طَرفِى وأرتَـعُ فى رِيـاضِ النَّيِّريْـنِ[5]

فليس الخَطْبُ فى عَيْنِى جليلًا إذا قابلتُـه بالأَصْغَرَيْـنِ[6]

فَيا مَنْ بانَ لَمَّا بانَ صَبْرِى وحارَبَنِـى بسَهْـمِ المُقْلَتَيْـنِ

تَنغَّصَ فيك بالزَّوْراءِ عَيْشِى وبُـدِّلَ زَيْـنُ لذَّاتِـى بشَيْـنِ

وما عَيْنِى بِها جَهْما ولكِنْ رأيتُ الزَّيْنَ بعدَك غيرَ زَيْنِ[7]

والحِلِّىُّ عارَض أبا تمّام فى قصيدته التى مطلعها[8] :

* خَشُنْتِ عليه أختَ بَنِى خُشَيْنِ *

وهى معروفة .

---

(1) فى ج ، ك : « يعادى » ، بالياء التحتية ، وأثبتناه بالباء الموحدة من المطبوعة والديوان ، وفيه : « خزر الناظرين » .

(2) فى المطبوعة : « بغير سوء » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك .

(3) أرض الجامعين : الحلة ، وسبقت قريبا . وفى الديوان : « هوى يقتادنى » .

(4) رأس العين : مكان تقدم التعريف به قريبا . وفى الديوان : « سأسرع نحو ... » .

(5) جيرون : موضع عند باب دمشق .

(6) فى : ج ، ك : « فى عينى حفيلا » ، والمثبت من المطبوعة . والأصغران : القلب واللسان

(7) فى المطبوعة : « رأين الزين » ، وأثبتنا الصواب من : ج ، ك . وفى الديوان : « وما عيشى بها جَهْمًا » .

(8) انظر صفحة ٤١٦ .

ولم أجدْ على هذا الوَزن والرَّوِىّ أقدمَ من أبياتٍ قالها أعرابىٌّ ، قيل له : من لم يتزوَّج بامرأتين[1] لم يَذُق حلاوةَ العيشِ ، فتزوَّج امرأتين ، فنَدِم وأنشأ يقول :

تزوَّجْتُ اثنَتَيْنِ لفَرْطِ جَهْلِى	بما يَشْقَى به زَوجُ اثْنَتَيْـنِ
فقلتُ أصيرُ بينَهُما خَرُوفًا	أُنَعَّـمُ بيـنَ أكـرَمِ نَعْجَتيْـنِ
فصِرْتُ كنَعْجةٍ تُضْحِى وتُمْسِى	تُداوَلُ بيـنَ أخْـبَثِ ذِئبَتَيْـنِ
رِضَا هَذِى يُهيِّجُ سُخْطَ هَذِى	فما أُعْرَى مِنِ آحْدَى السُّخْطَتَيْنِ
وأَلْقَى فى المعيشةِ كُلَّ بُؤْسٍ	كذاكَ الضُّرُّ بينَ الضَّرَّتَيْـنِ[2]
لِهَذِى ليلةٌ ولِتِلكَ أُخْـرَى	عِتــابٌ دائـمٌ فى اللَّيلَتَيْــنِ
فإن أحببتَ أن تَبْقَى كَرِيمًا	مِنَ الخيراتِ مملوءَ اليَدَيْـنِ[3]
وتُدْرِكَ مُلْكَ ذِى يَزَنٍ وعَمْرٍو	وذى جَدَنٍ ومُلْكَ الخافِقَيْنِ[4]
ومُلْكَ المُنذِرَيْنِ وذِى نُواسٍ	وتُبَّعٍ العَرِيمِ وذِى رُعَيْـنِ[5]

---

(١) فى المطبوعة : « اثنتين » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك . والقصة مع الأبيات فى أمالى القالى ٢ / ٣٥ ، ٣٦ ، وفيها : « امرأتين » .

(٢) فى الأمالى : « كل ضر » .

(٣) فى المطبوعة : « أن تلقى » ، وأثبتنا ما فى : ج ، ك ، والأمالى .

(٤) فى الأصول : « ذى يزن بن عمرو » ، وأثبتنا الصواب من الأمالى . وذويزن : اسمه النعمان بن قيس الحميرى . راجع المرصع ٣٥١ . و « عمرو » : لعله عمرو بن أبرهة ، من حمير ، أحد التبابعة . وهو ذو الأذعار . انظر المرصع ٧٧ ، وتاج العروس (ذعر) ٣ / ٢٢٥ .

وجاء فى مطبوعة الطبقات : « وذى جدت » وفى : ج ، ك : « ذى حرب » وأثبتنا الصواب من الأمالى . وذو جدن : من ملوك اليمن ، واسمه علس بن الحارث . المرصع ١٣٣ . وجاء فى أمالى القالى : « وملك الحارثين » .

(٥) المناذرة كثيرون ، وهم ملوك الحيرة وما يليها من نواحى العراق ، فى الجاهلية .

وذو نواس أحد أذواء اليمن ، وهو آخر ملوك حمير فى اليمن ، وهو صاحب الأخدود المذكور فى القرآن الكريم ، وفى اسمه خلاف كثير ، راجع الأعلام ، للأستاذ الزركلى ٣ / ٢٨ ، والمرصع ٣٣٣ .

و « تبع » هو حسان بن أسعد أبى كرب الحميرى ، من أعاظم تابعة اليمن فى الجاهلية ، ولعله أكثرهم غارات ، وأظفرهم كتائب . الأعلام ٢ / ١٨٧ . و « العريم » : الداهية : وجاء فى أمالى القالى : « القديم » . وفى : ج ، ك : « والعريم » بزيادة الواو ، وأسقطناها كما فى المطبوعة . وذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن ، واسمه : يريم بن زيد بن سهل . المرصع ١٨٩ ، جمهرة ابن حزم ٤٣٣ .

فَعِشْ عَزَبًا فإن لم تستطِعْهُ فضَرْبًا فى عِراضِ الجَحْفَلَيْنِ[1]

انتهى الجزء التاسع من طبقات الشافعية الكبرى ، لابن السبكى
ويليه الجزء العاشر – وهو آخر الكتاب – وأوله ترجمة
(خليل بن أيبك ، صلاح الدين الصفدى)

---

(١) عراض : مصدر عارض الجحفل الجحفل ، معارضة وعراضا : إذا التقيا –والجحفل هنا : الجيش العظيم– يقول : تعرض للموت والشهادة كى تستريح . وقد رواه قوم : « فى عُراض الجحفلين » بضم العين ، والجحفلان : كناية عن الشفرين ، مأخوذ من جحفلة الدابة ، يريد : فارجع إلى ما عزبت عنه ، وأقبل عليه ، واصبر على مكروهه . وقال آخرون : يقال : تجحفل : إذا اجتمع ، وجحفلته : إذا جمعته ، فهو كناية عن الخضخضة ، وهى التدليك والاستمناء باليد . سمط اللآلى ٢ / ٦٦٩ .



فهرس التراجم

رقم الترجمة		رقم الصفحة
١٣٠٦	محمد بن أحمد بن عثمان ، شمس الدين الذَّهبىّ	١٠٠ - ١٢٣
	ومن الفوائد عنه	١١١ - ١١٥
١٣٠٧	محمد بن أحمد بن على ، أبو حاتم السُّبكىّ	١٢٤، ١٢٥
١٣٠٨	محمد بن أحمد بن عيسى ، فتح الدين القَلْيُوبىّ	١٢٦
١٣٠٩	محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، تاج الدين السُّلَمِىّ المُناوِى	١٢٧
١٣١٠	محمد بن إسحاق بن محمد ، عماد الدين البِلْبِيسىّ	١٢٨ - ١٣٨
	فائدة فى السِّواك ، وفوائد أخرى	١٣١، ١٣٢
١٣١١	محمد بن إبراهيم بن سعد الله ، بدر الدين ابن جَماعة	١٣٩ - ١٤٦
١٣١٢	محمد بن إبراهيم بن يوسف ، تاج الدين المَرَّاكُشِىّ	١٤٧ - ١٥٣
١٣١٣	محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البِلْفِيائىّ	١٥٣
١٣١٤	محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المُرْشِدىّ	١٥٤
١٣١٥	محمد بن داود بن الحسن ، صدر الدين التِّبرِيزىّ	١٥٤
١٣١٦	محمد بن خلف بن كامل ، شمس الدين ابن الغَزِّىّ	١٥٥، ١٥٦
١٣١٧	محمد بن عبد الله بن عمر ، زين الدين ابن المُرَحِّل	١٥٧
١٣١٨	محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، جلال الدين القَزوينىّ	١٥٨ - ١٦١
١٣١٩	محمد بن عبد الرحيم بن محمد ، صفىّ الدّين الهندى الأُرْمَوِىّ	١٦٢ - ١٦٤
١٣٢٠	محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر ، قطب الدين السُّنباطى	١٦٤، ١٦٥
١٣٢١	محمد بن عبد الغفار بن عبد الكريم ، جلال الدين القزوينىّ	١٦٥
١٣٢٢	محمد بن عبد المحسن بن الحسن ، شرف الدين الأُرْمَنْتِىّ	١٦٦
١٣٢٣	محمد بن عبد اللطيف بن يحيى ، تقى الدين أبو الفتح السُّبكىّ	١٦٧ - ١٨٧
١٣٢٤	محمد بن على بن عبد الكريم ، فخر الدين المِصرىّ	١٨٨، ١٨٩

رقم الإيداع ١٩٩٢/٥٨١٦ م
I.S.B.N: 977 - 256 - 085 - 2

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

طبقات الشافعية الكبرى